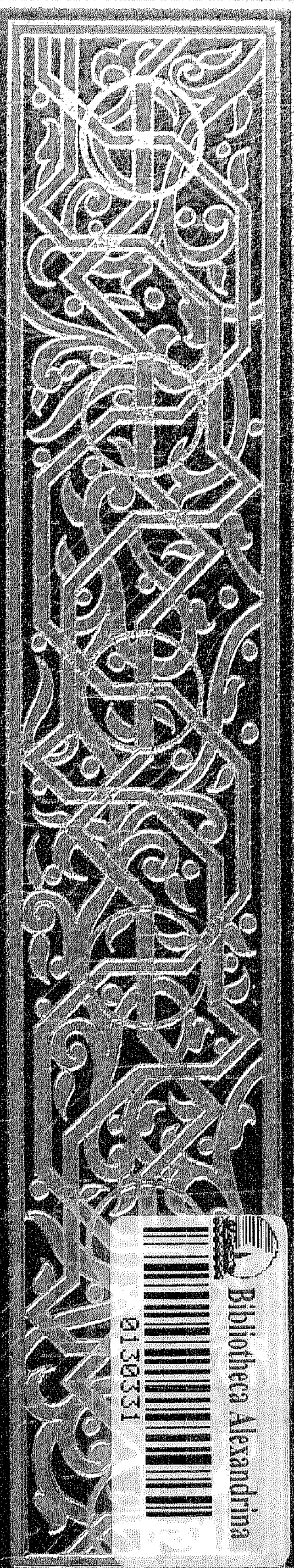
باقر شريف القرشي

حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

الجزء الأول

دار البلاغة





حياة

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام



باقر شريف القرشي

حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام

دراسة وتحليل

الجزء الأول

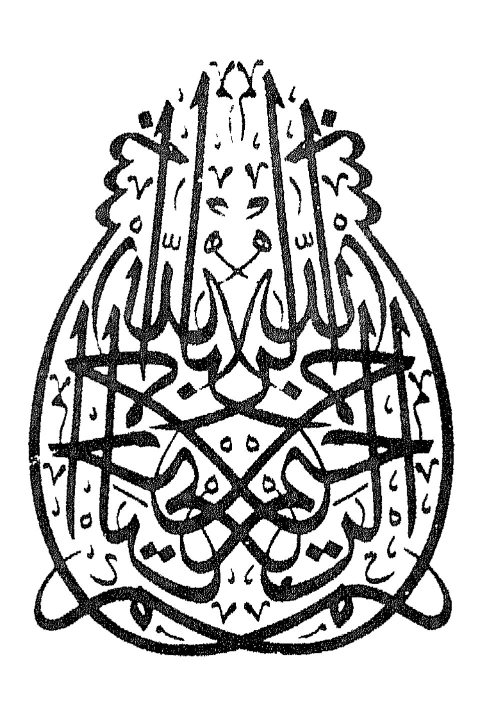
دار البلاغة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع .

هاتف وفاكس: ٣١٧٤٢٥-٨٢٠٣٢٠-٨٣٤٢٦٥ - ص.ب: ٢٥/١٦ - تلكس: ٢٢٥٩٧ بلاغ - بيروت - لبنان





بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ★ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ★ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ★ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ★ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ★



الأهداء

الى باعث الروح والعلم في الاجيال .

الى مجدد النهضة الفكرية في الاسلام .

الى الامام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام .

ارفع بكلتا يدي هذا المجهود المتواضع الذي تشرفت فيه بالبحث عن سيرة ولده الامام موسى وصيه وخليفته الوحيد في محنه وبلواه ، رهين السجون ، وحليف الآلام شبيه المسيح عيسى بن مريم في تقواه وورعه وزهده ، فتفضل عليّ ايها الامام العظيم بالقبول ليكون ذخراً لي يوم الوفادة على الله .

المؤلف



مقدمة الطبعة الثانية



بسم الله الرحمن الرحيم

واذا تعرض الباحث أي جانب من حياة الامام موسى (ع) فانه يجد تراثا نديا مشرقا يفيض بالخير والجمال، ويحمل العطاء السمح، والتوجيه المشرق للأمة.

ان حياة الامام موسى بجميع ابعادها تتميز بالصلابة في الحق، والصمود أمام الأحداث، وبالسلوك النير الذي لم يؤثر فيه أي انحراف أو التواء، وانما كان متسما بالتوازن، ومنسجما مع سيرة الرسول الاعظم (ص) وهديه واتجاهه، والتزامه بحرفية الاسلام.

وكان من بين تلك المظاهر الفذة التي تميزت بها شخصيته هو الصبر على الأحداث الجسام، والمحن الشاقة التي لاقاها من طغاة عصره، فقد امعنوا في اضطهاده، والتنكيل به، وقد اصر هارون الرشيد على ظلمه فعمد الى اعتقاله وزجه في ظلمات السجون، وبقي فيها حفنة من السنين يعاني الآلام والخطوب ولم يؤثر عنه أنه ابدى أي تذمر أو شكوى أو جزع مما ألمّ به، وانما كان على العكس من ذلك يبدي الشكر لله، ويكثر من الحمد له على تفرغه لعبادته، وانقطاعه لطاعته.

واجمع المترجمون له أنه كان من اعظم الناس طاعة، واكثرهم عبادة لله فكانت له ثفنات كثفنات البعير من كثرة السجود كما كانت لجده الامام زين العابدين من قبل حتى لقب بذي الثفنات، وقد بهر العقول بكثرة عبادته حينما كان في السجن، فكان يصوم نهاره، وينفق ليله ساهراً في

عبادة الله ، وقد أدلى الفضل بن الربيع بحديث له عن عبادته عليه السلام حينما كان سجينا في داره ، وقد دلّ على مدى تجرده عن الدنيا واقباله على الله ، وسنذكره عند الحديث عن سجنه .

وقد بهر هارون بما رآه من تقوى الامام وكثرة عبادته فراح يبدي اعجابه قائلا : « إنه من رهبان بني هاشم !! » .

ولما سجن (ع) في بيت السندي بن شاهك اقبل على عبادة الله فكان في جميع أوقاته مشغولا بذكره تعالى ، وكانت عائلة السندي تطل عليه فترى هذه السيرة التي تحاكي سيرة الأنبياء ، فاعتنقت شقيقة السندي فكرة الامامة ، وكان من آثار ذلك أن أصبح كشاجم حفيد السندي من اعلام الشيعة في عصره .

انها سيرة تملك القلوب والمشاعر فهي مترعة بجميع معاني السمو والنبل والزهد في الدنيا والاقبال على الله .

وهناك ظاهرة أخرى من ظواهر شخصيته الكريمة ، وهي السخاء ، فقد اتفق المؤرخون أنه كان من أندى الناس كفا ، واكثرهم عطاءاً للمعوزين ، وكانت تضرب بصراره المثل ، فكان الناس يقولون : « عجبا لمن جاءته صرار موسى وهو يشتكي الفقر » وكان يصل الفقراء والمحرومين في غلس الليل البهيم لئلا يعرفه أحد ، وقد انفق جميع ما يملكه بسخاء على الضعفاء والمنكوبين ، واغدق عليهم العطاء الجزيل ، وانقذ الكثيرين منهم من مرارة الفقر والحرمان .

واجمع الرواة انه (ع) كان يملك طاقات هائلة من العلم ، فكان اعلم المسلمين في عصره ، وقد احتف به العلماء والرواة فكان لا يفتي بنازلة أو حادثة الا بادروا إلى تسجيلها وتدوينها ، وقد رووا عنه مختلف العلوم والفنون خصوصاً فيما يتعلق بالتشريع الاسلامي ، فقد زودهم بطاقات ندية منه ،

ويعتبر في هذا المجال هو أول من فتق باب الحلال والحرام من أئمة أهل البيت (ع) (١) .

لقد قام الامام موسى (ع) بعد أبيه الامام الصادق (ع) بادارة شؤون جامعته العلميـة التي تعتبر اول مؤسسة ثقافية في الاسلام ، وأول معهد تخرجت منه كوكبة من كبار العلماء في طليعتهم أئمة المذاهب الاسلامية وقد قامت بدور مهم في تطوير الحياة الفكرية ، ونمو الحركة العلمية في ذلك العصر ، وامتدت موجاتها الى سائر العصور وهي تحمل روح الاسلام وهديه ، وتبث رسالتـه الهادفة الى الوعي المتحرر واليقظة الفكريـة ، وسنتحدث عن مدى معطياتها في غضون هذا الكتاب .

لقد كان الامام موسى (ع) من الم أئمة المسلمين في علمه ، وسهره على نشر الثقافة الاسلامية وابراز الواقع الاسلامي وحقيقته .

ويضاف الى نزعاته الفذة التي لا تحصى حلمه وكظمه للغيظ ، فكان الحلم من خصائصه ومقوماته ، وقد اجمع المؤرخون أنه كان يقابل الاساءة بالاحسان ، والذنب بالعفو ، شأنه في ذلك شأن جده الرسول الاعظم (ص) وقد قابل جميع ما لاقاه من سوء وأذى ، ومكروه من الحاقدين عليه بالصبر والصفح الجميل حتى لقب بالكاظم وكان ذلك من أشهر القابه .

وهكذا إذا أستعرضنا نزعات الامام ، وقابلياته الفذة ، وما أثر عنه في ميادين السلوك والاخلاق ، فانا نجده حافلا بكل مقومات الانسانيـة ، ومالها من مفاهيم بناءة خيرة ، وعسى أن يلمّ هذا الكتاب ببعض جوانبها المشرقة ، أو يعطى أضواءاً عنها .

(٢)

ولم تكن الشيعة تقدس أئمة أهل البيت (ع) تقديسا دينيـا مجرداً

---

(١) الفقه الاسلامي مدخل لدراسة نظام المعاملات ص ١٦٠ .

عن الوعي والعمق ، وانما يستند في حقيقته وجوهره بل في جميع ابعاده إلى الدقة والتأمل والإدراك حسب ما دللوا عليه ، وأقاموه من الأدلة الوثيقة التي هي بعيدة كل البعد عن عنصر الجدل والنقاش . . . إن إيمان الشيعة بل ايمان جميع المسلمين بلزوم مودة أهل البيت انما هو مستمد من واقع الاسلام وروحه ، ومن صميم رسالته ، فقد أوجب على كل مسلم أن يكنّ لهم في أعماق ذاته ودخائل نفسه أعمق الود وخالص الحب ، وقد نطقت بذلك آية المودة قال تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى »(١) فقد أجمع المفسرون أنها نزلت في أهل البيت (ع) (٢) وإلى مضمون الآية يشير الامام الشافعي بقوله :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

وتواترت النصوص الصحيحة في لزوم مودة أهل البيت ، وان النبي حرب لمن حاربهم ، وسلم لمن سالمهم ، وقد قرنهم بمحكم التنزيل قال(ص): « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » (٣).

---

(١) سورة الشورى : آية ٢٣ .

(٢) تفسير الرازي ٤٠٦/٧ ، الدر المنثور ٧/٧ ، تفسير النيسابوري ، وروى أبو نعيم بسنده عن جابر قال : جاء أعرابي إلى النبي (ص) فقال يا محمد اعرض علي الاسلام ، فقال تشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله قال : تسألني عليه أجراً ؟ قال : ــ لا ــ الا المودة في القربى ، قال : قرباي أو قرباك ؟ قال : قرباي ، قال : هات أبايعك ، فعلى من لا يحبك ، ولا يحب قرباك لعنة الله ، قال رسول الله (ص) : آمين .

(٣) صحيح الترمذي ٣٠٨/٢ ، أسد الغابة ١٢/٢ .

ان حديث الثقلين قد أجمع المسلون على روايتـــه ، وهو من أوثق الاحاديث النبوية وأكثرها ذيوعا ، وهو يحمـــل جانبا مهماً من جوانب العقيدة الاسلامية ، كما أنه من اجلى الأدلة التي تستند إليها الشيعـــة في حصر الامامة في أهل البيت ، وفي عصمتهم من الاخطاء والاهواء لأن النبي (ص)قرنهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا يفترق أحدهما عن الآخر ، ومن الطبيعي ان صدور أية مخالفة لاحكام الدين تعتبر افتراقا عن الكتاب العزيز ، وقد نفى الرسول (ص) افتراقهما حتى يردا عليه الحوض ، فدلالته على العصمـــة ولزوم مودتهم ظاهرة جلية .

وقد كرر النبي (ص) هذا الحديث في غير موطن لأنه يهدف الى صيانة الامة والحفاظ على استقامتها وعدم انحرافها في المجالات العقائديـة وغيرها إن تمسكت بأهل البيت ولم تتقدم عليهم ، ولم تتأخر عنهم (١) .

وقال (ص) : « انما مثل أهل بيتي كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وانما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له » (٢) يقول الامام شرف الدين في مراجعاته القيمة في بيان الحديث ما نصه .

« وأنت تعلم أن المراد من تشبيههم عليهم السلام بسفينـــة نوح أن من لجأ إليهم في الدين فأخذ أصوله وفروعه عن أئمتهم الميامين نجا من عذاب النار ، ومن تخلف عنهم كان كمن آوى « يوم الطوفان » الى جبل ليعصمه من أمر الله ، غير أن ذاك غرق في الماء وهذا في الحميم والعيـــاذ بالله . والوجه في تشبيههم عليهم السلام بباب حطة هو أن الله جعل ذلك الباب

(١) حياة الامام الحسن ١/٩٠ .

(٢) مجمع الزوائد ٩/١٦٨ .

مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمه ، وبهذا كان سببا للمغفرة.

هذا وجه الشبه ، وقد حاوله ابن حجر إذ قال : — بعد أن أورد هذه الاحاديث وغيرها من أمثالها — .

« ووجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة مشرفهم ، وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم ، وهلك في مفاوز الطغيان » الى ان قال : « وبباب حطة — يعني وجه تشبيههم بباب حطة — أن الله جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سببا للمغفرة ، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سببا لها » (١) .

هذه بعض النصوص الواردة في اهل البيت ، وهي صريحة في دلالتها على لزوم مودتهم ، وهو أمر مجمع عليه بين المسلمين ، الا ان الذي يهمنا هو أن نلمع بايجاز الى مظاهر ذلك الولاء الخالص عند الشيعة ، وهل يحمل في واقعه طابع الغلو والافراط في الحب كما يتهمهم بذلك بعض خصومهم أو انه بعيد عن ذلك ، وفيما أحسب ان الحديث عن أمثال هذه البحوث من موجبات الالفة والتقريب بين المسلمين فانها تزيل من طريقنا ما خلفته الاجيال من عوادي السوء ومغبات التفرق والانقسام .

ان مظاهر الولاء للعترة الطاهرة عند الشيعة هي ما يلي :

أولا — إن الشيعة تأخذ معالم الدين أصولا وفروعا من أئمة أهل البيت (ع) وتجمع على أن التعبد باقوالهم وافعالهم وتقريرهم انما هو من السنة التي يجب العمل بها عينا ، وبذلك فقد بنت أطارها العقائدي على ما أثر عن أهل البيت ، ولا تتعدى في الحالات التشريعية الى غيرهم من بقية المذاهب الاسلامية ، ولم يكن ذلك عن تحزب أو تعصب لأهل البيت ،

(١) المراجعات : ص ٥٤ .

وانما النصوص القطعية التي أثرت عن الرسول الاعظم (ص) هي التي نصت على ذلك كحديث الثقلين وغيره من الاحاديث المتواتره التي اجمع المسلمون على صحتها ، وهي تدل بوضوح على لزوم التمسك بالعترة الطاهرة والتعبد بما روي عنها بعد القطع أو الظن المعتبر بصحة صدوره عنهم ، وقد أوضح هذه الجهة وأولاها بمزيد من البيان والاستدلال سماحة الامام المغفور له شرف الدين في مراجعاته القيمة قال رحمه الله : « إن تعبدنا في الاصول بغير المذهب الاشعري ، وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة لم يكن لتحزب أو تعصب ، ولا لريب في اجتهاد أئمة تلك المذاهب ، ولا لعدم عدالتهم وامانتهم ونزاهتهم ، وجلالتهم علما وعملا .

لكن الأدلة الشرعية أخذت باعناقنا الى الأخذ بمذاهب الائمة من أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي والتنزيل فانقطعنا إليهم في فروع الدين وعقائده ، وأصول الفقه وقواعده ومعارف السنة والكتاب وعلوم الأخلاق والسلوك والآداب نزولا على حكم الأدلة والبراهين ، وتعبداً بسنة سيد النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين .

ولو سمحت لنا الأدلة بمخالفة الأئمة من آل محمد ، أو تمكنا من تحصيل نية القربة لله سبحانه في مقام العمل على مذهب غيرهم لقصصنا أثر الجمهور وقفونا إثرهم تأكيداً لعقد الولاء ، وتوثيقا لعرى الإخاء ، لكنها الأدلة تقطع على المؤمن وجهته ، وتحول بينه وبين ما يروم » .

وأضاف لهذا قوله :

« وما أظن أحداً يجرؤ على القول بتفضيلهم — اي أئمة المذاهب — في علم أو عمل على أئمتنا ، وهم أئمة العترة الطاهرة ، وسفن نجاة الأمة وباب حطتها ، وأمانها من الاختلاف في الدين ، واعلام هدايتها ، وثقل

رسول الله ، وبقيته في أمته ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا تقدموهم فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، فانهم أعلم منكم ، لكنها السياسة ، وما أدراك ما اقتضت في صدر الاسلام » (١) .

وقد أيد شيخ الازهر الشيخ سليم هذا الجانب المشرق من حديث الامام شرف الدين قال :

« بل قد يقال إن أئمتكم الاثنى عشرة أولى بالاتباع من الأئمة الأربعة وغيرهم ، لأن الاثنى عشرة كلهم على مذهب واحد قد محصوه وقرروه باجماعهم بخلاف الأربعة فان الاختلاف بينهم شائع في أبواب الفقه كلها ، فلا تحاط موارده ولا تضبط ، ومن المعلوم ان ما يمحصه الشخص الواحد لا يكافىء في الضبط ما يمحصه اثنا عشر إماما ، هذا كله مما لم تبق فيه وقفة لمنصف ، ولا وجهة لمتعسف » (٢) .

وأكد هذه الظاهرة الشيخ شلتوت شيخ الجامع الازهر ، فاعان أن الفقه الامامي من أوثق ما كتب في الفقه الاسلامي اصالة في الفكر ، وعمقا في الاستدلال وقربا للواقع .

ومن الطبيعي ان هذه الظاهرة التي تمسكت بها الشيعة واعلنتها في جميع المجالات ليس فيها أي جانب من الغلو ، وانما هي متسمة بالاعتدال وعدم الانحراف في جميع أبعادها .

ثانيا — ان الشيعة تجمع على أن أئمة أهل البيت (ع) من عباد الله المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون ،وانهم أهل الذكر وأولي الأمر وبقية الله ، وخيرته ، وحزبه ، وعيبة علمه ، وانهم ساسة العباد ، واركان البلاد ، وأبواب الايمان ، قد عصمهم الله من الفتن ،

(١) المراجعات : ص ٤٠ — ٤١ .

(٢) المراجعات : ص ١٤٤ .

وطهرهم من الدنس ، واذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، ووصفهم الامام امير المؤمنين (ع) بقوله :

« هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه ، هم دعائم الاسلام ، وولائج الاعتصام ، بهم عاد الحق في نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته ، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل » (١) .

ووصفهم شاعر الاسلام الأكبر الكميت في احدى روائعه بقوله :

القريبين من ندى والبعيدين من الجور في عرى الأحكام
والمصيبين باب ما أخطأ النا س ومرسي قواعد الاسلام
والحماة الكفاة في الحرب إن لفّ ضرام وقوده بضرام
والغيوث الذين إن أمحل النا س فأوى حواضن الأيتام
راجحي الوزن كاملي العدل في الـ سيرة طبين بالأمور الجسام
ساسة لا كمن يرى رعية النا س سواءاً ورعية الاغنا م(٢)

هذه بعض نزعات أهل البيت كما وصفها شاعر العقيدة الكميت وهو معاصر لهم قد اختلط بهم ، واختبر أخلاقهم ، فآمن بأنهم سلام الله عليهم نسخة لا ثاني لها في تاريخ الانسانية علما وسخاءاً وتحرجا في الدين ، وقد اندفع مناظلا في سبيلهم فنظم هاشمياته فيهم ، وهي تصور الجانب الكثير من الفكرة الشيعية مع الاستدلال عليها بالآيات تارة وبالسنة أخرى .

وعلى أي حال فان الشيعة الامامية تبرأ من الغلو في أئمتهم ، وتجمع على ضلالة المغالين وخروجهم من الدين .

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٢/٢٥٩ .

(٢) الهاشميات .

ان حقيقة الغلو رفع الامام الى منزلة الآله المعبود ، فقد قال الغلاة الامام امير المؤمنين (ع) : أنت أنت ، قال : ومن أنا ؟ قالوا : الخالق الباري فاستتابهم فلم يرجعوا عن غيهم ، فعمد إلى احراق بعضهم ، فكانوا يقولون : وهم يساقون الى النار ، إنه الله ، وانه هو الذي يعذب بالنار (١).

هذا هو منطق الغلاة الحاد في الدين وخروج عن عبودية الله وارتداد عن الاسلام ، وكان موقف أئمة أهل البيت (ع)معهم موقفا صارما وعنيفا فقد حكموا بوجوب قتلهم ، وحرمة الاختلاط بهم ، وعزلهم عن جماهير المسلمين وقد لعن الامام موسى (ع) محمد بن بشير لما غالى فيه ، ودعا عليه ، وتبرأ منه (٢) .

ان عقيدة الشيعة في أئمة اهل البيت مستمدة من روح الاسلام وصميمه وليس فيها -- والحمد لله -- أي غلو أو خروج عن منطق العقل ، وانما هي ناصعة نقية تتسم بالاصالة والمنطق والدليل .

ثالثا -- ان الشيء البارز من مظاهر الولاء الذي تكنه الشيعة لأئمتها انها تقوم بدورها باحياء ذكرهم والاشادة بفضلهم فتقيم الحفلات التأبينية على ما أصابهم من عظيم الخطب وفادح الرزء ، ويعرض فيها الى سيرتهم ومثلهم الحافلة بتقوى الله ، وحب الصالح العام والتفاني في سبيل الحق وخدمة الأمة ، كما تقوم الشيعة بزيارة تلك المراقد الطاهرة للتبرك والتقرب بها الى الله ، فانها من أعظم مظاهر الود الذي فرضه الله للعترة على جميع المسلمين .

هذه بعض مظاهر الولاء الذي تكنه الشيعة للأئمة عليهم السلام وليس فيه أي شائبة للغلو أو افراط في الحب ، وعلى هذا الاساس المعتدل

(١) التنبيه والرد على أهل البدع ص ١٤ .

(٢) رجال الكشي : ص ٢٩٨ .

المعتدل من الحب نتحدث عن الامام موسى (ع) بأمانة واخلاص شأننا في ذلك شأن الباحث الذي يخلص للحق مهما استطاع اليه سبيلا .

(٣)

والشيء الذي يدعو الى التساؤل هو أنا لم نجد إماماً من أئمة أهل البيت (ع) قد عاش آمناً مطمئناً في حياته بعيداً عن الخوف والفزع والأرهاق فقد عانوا جميعاً أشد ألوان الظلم والجور والاضطهاد ، وكانت نهاية المطاف المحزن لكل واحد منهم القتل أو السم ولعل اهم أسباب ذلك - فيما نحسب - يعود الى ما يلي :

انهم سلام الله عليهم بحسب مركزهم الاجتماعي ، وولايتهم العامة على الأمة كانوا مسؤولين عن رعايتها ، وصيانة حقوقها ، وتأمين مصالحها وكانوا لا يقرون على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ، وكانوا ينعون على حكام عصورهم سياستهم التي لم تحفل بالنظر للصالح العام ، وانما كانت تستهدف الاثرة والاستغلال ، وارغام الناس على ما يكرهون فلم يؤثر عن الكثيرين منهم - امثال معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم ونظرائهم من ملوك الامويين والعباسيين - أي جد في امور الرعية او اخلاص لقضاياها أو سهر على مصالحها وانما كانوا جادين في اشاعة الظلم الاجتماعي والجور على العامة ، وانصرفوا الى اللذة والمجون ، قد حفلت قصورهم بقطاع من المغنين والمغنيات وتعاطي الخمور ، ولم يعد عندهم ذكر لله واليوم الآخر بالرغم من ان منطق الحكم الذي كانوا يمثلونه كان حكماً اسلامياً قد عهد اليه القيام بشؤون الدين ، وهم لا يمثلونه بقليل ولا بكثير فقد جافت سيرتهم جميع سنن الاسلام واحكامه حسب ما أجمع عليه المؤرخون .

وتميز موقف الأئمة المعصومين (ع) مع جبابرة عصورهم الحاكمين

بالشدة والصرامة فلم يخلدوا معهم الى الدعة والسكون ، وانما اعلنوا المقاومة والمعارضة لهم ، وكانت ذات طابعين :

١ ـ المقاومة الايجابية

وقد اختار هذا النهج الثوري الامام الحسين (ع) حينما أعلن طاغية عصره يزيد بن معاوية الكفر والالحاد ، والخروج على ارادة الأمة ، وتصميمه على اذلالها واستعبادها ، وارغامها على ما تكره ، فاضطر (ع) الى اعلان الثورة مع علمه (ع) بقلة الناصر وخذلان الصديق ، وانه لابد أن تتناهب السيوف والرماح جسمه الشريف ، وقد أدلى (ع) بذلك وهو في مكة المكرمة بقوله :

« وما أولهني الى أسلافي إشتياق يعقوب الى يوسف ، وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكراشا جوفا واجربة سغبا لا محيص عن يوم خُط بالقلم » (١) .

لقد أخبر أبي الضيم عما يلاقيه في كربلا من تقطيع اعضائه وأوصاله على صعيدها وما اولهه الى هـذا المصير المشرق الذي تنتصر به مبادؤه الهادفة الى تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس .

لقد قدم سيد الشهداء على تلك التضحية الجبارة ليزيل عن جسم الأمة ذلك التخدير الذي طعمه بها الحكم الأموي ، وكان لمقتله الشريف أثره الفعال في ايقاظ الجماهير ووعيها ، فقد تصعدت العمليات الثورية حتى اطاحت بالحكم الأموي وأزالت جميع آثاره من العالم العربي والاسلامي .

---

(١) اللهوف : ص ٣٣

٢ ـ المقاومة للسلبية

وأختار هذا المنهج السليم بعض الأئمة الطاهرين لعلمهم بأن المقـاومة الايجابية لا تجدي في التغلب على الاحداث نظراً للظروف السياسية القـائمة التي تؤدي الى حتمية فشل الثورة ، وعدم انتفـــاع القضية الاسلامية بهـــا ومن ثمّ اعلنوا المقاومة السلبية ، وكان من مظاهرها حرمة الاتصال بالجهاز الحاكم ، وحرمة الترافع الى مجالس القضاء حسب ما دونه فقهاء الامامية في كتاب القضـــاء ، وهي طريقة مجدية ذات أثر بالغ في تحقيق الأهداف السليمة التي تنشدها أئمة أهل البيت (ع) وقـــد أكد هذه السياسة السلبية الامام موسى (ع) في حديثه مع صفوان الجمال ، وسنذكره بالتفصيل في غضون هذا الكتاب .

وسلك المستر غاندي هذه السياسة النيرة في تحريره للهند فانه حرم على الهنود التعاون والتجاوب مع الاستعمار البريطاني ، وقد نجحت هذه السياسة نجاحاً باهراً فقد اضطر المستعمرون الى الجلاء عن الهند ، ومنحها الاستقلال السياسي .

ومن المؤسف ان العلويين الثوار من الحسنيين وغيرهم لم يسيروا على وفق هذه السياسة البناءة المعتدلة التي رفع شعارها الأئمة (ع) فقد رفعوا علم الثورة على الحكم الأموي والعباسي ، ولم يكتب لثوراتهم النجاح لعدم وضعها على خطط سليمة ، فلذا منيت بالفشل ، وقد جرت لهم كثيراً من المشاكل والمصاعب ، واخلدت لهم الآلام والخطوب .

ولم يكد يخفى على السلطات الحاكمة أمر هذه السياسة السلبية التي اعتمد عليها أئمة اهل البيت (ع) فقد كانت الاستخبارات منتشرة في جميع الاوساط وهي تنقل اليها كل بادرة أو جزئية تحدث في البلاد ، فقـــد نقلت الى

هارون قصة صفوان الجمال حينما عمد الى بيع جماله التي كان يكريها له في موسم الحج استجابة لنصيحة الامام موسى (ع) فأرسل هارون خلفه ورام قتله إلا انه عدل عن ذلك ،

وعلى أي حال فان الحكومات القائمة آنذاك قد وجهت جميع اجهزتها للعمل ضد أهل البيت وقد استخدمت معهم الوسائل التالية :

١ - مقابلتهم بمزيد من العنف والاضطهاد ، والمبالغة في قهرهم وظلمهم الى حد لا يوصف افضاعته ومرارته ، وقد أفرد أبو الفرج الاصفهاني كتاباً خاصاً ، وهو « مقاتل الطالبيين » عرض فيه ما جرى عليهم وعلى سائر العلويين من المحن الشاقة والتنكيل الهائل .

٢ - فرض الحصار الاقتصادي عليهم اضعافاً لشوكتهم ، وقد عمد هارون الى تطبيق هذه السياسة على الامام موسى ، فانه حينما سافر الى يثرب اجزل العطاء لجميع أبناء الصحابة سوى الامام فانه لم يصله بما يتفق مع مكانته ، فسأله المأمون عن ذلك فقال له : إن فقره أحب إلي من غناه ، ولو أوصلته بما يستحق لخرج علي ، وقد وضع الرصد والعيون على من يصله بالاموال فأوجب ذلك شدة الضيق والجهد عليه وهكذا كانت سياسة اولئك الحكام مع الائمة المعصومين متسمة بفرض الفقر والحرمان عليهم ، وقد بلغ الضيق بعموم العلويين اقصاه في أيام المتوكل ، فكان من يصلهم يتعرض للسخط والانتقام ، وقد بلغت الفاقة بهم انهم كانوا لا يملكون في بيوتهم سوى عباءة واحدة فاذا رام أحد منهم أن يخرج ارتدى بها (١) وقد عمد المتوكل الى قطع جميع مواردهم الاقتصادية .

٣ - حجبهم عن العالم الاسلامي ، وفرض الرقابة الشديدة والمطاردة المفزعة على جميع من يتصل بهم ، وقد أدى ذلك بطبيعة الحال الى ظهور

(١) مقاتل الطالبيين .

النزعات المختلفة بين الشيعة ، ولم يكن هناك أي مجال لأئمة الهدى للعمـــل على توحيد صفوف الشيعة وازالة النزعات المذهبية الحادثة فيما بينهم (١)

٤ - انها أسرفت الى حد بعيد في القسوة على الشيعة فقد صبت عليهم ألوانا قاسية من العذاب الأليم ، وقـــد تحدث الامام الباقر (ع) عن المحن الشاقة التي واجهتها الشيعة أيام الحكم الأموي قال (ع) :

« وقتلت شيعتنـــا بكل بلدة ، وقطعت الايدي والارجل على الظنة والتهمة وكان من يذكر بحبنا أوالانقطاع الينا سُجن أو نهب ماله وهدمت داره » (٢) .

وقد صعدت الحكومات الاموية والعباسية جميع أجهزتها الدعائية ضد الشيعة حتى أصبح حب أهل البيت عاراً ومنقصة ، ويشار الى الشيعي بالخيبة والخسران كما حكم بعضهم ان حب أهل البيت مروق من الدين ، وخروج عن الاسلام والى ذلك كله يشير شاعر العقيدة والجهاد الكميت بقوله :

يشيرون بالأيدي إليّ وقولهم ... الا خاب هذا والمشيرون أخيب
فطائفة قد كفرتني بحبـــكم ... وطائفة قالوا مسيء ومذنب
يعيبونني(٣) من خبهم وضلالهم ... على حبكم بل يسخرون واعجب
وقالوا ترابي هواه ورأيه ... بذلك أدعى فيهم وألقب (٤)

وعلى أي حال فان تلك الاجراءات القاسية التي اتخذتها السلطات ضد أئمة أهل البيت (ع) قد خولف بها عما أثر عن النبي (ص) في لزوم المودة لعترته ، ووجوب رعايتها وتكريمها في كل شيء :

(١) عقائد الزيدية .
(٢) شرح النهج ٣/١٥
(٣) الخب الخديعة .
(٤) الهاشميات .

على أن السلطات الحاكمة في عصورهم كانت تؤمن بأن الأئمة لم يكن لهم أي أرب في الحكم ، وانما كانوا يستهدفون اشاعة العــدل والمساواة ، وتطبيق احكام القرآن على واقع الحياة العامة بين المسلمين ، ولكن ذلك لم يكن يتفق مع سياستهم الهادفة الى الاثرة والاستغلال وصرف بيت المــال على الماجنين والعابثين فلذا كانوا يحقدون على كل من يطالب بالاصلاح الاجتماعي والعدالة الاجتماعية .

ومضافا لذلك كله فقد كان الكثيرون من اولئك الحكام يحقدون على أئمة الهــدى نظراً لاجماع المسلمين على تكريمهم وتعظيمهم ، والاشادة بفضلهم فقد كان المنصور يعلم أن الامام الصادق كان بمعزل عن الحركات السياسية في عصره ، ولم يكن يبغي الحكم والسلطان ، وانه نهى العلويين عن اعلان الثورة عليه ، وكان قبل ذلك قد بشره بمصير الخلافة اليه ، ومع ذلك فلم يتركه وشأنه وادعاً آمنا ينشر علوم جده بين المسلمين ، فقد جلبه غير مرة الى عاصمته محاولا اغتياله ، ولم يكن هناك أي دافع سوى الحقد عليه لعظم شخصيته ومكانته عنــد المسلمين ، وكذلك هارون الرشيد فانه كان يعلم ان الامام موسى لم يكن يستهدف منازعته على سلطانه ، أو البغي عليه إذ لم تكن عند الإمام قوى يعتمد عليها في منازعته والخروج عليه ، ومع ذلك فقد نكل به اعظم التنكيل فزجه في ظلمات السجون ، ودس اليه السم حتى قضى على حياته وسبب ذلك هو الحسد والحقد لما يتمتع به الامام من سمو المكانة عند جميع المسلمين .

(٤)

وحفل عصر الامام موسى بكثير من الازمات والاحداث الجسام ، ومن بينها الثورات المتسمة بالعنف وسفك الدماء ، وكان من أهمها الثورة الكبرى التي اطاحت بالحكم الأموي ، فقد اندفعت الشعوب الاسلامية بحماس بالغ الى الثورة العارمة على ذلك الحكم الذي جهد على اذلالها وحرمانها من

جميع مقومات الحياة .

وكان شعار الثورة الدعوة الى الرضا من آل محمد ، وقد استجابت له الشعوب ، وتعطشت له القلوب ، فان آل محمد هم الركيزة الأولى للاهداف الضخام التي ينشدها المجتمع الاسلامي من العدل والحرية والمساواة .

والتفت الجماهير حول هذه الثورة تحميها وتصونها ، وتقدم في سبيلها المزيد من التضحيات ، فقد آمنت أن لا سبيل لكرامتها وحمايتها من الاستغلال والاضطهاد الا اذا آل الحكم الى العلويين قادة العدل ، وحماة الحق . والملجأ للمظلومين والمضطهدين .

ولم يظن أحد أن الثورة تحمل في اعماقها الدعوة لبني العباس فان هذه الأسرة لم يكن لها أي عمل ايجابي في خدمة الجماهير ، ولم ينالوا أي ضيم أو ارهاق من السلطة الاموية ، فقد كانوا وادعين آمنين تجزل لهم السلطات بالعطاء ، وتوفر لهم العيش والثراء ، مضافاً الى ذلك انها لم يكن لها ماض زاهر ، فقد حفل تأريخ بعضهم بالغدر والخيانة للأمة .

وعلى أي حال فقد انحرفت الثورة عن مخططاتها الاصيلة ، واتجهت الى حمل الحكم لبني العباس ، وقد عين العباسيون أبا مسلم الخراساني قائداً عاما للثورة ، ومنحوه ثقتهم ، وقد امعن في سفك الدماء واراقتها بغير حق فقد أجمع الرواة أنه كان سفاكا آثما لم يحفل بأي جريمة يقترفها ، قد هانت عنده النفوس والأرواح ، فكـــان يأخذ البريء بالسقيم ، والمقبـــل بالمدبر، ويقتل على الظنة والتهمة ، وكان عدد من قتله ـ فيما يقول المؤرخون ـ ستمائة ألف ، الامر الذي يدل على أنه لا عهد له بالله ولا باليوم الآخر . وقدأقر العباسيون جميع خططه الارهابية ، وتعزو بعض المصادر الى بني العباسيين انهم هم الذين عهدوا اليه بذلك .

وعلى أي حال فان الحكم لم ينته لبني العباس الا على بحور من الدماء

وجبال من جثث الضحايا والابرياء ، وحينما قبضوا على زمام السلطة اتجهوا الى الابادة الشاملة للأموين ومن يمت اليهم فأشاعوا فيهم القتل والتنكيل ، ولم يقر الامام الصادق (ع) ذلك ، فقد طالب السلطة بالعفو والصفح عنهم وبهذا نقف على مدى الانسانية الفذة الماثلة في أهـل البيت فانهم لم يخلدوا الى منطق التشفي والانتقام من العدو مهما كانت اسائتـــه اليهم ، فقد كان شأنهم العفو والرفق والاحسان مع المعتدين والظالمين لهم .

وحاول أبو سلمة أحد نقباء الدولة العباسية ، والعضو الفعال في قيادة ثورتهم أن ينقل الخلافة الى العلويين ، وسواءاً كان ذلك عن خديعة ومكر ام عن جد واخلاص منه في الامر، فقد أوفد رسائله الى يثرب فقام رسوله فناول الامام الصادق احدى رسائله فأمر (ع) باحراقها بالنار أمامه ، فطالبه الرسول بالجواب ، فقال له: هو ما رأيت ، وعدل الرسول الى ذي النفس الزكية وأخيـــه فناولهما رسائل أبي سلمة ، فوجد عندهما استجابة ملحة الى طلبه ، وأشار عليهما الامام الصادق بأن لا ينخدعا بذلك ، فان الامر لا يتم لهما ، فلم يذعنا له ، واتخذا ذلك منه حسداً لهما - فيما يقول الرواة - ولم يمض كثير من الوقت حتى أعلن العلويون ثورتهم على المنصور ، وقد التفت حولهـــا الجماهير الهائلة . وانبرى الفقهاء ، وأعلام الفكر الاسلامي الى تأييدها ، الا انه لم يُكتب لها النجاح ، فقد تمكنت جيوش العباسيين من اخمادها والقضاء عليهـا ، وقد عرض هذا الكتاب لبيان ذلك بصورة مفصلة .

وما انتهت ثورة العلويين الا ورؤوسهم قد حُملت على أطراف الرماح يطاف بها في الاقطار والامصار ، كما كان الحال أيام الحكم الاموي ، ولم يرع المنصور آواصر الرحم التي بينه وبين العلويين ، فقد جهد بعد ذلك الى قتلهم ومطاردتهم لم يستثن في ذلك الشيخ والطفل ، وانما عمهم جميعـــاً بتعذيبه الذي لا يوصف لقسوته ، حتى تمنى العلويون رجوع الحكم الاموي

على ما فيه من قسوة وعذاب .

وقد تركت الاجراءات القاسية التي اتخذهـا المنصور تجاه العلويين أعمق الحزن وأمضه في نفس الامام الصادق ، وولده الامام موسى ، فقد رؤوا ابناء عمومتهم ينكل بهم المنصور افظع التنكيل ، وهم لا يجدون سبيلا الى نصرتهم وانقاذهم مما هم فيه .

ومن بين تلك المشاكل التي حفل بها عصر الامام موسى الحركات الفكرية الهدامة كالزندقة وغيرها ، فقد كانت تستهدف القضاء على الاسلام وتقويض دعائمه ، وقد امتدت الى كثير من الاقطـار الاسلامية ، وهي تسعى جاهدة الى العبث بفلسفة الاخلاق الاسلامية ، وانكار الاديان جميعاً وحمل الناس على ارتكاب المحرمات ، والعبث بالآداب العامة ، وإفساد سائر النظم الاجتماعية .

وقد تصدى الامام الصادق (ع) وولده الامام موسى الى مقاومة تلك المبادىء ، وتزييفها بالادلة العلمية .

ويضاف لتلك المذاهب الهدامة مبادىء أخرى دهمت العالم الاسلامي في تلك العصور وهي تدعو الى تفكيك الروابط الاجتماعية ، وتفريق كلمة المسلمين ، وتضليل الرأي العام في كثير من جوانب حياته العقائدية ، وقد تصدى الامام موسى وأبوه الامام الصادق من قبـل الى ايقاظ المسلمين وتحذيرهم منها ، وقد عرض الكتاب بصورة موضوعية الى بسط الكلام في ذلك كله .

(٥)

وليس في ميادين الخدمة الاجتماعية ماهو أعم نفعاً وأكثر عائدة على الامة من نشر فضائل أهل البيت (ع) وعرض سيرتهم وشؤونهم ، فانها تمد المجتمع بما يحتاجه من مقومات النهوض والارتقاء . . . ما أحوج المسلمين

الى التوجيه المشرق المنبعث من رسالة أهل البيت الهادفة الى نكران الذات والتضحية في سبيل الله ، والانطلاق نحو العمل المثمر البناء .

إن الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون زاخر بأمواج من الفتن والاضطراب فقد عبثت القوى الاستعمارية بمقوماتهم ، وسلبتهم جميع مقدراتهم ، وغذت فيهم جميع عوامل الضعف والانحلال ، حتى غدوا بأقصى مكان من الذل والهوان ، ونحن نؤمن ايمانـاً لا يخامره ادنى شك أنه لا يمكن أن تكون للمسلمين نهضة يصاون بها الى اهدافهم السليمة ما لم يقتدوا بأئمة أهل البيت في سلوكهم وتعاليمهم فان في كل جانب منها ملتقى اصيل للوعي المتحرر والمثل العايا والايمان الكـامل بحق الأمة ، وعسى أن نكون في بحثنا عن سيرة الامام موسى (ع) قد ساهمنا في مجال الخدمة الاجتماعية .

لقد نشر هذا الكتاب سنة (١٣٧٨ هـ) ونفذت نسخه ، وقد كثر علي الطلب والالحاح من المعنيين بأمثال هذه البحوث ، فعرضت ذلك على المحسن الكبير الحـاج محمد رشاد عجينة نجل الوجيـه الحاج محمد جواد عجينة ، فاستجاب حفظه الله مشكوراً وموفقاً الى القيام بطبعه ، سائلا من الله أن يوفقه الى احياء مآثر أهل البيت (ع) وأن يمنحه المزيد من الأجر انه تعالى ولي ذلك والقادر عايه .

وتفضل علي أخي سماحة العلامة الكبير الشيـخ هادي القرشي باعادة النظر في فصول الكتاب ، كما تفضل سماحته بمراجعة كثير من المصادر فأفادني بما عثر عليه من البوادر التي تتعلق بحياة الأمام (ع) ، وقد وجدت بعد البحث الجاد أن كثيراً من الفصول التي كتبتها تحتاج الى التهذيب والتحليل كما تبدل رأيي في كثير من بحوثه ، وسيجد القارىء أن هذه الطبعة بمـا أضيف لها غير الطبعة الأولى مضافاً الى جودة الطبع واناقته التي اشتهرت بها مطبعة الآداب .

وفي ختام هذا التقديم أرجو من المعنيين بهذه البحوث أن يتفضلوا علينا بالنقد والتصحيح عسى أن نصل جميعاً الى خدمة هذه الأمة انه تعالى ولى السداد والتوفيق .

باقر شريف القرشي

النجف الأشرف

١ / ذي الحجة / ١٣٨٩هـ



مقدّمة الطبعة الأولى



بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الامام موسى بن جعفر عليه السلام فذ من أفذاذ العقل الانساني ، ومن كبار أئمة المسلمين ، وأحد شموع ذلك الثقل الأكبر الذي اضاء الحياة الفكرية في الاسلام .

الامام موسى من أئمة العترة الطاهرة الذين قرنهم الرسول الاعظم (ص) بمحكم التنزيل ، وجعلهم قدوة لأولي الالباب ، وسفنا للنجاة وأمنا للعباد ، وجعلهم باب حطة يغفر لمن دخلها ، فهم شجرة النبوة ومحط الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم ، وينابيع الحكم - كما يقول الامام امير المؤمنين - (١) ولهم في مدح الله غنى عن مدح المادحين ووصف الواصفين ، قال تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » (٢) لقد طهرهم الله من الزيغ والرجس وبرأهم من الآفات كما أوضح بهم معالم الدين ، وأتم بهم الحجة على الخلق أجمعين .

لقد حاكت سيرتهم بجميع أبعادها سيرة جدهم (ص) ، ايماناً بالله ، وحباً للخير ونكرانا للذات ... ولو استعرضنا حياة أي إمام منهم لوجدناها مجذبة من المغريات ، لم تتلوث باقذار المادة ، ولم تكدر جوهرها مآثم هذه

(١) شرح النهج ٢١٤/١

(٢) سورة الأحزاب ، نصت المصادر التالية على اختصاص الآية بآل البيت تفسير الرازي ٧٨٣/٦ ، تفسير ابن جرير ٥/٢٢ ، مسند الامام احمد بن حنبل ١٠٧/٤ ، سنن البيهقي ١٥٠/٢ ، صحيح مسلم ٣٣١/٢ ، الخصائص الكبرى ٢٦٤/٢ ، مشكل الآثار ٣٣٤/١ .

الحياة ، وانما كانت طافحة بالمآثر والفضائل ، فهم جميعاً في بداية حياتهم ونهايتها قدوة فذة لكل انسان نبيل يتطلع الى المثالية الكاملة ، ويهفو الى الانسانية الرفيعة .

(٢)

إن للامام موسى(ع) سيرة ندية عطرة امتازت بأنها سلسلة جهاد متواصل وثورة صاخبة على أئمة الظلم والطغيان الذين اغتصبوا الخلافة الاسلامية من أهلهـــا بالغلبة والقوة ، وأكرهوا العالم الاسلامي على الخضوع لسياستهم الملتوية التي روعت المجتمع ، وسلبته حرياته ، وأفقـــدته الأمن والدعة والاستقرار .

في تلك الفترات العصيبة أعلن الامام موسى مقاومته السلبية لحكومة هارون وتولى بنفسه قيادة الحزب المعارض فاصدر فتواه وحكمه بحرمة التعاون مع الاجهزة الحاكمة لأن التعاون معهم فيه دعم للظالمين ، وقد حرمه الاسلام قال تعالى : (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون)(١) واستثنى من ذلك من يقوم بخدمة اجتماعية أو يسدي يداً على الفقراء فيقضي مهامهم وشؤونهم فانه لا حرج عليه في الانضمام الى السلك الحاكم ، وقد سمح لعلي بن يقطين أن يتولى منصب الوزارة لهارون حينما ضمن له القيام بذلك .

إن الامام لو صانع هارون الرشيد أو تقرب اليه وجاراه - كالكثيرين من باعة الضمير - لاغدق عليه بالاموال الكثيرة والثراء العريض ، ولم يتعرض اليه بأي سوء أو مكروه ، الا انه لم يخضع له ؛ ولم يخف من جوره وبطشه فانطلق يعلن الحق ، ويندد بالظلم ، ويشجب الجور ، ويدعو الى تطبيق احكام القرآن على واقع الحياة ، وقد لاقى في سبيل ذلك العنـــاء المرهق

(١) سورة هود : آية ١١٣

والجهد الشاق ، وقد تلقى تلك الآلام الجسام بالصبر الجميل وكظم الغيظ حتى عرف بهذا اللقب واشتهر به .

(٢)

ولم يقتصر الامام موسى وحده على ما لاقاه من المحن والخطوب فقد شاركه فيها جمهور شيعته والقائلين بامامته فقد واجهوا من العناء والجهد ما لا سبيل الى تصويره ، ويعود السبب في ذلك الى ايمانهم الوثيق بالامامة وهي عنصر أساسي في كيانهم العقائدي ، وتقضي هذه الفكرة بعدم شرعية الحكومات التي توالت على المسلمين سواء أكانت من بني أمية أم من بني العباس ام من غيرهم ، فان الذين تصدوا الى الحكم لم تتوفر فيهم الصفات التي ينشدونها في الامام من العدالة ، والتحرج في الدين ، والعلم بما تحتاجه الأمة في جميع مجالاتها القضائية والادارية والسياسية ، فلذا كانوا يعملون جاهدين على اسقاط تلك الحكومات ، وسلب ثقة الجماهير عنها ، وقد واجهوا في سبيل ذلك من المعضلات السياسية القاسية ما لم تلاقه أي طائفة اسلامية .

ومما زاد الشيعة على الايمان بالنضال الشاق في سبيل فكرتهم أنهم رؤوا أولئك الملوك الذين اختلسوا السلطة الاسلامية قد امعنوا في الظلم والجور ، وجهدوا على ارغام الناس على الذل والعبودية ، وعلى قطع كل لسان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ورؤوا أولئك الملوك الذين يزعمون أنهم يمثلون ظل الله وعدله في الأرض ينفقون لياليهم في الطرب والمجون والسكر ، وينفقون أيامهم في البحث عن الفتيات الحسان اللاتي يجدن العزف ويثرن الغرام .

ورؤوا خزينة الدولة تنفق بسخاء على العابثين والماجنين ، وعلى ما يفسد الاخلاق ، ويثير الشهوات ، ولم يعد ما يصرف منها على الشؤون العامة الا النزر اليسير ، واصبحت الحياة الاقتصادية بصورة عامة يسودها

الفقر والحرمان .

ورؤوا أن مصالح الأمة لم توضع على مائدة البحث قد أهملت جميع شؤونها وأمورها، فقد اقبل أولئك الملوك على الملذات والشهوات، وتركوا امور الرعيـــة بأيدي غلمانهم وجواريهم ونسائهم يتصرفون فيهـــا حسب أهوائهم وميولهم .

ورؤوا شؤون الدين قد أهملت ، ولم يعد اي ظل للخطوط العريضة التي ينشدها الاسلام في ظل حكمه من بسط العدل ، ونشر الرفاهية ، واشاعة الدعة والاستقرار بين الناس .

ودفعتهم هذه العوامل الى الثورات الملتهبة ، وهم يطالبون بتحقيق العدالة ورفع الغبن والاسى عن الناس ، وأمعنت السلطات بعد اخماد ثوراتهم في قتلهم وتنكيلهم وارهاقهم الى حد لا يوصف لفضاعته ومرارته .

(٤)

وأروع ثورة اجتماعية عرفها التاريخ الاسلامي ثورة الامام اميرالمؤمنين رائد العدالة الكبرى في الأرض ، فقد كانت ثورته الصاخبة على الظلم والغبن تستهدف إقامة مجتمع تتهيأ فيه الفرص المتكافئة لجميع الناس على اختلاف ميولهم وأديانهم بحيث لا يوجد فيهم محروم او عاطل .

لقد حاول الامام أن يغير مجرى التأريخ ، ويدفع الانسان الى التطور الاجتماعي ويحقق له المزيد من المكاسب الاجتماعية ، فيوفر له الحرية والعدالة والمساواة في ضمن اطارها الاسلامي الاصيل .

لقد حاول الامام باخلاص بالغ أن يقيم على الكرة الارضيـــة نهضة فكرية جبارة تعنى باشاعة العلم ، وتطوير العمل ، واقامة مناهج تربوية تغير السلوك العام للانسان فتبث في اعماقه روح الايمان والمحبة والتعاون في المجالات الاجتماعية ، وتزيل عنه روح الانانية والكراهة والشر ، الى غير ذلك من

الاهداف العريضة التي كان ينشدها الامام في ظل حكومته .

ولم تع القوى المنحرفة عن الاسلام هذه الاهداف الاجتماعيـــة التي اعلنها الامام ، فانها لم تكن بأي حال تهتم بمصلحة الأمة ، وانما كانت تتطلب اقامة نفوذها واستغلالها على حساب الضعيف والمحروم فأعلنت سخطها على الامام ، واعلنت الحرب عليه ، وقد تذرعت بدم عثمان واتخذته وسيلة لعصيانها المسلح ، فقاومهـــا الامام وقضى على فلولها في البصرة الا انه لم يمض قليل من الوقت حتى ناجزه معاوية وبعد صراع رهيب استطاعت جيوش الامام ان تدحر القوى الاموية الا انه من المؤسف أن الجيش الذي خف مع الامام لم يقرر حق مصيره ومصير الاجيال الصاعدة فقد خدعهم ابن العاص برفع المصاحف بأسلوب ساخر هزيل ، وقد أدى ذلك الى انقلاب الجيش على اعقابه وتفلل جميع قواعده ، كما أدى الى خذلان الامام (ع) وانتصار القوى المعادية للاسلام عليه ، وقد نجم من ذلك أن مُني العـــالم الاسلامي بكثير من النكبات والخطوب التي لا تزال آثارها باقية حتى يوم الناس هذا ، وقد ألمع الى ذلك الاستاذ مالك بن نبي الجزائري في ايضاحه للمقررات التي اتخذها مؤتمر (باندونج) اذ يقول : « ولقد عرف التأريخ الاسلامي لحظة كهذه ـ أي في تقرير المصير ـ في معركة صفين تلك الحادثة المؤسفة المؤثرة التي نتج عنها التذبذب في الاختيار ، الاختيار الحتم بين علي ومعاوية ، بين المدينة ودمشق ، بين الحكم الديمقراطي الخليفي ، والحكم الأسري ولقد اختار المجتمع الاسلامي في هذه النقطة الفاصلة في تأريخه الطريق الذي قاده اخيراً الى القابلية للاستعمار والى الاستعمار » (١) .

لقد كانت حادثة صفين بداية الشر وبداية الانقلاب في تأريخ الأمة الاسلامية ، فقد اخلدت لها الفتن ، وجرت لها الويلات والكوارث ، وكان

(١) الفكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج / ١١١

من أظهر مخلفاتها إماتة الوعي الاسلامي في النفوس والخنوع أمام الظـلم والجور ، وقد مثل ذلك بصورة مؤلمة حقاً في مأساة الإمام موسى (ع) فان هارون قد زجه في ظلمات السجون في بغداد وهي زاخرة بالمسلمين والقائلين بامامته في حين لم تنبر منهم طائفة الى المطالبة باطلاق سراحه ، حتى توفي غريباً في سجن السندي بن شاهك فعمد الى وضع جثمانه على جسر الرصافة ببغـداد محاولا بذلك الحط من شأنه ، ولم يهبوا الى انقـاذه من أيدي الشرطة ، ان سبب ذلك يرجع الى الخنوع والذل الذي خيم على النفوس .

(٥)

وكان من أهم ما عنى به الامام موسى (ع) نشر الثقـافة الاسلامية واشاعة المعارف العامة بين الناس ، وقد عملت تعاليمه الرفيعة على تنمية العقول ، وتثقيف الافكار ، وتقديم المسلمين في الميادين العلمية .

لقد احتف بالامام اثنـاء اقامته في يثرب جمع غفير من كبار العلماء ورواة الحديث ممن تتلمذوا في جامعة أبيه الكبرى التي انارت العقل الانساني واطلقته من عقال الجهل ، وقد أفاض عليهم الامام الشيء الكثير من علومه ومعارفه التي هي مستمدة من علم جده الرسول (ص) كما زود الفقه الاسلامي بطاقات كبيرة من آرائه الحصيفة ، ورواياته عن آبائه ، وله تنسب مجموعة كثيرة من الاحكام الاسلامية بجميع أنواعها من العبادات والمعاملات ، وقد دونت في موسوعات الحديث والفقه ، ونظراً لمركزه العلمي الخطير فقد شاع ذكره في البلاد الاسلامية ، وتحدث الركبان بوفرة مواهبه ومقدراته العلمية وقد دان شطر كبير من المسلمين بامامته وجعلوا مودته والأخذ بقوله فرضاً من فروض الدين .

وكان اجماع المسلمين على تكريمه وتعظيمه وتقديمه بالفضل على سائر الهاشميين وغيرهم من اعلام العصر بل حتى على الخلفاء ، فان ذلك موجب

لاثارة الاحقاد عليه ، والحسد له في نفوس خصومه ، فاجمعوا على التنكيل به وحجبه عن العلماء وحرمانهم من الانتهال من نمير علومه ، وبذلك فقد جنوا على العلم جناية لا تعدلها أي جناية .

لقد اضطر العلماء اثناء حبس الامام في البصرة وفي بغداد ان يتصلوا به ويأخذوا من علومه ولكن ذلك كان مع تستر وخوف بالغين من السلطة التي لم تكن تهتم بالتقدم العلمي لشعوبها .

(٦)

ونقدم الى المكتبة الأسلامية هذا المجهود المتواضع الذي هو صفحة من حياة الامام موسى ، ومثل موجز لشخصيته العظيمة ، ولا نزعم انه قد استوعب حياته ، أو ألمّ بجميع شؤونه ، فذاك أمر لا تسعه عشرات من أمثال هذا الكتاب ، فان الباحث المتتبع يجد صوراً مشرقة كثيرة من حياته ، وما أثر عنه من حكم الآراء سواء أكانت في ميادين السلوك والاخلاق أم في غيرها وانما أعطى صورة موجزة لبعض مثله ومعارفه وتراثه ، كما ذكر كوكبة من اصحابه ورواة حديثه وابنائه مع الالماع الى شيء من تراجمهم ، واعطى دراسة عن العصر العباسي الأول وما مر فيه من الازمات الفكرية والاحداث الخطيرة كما عرض الى الاسباب التي أدت الى انهيار الامبراطورية الاموية ، وبحث عن اعمال ملوك بني العباس المعاصرين له ، وما نشروه من الظلم والاضطهاد تجاه العلوين ، ونختلف كثيراً في هذه البحوث عن بقية المؤرخين فانا لا نقف على نقل الاحداث ، وانما ننظر اليها بدقة وشمول فنحللها ، ونكشف عن ابعادها ، وقد بحثنا عن ذلك كله ببحث موضوعي بعيد عن التحيز ورائدنا الاخلاص للحق راجين ان يكون ذلك خدمة للاسلام وخدمة لعلم من اعلامه النابهين وهو تعالى ولي التوفيق .

المؤلف



وِلادَتُهُ وَنَشْأتُهُ



والظاهرة الفذة التي امتاز بهـا الاسلام على بقية الاديان والمذاهب الاجتماعية الاخرى هو انه رفع شعار المساواة ، وهدم الحواجز بين الناس، وقد تبنى ذلك بصورة ايجابية فعالة ، فجهز جميع طاقاته وامكانيـاته في تطبيقها على مسرح الحياة ، واعتبرها عنصراً أساسياً من عناصر حضارته ، وعاملا مهماً في بناء تكوينه الاجتماعي .

الناس في شريعة الله سواسية كأسنان المشط ، لا امتياز لاحد على احد ولا تقديم لقوم على آخرين ، فهم على صعيـد واحد من ناحية حقوقهم وكرامتهم ، لا تفاوت بينهم الا بالتقوى والعمل الصالح الذي يقرب الانسان من ربه ، ويبعده عن عوامل الشر ، ونزعات الطيش والغرور .

بهذه المبادىء العليا التي تجمـع القلوب ، وتوحد ما بـين المشاعر والعواطف جاء الاسلام ، وعليهـا ارتكزت دعوته ، ودعا لمن يتصدى لتصديعها أن يعلو وجهه بالسيوف لئلا تكون بين المسلمين ثغرة يتصدع بها شملهم ، وتتمزق بها وحدتهم .

وقد تنكر الامويون لهذه القاعدة الاساسية في الاسلام فحملوا معول الهدم على انقاضها ، لانها تتنافى مع ميولهم الجاهلية ، وتتنافى مع مصالحهم الطبقية ، فراحوا يعملون بقوى مسعورة الى محوها عن الحياة الاسلامية ، وقد تجلى ذلك فيما عمدوا اليه من المبالغة في الذم والتقريع لمن يتزوج بأمة من العرب ، ولم يقتصروا على ذلك وانما تعدوه الى القسوة والتعذيب لمن يشذ عن ذلك ، فقد علم طاغية من ولاتهم ان شخصاً من بني سليم قد تزوج بأمة فأمر باحضاره ، وضربه مائة سوط ، وفرق بينه وبين زوجه ، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه » (١) وفي عرفهم أنه قد اقترف بذلك جناية وسعى في الارض فساداً يستحق عليه التنكيل .

(١) الاغاني ٤/١٥٠ .

وحرموا على ابن الامة أن يتولى أي منصب من مناصب الدولة ، أو يتقلد وظيفة من الوظائف العامة ، وزعموا عدم صلاحيته لها (١) وبهذا المنطق الجاهلي احتج طاغية الامويين هشام بن عبد الملك على زيد بن علي شهيد الشرف والاباء فقد قال له هشام يحاجه :

« بلغني أنك تذكر الخلافة ، وتتمناها ، ولست أهلا لها ، وأنت ابن أمة » .

فانبرى اليه زيد فسدد له سهما من منطقه الفياض قائلا له :

« إن الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم اسماعيل أمة لام اسحق فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً ، وجعله أبا للعرب ، وأخرج من صلبه خير الانبياء محمد (ص) .. » (٢) .

ولما تبنى الامويون هذه السياسة النكراء التي تتصادم مع واقع الاسلام انبرى اليها أهل البيت بالانكار والتشهير فهتفوا بما جاء به جدهم المنقذ الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم من المساواة العادلة بين المسلمين ، وضربوا للناس أمثلة عملية واضحة لتأكيدها ، فقد اعتق الامام زين العابدين جارية له وبعد العتق تزوج بها ، وقد انتهز هذه البادرة خصمه عبد الملك فراح يندد به ويعيب عليه ، فبعث له رسالة يلومه فيها ، وهذا نصها :

« أما بعد ، فقد بلغني تزويجك مولاتك ، وقد علمت أنه كان في اكفائك من قريش من تمجد به في الصهر ، وتستنجبه من الولد ، فلا لنفسك نظرت ، ولا على ولدك أبقيت والسلام ؟ .. » .

ولما مثل الكتاب بين يدي الامام نظر فيه فرأى روح الجاهلية ماثلة في سطوره وحروفه ، فرده (ع) بهذا الجواب الذي تمثلت فيه مبادىء

---

(١) العقد الفريد ٤/١٦٠ .

(٢) الكامل لابن الاثير ٥/٨٤ .

الاسلام وأهدافه وهذا نصه :

« أما بعد ، فقــد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي ، وتزعم أنه كان في نساء قريش من أمجــد به في الصهر ، واستنجبه في الولد ، وإنه ليس فوق رسول الله (ص) مرتقى في مجد ، ولا مستزاد في كرم ، وإنما كانت ملك يميني خرجت مني بأمر أراده الله عز وجل التمست فيه ثوابه ثم ارتجعتها على سنته ، ومن كان زكياً في دينــه فليس يخل به شيء من أمره ، وقد رفع الله بالاسلام الخسيسة ، وأتم به النقيصة ، وأذهب اللوم فلا لوم على امرىء مسلم ، انما اللوم لوم الجاهلية .. » (١) .

هذا هو منطق الاسلام في عدله ومساواته ، فالشرف الواقعي في حسابه يحوم حول طاعة الله ، والتمسك بأهداب دينه ، فمن هذب نفسه ، وصانها عن الاثم والمنكر ، وتحرج في دين الله ، فهو الفــذ الذي له الامتياز في الاسلام ، وأما التفوق بالعنصريات وسائر الاعتبارات المادية الأخرى ، فانها لا تدخل في منطق الفضل والشرف عند الله .

أي حزازة على الامام حينما تزوج بأمة مسلمة بعدما أعتقها فانه لم يجاف بذلك كتاب الله وسنة نبيه .

إن الاسلام بكل اعتزاز وفخر قد ساوى بين جميع المسلمين ، وجعل المسلم كفؤ المسلمة والغى جميع التفوقات التي ينظر اليها العرف الجاهلي ، وقد زوج الرسول الاعظم زينب بنت جحش من مولاه زيد بن حارثة ، وهو لا يدانيهــا في مكانتها الاجتماعية ، وقصة جويبر البائس المسكين مشهورة مستفيضة ، وبذلك فقد أقام الاسلام قاعدة اساسية للرابطة الزوجية تبتنى على الوحدة في الدين ، والمحبة في الله .

ولما اتسع الاسلام في عصوره الاولى ، وغزت جنوده الباسلة اكثر

---

(١) اعيان الشيعة ٤/٤٨٠ .

المعمورة في الدعوة الى الله اتسعت حركة الرقيق وجلبه اتساعاً هائلا ، لا يخلو في كثير من صوره ـ فيما نحسب ـ عن عدم المشروعية ، وذلك لعدم التزام السلطات الحاكمة في تلك العصور بما أثر عن الاسلام في كيفية الرق .

وعلى أي حال فقد كانت أسواق يثرب تعج بالنخاسين الذين يجلبون الرقيق لبيعه ، وكان شارع في بغداد يسمى شارع الرقيق (١) يعرض فيه الرقيق لبيعه .

وكان موقف أهل البيت أمام هذا الرقيق المنكوب هو الرحمة به والعطف عليه فكانوا يشترون منه حسب المستطاع ، ويعتقونه لوجه الله ، فكان احمد ابن الامام موسى (ع) يستنسخ المصحف ثم يبيعـه ويشتري بثمنه الرقيق ويعتقهم لوجه الله ، وقد اعتق الف نسمة من كد يده ، ولم يكتفوا بهـذا البر وانما كانوا يسدون يداً على من اعتقوه فيمنحونه نصيباً وافراً من المال ليستغنى به عما في أيدي الناس ، فيتخاص بذلك في وقت واحد من رق العبودية وكابوس الفقر .

وكان الامام موسى يحفز أصحابه ، ويحثهم على اتخاذ القيان ، والزواج بهن فقد قال لهم :

« اتخذوا القيان ، فان لهن فطناً وعقولا ليست لكثير من النساء .. » (٢)

ولم يقتصر أهل البيت (ع) على هذا الاحسان المستفيض للرقيق ، وانما تعدوه الى المصاهرة ، وذلك للتدليل على الغاء الاسلام للتفاوت ، وتحطيما للاجراءات الاموية القاسية التي اتخذت ضدهم .

وكانت ام الامام موسى من تلكم النسوة اللاتي جلبن لاسواق يثرب وقد خصهـا الله بالفضل ، وعناها بالشرف ، فصارت وعاءاً للامامة ،

(١) مروج الذهب ٣/٣١٦ .

(٢) الاتحاف بحب الاشراف : ص ٥٥ .

واناءاً للفضيلة والكرامة .

أما كيفية زواج أبي عبد الله الصادق بها فقد حدث عنها ابن عكاشة الاسدي ، ونعرض حديثه بايجاز يقول : دخلت على الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام ، وكان ولده أبو عبد الله ماثلا بين يديه ، فقدم له عنب ، فالتفت الينا يرشدنا الى آداب الأكل قائلا :

« حبة ، حبة يأكله الشيخ ، والصبي الصغير ، وثلاثة واربعة يأكله من يظن أنه لا يشبع ، وكله حبتين فانه يستحب .. » .

يقول ابن عكاشة : نظرت الى أبي عبد الله الصادق فرأيته قد بلغ مبالغ الرجال ، فعرضت على أبيه زواجه فقلت له :

« سيدي : لأي شيء لا تزوج أبا عبد الله ، فقد أدرك التزويج ؟!. »

فأخبرني الامام عن عزمه على ذلك ، وكانت بين يديه صرة فقال لي :

« أما انه سيجيء نخاس من أهل بربر ، فينزل دار ميمون فنشتري له بهذه الصرة جارية .. » .

وخرج القوم من ثوي الامام ومضت على ذلك حفنة من الزمن فدخل عليه ابن عكاشة مع زمرة من إخوانه فلما استقر بهم الجلوس أخبرهم الامام بمجيء النخاس ووصول الجارية معه . وأمرهم أن يبادروا لشرائهـا بتلك الصرة التي رأوها من قبل ، فقاموا جميعاً وقلوبهم مليئة بالغبطة والسرور ولما انتهوا الى النخاس طلبوا منه عرض ما عنده من الجواري عليهم فأخبرهم أنه لم يبق عنده سوى جاريتين مريضتين احداهما أمثل من الاخرى فطلبوا منه احضارهما فقام وأخرجهما اليهم فوقع نظرهم على الماثلة للشفاء ، وسامها عليهم بسبعين ديناراً ، فراموا منه تخفيض ثمنهـا فأبى ، ففتحوا الصرة فاذا بها سبعون ديناراً ، فدفعوها له وأخذوا الجارية وجاؤا بهـا الى الامام ، فحمد الله وأثنى عليه وقد شمله الفرح فقال لها :

« ما اسمك ؟ »

فأجابته بصوت خافت يقطر حياءاً :

« حميدة » (١) .

وانبرى الامام فنحها وساماً من الشرف والتكريم قائلا :

« حميدة في الدنيا محمودة في الآخرة » .

والتفت الى ولده والسرور باد عليه ، فوهبه اياها (٢) وتزوج بها أبو عبد الله فكانت من أعز نسائه ، وأحبهن اليه ، وآثرهن عنده .

واختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً في نسبها فقيل انها اندلسية ، وتكنى لؤلؤة (٣) وقيل انها بربرية (٤) وهي بنت صالح البربري (٥) وقيل انها شقيقة صالح (٦) وذهب بعضهم الى انها رومية (٧) وقيل انها من أجل بيوت العجم (٨) وأهمل الكثيرون من المؤرخين نسبها ولم يتعرضوا له .

---

(١) حميدة : بضم الحاء ، وفتح الميم ، وسكون الياء المثناة ، وفتح الدال جاء ذلك في النفحة العنبرية (ص ١٥) مخطوط بمكتبة الامام كاشف الغطاء العامة ، وجاء فيه أنه قيل إن اسمها نباتة .

(٢) أصول الكافي ٤٧٦/١ بحار الانوار ٢٣٢/١١ .

(٣) مرآة العقول ٤٥١/١ ، معالم العترة .

(٤) كشف الغمة ٢/٣ .

(٥) اعلام الورى ، بحار الانوار، وفي المناقب ٣٢٣/٤ ، حميدة المصفاة ابنة صاعد البربري .

(٦) مختصر اخبار الخلفاء : ص ٣٩ .

(٧) تحفة الازهار وزلال الانهار للسيد ضامن بن شدقم مخطوط يوجد في قسم المخطوطات من مكتبة الامام كاشف الغطاء .

(٨) الانوار البهية : ص ٨٧ .

وكانت السيدة حميدة تعامل في بيتها معاملة كريمة ، فكانت موضع عناية وتقدير عند جميع العلويات ، كما ان الامام الصادق كان يغدق عليها بمعروفه ، وقد رأى فيها وفور العقل والكمـــال ، وحسن الايمان ، وأثنى عليها ثناءاً عاطراً فقال فيها :

« حميدة مصفـــاة من الأدناس كسبيكة الذهب ، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أديت إلي كرامة من الله وللحجة من بعدي .. » (١) .

لقد كانت هذه السيدة طاهرة الذيل ، نقية الثوب ، بريئة من النقص قد أترعت نفسها بالايمان والصلاح ، وقد غذاها الامام الصادق بعلومه ، حتى اصبحت في طليعة نساء عصرها علما وورعا وايمانا ، وقد عهد اليها الامام الصادق بتفقيه نساء المسلمين وتعليمهن الاحكام الشرعية(٢) واجدر بها أن تحتـــل هذه المكانة ، وان تكون من المع نساء عصرها في العفة والفقه والكمال .

الوليد المبارك

ويمتد الزمن بعد زواج الامام بها ، والعيش هادىء والحيـــاة البيتية حافلة بالمسرات ، قد غمرتهـــا المودة ، وترك الكلفة ، واجتناب هجر الكلام ومره .

وفي فترات تلك المدة السعيدة عرض لهـــا حمل ، وسافر الامام أبو عبدالله الى بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج ، فحملها معه وبعدالانتهاء من

(١) بحار الانوار ٢٣٢/١١ ، أصول الكافي ٤٧٧/١ ، اعيان الشيعة القسم الثـاني من ٥/٤ .

(٢) الأنوار البهية : ص ٧٨ .

مراسيمه قفلوا راجعين الى يثرب ، فلما انتهوا الى « الأبواء » (١) أحست حميدة بالطلق فأرسلت خلف الامام تخبره بالأمر لأنه قد عهد اليهـا أن لا تسبقه بشأن وليده ، وكان أبو عبد الله يتناول طعام الغذاء مع جماعة من أصحابه ، فلما وافاه النبأ المسر قام مبادراً اليهـا فلم يلبث قليلا حتى وضعت حميدة سيداً من سادات المسلمين ، وإماما من أئمة أهل البيت .

لقد أشرقت الدنيا بهذا المولود المبـارك الذي ما ولد ـ في عصره ـ أيمن . ولا أكثر عائدة ولطفاً على الاسلام منه .

لقد ولد أبر الناس ، وأعطفهم على الفقراء ، وأكثرهم عناءاً ومحنة في سبيل الله وأعظمهم عبادة وخوفاً من الله .

وبادر الامام أبو عبد الله فتنـاول وليده فأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى .

لقد كانت أول صورة فتح الامام موسى عليها عينيه صورة أبيه الذي ما أظلت سماء الدنيـا أسمى ولا أعظم شأنا منه بعـد آبائه ، وكانت أول كلمة قرعت سمعه كلمة التوحيـد التي تنطوي على الايمـان بمـا له من معنى .

وانطلق الامام أبو عبد الله عائداً الى اصحابه ، وقد علت على ثغره ابتسامة فبادره أصحابه قائلين :

« أسرك الله ، وجعلنا فداك ، يا سيدنا ما فعلت حميدة ؟ » .

---

(١) الأبواء : بالفتح ثم السكون ، وواو والف ممدودة ، قرية من أعمال الفرع بالمدينة ، وبه قبر الزاكية آمنة بنت وهب أم النبي العظيم (ص) ووجه تسمية المكان بهذا الاسم ـ كما قيل ـ انه كان يكثر به الوباء ، وقال ثابت اللغوي : سميت الأبواء لتبوء السيول بهـا ، وهو حسن . معجم البلدان ١/٩٢ .

فبشرهم بمولوده المبارك ، وعرفهم عظيم أمره قائلا :

« قد وهب الله لي غلاماً ، وهو خير من برأ الله » .

أجل انه خير من برأ الله علما وتقوى وصلاحا ، وتحرجاً في الدين وأحاط الامام أصحابه علما بأن وليده من أئمة أهل البيت (ع) الذين فرض الله طاعتهم على عباده قائلا لهم :

« فدونكم ، فوالله هو صاحبكم » (١) .

وكانت ولادته في « الأبواء » وقيل في يثرب (٢) وهو مخالف لما عليه عامة المؤرخين ، وكانت سنة ولادته (١٢٨هـ) (٣) وقيل سنة (١٢٩ هـ) (٤) وذلك في أيام حكم عبد الملك بن مروان .

اطعام عام

ولم يطل الامام أبو عبد الله (ع) المكث في الأبواء فقد ارتحل عنها واتجه الى يثرب وفور وصوله أقام تكريماً لوليده فأطعم النـــاس من أجله اطعاما عاما ثلاثة أيام (٥) وتوافدت عليه جماهير شيعته تهنيه بمولوده المبارك

(١) بحار الانوار ٢٣٠/١١ ، دلائل الامامة ،

(٢) وفيات الاعيان ٣٩٥/٤ .

(٣) تهذيب التهذيب ٣٤/١٠ ، الطبقات الكبرى ٣٣/١ ، نور الأبصار ص ١٣٥ ، المناقب ٣٢٣/٤ ، كشف الغمة ٢/٣ .

(٤) اعيان الشيعة ٣/٤ ، وجاء في تحفة الأزهار أنه ولد قبل طلوع فجر يوم الثلاثاء من صفر سنة (١٢٧هـ) وجاء في بحر الانساب أنه ولد يوم الأحد لسبع ليال خلون من صفر ، وعين هذا جاء في الدروس .

(٥) اعيان الشيعة ٣/٤ .

وتشاركه في مسراته وأفراحه .

الطفولة الزاكية

وأخذ الامام موسى يتدرج في طفولته ، وهو يرضع من ثدي الايمان ويتربى في حجر الاسلام ، يغذيه الامام أبو عبد الله الصادق (ع) بعطفه وحنـــانه ، ويفرغ عليه أشعة من روحه العظيمة ، ويرشده الى العـــادات الشريفة ، ويهديه الى السلوك النير وقد التقت به في سنه المبكر جميع عناصر التربية الاسلامية حتى بلغ في صغره من الكمـــال والتهذيب ما لم يبلغه أي انسان .

حب وتكريم

وقطع الامام موسى شوطاً من طفولته وهو ناعم البال يستقبل الحياة كل يوم بحفـــاوة وتكريم ، فأبوه يغدق عليه بعطفه المستفيض ، وجماهير المسلمين تقابله بالعناية والتكريم ، وقد قدمه الامام الصادق (ع) على بقية ولده ، وحمل له من الحب ما لا يحمله لغيره ، فمن مظاهر وده أنه وهب له قطعة من أرض تسمى البسرية ، كان قد اشتراهـــا بست وعشرين الف دينار (١) وسئل عن مدى حبه له فقال :

« وددت أن ليس لي ولد غيره لئلا يشركه في حبي أحد » (٢) .

وتكلم الامام موسى وهو طفل بكلام أثار اعجاب أبيـــه فاندفع

---

(١) دلائل الامامة : ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) الاتحاف بحب الأشراف : ص ٥٤ .

أبوه قائلا :

« الحمد لله الذي جعلك خلفا من الآباء ، وسروراً من الأبناء ، وعوضاً عن الاصدقاء » (١) .

وتعتقد الشيعة ان مقام الامامة كمقام النبوة بعيد عن المحاباة والاندفاع بعاطفة الحب ، سوى ما يتصل بتأييد الفضيلة والاشادة بالايمان ، وعلى ضوء ذلك فالامام أبو عبد الله (ع) انما أعلن حبه العارم ومودته الوثيقة لولده لأنه رآه صورة صادقة عنه في مواهبـــه وعبقرياته ، ورأى أنه الامام من بعده على أمة جده .

صفته :

ووصف رواة الأثر ملامح صورته فقالوا : كان أسمر شديد السمرة (٢) وقيل كان اسود اللون (٣) وقيل أزهر اللون ، ربع القامة ، كث اللحية (٤) ووصفه شقيق البلخي فقال : كان حسن الوجه ، شديد السمرة ، نحيف الجسم .

هيبته ووقاره

وحاكى الامام موسى في هيبته هيبة الانبياء ، وبدت في ملامح شكله سيماء الأئمة الطاهرين من آبائه ، فما رآه أحد إلا هابه ، وأكبره ، وقـــد صور مدى هيبته ووقاره أبو نؤاس شاعر البلاط العباسي حينما التقى به في الطريق ، فاندفع أبو نؤاس يقول :

---

(١) بحار الانوار : ١١/٢٣٧ .

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ ، أخبار الدول : ص ١١٢ .

(٣) عمدة الطالب : ص ١٨٥ النفحة العنبرية : ص ١٥ ، وزاد فيه أنه كان رابط الجأش واسع العطاء .

(٤) أعيان الشيعة ٤/٩ .

إذا أبصرتك العين من غير ريبة وعارض فيك الشك أثبتك القلب
ولو أن ركباً أموك لقادهم نسيمك حتى يستدل بك الركب
جعلتك حسبي في أموري كلها وماخاب من أضحى وأنت له حسب(١)

لقد كانت هذه الابيات دفعة من دفعات الروح ، ويقظة من يقظات الضمير الحي ، فان أبا نؤاس الذي قضى أيام حياته في اللهو والمجون ، وكان يعيش على موائد بني العباس ، قد انبرى الى هذا المديح العاطر في الوقت الذي كان من يمدح فيه أهل البيت ينال العقوبة والسخط ، فقد دفعته الى ذلك واقعية الامام ومثاليته التي لاند لها في عصره .

وبهرت أنوار الامام شاعر المعرة أبا العلاء فانطلق في قصيدته التي رثى بها أبا أحمد حفيد الامام ، يقول :

وبخال موسى جدكم لجلاله في النفس صاحب سورة الاعراف(٢)

ولم يكن أبو العلاء يظن بأحد خيراً أو يمدح انساناً الا ان يختبره ويقف على واقع أمره وقد انتهت اليه انباء الامام موسى وعرف أنه نسخة لا ثاني لها فلذا انطلق مع المادحين والواصفين .

نقش خاتمه

أما نقش خاتمه فيدل على مدى تعلقه بالله وانقطاعه اليه فقد كانت صورته « الملك لله وحده » (٣) .

---

(١) المناقب ٣١٨/٤ .
(٢) سقط الزند .
(٣) أخبار الدول : (ص ١١٢) .

كنيته

أبو الحسن الاول ، أبو الحسن المـاضي ، أبو ابراهيم ، أبو علي ، أبو اسماعيل .

ألقابه :

أما القابه فتدل على مظاهر شخصيته ونواحي عظمته ، وهي كما يلي :

الصابر

لأنه صبر على الآلام والخطوب التي تلقاها من حكام الجور ، والفراعنة الطغاة فقد جرعوه نغب التهام ، وقابلوه بجميع الوان الاساءة والمكروه .

الزاهر

لأنه زهر بأخلاقه الشريفة وكرمه المضيء الذي مثـل به خلق جده الرسول (ص) .

العبد الصالح

ولقب بالعبد الصالح لعبادته ، واجتهاده في الطاعة ، حتى صار مضرب المثل في عبادته على ممر العصور والاجيال وقد عرف بهذا اللقب عند رواة الحديث فكان الراوي عنه يقول حدثني العبد الصالح .

السيد

لانه من سادات المسلمين ، وإمام من أئمتهم ، وقد مدحه بهـذا اللقب الشاعر الشهير أبو الفتح بقوله :

أنا للسيد الشريف غلام حيثما كنت فليبلغ سلامي
واذا كنت للشريف غلاماً فأنا الحر والزمان غلامي(١)

(١) أخبار الدول : ص ١١٣ .

الوفي

لأنه أوفى إنسان خلق في عصره ، فقد كان وفياً باراً باخوانه وشيعته وباراً حتى باعدائه والحاقدين عليه .

الأمين

وكل ما للفظ الامانة من معنى قد مثل في شخصيته العظيمة فقد كان أمينا على شؤون الدين واحكامه ، وأمينا على أمور المسلمين وقد حاز هذا اللقب كما حازه جده الرسول الاعظم من قبل ، ونال به ثقة الناس جميعاً .

قائد العسكر

ومن ألقابه (ع) قائد الجيش والعسكر (١) ، واستقرب ثقة الاسلام المحقق الشهير الشيخ عباس القمي نضّر الله مثواه ، أن السبب في ذلك أنه عليه السلام مثّل المنصور في يوم النيروز فدخل عليه الجيش والامراء يهنونه ويحملون له الهدايا والألطاف الامر الذي لم يتفق لاحد من آبائه وأبنائه وبهذه المناسبة لقب بذلك (٢) .

الكاظم

وانما لقب بذلك لما كظمه من الغيظ عما فعل به الظالمون من التنكيل والارهاق حتى قضى شهيداً مسموما في ظلمات السجون لم يبد لاحد آلامه وأشجانه بل قابل ذلك بالشكر لله والثناء عليه ، ويقول ابن الاثير : « إنه عرف بهذا اللقب لصبره ، ودماثة خلقه ، ومقابلته الشر بالاحسان » (٣) .

---

(١) تحفة الازهار ، وزلال الانهار .

(٢) الكنى والقاب (ج ١ ص ١٧٦) .

(٣) مختصر تأريخ العرب : ص ٢٠٩ .

ذو النفس الزكية

وذلك لصفاء ذاته التي لم تتلوث بمآثم الحياة ولا بأقذار المادة حتى سمت ، وانبتلت عن النظير .

باب الحوائج

وهذا أكثر ألقابه ذكراً ، وأشهرها ذيوعا وانتشاراً ، فقد اشتهر بين العام والخاص أنه ما قصده مكروب أو حزين إلا فرج الله آلامه وأحزانه وما استجار أحد بضريحه المقدس إلا قضيت حوائجه ، ورجع إلى أهله مثاوج القلب مستريح الفكر مما ألم به من طوارق الزمن وفجائع الايام ، وقد آمن بذلك جمهور شيعته بل عموم المسلمين على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم، فهذا شيخ الحنابلة وعميدهم الروحي أبو علي الخلال يقول :

« ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر الا سهل الله تعالى لي ما أحب . . » (١) .

وقال الامام الشافعي :

« قبر موسى الكاظم الترياق المجرب » (٢) .

وقد أثقلت كوارث الدهر ومصائب الايام كوكبة من الشعراء والأدباء ففزعوا اليه ولاذوا بضريحه متوسلين به الى الله في رفع محنهم وكشف ما ألمّ بهم من البلاء والمكروه ففرج الله عنهم ذلك، وقدقرأنا لهم الشيء الكثيرمن بليغ النظم ، ولو اردنا أن نذكرما أثرعنهم في ذلك لبلغ مجلداً ضخما ، ولكنا نذكر بعضهم ، فنهم الحاج محمد جواد البغدادي فقد سعى الى مثوى الامام في حاجة يطلب قضاءها وهو يقول :

يا سمي الكليم جئتك أسعى نحو مغناك قاصداً من بلادي

---

(١) تأريخ بغداد : (ج ١ ص ١٢٠) الشيعة والتأريخ .

(٢) تحفة العالم : (ج ٢ ص ٢٠) .

ليس تقضى لنا الحوائج إلا عند باب الرجاء جد الجواد

وقد شطرهما آية الله العظمى السيد مهدي آل بحر العلوم نوّر الله مثواه بقوله :

يا سمي الكليم جئتك أسعى والهوى مركبي وحبك زادي

مسني الضر وانتحى بي فقري نحو مغناك قاصداً من بلادي

ليس تقضى لنا الحوائج إلا عند باب الحوائج المعتاد

عند بحر الندى ابن جعفر موسى عند باب الرجاء جد الجواد (١)

وخمسها الخطيب عباس البغدادي بقوله :

لم تزل للانام تحسن صنعا وتجير الذي أتاك وترعى

وإذا ضاقت الفضا بي ذرعا يا سمي الكليم جئتك أسعى

والهوى مركبي وحبك زادي

أنت غيث للمجدبين ولولا فيض جدواكم الوجود اضمحلا

قسماً بالذي تعالى وجلا ليس تقضى لنا الحوائج إلا

عند باب الرجاء جد الجواد

وممن نظم في ذلك شاعر النبوغ والعبقرية المرحوم السيد عبد الباقي العمري بقوله :

لذ واستجر متوسلا إن ضاق أمرك أو تعسر

بأبي الرضا جد الجوا د محمد موسى بن جعفر (٢)

لقد كان الامام موسى في حياته مفزعاً وملجأ لعموم المسلمين وكذلك كان بعد وفاته حصناً منيعاً لمن استجار به لأن الله عز اسمه قد منحه بقضاء

---

(١) ديوان السيد مهدي آل بحر العلوم مخطوط بمكتبة العلامة السيد صادق آل بحر العلوم

(٢) ديوان عبد الباقي : ص ١٣٣ .

حوائج المستجيرين بضريحه والى ذلك أشار ثابت الواعظ في قصيـــدته التي مدح بها يحيى بن جعفر أبا الفضل بقوله :

وفي الجانب الشرقي يحيى بن جعفر   وفي الجانب الغربي موسى بن جعفر
فذاك الى الله الكريم شفيعنـــا   وهذا الى المولى الامام المطهر (١)

لقد اعتقد أغلب المسلمين أن الله يكشف البلاء ، ويدفع الضر بالالتجاء الى ضريح الامام (ع) وروى الخطيب البغدادي قصة كان فيها شاهد عيان فقد رأى امرأة مذهولة قد فقدت رشدها ، وهامت في تيار من الهواجس والهموم لأنها أخبرت أن ولدها قد ارتكب جريمة ، وألقت عليه السلطة المحلية القبض وأودعته في السجن ، فأخذت تهرول نحو ضريح الامام مستجيرة به فرآها بعض الأوغاد ممن لا يؤمن بالامام فقال لها :

- الى أين ؟

- الى موسى بن جعفر ، فانه قد حبس ابني .

فقال لها بسخرية واستهزاء :

« إنه قد مات في الحبس » .

فاندفعت تقول بحرارة وقد لذعها قوله :

« اللهم بحق المقتول في الحبس ان تريني القدرة » .

فاستجاب الله دعاءها ، فأطلق سراح ولدها ، وأودع ابن المستهزىء في ظلمات السجون بجرم ذلك الشخص (٢) وهكذا أراد الله أن يريها القدرة ويري ذلك الشخص كرامة الامام عنده ، وأنا شخصياً قد ألمت بي محنة من محن الدنيا كادت أن تطوي حياتي ففزعت اليه ، وهرعت الى ضريحه بنية صادقة ففرج الله عني ، وكشف عني ما ألمّ بي ، ولا شك في هذه

(١) النجوم الزاهرة .

(٢) تأريخ بغداد .

الظاهرة التي اختص بها الامام الا من هو مرتاب في دينه واسلامه .

لقد آمن المسلمون بذلك منذ فجر تأريخهم ، واعتقدوا اعتقاداً لا يخامره أدنى شك في أن أهل البيت (ع) لهم المقام الكريم عند الله ، وانه يستدفع بهم البلاء ، وتستمطر السماء - كما قال جابر بن عبد الله في حديثه مع الامام علي بن الحسين (ع) - وقال الفرزدق في قصيدته العصماء التي مدح بها الامام زين العابدين :

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

يستدفع السوء والبلوى بحبهم ويسترب به الاحسان والنعم

ان قبورهم ملاذ وملجأ للسائلين يقول الجواهري :

والناصبين بيوتهم وقبورهم للسائلين عن الكرام دليلا

والطامسين من الجهالة غيهبا والمطلعين من النهى قنديلا (١)

لقد منحهم الله بألطافه ، وخصهم بالمزيد من كرماته احياءاً وأمواتا .

---

(١) ديوان الجواهري ٣/١٧٧ - ١٧٨

عبقرية ونبوغ



وقبل أن نتحدث عن الذكاء المفرط الذي اتصف به الامام موسى (ع) في سنه المبكر ، نعرض الى أن العوامل التربوية التي تتكون منها الشخصية الفذة قد ظفر الامام بأروع وسائلها ، ومعطياتها .

لقد نص علماء التربية وغيرهم على العوامل المؤدية الى بناء الكيان التربوي ، والى النتائج السلوكية للشخص وهي :

١ ـ الوراثة

وذهب علماء الوراثة والنفس الى أن الوراثة من الاسباب الفعالة في التكوين النفسي والنمو الفكري ، وان الذكاء ، وسائر الوان النضوج العقلي للشخص يستند الى الوراثة استناداً مباشراً ، فالفرع لا يقتصر في مشابهته لأصله على مظاهره الشكلية ، وانما يشابهه في خواصه الذاتية ، وفي أدق صفاته ، يقول « هكسلي » :

« إنه ما من أثر أو خاصة لكائن عضوي الا ويرجع الى الوراثة أو الى البيئة ، فالتكوين الوراثي يضع الحدود لما هو محتمل ، والبيئة تقرر أن هذا الاحتمال سيتحقق ، فالتكوين الوراثي إذن ليس الا القدرة على التفاعل مع أية بيئة بطريق خاص . . » .

ومعنى هذا أن جميع الآثاروالخواص التي تكون في الأجهزة الحيةمن الانسان ترجع الى الوراثة او الى البيئة والمحيط الذي يعايش فيه الانسان ، وأكد « مندل » هذه الظاهرة الوراثية التي تسمى بالوراثة الاقترانية فقال :

« ان كثيراً من الصفات الوراثية تنتقل بدون تجزئة أو تغيير من أحد الاصلين او منهما الى الفرع » .

وقرر « جنجز » ذلك بقوله : « إن كل انسان لديه قوى موروثة

كامنة ، ولكن اظهار أية واحدة يقف على الظروف التي تحيط بهذه القوى عند نموها . . » .

وقد اكتشف الاسلام هذه الظاهرة ، قبل أن يكتشفها علماء الوراثة والنفس ، فقد أثر عن النبي (ص) أن رجلا من الانصار أقبل اليه ، فقال له : يا رسول الله ، هذه بنت عمي ، وأنا فلان ابن فلان . . حتى عد عشرة آباء له ، وهي بنت فلان حتى عد عشرة آباء لها ، وليس في حسبي ولا حسبها حبشي ، وانها وضعت هذا الحبشي ، فأطرق رسول الله (ص) ثم رفع رأسه وقال له :

« إن لك تسعة وتسعين عرقا ، ولها تسعة وتسعون عرقا ، فاذا اشتملت اضطربت العروق ، وسأل الله عز وجل كل عرق منها أن يذهب الشبه اليه قم فانه ولدك ، ولم يأتك إلا من عرق منك ، أو عرق منها . . »

فانصرف الرجل آخذاً بيد امرأته ، وولده ، وفي حديث آخر « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » .

وأشار القرآن الكريم الى ما تنقله الوراثة من أدق الصفات ، قال تعالى حكاية عن نبيه نوح : « رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً » (١) لقد دلت الآية بوضوح على انتقال عقائد الكفر والالحاد بالوراثة من الآباء الى أبنائهم . . . وقد حفلت موسوعات الحديث بالاخبار الكثيرة التي وردت عن أئمة أهل البيت (ع) وهي تدل على واقع الوراثة وقوانينها وآثارها ومالها من الأهمية البالغة في حياة الانسان (٢) .

وعلى ضوء قاعدة الوراثة نجزم بأن الامام موسى (ع) قد ورث من

(١) سورة نوح : آية ٢٦ .

(٢) النظام التربوي في الاسلام .

آبائه (ع) جميع صفاتهم التي امتازوا بها على سائر الناس من الكرم والسخاء والحلم والرحمة وحب الخير ، والبر بالناس ، والتفاني في سبيل الصالح العام .

٢ ـ الأسرة

إن الأسرة احدى العوامل الاساسية في بناء الكيان التربوي ، وايجاد عملية التطبع الاجتماعي ، فلها الأثر التام في تكوين شخصية الطفل ، واكسابه العادات التي تبقى ملازمة له طوال حياته ، فإن الطفل مقلد للغير في عاداته وسلوكه ، يقول ما ندر :

« إن الطفـــل في أصغر ما يلزمه من العادات ، وفي أهم الخصائص العقلية ، وفي الموقف العام الذي يقفه من الناس ، وفي وجهة النظر العامة التي ينظر بها الى الحياة أو العمل في كل هذه الاشياء مقلد الى حد كبير ، وقد يكون التقليد أحيانا شعوريا مقصودا ، ولكنه في أغلب الحالات يكون لا شعوريا ، فاذا منح الطفـل بتقليده الاشخاص المهذبين ظل متأثراً باخلاقهم وعواطفهم ، وان هذا التأثير في اول الامر يعتبر تقليداً ، ولكنه سرعان ما يصبح عادة والعادة طبيعة ثانية ، والتقليد هو أحد الطريقين اللذين تكتسب بهما الخصائص الفردية ، وتتكون بهما الاخلاق الشخصية » (١) .

وعلى هذا الرأي فالامام كان وحيداً في خصائصه ومقوماته لأنه نشأ في أسرة هي معدن التقوى ، وخزنة الحكمة والعلم ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي والتنزيل ، واليها تنتهي كل مكرمة وفضيلة في الاسلام .

لقد نشأ الامام موسى في احضان أبيه الامام الصادق الذى ما عرف التأريخ الانساني نظيراً له في ايمانه وتقواه وسائر نزعاته عدا آبائه الأئمة

---

(١) علم النفس في الحياة .

الطاهرين ، وقد قال فيه تلميذه مالك بن أنس : « مارأت عين ، ولاسمعت أذن ، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق ، علما وعبادة وورعا » وقال عمرو بن المقدام : « كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين » (١) وقال الشهيد زيد بن علي (ع) : « في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتج الله به على خلقه ، وحجة زماننا ابن أخي جعفر لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه » (٢) وقد سكب هذا الامام العظيم في نفس ولده موسى جميع مثله ونزعاته حتى صار بحكم نشأته وتربيته من أفذاذ الفكر الاسلامي ومن ابرز أئمة المسلمين :

٣ ـ البيئة

وأجمع المعنيون في البحوث التربوية على أن البيئة من أهم العوامل التي تعتمد عليها التربية فهي التى تكون في نفس الطفل الغرائز والعادات ، فاذا كانت سليمة حسنت آثارها ، واذا كانت ملوثة بالجرائم والانحراف فان النشىء حتما يصاب بعاهاتها وآفاتها .

إن الانسان لا يخضع في سلوكه لتكوينه الداخلي فحسب ، وانما يخضع للعوامل الخارجية التي تتفاعل معه ، وتؤثر فيه ، وبذلك تطبع البيئة آثارها في دخائل الذات ، واعماق النفس ، وبهـا تحقق درجة عالية من التكامل الاجتماعي فيما اذا حسنت .

ان استقرار البيئة الاجتماعية ، وعدم اضطراب الأسرة لها دخل كبير في استقامة سلوك النشىء ووداعته وسلامته من الانحراف ، وقد بحثت مؤسسة

(١) تهذيب التهذيب ٢/١٠٤ .
(٢) المناقب ٢/١٤٧ .

اليونسكو في هيئة الامم المتحدة عن المؤثرات غير الطبيعية في نفسية الطفل وبعد دراسة مستفيضة قام بها الاخصائيون ادلوا بما يلي :

« مما لا شك فيه ان البيئة المستقرة سيكولوجيا ، والاسرة الموحدة التي يعيش اعضاؤها في جو من العطف المتبادل هي أول أساس يرتكز عليه تكييف الطفل من الناحية العاطفية ، وعلى هذا الاساس يستند الطفل فيما بعد في تركيز علاقاته الاجتماعية بصورة فرضية ، أما إذا شوهت شخصية الطفل بسوء معاملة الوالدين فقد يعجز عن الاندماج في المجتمع » (١) ،

وكانت البيئة التي عاش فيها الامام بيئة دينية تسودها القيم الانسانية والمُثل العليا ، واما البيت الذي عاش فيه فقد كان معهداً من معاهد الفضيلة ومدرسة من مدارس الايمان والتقوى ، قد غمرته المودة ، وعدم الكلفة واجتناب هجر الكلام ومره وبذلك فقد توفرت للامام جميع عناصر التربية الرفيعة .

ذكاء ونبوغ

وقسم علماء النفس الذكاء الى نوعين ، الذكاء الاجتماعي ، والذكاء المجرد ، وقالوا : في التفرقة بينهما ، إن الذكاء الاجتماعي يتمثل في فهم الناس فهماً صحيحا ، والسلوك معهم بحكمة وروية ، والذكاء المجرد قوامه فهم المدركات الكلية والرمزية التي منها فهم المذاهب العلمية والتمييز بين الصحيح منها والسقيم (٢) .

---

(١) أثر الأسرة والمجتمع في الاحداث الذين هم دون الثالثة عشر ، مؤسسة اليونسكو ص ٣٥ .

(٢) مجلة حياتك العدد ١٥٧/٦ مقال للبروفسور « ثورندك » .

وقد جمع الامام موسى في سنه المبكر بين هذين النوعين وذلك في فهمه للناس وسلوكه معهم بالحكمة والروية ، وادراكه لحقائق الامور ، ومعرفته بخفايا الأشياء التي لم يدركها كبار العلماء .

وهناك ظاهرة تملك القلوب اعجابا ودهشة وهي احاطة الامام موسى(ع) في سنه المبكر بأنواع من العلوم والمعارف مع ان المرحلة الاولى من سني حياة الانسان لا تساعده على ذلك ، ولا يمكن تعليل هذا الامر إلا بما تلتزم به الشيعة ، وتجمع عليه من ان الامام في جميع مراحل حياته لابد ان يكون أعلم أهل عصره ، واكثرهم دراية ، واحاطة بجميع ما تحتاج اليه الامة في جميع مجالاتها ، وان علمه إلهامي لا كسبي كما هو الحال في الانبياء .

ولم يختص الامام موسى بهذه الظاهرة فقد شاركه فيها جميع أئمة أهل البيت (ع) فقد كان حفيده الجواد اصغر الأئمة سناً ، وقد رجعت اليه الشيعة ، وقالت : بامامته بعد وفاة أبيه الرضا (ع) وكان عمره الشريف لا يتجاوز السبع سنين ، وقد عقد له المأمون مؤتمراً علمياً ، وعهد الى كبار الفقهاء والعلماء ان يمتحنوه بأدق المسائل واكثرها غموضاً وتعقيداً فتقدموا اليه وسألوه فأسرع الى الجواب عنها وخاضوا معه مختلف العلوم والفنون وقد أجاب عن كل ما سأل عنه ، وخرج منهم ظافراً منتصراً قد ملك قلوبهم اعجابا به ، وقد دان شطر منهم بامامته ، وقد أجمع المترجمون للامام الجواد على تدوين ذلك عنه .

وللتدليل على مدى المقدرات العلمية الهائلة التي كان يتمتع بها الامام موسى في حال صباه نذكر بعض البوادر التي أثرت عنه في سنه المبكر .

مع أبي حنيفة

كان أبو حنيفة من الذاهبين الى (الجبر) والداعين اليه ، وينص هذا الرأي على ان الفعل الصادر من الانسان ليس مخلوقا له ، وليس صادراً منه باختياره ، وانما هو مخلوق لله ، وصادر عن ارادة الله ، وان ارادة الانسان وقدرته لا مدخل لها في ايجاد أي فعل سواء أكان صادراً منه باختياره أم مكرهاً عليه ، وقد اجمعت الشيعة على بطلان ذلك ، وبعده عن الصواب وقد أثبت علماء الاصول زيفه ، وقرروا بصورة وجدانية ان أي فعل اختياري لابد أن يسبق بمقدمات ارادية وهي :

١ ـ تصور الشيء في الذهن

٢ ـ ميل النفس له

٣ ـ الجزم بفائدته

فاذا تمت هذه الجهات في أفق النفس تعلقت الارادة بالفعل ، وسعى الانسان لايجاده أو الى الامر به ، حسنا كان ذلك العمل او قبيحاً (١) وليس هناك أي قسر أو اجبار للانسان على فعله .

وعلى أي حال فان أباحنيفة في طليعة الذاهبين الى «الجبر» وقد سافر

---

(١) أوضح هذه الامور وأولاها بمزيد من البيان والاستدلال الاستاذ آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي ، في بحوثه في علم الاصول ، وقد استدل بالادلة الحاسمة على بطلان الجبر والتفويض وأثبت « الامر بين الامرين » وهو ما ذهب اليه أئمة أهل البيت وقد دونا ما أفاده في كتابنا « تقريرات آية الله الخوئي) في علم الاصول .

الى يثرب ليحاجج الامام الصادق (ع) الذي عرف بانه من خصوم هذه الفكرة ، ولما انتهى اليها قصد دار الامام ، وجلس في دهليز الدار ينتظر الأذن وبينما هو جالس اذ خرج صبي يدرج فبادره أبو حنيفة قائلا :

« أين يضع الغريب ؟ »

فالتفت اليه الصبي ، وقال له : على رسلك ، ثم جلس متأدباً ، واستند الى الحائط ، وانبرى اليه يجيبه عن سؤاله قائلا :

« توق شطوط الانهار ، ومساقط الثمار ، وأفنية المساجد ، وقارعة الطريق وتوارخلف الجدار ، ولا تستقبل القبلة ، ولاتستدبرها ، وضع أين شئت » وقد بين له الاماكن التي يكره ويحرم فيها التغوط ، فبهر أبو حنيفة وذهل فانه لم يحسب أن هناك صبياً يملك هذه المقدرة العلمية ، واندفع قائلا :

ـ ما اسمك ؟

ـ موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

ولما عرف أبوحنيفة أن الصبي فرع من دوحة النبوة والامامة اطمأنت نفسه ، وتقدم اليه بالسؤال الذي أعده للامام الصادق قائلا :

« يا غلام ممن المعصية ؟ هل هي من الله أو من العبد ؟ »

وانطلق الامام فأجابه :

« لا تخلو أما أن تكون من الله ، وليس من العبد شيء ، فليس لله أن يأخذ العبد بما لم يفعل ، وأما أن تكون من العبد ومن الله ، والله أقوى الشريكين ، فليس للشريك القوي أن يأخذ الضعيف بذنب هما فيه سواء ، وإما أن تكون من العبد ، وليست من الله فان شاء عفا ، وان شاء عاقب وهو المستعين .. » .

وحفل هذا الاستدلال بمقتضى الحصر العقلي بجميـع مقومات الأدلة العلمية الوثيقة التي لا تقبل الحل أو النقض .

ووقف أبو حنيفة مبهوراً قد ماثت الدهشة اهابه فانطلق يرفع عقيرته قائلا :

« قد استغنيت ، بما سمعت !! »

وخرج منهزماً قد بان عليه العجز ، ولم يجتمع بالامام الصادق ، وقد شاع رد الامام عليه وعجزه عن جوابه في الأوساط العامية ، وقد انبرى بعض الشعراء الى نظم جوابه (ع) بقوله :

لم تخل أفعالنا اللاتي نذم بها   إحدى ثلاث معان حين نأتيها

اما تفرد بارينا بصنعتها   فيسقط اللوم عنا حين ننشيها

أو كان يشركنا فيها فيلحقه   ماسوف يلحقنا من لائم فيها

أو لم يكن لالهي في جنايتها   ذنب فماالذنب إلا ذنب جانيها(١)

لقد دلت هذه البادرة على مدى ما وصل اليه الامام موسى من العلوم والمعارف في سنه المبكر ، فقد ادرك مالا تدركه أفكار كبار العلماء ، حتى لم يستطع أبو حنيفة الوقوف أمام منطقه الفياض ، ولم يجد طريقا أسلم له ولا احفظ لمكانته سوى الانهزام ، وعدم الخوض معه بأي مسألة من المسائل وبهذا فقد ثبت أنه كان يملك رصيداً كبيرا من العلم والذكاء ما لا يملكه أي انسان في هذا السن عدا من خص بالامامة من آبائه وابنائه .

حكمه على أبي الخطاب

كان محمد بن مقلاص الأسدي الكوفي الشهير بأبي الخطاب من أئمة الملحدين في العالم العربي والاسلامي ، وقد أفسد على الناشئة الاسلامية دينها فقد ابتدع مبدءاً حارب فيه جميع النظم الاسلامية ، وقد ذكراصول دعوته

(١) امالي المرتضى ١/١٠٥ ـ ١٠٦ ، بحار الانوار ٤/١٠٤٩

القاضي أبو حنيفة المغربي فقال :

« وزعم أن جعفر بن محمد إله - تعالى الله عن قوله - واستحل المحارم كلها ورخص فيها ، وكان أصحابه كلما ثقل عليهم أداء فريضة أتوه وقالوا يا أبا الخطاب خفف علينا فيأمرهم بتركها حتى تركوا جميع الفرائض واستحلوا جميع المحارم ، وارتكبوا المحظورات وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور ، وقال من عرف الامام فقد حل له كل شيء كان حرم عليه » (١) .

وقد ظهرت مبادؤه الهدامة على مسرح الكوفة ، كما ظهر في وقت كان الاضطراب السياسي في أوجه والدعوة العباسية تشق طريقها في ثبات ونجاح فساعدته الظروف أن يجمع حوله من أبناء الكوفة تلاميذ يلقنهم تعاليمه ، ويرسم لهم خطط الدعوة والتجمع والظهور (٢) ولما بلغت بدعه والحاده الامام الصادق (ع) تبرأ منه ، ولعنه على رؤوس الاشهاد لانه كان من أصحابه وأتباعه ثم ارتد بعدذلك ، وقد هرع عيسى الشلقاني الى الامام الصادق عليه السلام يسأله عن رأيه في هذا الملحد الخطير ، فقال (ع) :

« يا عيسى ، ما منعك أن تلقى ابني - يعني الامام موسى - فتسأله عن جميع ما تريد ؟ » .

فانعطف عيسى نحو الامام وكان آنذاك صبياً في المكتب فلما رآه عليه السلام انبرى اليه مجيباً قبل أن يسأله قائلا له :

« يا عيسى ، ان الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على النبوة فلم يتحولوا عنها أبداً ، وأخذ ميثاق الوصيين على الوصية فلم يتحولوا عنها أبداً ، وأعار قوماً الايمان زمانا ثم سلبهم إياه ، وإن أبا الخطاب ممن أعير الايمان

---

(١) دعائم الاسلام : ص ٦٤ .

(٢) حركات الشيعة : ص ٧٣ .

ثم سلبه إياه . . » .

وأكبر عيسى جواب الامام فقـام اليه وضمه وقبل ما بين عينيـه وانطلق يقول :

« بأبي أنت وأمي ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم !! » .

ثم قفل راجعاً الى الامام أبي عبـد الله فاخبره بالعجب الذي رآه ، من مواهب الامام موسى (ع) فقال له أبو عبد الله :

« يا عيسى : إن ابني هذا لو سألته عما بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم . . » .

ثم إنه أمر باخراج ولده من المكتب ، وفي ذلك الوقت أيقن عيسى بامامة موسى (ع) وانه ولي عهد أبيه وخليفته على الناس أجمعين (١) ، ومن بوادر ذكائه المفرط أنه جاء الى أبيه فأجلسه في حجره وكان معه لوح فقال له : يا بني اكتب « تنح عن القبيح ولا ترده » فلما رسم ذلك قال له يابني اجزه ، فاندفع فوراً يقول : « ومن أوليته حسنا فزده » ثم القى له الامام شطراً آخر يطلب منه اجازته وهو « ستلقى من عدوك كل كيد » فأجازه « إذا كاد العدو فلا تكده » وفرح الامام بمواهب ولده وعبقريته فضمه اليه وهو يبدي اعجابه به قائلا : (ذرية بعضها من بعض) (٢) ومن آيات نبوغه في طفولته ما حدث به صفوان الجـمال ، قال : سألت أبا عبد الله (ع) عن صاحب هذا الامر ؟ - أي عن الحجة من بعده - فقال لي :

(صاحب هذا الامر لا يلهو ولا يلعب)

يقول صفوان : بينما يحدثني عن ذلك ، إذ أقبل أبو الحسن موسى

(١) البحار : ١١/٢٣٧ .

(٢) المناقب : ٢/٣٨٠ .

وهو صبي يافع ومعه بهمة عناق (١) وهو يخاطبها قائلا : اسجدي لربك فأخذه أبو عبد الله (ع) وضمه اليه وهو يقول له :

(بأبي أنت وأمي من لا يلهو ولا يلعب !!) (٢) .

نسوق هذه البوادر وهي تكشف جانباً كبيراً من نبوغه وذكائه وكأنه بهذا الذكاء العجيب لم يمر في مرحلة من مراحل الطفولة .

---

(١) البهمة : الواحدة من أولاد الضان .

(٢) البحار : ١١/٢٣٦ .

في جامعة الإمام الصادق



وكان من أهم ماعنى به الاسلام في رسالته المشرقة نشر الوعي الثقافي واشاعة العلم بين النـاس ؛ ومن أجل ذلك جعل طلب العلم فريضة دينية يتحتم على المسلمين القيام بها لتطوير حياتهم في المجالات الاقتصادية والسياسية وجعلهم أمة صالحة تتوفر فيهم القيادة الرشيدة لشعوب العالم وأممه .

ان الاسلام يؤمن بالعلم ، ويؤمن بمقدرته الخلاقة في صنع الحضارة الانسانية ، وانه لا يمكن للانسان أن يصل الى أهدافه السليمة في بناء مجتمعه إلا على أساس من الوعي العامي القائم على الفهم ، والتعقل لحقائق الأمور ومن ثمّ فقد جعل الاسلام التسلح بالعلم ضرورة فردية واجتماعية .

وقد قام أئمة أهـل البيت (ع) بدور ايجابي في بعث الحركة العلمية وتطويرها في دنيـا العرب والاسلام ، بالرغم من المضايقـات الشديدة التي كانوا يلاقونها من حكام عصورهم ، ومن أبرز الفعاليات التي بذلوها في هـذا السبيل تشكيـل جامعة عامية تهدف الى بسط العـلم بجميع أنواعه وتهدف الى تحرير افكار المسلمين من رواسب الجهل والجمود ؛ ونعرض فيما يلي الى بعض شؤونها .

المؤسس الأول

والمؤسس الأول لهذه الجامعة العلمية الكبرى الامام امير المؤمنين الرائد الأول للعلم والتطور في الاسلام ، وقد جهد على نشر العلوم وتثقيف المسلمين وقد اتخذ جامع الكوفة مدرسة له ، فكان يلقي من على منبره خطبه الذهبية الحافلة بعلم الاقتصـاد والسياسة والادارة والفلسفة والحكمة ، واصول التربية الواعية الهادفة الى اقامة حسن السلوك والاخلاق ، وقد خص اصحابه وحواريه بعلومه النيرة المستمدة من علوم النبي العظيم (ص) فقد أخذوا منه عـلم

الكلام والتوحيد وعلم الفقه والشريعة والتفسير ، وعلوم البلاغة وغيرها ، وقد أمدوا العالم الاسلامي بمؤلفاتهم وتراثهم ، فكان منهم عبد الله بن عباس حبر الامة ، والمرجع الكبير لعلوم القرآن ، ومنهم أبو الأسود الدؤلي الاستاذ الاول في علم النحو ، ومنهم أبو رافع الذي هو أول من صنف علم المغازي والسير في الاسلام (١) وهو صاحب كتاب السنن والاحكام والقضاء (٢) وكانت الصحابة تكبر هذا الكتاب ، وتعظمه (٣) الى كثير من أمثال هؤلاء العلماء الذين اضاؤا الحياة الفكرية في الاسلام وقام الامام الحسن (ع) ريحانة الرسول وسبطه الاول بعد أبيه بتنمية تلك المؤسسة العلمية ورعايتها ، ولكنها انتقلت من الكوفة الى يثرب بعد غدر أهل العراق به وقد اتخذ (ع) الجامع النبوي معهداً له فكان يلقي به محاضراته العلمية ، وقد ذكر رواة الأثر بعض اعلام تلامذته ورواة حديثه وهم :

الحسن المثنى ، والمسيب بن نجبة ، وسويد بن غفلة ، والعـــلا بن عبد الرحمن ، والشعبي ، وهبيرة بن بركم ، والاصبغ بن نباتة ، وجابر بن خلد ، وأبو الجواز ، وعيسى بن مأمون بن زرارة ، ونفالة بن المأموم ، وأبو يحيى عمير بن سعيد النخعي ، وأبو مريم بن قيس الثقفي ، وطحرب العجلي ، واسحاق بن يسار والد محمد بن اسحاق ، وعبد الرحمن بن عوف وسفين بن الليل ، وعمر بن قيس الكوفيون (٤) .

وقد ازدهرت يثرب في ذلك العصر فكانت من أخصب البلاد الاسلامية علما وأدباً وثقافة .

وانبرى الامام الحسين (ع) بعد وفاة أخيه الى رعاية ذلك المعهد ،

---

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام (ص ٢٣٢) .

(٢) اعيان الشيعة ١/القسم الثاني (ص ٣٤ ـ ٣٥) .

(٣) رجال النجاشي (ص ٥) .

(٤) حياة الامام الحسن ٢/٢٨٠ نقلا عن تأريخ ابن عساكر .

وتغذية طلابه بأنواع العلوم إلا انه لم يطل معهم العهد فقد ابتلى بطاغية زمانه يزيد بن معاوية ، وامتحن به امتحاناً عسيراً ، فقد اعلن يزيد الكفر والالحاد فرأى (ع) أن الواجب الديني يحتم عليه أن يفدي دين جده بدمه الغالي ، وأن يقدم الكواكب من ابنائه وأهل بيته ضحايا في سبيل كلمة التوحيد وانقاذ المسلمين من جور الامويين وبطشهم ، وقد سجل (ع) بذلك أروع تضحية في سبيل الحق والمبدأ لم يشاهد التأريخ الانساني أسمى ولا أنبل منها .

وبعد شهادة أبي الضيم انصرف الامام ولده علي بن الحسين (١) الى العبادة فكان يصوم نهاره ، وينفق ليله متعبداً حتى صار كالشن البالي من كثرة عبادته ، بالاضافة الى الاحزان الموجعة التي تنتابه في كل فترة من حياته على ما حل بأبيه من الرزايا والخطوب ، فكانت فاجعة كربلا ماثلة امامه ، وهو غارق في تيار من الآلام والأحزان ، وقد عد احد البكائين الخمس اللذين مثلوا الأسى واللوعة في دنيا الوجود ، ومع هذه الآلام المبرحة التي لم تفارقه ، فقد قام (ع) بدور مهم في تزويد العلماء والرواة بأحاديثه في مختلف العلوم والفنون فقد روى عنه اولاده محمد وزيد وعبد الله وأبو سلمة بن عبد الرحمن وطاووس بن كيسان ، وأبو الزناد ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعاصم بن عبيد الله ، والقعقاع بن حكيم ، وزيد بن اسلم والحكم بن عتيبة ، وحبيب بن أبي ثابت ، وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل ، ومسلم البطين ، ويحيى بن سعيد الانصاري ، وهشام بن عروة

---

(١) قال الزهري : ما رأيت قرشياً افضل من علي بن الحسين ، وقال ايضاً ما رأيت أحداً كان افقه منه ، وقال ابن وهب عن مالك لم يكن في أهل بيت رسول الله (ص) مثل علي بن الحسين .

تهذيب التهذيب ٧/٣٠٥

وعلي بن زيد بن جدعان وآخرون (١) .

لقد روى عنه هؤلاء الرواة مختلف العلوم . ورووا عنه « الصحيفة السجادية » التي هي انجيل آل محمد (ص) وذلك لما حوته من الثروات الفكرية المتميزة بوضع قواعد الاخلاق ، وأصول الفضائل ، وعلوم التوحيد وغيرها .

ورووا عنه « رسالة الحقوق » التي هي أروع رسالة ألفت في الاسلام فقد وضعت الاسس الخلاقة لحقوق الدولة على الشعب ، وحقوق الشعب على الدولة ، وحقوق المسلمين بعضهم على بعض ، كما صاغت البرامج العامة لاصول التربية وانواع السلوك وآداب التعليم ، وحقوق المعلم على المتعلمين الى غير ذلك من الحقوق التي لا غنى للناس عنها في حياتهم الفردية والاجتماعية .

ورووا عنه الحكم الصائبة والآراء القيمة والامثال السائرة ، وبذلك فقد ساهم الامام في بناء الحياة العلمية ، وتطوير الحياة الفكرية في الارض .

وقام الامام محمد الباقر (ع) (٢) بعد وفاة أبيه برعاية تلك المؤسسة الدينية وتزويد علمائها وطلابها بعلوم الاسلام وآدابه ، وقد ازدهرت في عصره معاهد العلم ، والتف حوله العلماء ينتهلون من نمير علومه ، وكان

---

(١) تهذيب التهذيب ٧/٣٠٥ .

(٢) لقب بالباقر لتبحره في العلم ، وقد لقبه بذلك النبي (ص) قبل أن يولد عليه السلام كما في حديث جابر بن عبد الله الانصاري ان الرسول (ص) قال له : (يوشك أن تبقى حتى تلقى ولداً لي من الحسين يقال له محمد يبقر العلم بقراً فاذا لقيته فاقرأه مني السلام) جاء ذلك في الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٩٣) وقريب منه جاء في عيون الاخبار لابن قتيبة ١ / ٢١٢ .

المرجع الوحيد للعالم الاسلامي في عصره لعلوم الشريعة ، وفيـــه يقول مالك الجهني :

إذا طلب الناس علم القران كانت قريش عليه عيالا
وان فاه فيه ابن بنت النبي تلقت يداه فروعاً طوالا
نجوم تهلل للمدلجـــين فتهدى بأنوارهن الرجالا(١)

وكان علماء عصره يتصاغرون أمامه (٢) اعترافا منهـــم بسمو منزلته العلمية التي لا يدانيها أحد .

وروى عنه ثقاة الرواة طاقات كبيرة من فقه اهل البيت (ع) أمثال زرارة بن أعين الذي قال فيه الامام الصادق (ع) : « لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب » (٣) ومحمد بن مسلم ، وقد سمع منه ثلاثين الف حديث (٤) وأبو بصير ، وقد قال الامام الصادق فيه وفي اخوانه : « لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست » (٥) وعبد الملك بن أعين ، وقد دعا له الامام الصادق ، فقال اللهم ان أبا الضريس كنا عنده خيرتك من خلقك ، فصيره في ثقل محمد صلواتك عليه يوم القيامة » (٦) وروى عنه عمر بن دينار وهومن رجال الصحاح الستة ، والاعرج والزهري وابو جهضم موسى بن سالم ، والقاسم بن الفضل ، والاوزاعي ، وابن جريج ، والاعمش وشيبة بن نصاح ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعمر بن حزم ، وعبـــد الله

(١) الاتحاف بحب الاشراف ص ٥٢ .
(٢) مرآة الجنان ١/٢٤٨ .
(٣) رجال الكشي ص ٨٨ .
(٤) رجال الكشي ص ١١٢ .
(٥) رجال الكشي ص ١١٣ .
(٦) رجال الكشي ص ١١٧ .

ابن عطاء ، وبسام الصيرفي ، وحرب بن سريج ، وحجاج بن ارطارة ، ومجد بن سوقة ، ومكحول بن راشد ، ومعمر بن بسام (١) وغيرهم ، وقد ازدهرت الحياة العامية ، ونمت في دوره جامعة أهل البيت (ع) التى أمدت العالم الاسلامي بجميع مقومات النهضة الفكرية .

في عهد الامام الصادق

وفجّر الامام الصادق (ع) ينابيع العلم والحكمة في الارض ، وفتح للناس أبواباً من العلوم لم يعهدوها من قبل ، وقد ملأ الدنيا بعلمه ـ كما قال الجاحظ ـ (٢) ونقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر صيته في جميع البلدان ـ كما أدلى بذلك ابن حجر ـ (٣) .

ومن أبرز الفعاليات التي بذلها الامام في نشر العلم واشاعته بين الناس تنميته لجامعة أهل البيت ، ومدها بعناصر الحياة والبقـاء ، ونظراً لدوره الايجابي في اتساعها وانطلاقهـا من مستوى خاص الى مستوى عال بلغت به القمة من بين المعاهد والجامعات العلمية في جميع العصور ، ولهذا فقـد نسبت اليه ، وأضيفت له .

لقد عملت جامعة الامام الصادق على ايقاظ الفكر البشري ، وبلورة العقلية الاسلامية ، وتطوير المجتمع الانساني ، وقد انتجت صفوة العلماء ، وقادة المفكرين والملهمين ، وقد جهدوا على نشر العلم بجميع أنواعه ، وببركة جهودهم نضجت الحياة الفكرية في ذلك العصر ، واستحق أن يمنح وسام

(١) تهذيب التهذيب ٩/٣٥٠ .
(٢) رسائل الجاحظ للسندوبي ص ١٠٦ .
(٣) الصواعق المحرقة ص ١٢٠ .

العصر الذهبي في الاسلام .

وأدلى بعض الباحثين عن مدرسة الامام بما نصه :

« والحقيقة ان مدرسة الامام جعفر الصادق الفكرية قد انجبت خيرة المفكرين ، وصفوة الفلاسفة ، وجهابذة العلماء ، واذا كانت هناك حقيقة يجب أن تقال فهي : أن الحضارة الاسلامية والفكر العربي مدينان لهذه المدرسة الفكرية بالتطور والرقي والخلود ، ولعميدها الصادق بالمجد العلمي والتراث الثمين » .

لقد عملت مدرسة الامام على الانطلاق الفكري ، ونشر الوعي العلمي وقد جندت جمهرة كبيرة من العلماء للقيام بتثقيف المسلمين ، وتهذيبهم ، وتقديمهم في الميادين العلمية ، وفيما يلي عرض موجز لشؤون هذا المعهد الكبير في عهد الامام الصادق (ع) .

عوامل النمو والازدهار

أما العوامل التي أدت الى نمو مدرسة الامام الصادق وانطلاقها - ففيما نحسب - هي ما يلي :

١ - إن العالم الاسلامي في عهد الامام الصادق (ع) كان يرزح بالفتن والاضطراب ، ويموج بالأهواء الفاسدة والنزعات الخاصة ، قد سادت فيه الأحزاب التي أدت الى تفكك المجتمع ، وتفلل قطعاته ، قد اشتعلت نار الحرب في جميع حواظره وأقاليمه ، وذلك بسبب انهيار الامبراطورية الأموية وقيام الدولة العباسية وقد انصرف المسلمون بسبب تلك الأحداث الجسام عن العلوم والمعارف واتجهوا الى تلك الأحداث الرهيبة فهم ما بين مؤيد للعهد المباد وبين مؤيد للحكم الجديد ، وقد انشغلوا بالدفاع عن افكارهم

السياسية عن طلب العلم والتوجيه الديني .

واغتنم الامام هذه الفرصة السانحة فانبرى يعمل مجداً في نشر الثقافة الاسلامية التي هي جزء من رسالة الاسلام ، وقد وجد المسلمون من جديد الفرصة للرجوع الى ظلال الاسلام الذي جعل طلب العلم فريضة من فرائض الدين ، ووجدوا في حفيد الرسول الأعظم القائد الموجه لبناء كيانهم الحضاري والعلمي ، فاقبلوا على مدرسته ينتهلون من نميرها .

٢ ـ ان الامام الصادق (ع) كان بمعزل عن التدخل في أي شأن من شؤون الدولة الأموية والعباسية ، فلم يباشر عملا ايجابيـــا يصطدم بأهداف احدى الدولتين ، أو يمس الوتر الحساس من اهدافهم السياسية ، فقد كان بمعزل عن الجميع ، وقد أحبوه وتطلبوا رضاءه ، ولم تراقبه السلطة المحلية أو تضيق عليه ، وتمنعه من نشر علومه ، وقد وجد المجال أمامه فسيحا لفتح أبواب مدرسته وتغذية طلابه بسائرالوان العلوم والمعارف ، وقد سارع كبار العلماء والمحدثين والرواة الى الانتماء لمعهده ، وقد وجد (ع) بهم خير عون لأداء رسالته الاصلاحية الخالدة التي بلورت عقلية المجتمع الاسلامي ، وأنقذته من رواسب الجهل والجمود .

٣ ـ وكان من عوامل النمو لهذا المعهد الكبير أن الامام الصادق (ع) ، هو الذي كان يتولى ادارة شؤون هذا المعهـــد ، ويقوم برعايته ، وقد أجمـــع المسلمون على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم أنه من ألمع أئمة المسلمين في علمه وفقهه ومواهبه ، ومن الطبيعي ان لشخصية العميد الأثر التام في نجـــاح المدرسة وازدهارها ، وبذلك فقـــد توفرت جميع العوامل الحساسة لنجاح مدرسة الامام ونموها .

المركز العام

واختار الامام يثرب دار الهجرة ، ومهبط الوحي فجعل فيها معهده الكبير ومدرسته العظمى ، وبفضل جهوده ومساعيه كانت يثرب حاظرة من حواظر العلم في الاسلام ، ومعهداً من معاهد العلوم .

أما محل التدريس فكان ـ بالطبع ـ الجامع النبوي فبه كان الامام يلقي محاضراته ودروسه التي خاض بها جميع الفنون ، وفي بعض الاحيان كان يلقي دروسه في بهو بيته ، وقد ازدهرت يثرب بطلابه واستعادت نشاطها ومكانتها في توجيه المجتمع الاسلامي .

البعثات العلمية

ولما فتح الامام أبواب مدرسته أسرع الى الانتماء اليها جميع رواد الفضيلة والعلم من شتى الاقطار الاسلامية ، وذلك للانتهال من علوم الامام وتهذيب نفوسهم بأحكام الدين ، وتعاليمه ، ومضافا لذلك فان الانتماء لمدرسة أهل البيت من موجبات الشرف والفخر عند المسلمين ، وتحدث الاستاذ السيد عبد العزيز الأهل عن البعثات العلمية التي التحقت بمدرسة الامام (ع) فقال :

« وأرسلت الكوفة . والبصرة ، وواسط ، والحجاز ، الى جعفر بن محمد افلاذ اكبادها من كل قبيلة ، من بني أسد ، ومن غني ، ومخارق ، وطي ، وسليم ، وغطفان ، وغفار ، والأزد ، وخزاعة ، وخثعم ومخزوم ، وبني ضبة ، ومن قريش ، ولا سيما بني الحارث بن عبد المطلب

وبني الحسن بن علي . . ورحل جمهور من الأحرار ، وابناء الموالي من أعيان هذه الأمة من العرب ، وفارس ، ولاسيما مدينة قم . . » (١) .

لقد اشتركت البلاد الاسلامية في ارسال ابنائها وأفلاذ اكبادها الى مدرسة الامام للانتهال من نمير علومه ، واخذ احكام الدين من حفيد النبي العظيم (ص) ، وقد حقق المجتمع الاسلامي بذلك نصراً رائعاً في تأييد الحركة العلمية ، والمساهمة في بناء كيانها .

عدد طلابها

ولما فتحت مدرسة الامام أبوابها لجميع ابناء المسلمين بادر جمهور غفير من رواد العلم الى الالتحاق بها فكان عددهم فيما ذكر الرواة اربعة اربعة الآف طالب (٢) وهو عدد ضخم لم يعهد له نظير في أي معهد علمي في ذلك العصر، وكان فيهم من كبار العلماء والمحدثين الذين اصبح بعضهم أئمة ورؤساء لبعض المذاهب الاسلامية ، وقد نقلوا عن الامام من العلوم والمعارف ما سارت به الركبان ؛ وانتشر ذكره في جميع البلدان » (٣) .

وقد صنف الحافظ ابو العباس بن عقدة الهمداني الكوفي كتابا في اسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الامام الصادق فذكر ترجمة اربعة آلاف راو منهم (٤) وقال المحقق في (المعتبر) : وفي زمانه انتشر عنه - اي عن الامام الصادق - من العلوم الجمة ما بهر به العقول ، وروى عنه جماعة

---

(١) جعفر بن محمد ص ٥٩ .

(٢) الارشاد ، اعلام الورى ، المعتبر ، الأنوار ، الذكرى .

(٣) الصواعق المحرقة ص ١٢٠ .

(٤) تاريخ الكوفة ص ٤٠ .

من الرجال ما يقارب اربعة الآف رجل ، وقال السيد محمد صادق نشأة :

« كان بيت جعفر الصادق كالجامعة يزدان على الدوام بالعلماء ، الكبار في الحديث والتفسير والحكمة والكلام فكان يحضر مجلس درسه في اغلب الأوقات الفان وبعض الاحيان اربعة آلاف من العلماء المشهورين ، وقد الف تلاميذه من جميع الأحاديث والدروس التي كانوا يتلقونها في مجلسه مجموعة من الكتب تعد بمثابة دائرة عامية للمذهب الشيعي أو الجعفري . . » (١)

وقد اتسعت بذلك الحركة العلمية في ذلك العصر ، وامتدت موجاتها الى العصور الصاعدة وهي تبث النور والهدى والصلاح لجميع المسلمين .

فروعها :

وقفل راجعاً الى وطنه اغلب من تخرج من مدرسة الامام وظفر بثروة علمية ، وحينما استقروا في أوطانهم قاموا بدور مهم في بسط الثقافة الاسلامية وتأسيس المعاهد العلمية والاندية الدينية التي عملت على تهذيب النفوس ورفع مستوى الاخلاق ، واعظم تلك المعاهد التي أسست هو المعهد الديني الكبير الذي أقيم في جامع الكوفة فقد التحق به من كبار المتخرجين من مدرسة الامام تسعمائة عالم كما حدثنا بذلك الحسن بن علي الوشاء(٢) قال : أدركت في

(١) الأمام الصادق والمذاهب الأربعة ١/٦٢ .

(٢) الحسن بن علي بن زياد الوشاء بجلي كوفي ، كان من وجوه هذه الطائفة ومن عيونها اختص بالامام الرضا عليه السلام ، وعد من خلص أصحابه ، ألف عدة كتب منها كتاب (ثواب الحج) و (المناسك) و (النوادر) و (مسائل الرضا) وغيرها جاء ذلك في التعليقات (ص١٠٣)

هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر ابن محمد » (١) وبذلك فقد اتسعت الحركة العلمية اتساعاً هائلا حتى شملت جميع المناطق الاسلامية ، وقد أدلى بذلك الاستاذ السيد ميرعلي الهندي بقوله:

(ولا مشاحة ان انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فك الفكر من عقاله ، فاصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل حاضرة من حواضر العالم الاسلامي ولا يفوتنا أن نشير الى أن الذي تزعم تلك الحركة هو حفيد (علي بن أبي طالب) المسمى بالامام (جعفر) والملقب (بالصادق) وهو رجل رحب أفق التفكير ، بعيد أغوار العقل ، ملم كل الإلمام بعلوم عصره ، ويعتبر في الواقع أول من أسس المدارس الفلسفية المشهورة في الاسلام ، ولم يكن يحضر حلقته العلمية أولئك الذين أصبحوا مؤسسي المذاهب فحسب ، بل كان يحضرها طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الانحاء القاصية . . » (٢) .

وقد انتهلت من نمير علومه كثير من الاسر العلمية في الكوفة وعرفت بعد ذلك بالفقه والحديث كبيت آل حيان التغلبي ، وآل أعين ، وبني عطية وبيت بني دراج وغيرهم من الأسر العلمية (٣) وقد احتفت به هذه الأسر اثناء اقامته بالكوفة أيام السفاح وقد استقر بقاؤه فيها سنتين ، وكان منزله في بني عبد القيس ، وقد ازدحمت عليه الشيعة تستفتيه ، وتسأله عن احكام دينها ، ويحدثنا محمد بن معروف الهلالي عن كثرة زحام الناس واقبالهم عليه قال :

« مضيت الى الحيرة الى (جعفر بن محمد) فما كان لي فيه حيلة من

---

(١) المجالس السنية (ج ٥ ص ٢٨) .

(٢) جعفر بن محمد ص ٥٩ .

(٣) تأريخ الكوفة ص ٤٠٨ .

كثرة الناس فلما كان اليوم الرابع رآني فأدناني ، وتفرق الناس عنه ، ومضى يريد قبر امير المؤمنين (ع) فتبعته ، وكنت اسمع كلامه وأنا معه أمشي . . »

وعلى أي حال فان مدرسة الامام وسائر المنظمات العلمية التي تفرعت منها قد أقامت صروح العلم والفضيلة في العالم الاسلامي .

الأخصائيون من طلابه

وتخصص الكثيرون من طلاب الامام في جملة من العلوم والفنون فقد تخصص في الفلسفة وعلم الكلام ومباحث الامامة هشام بن الحكم ، وهشام ابن سالم ، ومؤمن الطاق ، ومحمد بن عبد الله الطيار ، وقيس الماصر ، وغيرهم وتخصص في علم الفقه واصوله والتفسير وسائر العلوم الدينية زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم ، وجميل بن دراج ، وبريد بن معاوية ، واسحق بن عمار ، وعبيد الله الحلبي وابو بصير ، وأبان بن تغلب ، والفضيل بن يسار . وابو حنيفة ، ومالك بن أنس ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد ، وسفيان الثوري ، وأمثالهم ، وتخصص في علم الكيمياء جابر بن حيان الكوفي وهو أشهر كيمياوي في العالم العربي - كما قال فانديك - وتخصص في حكمة الوجود وأسرار الخليقة المفضل بن عمر ، كما تناول في كتابه الذي أملاه عليه الامام الصادق اغلب أبواب علم الطب فقد خاض فيه وظائف الاعضاء ، ودوران الدورة الدموية ، والجراثيم المسببة للامراض وتشريح الانسان ، وغيرها .

ان جامعة الامام الصادق (ع) بكل اعتزاز وفخر قد سبقت المعاهد العلمية في تأسيس الاختصاص بالدراسات العلمية .

وحث الامام الصادق طلابه على تدوين دروسه ومحاظراته التي تناولت اغلب العلوم والفنون ، وذلك خوفاً عليها من الاضطراب والضياع ، وقد أكد الدعوة على هذه الجهة في غير موطن .

روى أبو بصير قال : دخلت على أبي عبد الله فقال : « ما يمنعكم من الكتابة ؟ ! إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا ، إنه خرج من عندي رهط من أهل البصرة يسألون عن أشياء فكتبوها » .

وروى أبو بصير قال : سمعت أبا عبد الله يقول : « اكتبوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا » .

قال عاصم : « سمعت أبا بصير يقول : قال أبو عبد الله الصادق (ع) « اكتبوا فانكم لا تحفظون الا بالكتابة » (١) .

وقد استجاب طلابه الى هذه الدعوة النيرة التي تحمل في اعماقها انارة الفكر الانساني ، واشاعة العلم وبسطه بين الناس ، وقد اقبل اصحابه على تدوين العلوم ، فقد الف أبان بن تغلب .

١ ـ كتاب معاني القرآن

٢ ـ كتاب القراءات (٢)

٣ ـ كتاب الفضائل

٤ ـ الاصول في الرواية

٥ ـ غريب القرآن

---

(١) وسائل الشيعة ، كتاب الشهادات : الباب الثامن .

(٢) فهرست ابن النديم : ص ٣٠٨ .

وألف محمد بن علي البجلي الكوفي الشهير بمؤمن الطاق ما يلي :

١ ـ كتاب الامامة

٢ ـ كتاب المعرفة

٣ ـ كتاب اثبات الوصية

٤ ـ كتاب الرد على المعتزلة في امامة المفضول

٥ ـ كتاب في أمر طلحة والزبير وعائشة

٦ ـ كتاب افعل ، لا تفعل

٧ ـ المناظرة مع أبي حنيفة (١)

وألف هشام بن الحكم أبو محمد البغدادي في مختلف العلوم والفنون وذكر ابن النديم له سبعة عشر مؤلفاً نذكرها في ترجمته عند عرض اصحاب الامام موسى (ع) .

وألف المفضل بن عمر كتاب (التوحيد) وهو من أجل الكتب الاسلامية فقد عرض فيه الى خلق الانسان وتكوينه وما في اعضائه من الاسرار والغرائب كما عرض فيه الى كثير من البحوث الطبية (٢) .

وألف جابر بن حيان كتابا في علم الكيمياء يقع في الف ورقة تضمنت رسائل الامام التي بلغت خمسمائة رسالة (٣) وكانت هذه الرسائل مصدراً خصبا لعلم الكيمياء ، واستفاد منها علماء هذا الفن فائدة كبرى ، وقد أثنى على جابر واكبر مجهوده جميع رجال العلم من المسلمين والمستشرقين وفيما يلي

---

(١) فهرست ابن النديم : ٢٥٠ ، فهرست الشيخ الطوسي : ١٢١

(٢) علق عليه وشرحه شرحا وافيا صديقنا المغفور له الشيخ محمد الخليلي ، وقد كشف ما فيه من العلوم والاسرار والبحوث الطبية التي تتفق مع العلم الحديث وقد اسماه « أمالي الامام الصادق » يقع في جزئين .

(٣) الاعلام ١٨٦/١ الطبعة الأولى ، مرآة الجنان ٣٠٤/١ .

كلمة رائعة للاستاذ عبد الرحمن بدوي أبدى اعجابه واكباره بشخصية جابر التي هي إحدى شموع تلك المدرسة ، وهذا نصها :

« لن يستطيع الباحث في تأريخ الفكر الاسلامي أن يجد شخصية أعرب وأخصب من شخصية جابر بن حيان ، فهي شخصية أمعنت في الغموض ، واكتنفها السر حتى كادت ان تكون اسطورة ، وتسامت في التفكير حتى ليقف المرء اليوم ذاهلا أمام ما تقدمه لنا من نظرات علمية فلسفية كلها عمق وكلها حياة ، وأمام هذه الروح العامة التي تسودها روح التنوير والنزعة الانسانية التي تصبو الى اكتناه كل الأسرار ، وتشعر بما يشيع فيها من قوى إلهية مبدعة فترتفع بالانسان الى مقام الألوهية ، ويحدوها الأمل في التقدم المستمر الوثاب للانسانية في تطورها ، وشخصية هذا حظها الروحي ستظل حية باستمرار لأنها من النماذج الحية أبداً للانسان السالك سبيله قدماً نحو تحقيق (الصورة) العليا على الأرض ، ولن يستطيع البحث العلمي والفيلولوجي والحضاري أن يفرغ منها فراغاً تاماً مهما أنفق من جهد في هذا السبيل بل ستمضي في البعد كلما توغل في الطريق اليها ، وسيزداد مقدارها كلما تلمس المرء نواحيها ، ونحن اليوم أبعد مانكون عن إدراكها إجمالا فضلا عن الاحاطة بخطوطها الرئيسية ، وتياراتها التوجيهية .. » (١) .

وجابر بن حيان من أقطاب جامعة الامام ، ومن أعلامها النابهين الذين يعدون بحق من المؤسسين للحركة الثقافية في العالم الاسلامي وغيره .

وهناك جمع غفير من نوابغ تلاميذ الامام ألفوا في مختلف العلوم كزرارة وأبي بصير واسماعيل بن أبي خالد وغيرهم ، وقد ترجم فقيد الاسلام الشيخ اغا بزرك نضّر الله مثواه في « الذريعة » (٢) مأتي رجل

---

(١) الالحاد في الاسلام ص ١٨٩ .

(٢) الذريعة ٣٠١/٦ - ٣٧٤ .

من مصنفي تلامذة الامام الصادق ، وكانت تلك المؤلفات الضخمة دائرة معارف واسعة ، وأصبحت مصدراً للمذهب الشيعي ، ودليلا على مدى ثروته العلمية والفكرية .

اعتزاز وافتخار

واعتز تلاميذ الامام بالحضور في مجلس درسه ، وفخروا بذلك كثيراً وجعلوا الانتماء لمدرسته من المآثر التي تؤهلهم الى المراكز العليا في المجتمع الاسلامي ، وممن فخر بذلك أبو حنيفة فقد قال :

« لولا السنتان لهلك النعمان » (١) .

لقد اعتز أبو حنيفة بالأيام التي حضر فيها درس الامام ، وجعلها من أفضل أدوار حياته العلمية ، وتحدث مالك بن أنس عن استاذه الامام فقد قال فيه :

« ما رأت عين ، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق (ع) علما وعبادة وورعا . . » (٢) .

وتحدث عنه مرة أخرى فقال :

« لقد كنت أرى جعفر بن محمد ، وكان كثير التبسم ، فاذا ذكر عنده النبي (ص) اصفر لونه ، وما رأيته يحدث عن رسول الله (ص) الا على طهارة ، ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت أراه الا على ثلاث خصال : إما مصليا ، وإما صامتا ، وإما يقرأ القرآن ، ولا يتكلم بما لا

---

(١) الأعلام ١/١٨٦ ، التحفة الاثنى عشرية ص ٨ .

(٢) التوسل والوسيلة ص ٥٢ .

يعنيه . وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله . . » (١) .

ان من الحق أن يعتز أبو حنيفة ومالك وأمثالها بالانتماء لمدرسة الامام وبالحضور في مجالس أبحاثه ، فانه (ع) المنبع الاصيل للعلوم التي ورثها من آبائه ومن جده الرسول العظيم الذي فجر ينابيع العلم والحكمة في الارض .

طابعها الخاص

إن جامعة الامام الصادق (ع) كان لها طابع خاص انفردت به عن بقية المؤسسات وهو الاستقلال الذاتي المتميز بعدم الارتباط بأي جهاز رسمي ، فلم يكتب للسلطة أن تستخدمها في أي غرض من أغراضها السياسية إذ لم يكن لها أي سلطان عليها ، فقد كانت تتمتع بالحرية الواسعة سواء في مناهجها التعليمية أو في مجالاتها الفكرية ، ولم تتلق من السلطة الحاكمة أي دعم اقتصادي أو مادي ، وانما كانت منفصلة عنها ، ومبتعدة في سلوكها عن جميع المؤثرات الخارجية ، فهي تسير بوحي من الروح الاسلامية المشرقة ، وتسلك في طريق واضح بعيد عن الالتواء والانحراف هدفها خدمة الأمة ، ورائدها الحق .

وحاول المنصور أن يجاب الامام الصادق ، ويكتسب وده وثقة تلامذته وشيعته فكتب اليه :

« لمَ لا تخشانا كما يخشانا سائر الناس ؟ ! » .

فأجابه الامام عن خطته وسلوكه قائلا :

« ليس عندنا من الدنيا ما نخافك عليه ، وليس عندك من الآخرة ما نرجوك له . . » .

---

(١) التوسل والوسيلة ص ٥٢ .

لم يكن عند الامام أي شيء من حطام الدنيا حتى يخاف عليه من سلطان المنصور ، وليس عند المنصور من متع الآخرة حتى يرجوه ويتصل به ، وسلك المنصور طريقاً آخر فكتب الى الامام :

« إنك تصحبنا لتنصحنا » .

فأجابه الامام :

« من أراد الآخرة فلا يصحبك ، ومن أراد الدنيا فلا ينصحك . . »

وبهذا المنطق الحافل بجميع مقومات الحق اعرب الامام عن سلوكه في الابتعاد عن السلطة وعدم التعاون معها ، وتحدث الاستاذ أسد حيدر عن هذا الطابع النير الذي امتازت به مدرسة الامام بقوله :

« كان طابع مدرسة الامام الصادق الذي طبعت عليه ، ومنهجها الذي اختصت به - من بين المدارس الاسلامية - هو استقلالها الروحي ، وعدم خضوعها لنظام السلطة . ولم تفسح المجال لولاة الأمر أن يتدخلوا في شؤونها ، أو تكون لهم يد في توجيهها وتطبيق نظامها ، لذلك لم يتسن لذوي السلطة استخدامها في مصالحهم الخاصة ، أو تتعاون في شؤون الدولة ومن المستحيل ذلك - وان بذلوا جهدهم في تحقيقه - فهي لا تزال منذ نشأتها الأولى تحارب الظالمين ، ولا تركن اليهم . كما لا تربطها وإياهم روابط الالفة ، ولم يحصل بينها وبينهم انسجام ، وبهذا النهج الذي سارت عليه ، والطابع الذي اختصت به ، أصبحت عرضة للخطر فكان النزاع بينها وبين الدولة يشتد ، والعداء يتضخم ، فلا الدولة تستطيع التنازل لمنهج المدرسة فتكسب ودها ، وتسعد بمعاونتها ، ولا المدرسة في امكانها أن تتنازل لارادة الدولة ، فتؤازرها ، وتسير بخدمتها ، وتتعاون معها ، وكيف يكون ذلك ؟ وهي منذ نشأتها الأولى ترتبط بالثقلين كتاب الله ، وعترة رسوله ، وهما متلازمان متكاتفان لن يفترقا في أداء واجبهما لارشاد الأمة وهدايتها ،

فالقرآن ينهى عن معاونة الظالمين ، والركون اليهم « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون » (١)

وسارت على هذا المنهج المشرق جميع المؤسسات العلمية التي تخضع في مناهجها وسلوكها لمدرسة الامام (ع) كجامعة النجف الاشرف ، وجامعة قم فان كلا منها يسيران على وفق الأهداف الاصيلة التي اعلنها الامام الصادق واتخذها شعاراً ومنهجاً لمدرسته من عدم الارتباط والتعاون مع السلطات الحاكمة .

فزع السلطة :

وفزعت السلطات الحاكمة من مدرسة الامام ، وهالها اتساع نطاقها ، وكثرة المنتمين اليها وهم يحملون علوم الامام ، ويحدثون الناس عنها ، وينشرون فضائله ، ومناقب أهل البيت (ع) وقد أقض ذلك مضاجع المنصور وخشي على مصالحه السياسية ، وخاف أن يفتتن الناس به ـ على حد قوله ـ فعهد الى أبي حنيفة أن يسأل الامام بأعقد المسائل واكثرها غموضا ، ولنترك أبا حنيفة يحدثنا عن ذلك

قال أبو حنيفة :

(ما رأيت افقه من جعفر بن محمد ، لما أقدمه المنصور بعث الي فقال يا أبا حنيفة إن الناس قد أفتتنوا بجعفر بن محمد فهيأ له من المسائل الشداد ، فهيأت له اربعين مسألة ، ثم بعث الى جعفر وهو بالحيرة فأحضره فدخلت عليه ، وجعفر بن محمد عن يمينه ، فلما بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر

(١) الامام الصادق والمذاهب الأربعة ١٥/٣ .

ما لم يدخلني لأبي جعفر المنصور فسلمت عليه ، وأومأ فجلست ثم التفت اليه قائلا :

« يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة ؟ »

قال (ع) : نعم أعرفه

ثم التفت إلي المنصور ، وقال يا أبا حنيفة : الق على أبي عبد الله مسائلك فجعلت الق عليه ، فيجيبني ، فيقول : أنتم تقولون : كذا ، وأهل المدينة يقولون : كذا ، ونحن نقول : كذا ، فربما تابعنا ، وربما خالفنا ، حتى أتيت على الاربعين مسألة ما أخل منها بمسألة واحدة . . » (١) .

ودلت هذه البادرة على مدى حنق السلطة وحقدها ، وحذرها من الامام كما دلت على مدى المقدرة العلمية الهائلة التي كان يتمتع بها الامام .

وقد عمد المنصور الى مكافحة مدرسة الامام ، والتقليل من أهميتها ، وعزل الإمام عن الأمة ، فوجه نظره الى مالك بن أنس ، وأحاطه بكثير من التبجيل والتكريم ليجعله قبال الامام ، ومرجعا للامة ، وعهد اليه بوضع كتاب يحمل الناس بالقسر على العمل به ، وامتنع مالك من اجابته الا انه اجبره على ذلك ، وقال له : ضعه، فما احد اليوم أعلم منك (٢) فوضع مالك الموطأ ، وأمر الرشيد عامله على المدينة أن لا يقطع أمراً دون مالك ، وكان الرشيد يجلس على الأرض لاستماع حديثه (٣) .

والتزمت الدولة مالك ، وسخرت جميع أجهزتها الدعائية لنشر مذهبه وحمل الناس عليه ، كل ذلك لصرف الناس عن مذهب أهل البيت الذي علا أمره بسبب الامام جعفر الصادق (ع) .

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي .

(٢) شرح الموطأ للزرقاني ١/٨ .

(٣) مناقب مالك للزاوي .

كما بالغ الرشيد في تعظيم ابي يوسف واكرامه لأنه تلميذ أبي حنيفة وناشر مذهبه ، وقد بلغ من مكانته عند الرشيد أنه ولاه منصب رآسة القضاء ، ولم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر قاضياً الا باشارة أبي يوسف وأمره (١) وقال له الرشيد :

« يا أبا يعقوب لو جاز لي ادخالك في نسبي ومشاركتك في الخلافة المفضية إلي لكنت حقيقاً به » (٢) .

وهكذا اخذت السلطة العباسية تسعى جاهدة الى تأسيس بعض المذاهب الاسلامية واضفاء التكريم ، والعناية البالغة على أصحابها ، وارغام الأمة على الأخذ بآرائها ، والعمل بما تفي به كل ذلك لصرف المسلمين عن مدرسة أهل البيت ومذهبهم ، وقد فتح المنصور أبواب هذا الاضطهاد الفكري ، وسار من بعده ملوك بني العباس يقتفون أثره في اخماد الوعي الديني المستمد من رسالة أهل البيت .

المناهج التعليمية :

وتناولت محاضرات الامام وبحوثه القيمة جميع الفنون العلمية من النقلية والعقلية ، ومذاهب الكلام ، والوان الآداب ، وضروب الثقافة العالية كعلم الفقه والحديث ، وعلوم القرآن الكريم ، والطب ، والكيمياء ، والنبات ، وغيرها من العلوم التي لها الاثر التام في التقدم الاجتماعي ، ومن أبرز العلوم التي تناولها الامام بالبسط والتحليل الفقه الاسلامي بجميع ابوابه من العبادات والمعاملات والعقود والايقاعات .

---

(١) خطط المقريزي ٤/١٤٤ .

(٢) المكافأة لابن الداية ص ٦٣ .

ولم يقتصر الامام في بحوثه على الناحية العلمية فقد توسع في محاضراته الى نشر الآداب الاجتماعية ، ومكارم الأخلاق ، وآداب السلوك وغيرها ، وفيما يلي عرض موجز لبعضها :

مكارم الاخلاق

كان عليه السلام يحث أصحابه وشيعته على التحلي بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ليكونوا قدوة صالحة الى المجتمع ، وقد صدرت منه بهذا الصدد وصايا منها وصيته الى ولده الامام موسى ، وقد جاء فيها :

« يا بني ؟ إنه من رضي بما قُسم له استغنى ، ومن مد يمينه الى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استكبر زلة غيره .

يا بني : من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغي قُتل به ، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيهـا ، ومن داخل السفهاء حُقر ، ومن خالط العلماء وُقر ، ومن دخل مداخل السوء أتهم .

يا بني ، إياك أن تزدرى بالرجال فيُزدرى بك ، وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذل لذلك .

يا بني : قل الحق لك أو عليك .

يا بني : كن لكتاب الله تالياً ، وللسلام فاشياً ، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً ، ولمن قطعك واصلا ، ولمن سكت عنك مبتدئاً ، ولمن سألك معطياً ، وإياك والنميمة فانهـا تزرع الشحناء في قلوب الرجال ، وإياك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة المتعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف .

يا بني : إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه ، فان للجود معادنا وللمعادن

أصلا ، وللاصول فروعا ، وللفرع ثمرا ، ولا يطيب ثمر الا بفرع ، ولا فرع الا بأصل ولا أصل ثابت الا بمعدن طيب .

يا بني : إذا زرت فزر الاخيـــار ، ولا تزر الفجار فانهم صخرة لا ينفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها ، وأرض لا يطيب عشبها .. » (١)

وقد حفلت هذه الوصية بأعمال الخير ، وألمت بمكـــارم الاخلاق ، واحتوت على اسس الفضائل والآداب ، وكان عليه السلام ـ متصلا ـ يزود ابناءه وأصحابه بمثل هذه النصائح القيمة والدروس النافعة ليكونوا دعاة للاصلاح والرشاد ، ووجه (ع) رسالة الى بعض أصحابه أمرهم فيها بمكارم الأخلاق ومحاسن الاعمال وقد جاء فيها :

« عليكم بحب المساكين المسلمين ، فان من حقرهم وتكبر عليهم فقد زل عن دين الله ، واعلموا أن من حقر أحداً من المسلمين القى الله عليه المقت فاتقوا الله في اخوانكم فان لهم عليكم حقاً أن تحبوهم ، فان الله أمر نبيه بحبهم فمن لم يحب من أمر الله بحبه فقد عصى الله ورسوله ، ومن عصى الله ورسوله ومات على ذلك مات من الغاوين .

إياكم ان يبغي بعضكم على بعض فانها ليست من خصال الصالحين ، فانه من بغى صير الله بغيه على نفسه ، وصارت نصرة الله لمن بُغي عليه ومن نصره الله غلب ، وأصاب الظفر من الله .

إياكم أن يحسد بعضكم بعضاً فان الكفر أصله الحسد .

إياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم ، يدعو الله عليـــكم ، ويستجاب له فيكم ، فان أبانا رسول الله (ص) قال : ان دعوة المظلوم مستجابة .

إياكم أن تشره نفوسكم إلى شيء مما حرم الله عليكم فان من انتهك ما حرم الله عليه حال الله

---

(١) الامام جعفر الصادق : ص ٧٩ ـ ٨٠ ، وقريب منه جاء في حلية الأولياء (ج ٣ ص ١٣٥) .

بينه وبين الجنة . . » (١) .

لقد دعى (ع) أصحابه بهذه الوصية الى عمل الخير والأخذ بالقيم الرفيعة التي تبعد الانسان عن الشر ، وتوجهه نحو الكمال ، وقد ورد منه بمثل هذا الشيء الكثير وهو يحفز فيــه أصحابه الى التحلي بمكارم الاخلاق ومحاسن الأعمال .

العدل :

لا شك أن العدل هو العرق النابض في جسم المجتمع ، وعليه تبتني الحياة وتقام دعائم الأمن والاستقرار في الأرض ، وقد حاضر فيه الامام فوصفه بأروع معنى ، وأوجز لفظ فقال :

« العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن » .

وقال : « ما أوسع العدل وإن قل . . » .

وقال : « اتقوا الله واعدلوا فانكم تعيبون على قوم لايعدلون . . »

إن العدل هو الهدف الأسمى لجميع الشعوب الحرة التي ناضلت كثيراً وجاهدت طويلا في سبيل تحقيقه ، وهو من الأهداف الرئيسية التي عملت على تدعيمها ونشرها مدرسة الامام في المجتمع الاسلامي .

إيثار الحق :

كان الامام ـ دوماً ـ يشيد بالحق إذ هو ظل الله في الأرض ، وقد وصفه الامام لأصحابه فجعله لُب الايمان وحقيقته فقال فيه :

« إن من حقيقة الايمان أن تؤثر الحق وإن ضرك على الباطل وإن نفعك » .

إن متابعة الحق واتباعه ، وتقديمه على المصالح الخاصة من أهم الحقائق

(١) تحف العقول : ص ٧٦ .

التي هتف بها الاسلام وعزته مدرسة الامام .

الاصلاح :

وأفضل الأعمال وأحبها عند الله هو الاصلاح بين الناس حتى أباح المشرع الأعظم الكذب ـ الذي هو من أعظم الموبقات ـ في سبيل الاصلاح ورفع التخاصم واشاعة الحب والوئام بين الناس ، وقد ندب الامام أصحابه إلى ذلك وحثهم على هذه المكرمة فقال :

« صدقة يحبها الله ، إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا ، وتقارب بينهم إذا تباعدوا . . » .

إن الاصلاح بمعناه الشامل هو الهدف الأقصى لأهل البيت (ع) وقد كرسوا حياتهم في سبيله ولاقوا المزيد من الاضطهاد والجور من أجله .

الظلم :

وتسالمت عقول البشر في جميع الاجيال والأزمان على قبح الظلم واستهجانه لأنه منبع الفساد ومصدر الجرائم ، وقد حرم الامام جميع صوره وألوانه فقال (ع) :

« العامل بالظلم ، والمعين له ، والراضي به كلهم شركاء ثلاثتهم » (١)

وحرم (ع) التعاون مع الظالمين والاشتراك معهم بأي عمل ايجابي يرجع الى بسط نفوذهم وتقوية سلطانهم فقد سأله بعض أصحابه عن جواز البناء لهم وكراية النهر ، فقال له :

« ما أحب أن أعقد لهم عقدة ، أو وكيت لهم وكاءاً ، ولا مدة بقلم إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من النار » .

وحدث (ع) أصحابه عن عظم جريمة الظلم عند الله فقال لهم :

(١) الكافي : في باب الظلم .

« اتقوا الظلم ، فان دعوة المظلوم تصعد الى السماء » وحدثهم عن أقبح أنواع الظلم فقال لهم : « ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله » إلى غير ذلك من الأخبار التي وردت عنه في التحذير عن الظلم وتحريم جميع أنواعه ، كما بسط (ع) لأصحابه الأضرار البالغة التي تترتب عليه في كثير من محاضراته القيمة الأمر الذي دل على مدى اهتمامه بتحقيق الأمن والسلام بين الناس .

التعاون :

وحث الامام أصحابه على التعاون الوثيق فيما بينهم لأن ذلك يوجب اشاعة المحبة والالفة فيما بينهم ، وقد روى صفوان الجمال قال: « كنت عند أبي عبد الله (ع) إذ دخل عليه رجل من أهل مكة ـ يقال له « ميمون » فشكا اليه تعذر الكراء فالتفت إلي قائلا :

« قم فأعن أخاك » .

فقمت معه فيسر الله كراه فرجعت الى مجاسي ، فقال لي أبو عبدالله :

ـ ما صنعت في حاجة أخيك ؟

ـ قضاها الله ، بأبي أنت وأمي .

ـ اما انك إن تعن أخاك المسلم أحب إلى من طواف اسبوع في البيت » .

وقال (ع) لجميل بن دراج :

« من صالح الأعمال البر بالاخوان ، والسعي في حوائجهم ، وذلك مرغمة للشيطان وتزحزح عن النيران ، ودخول في الجنان ، يا جميل ، اخبر بهذا الحديث غرر أصحابك .

ـ جعلت فداك ومن غرر أصحابي ؟

ـ همم للبارون بالاخوان في العسر واليسر »(١) .

معرفة الله :

إن معرفة الله من أهم الواجبات الاسلامية ، وقد حث الامام أصحابه عليها وكشف لهم جليل آثارها فقال :

« لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدوا أعينهم الى ما متع الله به الأعداء من زهرة هذه الحياة الدنيا ونعيمها ، وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطأونه بأرجلهم ، ولنعموا بمعرفة الله عز وجل وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنات مع أولياء الله ، إن معرفة الله عز وجل أنس من كل وحشة ، وصاحب من كل وحدة ، ونور من كل ظلمة ، وقوة من كل ضعف ، وشفاء من كل سقم » .

ثم إنه (ع) أخذ يبين لأصحابه ما لقيه أولياء الله من العناء ورهيب العذاب من أعدائه تعالى فقال :

« قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير ، وتضيق عليهم الارض برحبها ، فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه ، من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى ، بل ما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، فاسألوا درجاتهم ، واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم . . » (٢) .

وهذا الوصف الرائع قد أحاط بحقيقة المتقين والمت بواقعهم وجهادهم وايمانهم الوثيق بالله .

---

(١) خصال الصدوق .

(٢) روضة الكافي .

صفات المؤمنين :

كان عليه السلام ـ دوماً ـ يلقي على أصحابه وطلاب مدرسته أوصاف المؤمنين والمتقين ليهتدوا بهم ويتخذوهم قدوة صالحة ، قال (ع) :

« المؤمن له قوة في دين ، وحزم في لين ، وايمان في يقين ، وحرص في فقه ، ونشاط في هدى ، وبر في استقامة ، وعلم في حلم ، وكيس في رفق ، وسخاء في حق ، وقصد في غنى ، وتجمل في فاقة ، وعفو في مقدرة وطاعة الله في نصيحة ، وانتهاء في شهوة ، وورع في رغبة ، وحرص في جهاد ، وصلاة في شغل ، وصبر في شدة ، في الهزاهز وقور ، وفي الرخاء شكور ، لا يغتاب ، ولا يتكبر ، ولا يقطع الرحم ، وليس بواهن ، ولا فظ ولا غايظ ، ولا يسبقه بصره ، ولا يفضحه بطنه ، ولا يغلبه فرجه ، ولا يحسد الناس ، ولا يعير (١) ولا يعير (٢) ، ولا يسرق ، ينصر المظلوم ويرحم المسكين ، نفسه منه في عناء ، والناس منه في راحة ، ولا يرغب في عز الدنيا ، ولا يجزع من ذلها ، للناس همٌّ قد أقبلوا عليه ، وله همٌّ قد شغله ، لا يُرى في حكمه نقص ، ولا في رأيه وهن ، ولا في دينه ضياع يرشد من استشاره ، ويساعد من ساعده ، ويكيع (٣) عن الخناء والجهل . . » (٤) .

ووصف عليه السلام المؤمن فقال :

---

(١) بتضعيف الياء وكسرها .

(٢) بتضعيف الياء وفتحها .

(٣) يكيع : أي يجبن .

(٤) أصول الكافي : (ج ٢ ص ٢٠٩) .

« لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون كامل العقل ، ولا يكون كامل العقل حتى تكون فيه عشر خصال ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون يستقل كثير الخير من نفسه ، ويستكثر قليـل الخير من غـيره ، ويستكثر قليـل الشر من نفسه ، ويستقل كثير الشر من غيره ، ولا يتبرم بطلب الحوائج قبله ، ولا يسأم من طلب العلم عمره ، الذل أحب اليه من العز (١) والفقر أحب اليه من الغنى ، حسبه من الدنيا القوت ، والعاشرة ، وماالعاشرة لا يلقى أحداً إلا قال هو خير مني وأتقى ، فاذا لقي الذي هو خير منه تواضع له ليلحق به ، وإذا لقي الذي هو شر منه وأدنى ، قال لعـل شر هذا ظاهر وخيره باطن ، فاذا فعل ذلك علا وساد أهل زمانه » (٢) .

الورع :

كان (ع) يوصي أصحابه بالورع عن محارم الله : ومن أقواله لهم :

« عليكم بالورع فانه لا ينال ما عند الله إلا بالورع » (٣) .

وقال عليه السلام :

« عليكم بتقوى الله والورع ، والاجتهاد ، وصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وحسن الخلق ، وحسن الجوار ، وكونوا دعاة الى انفسكم بغير ألسنتكم ، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً . . » (٤) .

ونكتفي بهذا النزر اليسير من تعاليمه الرفيعة التي زود بهـا المجتمع الاسلامي ، ووضع بها قواعد الاخلاق وآداب السلوك .

---

(١) لعله يريد أن الذل في طاعة الله أحب اليه من العز في معصية الله

(٢) مجالس الشيخ الطوسي .

(٣) أصول الكافي : (ج ٢ ص ٧٦) .

(٤) نفس المصدر .

في عهد الامام موسى :

وقطع الامام موسى (ع) شوطاً من حياته في جامعة أبيه الكبرى ، وكان من أبرز العلماء النابهين ، كما شارك أباه في القاء محاضراته العلمية ، وسانده في تعزيزها ، وتقديمها في الميادين الثقافية ، وبعد انتقال أبيه الى حظيرة القدس تولى إدارة شؤون هذه المدرسة الكبرى ، وقام بنشر العلوم وبث روح الفضيلة ، وقد احتف به العلماء والرواة لا يفارقونه ولا يفترقون عنه ، يسجلون أحاديثه وأبحاثه وفتاواه ، فقد روى السيد ابن طاووس (١) أن أصحاب الامام وخواصه كانوا يحضرون مجالسه ومعهم في اكمامهم الواح آبنوس لطاف وأميال فاذا نطق بكلمة أو أفتى في نازلة بادروا الى تسجيل

(١) السيد ابن طاووس : هو السيد الجليل العالم العابد رضي الدين أبو القاسم علي بن سعد الدين بن ابراهيم الحسيني، كان يسكن الحلة الفيحاء ولقب بالطاووس من جهة حسن وجهه . وخشونة رجليه ، وهو من أجلاء السادة ومن عيونهم وكان نقيباً لهم ، له مؤلفات كثيرة دلت على سعة معارفه وعلومه . وقد ذكر مناقبه وعلومه بالتفصيل الحجة الثبت السيد محمد باقر الخوانساري في مؤلفه روضات الجنات (ج ٣ ص ٤٣ - ٤٧) وجاء في الكنى والألقاب (ج ١ ص ٣٣٨) أن السيد تولى نقابة الطالبيين وكان يجلس في قبة خضراء والناس تقصده وقد لبسوا لباس الخضرة بدل السواد وذلك عقيب وقعة بغداد ، وفي ذلك يقول علي بن حمزة :

فهذا علي نجل موسى بن جعفر ... شبيه علي نجل موسى بن جعفر
فذاك بدست للامامة أخضر ... وهذا بدست للنقابة أخضر

توفي السيد يوم الاثنين خامس ذي القعدة سنة ٦٦٤ هـ .

ذلك (١) وقد روى عنه هؤلاء العلماء جميع أنواع العلوم على اختلافها وتباعد أطرافها ، وببركة جهوده وجهود أبيه فقد عمت الحركة العلمية جميع الحواضر الاسلامية والعربية وأصبح تراثها العلمي يتناقله العلماء جيلا بعد جيل .

---

(١) الأنوار البهية : ص ٩١ .

مُثُلُهُ العُلْيَا



وبلغ الامام موسى (ع) في مواهبه وعبقرياته أعلى مستويات الانسانية وقيمها ، فهو بحكم قاباياته ومقدراته فذ من أفذاذ العقل الانساني ، ومثل رائع من أمثلة الخير والكمال في الارض .

لقد كان الامام موضع اعتزاز وفخر للعالم الاسلامي ، وذلك لما أثر عنه من الفضائل والمآثر كسعة العلم والحلم ، ودماثة الاخلاق ، والسخاء والاحسان الى الناس ، والصمود أمام الأحداث ، الى غير ذلك من نزعاته الكريمة التي يقدسها كل انسان يؤمن بالمثل العليـــا ، والانسانية الكريمة ونعرض فيما يلي بعض نزعاته وصفاته :

امامته :

ومنحه الله بالإمامة ، وخصه بالنيابة العامة عن جده الرسول (ص) فهو أحد أوصيائه ، وخلفائه على أمته ، والإمامة ـ حسب ماتراه الشيعة ـ كالنبوة لا يمنحها الله إلا للذوات الخيرة التي طُهرت من الأرجاس والآثام وانمحت عنها أفانين الظلم والأباطيل ، وهي من أسمى المناصب الالهية لا يتوج بها إلا أفضل الخلق وأكرمهم عند الله ، ولابد لنا من وقفة قصيرة للبحث عن « الإمامة » لأنها ترتبط ارتباطا ذاتياً وموضوعيا بما نحن فيه .

معنى الامامة :

وحددها علماء الكلام فقالوا : « الامامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص انساني .. » فالامام ـ حسب هذا التحديد ـ هو الزعيم العام والرئيس المتبـــع الذي له السلطة الشاملة على جميع شؤون الناس الدينية والدنيوية ،

فالنبي (ص) أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك الامام حسب ما نص عليه النبي (ص) في خطابه بغدير خم حينما نصب الامام أمير المؤمنين (ع) خليفة واماما على المسلمين من بعده .

الحاجة الى الامامة :

إن الامامة قاعدة من قواعد الاسلام وأصل من أصوله ، وقد اتفق المسلمون على ضرورتها ، وحتميتها لأن الشريعة الاسلامية مجموعة من الاحكام والقواعد ففيها الحدود والعقوبات ، وفيها الحكم بما أنزل الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وفيها الجهاد في سبيل الله ، والذب عن حياض الدين ، وغير ذلك من الاحكام التي لا يمكن للفرد أن يقيمها من دون امام يتولى تنفيذها ، يقول ابن تيمية :

« ان ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها ، ولأن الله أوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونصرة المظلوم وكذلك سائر ما أوجبه الله من الجهاد والعدل ، واقامة الحدود ، ولا تتم إلا بالقوة والامارة . . » (١) .

ان المسلمين لابد لوجودهم السياسي والديني من امام يسوس أمرهم ويعالج قضاياهم على ضوء كتاب الله ، وسنة نبيه ، ويسير فيهم بسيرة قوامها العدل الخالص والحق المحض .

ان الامامة ضرورة من ضروريات الحياة الاسلامية لا يمكن الاستغناء عنها ، فبها تتحقق العدالة الكبرى التي ينشدها الله في الارض .

ومن أهم الأمور الداعية اليها ايصال الناس الى معرفة الله وطاعته ،

(١) السياسة الشرعية ص ١٧٢ - ١٧٣ .

وتغذية المجتمع بروح الايمان والتقوى وابعاده عن نوازع الشر والغرور .

الاتفاق على وجوبها :

إن الامامة بمعناها القيادي للامة قد اتفق المسلمون على وجوبها وضرورتها سوى (الخوارج) فانهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الامامة ، وانما عليهم ان يتعاطوا الحق فيما بينهم (١) وقد أجمع المسلمون على زيف ذلك وبطلانه ، وقد تضافرت الأخبار على ضرورتها فقد أثر عن النبي (ص) أنه قال : « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » وقال (ص) : « من فارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عصبية يغضب لعصبية أو يدعو الى عصبية ، أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية » (٢) .

وقال ابن خلدون : « إن نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين ، لأن أصحاب رسول الله (ص) عند وفاته بادروا الى بيعة أبي بكر ، وتسليم النظر اليه في امورهم ، وكذا في كل عصر من بعد ذلك ، ولم تترك الناس فوضى في عصر من الأعصار. واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام .. » (٣) .

لقد أجمع المسلمون منذ فجر تأريخهم على ضرورة الامام ، وانها من الواجبات التي لاتستقيم الحياة الاسلامية بدونها .

---

(١) الملل والأهواء ٤/٨٧

(٢) الحديث رواه مسلم والنسائي

(٣) المقدمة ص ١٥١

واجبات الامام :

وأناط الاسلام بالامام جميع المسؤوليات الضخمة ، فأوجب عليه السهر على مصـــالح المسلمين ، ورعاية شؤونهم ، والعمل على تطوير حياتهم ، وابعادهم عن جميع عوامل الانحطاط والتأخر ، وقد ذكر المعنيون بهذه البحوث بعض الواجبات المهمة التي يجب عليه القيام بها ، وهي :

١ ــ حفظ الدين ، وحراسة الاسلام ، وصيانته من المستهترين بالقيم والأخلاق .

٢ ــ حماية بيضـــة الإسلام ، والذب عن الحرم ليتصرف الناس في معايشهم وينتشروا في اسفارهم ، آمنين على انفسهم وأموالهم .

٣ ــ تحصين الثغور بالعُدّد ووفور العدد حتى لا يظفر العدو بغرة فينتهك فيها محرم ، أو يسفك فيها دم مسلم أو معاهد .

٤ ــ جهاد الكفرة المعاندين للاسلام حتى يسلموا أو يدخلوا في ذمة المسلمين قياما بحق الله بظهور دينه على الدين كله .

٥ ــ تنفيذ الاحكام ، وقطع الخصومات حتى لا يتعدى ظالم ، ولا يضعف مظلوم .

٦ ــ اقامة الحدود لتتوقى المحارم ، وتصان الأنفس والأموال .

٧ ــ اختيار الامناء والأكفاء ، وتقليد الولايات للثقات النصحاء لتضبط الاعمال بالكفاءة ، وتحفظ الأموال بالامناء .

٨ ــ جباية أموال الفيء ، والصدقات والخراج على ما أوجبه الشرع نصاً أو اجتهاداً من غير حيف ولا عسف

٩ ــ تقدير العطاء وما يستحقه كل واحد في بيت المال من غير سرف

ولا تقتير ، ودفعه اليهم في وقت معلوم لاتأخير فيه ولا تقديم .

١٠ ــ مشارفة الامور العامة بنفسه غير معتمد على ولاته وعماله ، فقد يخون الأمين ، ويغش الناصح ، وقد قال تعالى : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (١) .

وفي الصحيحين (٢) من رواية ابن عمر قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده ، وهو مسؤول عن رعيته ، قال : فسمعت هذا من رسول الله (ص) وأحسبه قال : والرجل في مال أبيه راع ومسؤول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

وأخرج الترمذي (٣) من حديث عمرو بن مرة الجهني قال لمعاوية : سمعت النبي (ص) يقول : « ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجات والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته (٤) وحاجته ومسكنته » ويقول محمد بن يزداد وزير المأمون مخاطبا له :

من كان حارس دنيا إنه قمن　　أن لا ينام وكل الناس نوام
وكيف ترقد عينا من تضيفه　　همان من أمره نقض وابرام(٥)

ووصفت هذه الامور بانها دستور شامل لو نقلناه الى لغة العصر ،

---

(١) سورة ص : آية ٢٦

(٢) البخاري ٩/٦٢ ومسلم ١٢/٢١٣

(٣) صحيح الترمذي ٦/٧٣

(٤) الخلة : الحاجة والفقر

(٥) مآثر الانافة في معالم الخلافة ١/٥٩

ومصطلحاته لسامق بل لتفوق في احاطته وشموله على ما احتوته الدساتير العالمية من واجبات الحاكمين والتزاماتهم (١) .

ومن يمعن النظر فيما أثر عن الامام امير المؤمنين (ع) يرى أن واجبات الامام (ع) أشمل من ذلك فانها تمتد الى اقامة صروح الأخلاق والفضيلة وبناء مجتمع يعيش في ظلال العدل والحق وتستأصل ـ فيه صور الانتهازية والوصولية ، وبذور البغي والفساد وقد تحدثنا عن ذلك بصورة مفصلة في كتابنا « نظام الحكم والادارة في الاسلام » .

صفات الامام :

ولابد أن تتوفر في الامام جميع النزعات الخيرة ، والصفات الرفيعة ، والمثل الكريمة ، من العلم والتقوى ، وسجاحة الرأي ، واصالة التفكير، والدراية التامة بما تحتاج اليه الأمة في جميع مجالاتها ، وذكر المعنيون بالفقه السياسي فيالاسلام الشروط التي يجب أن تتوفر فيه وهي :

١ ـ العدالة على شروطها الجامعة ، وهي الامتناع من ارتكاب كبائر الذنوب وعدم الاصرار على صغائرها .

٢ ـ العلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والاحكام .

٣ ـ سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها .

٤ ـ سلامة الاعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة ، وسرعة النهوض .

٥ ـ الرأي المفضى الى سياسة الرعية ، وتدبير المصالح .

(١) دولة القرآن ص ٨٢

٦ — الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية بيضة الاسلام ، وجهاد العدو

٧ — النسب وهو أن يكون الامام من قريش .

وقد ذكر هذه الاوصاف كل من الماوردي وابن خلدون (١) وذكر الجويني والايجي ، والجرجاني والفارابي أوصافا أخر ذكرناها مفصلة في كتابنا « نظام الحكم والادارة في الإسلام » .

وتعتقـد الشيعة ان الامام يجب أن يكون أفضل الناس في ملكاته وعبقرياته وانه لابد فيـه من :

١ ـ العصمة :

إن عصمة الامام ـ عند الشيعة ـ قاعدة أساسية في الامامة ، وهي من المبادىء الأولية في كيانهم العقائدي ، وقد عرفها المتكلمون ، فقالوا : إنها لطف من الله يفيضها على أكمل عباده ، وأفضلهم عنده ، وبها يمتنع من ارتكاب الآثام والجرائم عمداً وسهواً . . . وقد أثارت عليهم هـذه العقيدة الكثير من التهم والطعون ، واتهمهم قوم بالغلو والافراط في الحب . ولكنا إذا رجعنـا إلى الأدلة نجدها مؤيدة لما تذهب اليه الشيعة ، ويكفينا في الاستدلال على ذلك آية التطهير قال تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٢) وهي تدل بوضوح على عصمة أئمة أهل البيت(ع) من الذنوب وطهارتهم من الزيغ والرجس، وذلك بما جاء فيها من حصر إرادة اذهاب الرجس ـ أي المعاصي ـ بكلمة انما التي هي من أقوى أدوات الحصر ، وبدخول اللام في الكـلام الخبري ، وتكرار لفظ

(١) الأحكـام السلطانية ص ٤ ، المقدمة ص ١٣٥ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٣٣

الطهارة ، وكل ذلك يدل بحسب الصناعة على الحصر والاختصاص ، كما ان ارادة الله باذهاب الرجس عنهم يستحيل فيها أن يتخلف المراد عن الارادة قال تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » وبهذا يتم الاستدلال على عصمتهم من كل ذنب ومعصية (١)

كما أن حديث الثقلين يدل على العصمة بوضوح ، فقد قرن فيه الرسول (ص) بين الكتاب وعترته ، وكما ان الكتاب العزيز معصوم من الخطأ والزلل فكذلك العترة ، والا لما صحت المقارنة والمساواة بينهما . وبعد توفر الأدلة الحاسمة على اعتبارها في الامام فلا مساغ للانكار على الشيعة بذلك ، قال العلامة الشيخ محمد أمين زين الدين :

« وما يصنع الشيعة إذا اضطرتهم طبيعة الاسلام ذاتها الى هذه العقيدة ؟

وما يعملون إذا قادتهم نصوص القرآن وصحاح السنة ودلائل العقل ؟ ما يعملون اذا قادتهم هذه الحجج كلها قوداً الى هذه النتيجة ؟

والعصمة التي يشترطونها في امام المسلمين ، هل تخرج به عن مصاف البشر ، وتلحقه بعداد الآلهة كما يشتهي أن يقول المتقولون ؟

هل العصمة في ذاتها جزء إلهي حتى اذا اشترطناها فقد قلنا في الخليفة بالحلول ؟ وهل للالوهية أجزاء لتعد العصمة من هذه الأجزاء ، ولتستطيع هذه الفرية أن تقف على قدم ، ألم تشترطها جمهرة المسلمين في رسالة الرسول ؟

فهلا كانت لها هذه اللازمة هناك ؟ وهل نقدها أحد هناك بمثل هذا النقد ؟ العصمة شرط في رسالة الرسول لدى جمهور المسلمين وإن اختلفت فرقهم في تحديد هذا الشرط : أهو العصمة في عهد النبوة فقط أم العصمة حتى فيما قبل هذا العهد ؟

---

(١) بسطنا البحث في دلالة الآية في الجزء الأول من حياة الامام الحسن ص ٦٩ - ٧٤ .

ويقول : وشيعة أهــل البيت وحدهم يقولون : الشرط في رسالة الرسول وفي امامة الامام العصمة في كل أدوار الحياة من جميع أصناف الذنوب، ومن جميع أنواع النقائص حتى من الخطأ والغفلة والسهو .

والعصمة رصيد نفساني كبير يتكون من تعادل جميع القوى النفسانية ، وبلوغ كل واحدة منها أقصى درجة يمكن أن يبلغها الانسان ، ثم سيطرت القوة العقلية على جميـع هذه القوى والغرائز والركائز سيطرة كاملة حتى لا تشذ في أمر ولا تستغل دونها في عمل .

هذه الحصانة الذاتية التي يرتفع بهـا الانسان الأعلى عن الانضاع في طبيعته ، ويمتنع بها عن الانزلاق في ارادته ، ثم عن الانحرافات والالتواءات التي تترسب في منطقـة اللاشعوري وتتحول ـ كما يقول العلماء النفسانيون ـ عقداً نفسية تتحكم في دوافع المرء وفي سلوكه ، وفي اتجاهاته وملكاته وتسوقه من حيث لا يريد الى النشوز عن الحق والشرود عن العدل ، هذه الحصانة الذاتية التي توقظ مشاعر الانسان الكامل فلا يغفل ، ويعتلي بملكاته واشراقه فلا ينزلق ، ولا يكبو ، والتي تكفـل له صحته النفسية من كل وجه ، هذه هي العصمة التي يشترطهـــا مذهب أهل البيت في الرئيس الأعلى لحكومة الاسلام، وفي ظني انه شرط بمنتهى الجلاء كما انه بمنتهى الحكمة .. » (١)

ان المنطق العلمي بجميـع أبعاده يقضي بصحة ما تذهب اليه الشيعة من اعتبار العصمة في أئمة أهل البيت (ع) اما القول المعاكس له فهو بعيد عن منطق الدليل والبرهان .

وبقي هناشيء وهو اعتقاد الشيعة بأن الامام لابد أن يكون أعلم الناس وأفضلهم في مقدراته العلمية ، وقد أوضح هذه الجهـــة وأولاها بمزيد من البيان والاستدلال سماحة المغفور له الشيخ محمد رضا المظفر قال :

(١) الاسلام ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥ .

« أما علمه ـ أي علم الإمام ـ فهو يتلقى المعارف والاحكام الالهية ، وجميع المعلومات من طريق النبي أو الامام من قبله ، وإذا استجد شيء لابد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعهـا الله تعالى فيه فان توجه الى شيء وشاء أن يعلمه من طريق على وجهه الحقيقي لا يخطأ فيه كل ذلك مستند الى البراهين العقلية ، ولا يستند الى تلقينات المعلمين ، وإن كان علمه قابلا للزيادة والاشتداد ، ولذا قال (ص) : « رب زدني علما »

وأضاف يقول بعد الاستدلال على ذلك :

ويبدو واضحاً هذا الأمر في تأريخ الأئمة عليهم السلام كالنبي محمد(ص) فانهم لم يتربوا على أحد ، ولم يتعلموا على يد معلم ، من مبدأ طفولتهم الى سن الرشد حتى القراءة والكتابة ، ولم يثبت عن أحدهم أنه دخـل الكتاتيب أو تتلمذ على تبدل استاذ في شيء من الأشياء مع مالهم من منزلة علمية لا تجارى . وما سئلوا عن شيء إلا أجابوا عليه في وقته ، ولم تمر على ألسنتهم كلمة « لا أدري » ولا تأجيل الجواب الى المراجعة أو التأمل أو نحو ذلك في حين أنك لا تجد شخصاً مترجماً له من فقهاء الإسلام ورواته وعلمائه إلا ذكرت في ترجمته وتربيته وتلمذته على غيره وأخذ الرواية أو العلم على المعروفين وتوقفه في بعض المسائل أو شكه في كثير من المعلومات كعادة البشر في كل عصر ومصر » (١) .

وعرض سماحة الامام كاشف الغطاء الى صفات الإمام (ع) وقال فيما يختص في مواهبه العلمية :

« وأن يكون ـ أي الإمام ـ أفضل أهل زمانه في كل فضيلة وأعلمهم بكل علم لأن الغرض منه تكميل البشر وتزكية النفوس ، وتهذيبها بالعـلم والعمل الصالح « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته

(١) عقائد الإمامية ص ٥١ ـ ٥٤ .

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » والناقص لا يكون مكملا ، والفاقد لا يكون معطياً ، فالامام في الكمالات دون النبي وفوق البشر » (١) .

هذا هو الرأي الصريح للشيعة في علم الامام ، وليس فيه أي غلو كما يتهمهم بذلك خصومهم .

تعيين الامام

وتجمع الشيعة على أن تعيين الامام ليس بيد الأمة ، ولا بيد أهل الحل والعقد منها ، والانتخاب في الإمامة باطل والاختيار فيها مستحيل فحالها كحال النبوة فكما أنها لا تكون بايجاد الانسان ورغبته كذلك الامامة لأن العصمة التي هي شرط في الإمامة - عندهم - لا يعلمها إلا الله المطلع على خفايا النفوس ، ودخائل القلوب ، فهو الذي يمنحها لمن يشاء من عباده ، ويختاره لمنصب الإمامة والخلافة .

وما النبوة والامامة بما هما - منصب آلهي - يجوز فيهما الترشيح والانتخاب ، فان تعيينهما من مختصاته تعالى ، وقد اعلن ذلك الكتاب العزيز قال تعالى : يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق » (٢) وقال تعالى : وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » (٣) وشأن الإمامة كشأن النبوة لا رجوع فيها الى اختيار الشعب وارادته .

ودلتهم على ذلك النصوص المتضافرة عن أئمة أهل البيت (ع) ومن

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ص ١٠٣ ط العرفان .

(٢) سورة ص : آية ٢٦

(٣) سورة القصص : آية ٦٨

تلك النصوص ما استدل به حجة الله على أرضه ، وخليفته على عباده الذي يقيم اعوجاج الحق ، ويصلح ما فسد من نظـــام الدين مهدي هذه الأمة عجل الله فرجه : وذلك عندما سأله سعد بن عبد الله عن العلة التي تمنع من اختيار الناس اماما لأنفسهم فأجابه (ع) قائلا :

- يختارون مصلحاً أو مفسداً ؟

- بل مصلحاً

- فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد بما يخطر ببال غيره من إصلاح أو فساد

- بلى

- فهي العلة أوردها لك ببرهان يثق به عقلك ، اخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل الكتب عليهم ، وأيدهم بالوحي والعصمة ، إذ هم أعلام الأمم ، وأهدى إلى الاختيار ، منهم مثل موسى وعيسى هل يجوز مع وفور عقلها ، وكمال علمها إذا همّا بالاختيار أن تقع خيرتها على المنافق وهما يظنان أنه مؤمن .

- لا

- هذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ، ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ، ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلا ممن لا يشك في ايمانهم واخلاصهم ، فوقعت خيرته على المنافقين قال الله عز وجل: « واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا » الى قوله : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم » فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح ، وهو يظن أنه الأصلح علمنا أن الاختيار ليس إلا لمن يعلم ما تخفي الصدور ، وتكن الضمائر » (١) .

(١) بحار الانوار ١٣/١٢٧

إن الطاقات البشرية قاصرة عن إدراك الأصلح الذي تسعد به الأمة وانما أمر ذلك بيد الله تعالى العالم بخفايا الأمور .

كلمة الامام الرضا

ومن أعمق الأدلة على الإمامة ، واكثرها استيعاباً وشمولا ، وبياناً لمنصبها ، واستحالة الانتخاب فيها حديث الامام الرضا عليه السلام مع عبد العزيز بن مسلم فقد أوضح الامام الكثير من جوانب الامامة ، وفيما يلي بعض نصوص الحديث .

قال عبد العزيز بن مسلم : كنا في أيام علي بن موسى الرضا (بمرو) فاجتمعنا في مسجد جامعها فدار بين الناس أمر الإمامة ، وذكروا كثرة الاختلاف فيها . وبعد انتهاء الحديث ، قمت فدخلت على الامام الرضا عليه السلام فأخبرته بما خاض فيه الناس فتبسم (ع) ثم قال :

« يا عبد العزيز . جهل القوم ، وخدعوا عن أديانهم . إن الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه (ص) حتى أكمل له الدين ، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء ، بين فيه الحلال والحرام . والحدود والاحكام وجميع ما يحتاج اليه كملا ، فقال عز وجل : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (١) وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » (٢) .

وأمر الامامة من تمام الدين ، ولم يمض (ص) حتى بين لأمته معالم دينهم ، وأوضح لهم سبيلهم ، وتركهم على قصد الحق ، وأقام لهم علياً

(١) سورة الأنعام : آية ٣٨

(٢) سورة المائدة : آية ٣

علماً وإماماً ، وما ترك شيئاً تحتاج اليه الأمة إلا بينه ، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله عز وجل ؛ ومن رد كتاب الله تعالى فهو كافر .

هل يعرفون قدر الامامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم ؟ ان الإمامة أجل قدراً ، وأعظم شأنا ، وأعلى مكانا ، وأمنع جانباً ، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم .

إن الإمامة خص الله بها ابراهيم الخليل (ع) بعد النبوة ، والخلة مرتبة ثالثة ، وفضيلة شرفه بها ، وأشاد بها ذكره ، فقال عز وجل : « إني جاعلك للناس إماماً » فقال الخليل سروراً بها : « ومن ذريتي » قال الله عز وجل : « لا ينال عهدي الظالمين » فابطلت هذه الآية امامة كل ظالم الى يوم القيامة ، وصارت في الصفوة ، ثم اكرمه الله عز وجل بأن جعل ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال عز وجل : « ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » (١) فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها النبي (ص) قال عز وجل : « إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » (٢) فكانت له خاصة فقلدها علياً بأمر الله عز وجل على رسم ما فرضه الله عز وجل فصارت له في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والايمان بقوله عز وجل « وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٧٢ - ٧٣

(٢) سورة آل عمران : آية ٦٨

في كتاب الله الى يوم البعث » (١) .

فهي : في ولد علي خاصة الى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد (ص) فمن أين يختار هؤلاء الجهال ؟ إن الإمامة هي منزلة الأنبياء ، وإرث الأوصياء ان الامامة خلافة الله عز وجل ، وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين ، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام .

إن الإمامة زمام الدين ، ونظام المسلمين وصلاح الدنيا ، وعز المؤمنين إن الامامة أسس الاسلام النامي ، وفرعه السامي بالامام تمام الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات ، وامضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور ، والأطراف .

الامام يحل حلال الله ، ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذب عن دين الله ، ويدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة » .

ويسترسل الامام (ع) في حديثه في بيان أوصاف الامام ، وما وهبه الله من الكمال والعبقريات ، وأدلى بعد ذلك بأن الناس عاجزون عن معرفة حقيقته ، وإدراك فضائله فقال :

« فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام ويمكنه اختياره؟ هيهات هيهات !! ضلت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وحسرت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيرت الحكماء ، وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الألباء ، وكلت الشعراء ، وعجزت الأدباء ، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله ، فأقرت بالعجز والتقصير ، وكيف يوصف له ؟ أو ينعت بكنهه ، أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ، ويغني غناه ، لا . وانى . . .

أين الاختيار من هذا ؟

---

(١) سورة الروم : آية ٥٦

أين العقول عن هذا ؟
أين يوجد مثل هذا ؟
ظنوا أن يوجـــد ذلك في غير آل الرسول (ص) ، كذبتهم والله أنفسهم ومنتهم الباطل ، فارتقوا مرتقى صعباً دحضـا ، تزل الى الحضيض أقدامهـم .

راموا إقامة الامام بعقول جائرة . بائرة ناقصة ، وآراء مضلة ، فلم يزدادوا إلا بعداً « قاتلهم الله أنى يؤفكون » لقد راموا صعباً ، وقالوا إفكا « وضلوا ضلالا بعيدا » ووقعوا في الحيرة ، إذ تركوا الامام عن بصـيرة « وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وما كانوا مستبصرين » ورغبوا عن اختيار الله ، واختيار رسوله الى اختيارهم ، والقرآن يناديهم « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » (١) وقال الله عز وجل « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » (٢) وقال عز وجل : « ما لـكم كيف تحكمون أم لـكم كتاب فيه تدرسون إن لـكم فيه لما تخيرون أم لـكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة إن لـكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين » (٣) وقال عز وجل : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (٤) أم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون أم « قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، ان شر الدواب عند الله الصم البـكم الذين لا يعقلون ، ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم

(١) سورة القصص ـ آية ٦٨
(٢) سورة الأحزاب : آية ٣٦
(٣) سورة القلم : آية ٣٦ ـ ٤١ .
(٤) سورة محمد : آية ٢٤ .

لتولوا وهم معرضون » (١) و « قالوا سمعنا وعصينـــا » (٢) بل هو « فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (٣) .

فكيف لهم باختيار الامام ؟ ! ! والامام عالم لايجهل ، راع لاينكل معدن القدس والطهارة ، والنسك والزهادة ، والعـــلم والعبادة ، مخصوص بدعوة الرسول ، وهو من نسل المطهرة البتول ، لا مغمز فيه في نسب ، ولا يدانيه ذو حسب ، فالنسب من قريش ، والذروة من هاشم ، والعترة من آل الرسول (ص) والرضا من الله ، شرف الأشراف ، والفرع من عبد مناف ، نامي العلم ، كامل الحلم ، مضطلع بالامامة عالم بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله عز وجل ، ناصح لعبـــاد الله ، حافظ لدين الله .

وتعرض (ع) بعد هذا الى علم الأنبياء والأئمة فقال :

« إن الأنبيـاء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ، ويؤتيهم من مخزون علمه . وحكمه ما لايؤتيه غيرهم ، فيكون علمهم فوق كل علم أهل زمانهم ، ثم انظروا في قوله تعالى : « أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون » (٤) وقوله عزوجل : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً (٥) وقوله عزوجل في طالوت « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء

---

(١) سورة الأنفال : آية ٢١ ـ ٢٣

(٢) سورة البقرة : آية ٩٣

(٣) سورة الحديد : آية ٢١

(٤) سورة يونس : آية ٣٥

(٥) سورة البقرة : آية ٢٦٩

والله واسع عليم » (١) وقال عز وجل لنبيه : « وكان فضل الله عليك عظيما » وقال عز وجل في الأئمة من أهل بيت نبيه (ص) وعترته وذريته « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا » (٢) وان العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمور عباده شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة ، وألهمه العلم إلهاما فلم يع بعده بجواب ، ولا يحيد فيه عنه الصواب ، وهو معصوم ، مؤيد ، موفق مسدد ، قد أمن الخطايا والزلل ، والعثار ، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وشاهده على خلقه ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

فهل يقدرون على مثل هذا فيختاروه ؟ ! أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدموه ، تعدوا وبيت الله الحق ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، وفي كتاب الله الهدى والشفاء فنبذوه ، واتبعوا أهواءهم فذمهم الله ومقتهم وأتعسهم ، فقال عز وجل : « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين » (٣) وقال عز وجل : « فتعساً لهم وأضل أعمالهم » (٤) وقال عز وجل : « كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » (٥) .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٤٧

(٢) سورة النساء : آية ٥٤ ـ ٥٥

(٣) سورة القصص : آية ٥٠

(٤) سورة محمد : آية ٨

(٥) سورة المؤمن : آية ٣٥

وانتهى بذلك حديث الامام (ع) (١) وهو حافل بأروع صور الاستدلال والحجة على ضرورة الإمامة ، واستحالة الاختيار والانتخاب فيها ، ووجوب رجوع التعيين في ذلك الى الله تعـالى وحده فهو الذي يختار لهذا المنصب الرفيع من يشاء من عباده ممن تتوفر فيه صفات الخير والكمال ، وطهـارة النفس ، وصفاء الذات ، وعدم الانقياد والخضوع لدواع الهوى ، ونوازع الشرور والغرور حتى يصلح لهداية الناس ، واصلاحهم ، وغرس روح الثقة والفضيلة في نفوسهم .

نصوص الامامة :

إن تعيين الامام عند الشيعة ينحصر في النص ، ولا سبيل لغيره في ذلك ، وعليه فيجب على النبي (ص) أن يعين من يخلفه من بعده ، وكذلك يجب على الامام من بعده أن ينص على الخلف الذى يجب أن يرجع اليه الناس ، وقد حفلت جميع كتب الحديث التي تعرض لهذه المواضيع بتدوين صور النصوص في ذلك فقد قال (ص) في أمير المؤمنين (يوم الدار) : « هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا » (٢) وأخرج الطبراني بالاسناد الى سلمان الفارسي ، قال : قال رسول الله (ص) : إن وصي وموضع سري ، وخير من أترك بعدي ، وينجز عدتي ، ويقضي ديني علي بن أبي طالب (٣) وأخرج أبو نعيم الحافظ في « حلية الأولياء » عن أنس قال : قال رسول الله (ص) : يا أنس أول من يدخل عليك من

(١) عيون أخبار الرضا ١/٢١٦ ـ ٢٢٢ أصول الكافي .

(٢) كنز العمال ٦/٣٩٢ وغيره .

(٣) كنز العمال ٦/١٥٤

هذا البـــاب إمام المتقين ، وسيد المسلمين ، وقائد الغر المحجلين ، وخاتم الوصيين ، قال أنس : فجاء علي ، فقام رسول الله (ص) مستبشراً فاعتنقه وقال له : أنت تؤدي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي (١) .

وأخرج الطـبراني في الكبير بالاسناد الى أبي أيوب الانصـــاري عن رسول الله (ص) قال : يا فاطمة . أما علمت أن الله عز وجل اطاع على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبيا ، ثم اطاع الثانية فاختار بعلك فأوحى إلي فأنكحته ، واتخذته وصيـا (٢) .

وروى المحب الطبري بسنده عن أنس قال : قلنا لسلمان سل النبي (ص) من وصيه ؟ فقال سلمان : يارسول الله من وصيك ؟ قال : ياسلمان من كان وصي موسى ؟ قال : يوشع بن نون قال : فان وصي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب (٣) .

وروى المحب الطبري عن بريدة قال : قال رسول الله (ص) : لكل نبي وصي ووارث ، وان علياً وصي ووارثي (٤) .

ووردت نصوص نبوية متواترة رواها الفريقان في امامة السبطين والريحانتين عليهما السلام فقد قال (ص) فيهما : « أنتما الامامان ولأمكما الشفاعة » (٥) وقال (ص) وهو يشير الى الحسين : هـــذا إمام ابن امام أخو إمـــام

(١) حلية الأولياء ٦٣/١

(٢) كنز العمال ١٥٣/٦ مجمع الزوائد ٣٥٣/٨

(٣) الرياض النضرة ١٧٨/٢

(٤) الرياض النضرة ١٧٨/٢ وفي كنوز الحقـــائق للمناوي ص ١٢١ انه (ص) قال : « لكل نبي وصي ووارث ، وعلى وصي ووارثي » .

(٥) الاتحـاف بحب الاشراف ص ١٢٩ ، نزهة المجالس ١٨٤/٢ .

أبو أئمة تسعة (١) وأخرج الصدوق في الاكمال بالاسناد الى سلمان قال : دخلت على النبي (ص) فاذا الحسين بن علي على فخذه وهو يلثم فاه ، ويقول : أنت سيد ابن سيد ، أنت إمام ابن إمام أخو إمام أبو الأئمة ، وأنت حجة الله وابن حجته ، وأبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم (٢) .

واستفاضت كتب الحديث بنصوص نبوية أخرى تحصر الامامة في اثني عشر اماما كلهم من قريش فقد روى جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله (ص) - يوم جمعة عشية رجم الأسلمي - يقول : لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ، ويكون عليهم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش (٣) وأخرج الصدوق في الاكمال بسنده الى الامام الصادق (ع) عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله (ص) : الأئمة اثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم هم خلفائي وأوصيائي (٤) .

وروى الحافظ أبو نعيم بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) من سره أن يحيي حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتد بالأئمة من بعدي فانهم عترتي خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهما وعلما ، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي » (٥) .

---

(١) منهاج السنة ٢١٠/٤

(٢) المراجعات ص ٢٢٨

(٣) صحيح مسلم كتاب الامارة ، مسند الامام أحمد بن حنبل ٨٩/٥ صحيح البخاري ١٦٤/٤

(٤) المراجعات ص ٢٢٧

(٥) حلية الأولياء ٨٦/١

ويضاف الى تلك النصوص النبوية ، النصوص التي رواهـا الثقات والمتحرجون في دينهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في نص كل إمام منهم على الامام الذي يخلفه من بعده ، فقد أوصى أمير المؤمنين (ع) حينما حضرته الوفاة الى ولـده الامام الحسن (ع) وقال له : « يا بني أمرني رسول الله أن أوصي اليك ، وأن أدفع اليك كتبي وسلاحي ، كما أوصى إلي رسول الله (ص) ، ودفع إلي كتبه وسلاحه ، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعهـا الى أخيك الحسين » ثم أقبـل على الحسين فقال : « وأمرك رسول الله أن تدفعهـا إلى ابنك هذا — وأشار الى زين العابدين — ثم أخذ بيد علي بن الحسين وقال : « وأمرك رسول الله أن تدفعهـا الى ابنك محمد . فاقرءه من رسول الله ومني السلام » (١) .

وهناك مئات أمثال هذه النصوص حفلت بها كتب الحديث وهي تدل على لزوم النص في الامامة ، وبطلان غيره وقد أخذت بها الشيعة في بناء عقيدتها في الامامة .

النص على امامته :

وعرف الامام الصادق (ع) شيعته بامامة ولده موسى (ع) منذ أن أشرقت الدنيا بولادته ، وكان في كل مناسبة يحيطهم علما بذلك ويوصيهم بضرورة الكتمان خوفاً عليهم وعلى ولده من السلطة الحاكمة ، ولما أخذ (ع) بعنق السبعين من سني حياته هرعت اليه طائفة من الشيعة تسأله عن الامام من بعده لتعقد له الولاء والطاعة ، وترجع اليه في أمور دينها فأجابهم (ع) بأن الحجة من بعده ولده موسى (ع) ، وفيما يلي عرض لتلك النصوص :

(١) كشف الغمة ١٥١ ، أصول الكافي .

١ ـ المفضل بن عمر :

والمفضل بن عمر الجعفي (١) من عيون الشيعة وأعلامها البارزين ، وقد سأل الامام جعفر بن محمد عليه السلام عن الحجة من بعده ليتولاه ويدين بامامته فقال (ع) :

« يامفضل ، الامام من بعدي ابني موسى ، الخلف المأمول المنتظر »(٢)

٢ ـ يزيد بن سليط :

ويزيد بن سليط ثقة أمين من أهل الورع والعلم (٣) قصد بيت الله الحرام ومعه زمرة من أصحابه فالتقى في أثناء الطريق بالامام أبي عبـد الله وكان معه ولده وحاشيته فبادر إلى الامام يسأله عن الحجة من بعده قائلا:

« بأبي أنتم وأمي ، أنتم الأئمة المطهرون ، والموت لا يعرى منه أحد فمن القائم من بعدك ؟ فأشار (ع) الى ولده موسى وأخذ يبين له ما تحلى به ولده من المثل العليـا قائلا :

« فعنده علم الحكمة ، والفهم ، والسخاء ، والمعرفة بما يحتاج الناس اليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم ، وفيه حسن الخلق ، وحسن الجوار ، وهو باب من أبواب الله ، وفيه أخرى هي خير من هذا كله . . » .

ـ بأبي أنت وأمي ، وما هي ! ! ؟

ـ يخرج الله تعالى منه غوث هذه الأمة ، وغياثها ، وعلمها ، ونورها وفهمها ، وحكيمهـا ، خير مولود وخير ناشيء ، يحقن الله به الدماء ، ويصلـح به ذات البين ، ويلم به الشعث ، ويشعب به الصدع ، ويكسو به العاري ، ويشبع به الجائع ، ويؤمن به الخائف ، وينزل به القطر ، ويأتمر

---

(١) تأتي ترجمته في كوكبة الرواة والأصحاب .

(٢) البحار : (ج ١١ ص ٢٣٤) الارشاد .

(٣) تأتي ترجمته .

له العباد ، خير كهل ، وخير ناشيء . قوله حكم ، وصمته علم يبين للناس ما يختلفون فيه . . » (١) .

وقد أخبر (ع) بما منح الله به ولده بأن جعل من ذريته مهدي آل محمد (ع) الذي بشر به النبي والأئمة من بعده ، وهو الذي يقيم الاعوجاج ويصلح مافسد من نظام الدنيا والدين ، ولا يخرج حتى يسود الفساد ويعم الظلم وتنتشر الفوضى ، ويشيع التفسخ : وتموج الأرض بالفتن والاضطراب عجل الله فرجه ، وجعلنا من دعاته وأنصاره .

٣ ـ داود بن كثير :

وهرع داود بن كثير ، الى الامام أبي عبد الله يسأله عن الامام من بعده قائلا :

جعلني الله فداك ، وقد مني للموت قبلك ، إن كان كون فالى من أرجع ؟

ـ إلى ابني موسى .

واطمأن داود بذلك ، واستراح ضميره فلم يداخله الشك ولم يتحير في معرفة الامام كما حدث بذلك بقوله : « ما شككت في موسى طرفه عين (٢) .

٤ ـ الفيض بن المختار :

وتشرف الفيض بزيارة الامام أبي عبد الله عليه السلام فجرى بينهما حديث في شأن أبي الحسن موسى ، وبينما هما يتحدثان في أمره إذ دخل الامام موسى فالتفت أبو عبد الله الى الفيض قائلا :

« يا فيض هو صاحبك الذي سألت عنه ، فقم فقر له بحقه » .

---

(١) البحار : (ج ١١ ص ٢٣٤) .

(٢) نفس المصدر .

فاندفع الفيض يلثم يد الامام ورأسه ، ويدعو الله له بالبقاء والحياة ، والتفت الى أبي عبد الله قائلا :

- جعلت فداك أفأخبر به أحداً . . ؟

- نعم أهلك ، وولدك ، ورفقاءك .

وبهذا نقف على مدى التكتم الشديد من الامام وشيعته ، خوفاً من السلطة الجائرة ، وانبرى الفيض إلى خاص أصحابه فأتحفهم بهذا النبأ المسر وكان من جملتهم يونس بن ظبيان ، فأراد أن يزداد يقيناً فبادر الى ثوى الامام فلما انتهى اليه بادر اليه الامام أبو عبد الله قائلا :

« يا يونس ، الأمر كما قال لك الفيض » .

فانصرف يونس وهو مثلوج القلب قد غمره الفرح والسرور بهذه النعمة التي ظفر بها (١) .

٥ - ابراهيم الكرخي :

وزار ابراهيم الكرخي الامام جعفر بن محمد (ع) وبينما هو جالس بخدمة الامام إذ أقبل أبو الحسن موسى فقام اليه ابراهيم اجلالا ، فالتفت اليه أبو عبد الله .

« يا ابراهيم : اما إنه صاحبك من بعدي ، اما ليهلكن فيه قوم ، ويسعد فيه آخرون ، فلعن الله قاتله ، وضاعف العذاب على روحه ، اما ليخرجن الله من صلبه خير أهل الأرض في زمانه سمي جده - يعني محمد المهدي عجل الله فرجه سمي النبي وشبيهه في تحطيمه للظلم والقضاء على الظالمين - ووارث علمه ، يقتله جبار بني فلان بعد عجائب طريفة حسداً له ولكن الله بالغ أمره ولو كره المشركون » .

وأخذ يتحدث عن ولده ، وما منحه الله من اللطف والكرامة قائلا :

(١) أصول الكافي : (ج ١ ص ٣٠٩) البحار) ج ١١ ص ٢٣٤) .

« يخرج الله من صلبه تمام اثني عشر مهدياً ، اختصهم الله بكرامته ، وأحلهم دار قدسه ، المقر بالثاني عشر منهم كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله (ص) يذب عنه » .

ولما انتهى (ع) الى هذه الفقرات من حديثه دخل عليه بعض عملاء الأمويين فقطع (ع) الحديث ، وأراد ابراهيم إتمامه فلم يظفر به فرحل عن يثرب الى وطنه ولما كان العام المقبل تشرف بالمثول بين يدي الامام وهو يتحرق شوقا الى سماع بقية كلامه فأدرك عليه السلام ذلك فقال :

« يا ابراهيم : المفرج الكرب عن شيعته بعد ضنك شديد ، وبلاء طويل ، وجزع وخوف ، فطوبى لمن أدركه ، ثم قال له : حسبك ياابراهيم » .

وفرح ابراهيم بهذ الكلام من حديث الامام وانطلق يقول :

« ما رجعت بشيء أسر من هذا لقلبي ، ولا أقر لعيني » (١) .

٦ ـ عيسى العلوي :

ودخل عيسى بن عبد الله العلوي على الامام جعفر بن محمد يسأله عن الحجة من بعده قائلا :

« إن كان كون ـ ولا أراني الله ذلك ـ فبمن أءتم ؟ » .

فأومأ عليه السلام الى ولده موسى فانبرى عيسى قائلا :

ـ فان حدث بموسى حدث فبمن أءتم ؟ .

ـ بولده .

ـ فان حدث بولده حدث ، وترك أخاً كبيراً وابناً صغيراً فبمن أءتم ؟ .

ـ بولده ، ثم هكذا أبداً .

ـ فان لم أعرفه ، ولا أعرف موضعه ؟ .

(١) البحار : (ج ١١ ص ٢٣٥) .

ـ تقول : اللهم : إني أتولى من بقى من حججك من ولد الامام الماضي فان ذلك يجزيك . . » (١) .

٧ ـ معاذ بن كثير :

وقصد معاذ بن كثير (٢) الامام الصادق يسأله عن الامام الذي يتولاه من بعده قائلا :

« أسأل الله الذي رزق أباك منك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك قبل المات مثلها . . » .

ـ قد فعل الله ذلك .

ـ من هو جعلت فداك ؟ .

فأشار الى ولده موسى وهو راقد قائلا : هذا الراقد ، وكان آنذاك غلاماً (٣) .

٨ ـ منصور بن حازم :

ودخل منصور بن حازم على الامام أبي عبد الله يطلب منه تعيين الامام من بعده قائلا :

ـ بأبي أنت وأمي إن الأنفس يغدا عليها ويراح فاذا كان ذلك فمن ؟

فقال أبو عبد الله : فهذا هو صاحبكم ، وأشار الى أبي الحسن موسى ثم وضع يده على منكب ولده مدلا عليه ، وكان عمره آنذاك خمس سنين (٤) .

---

(١) أصول الكافي : (ج ١ ص ٣٠٩) البحار : (ج ١١ ص ٢٣٥)

(٢) معاذ بن كثير الكسائي الكوفي من خواص الامام أبي عبد الله ، ومن فقهاء هذه الطائفة وأحد أعلامها ، جاء ذلك في التعليقات : (ص ٣٣٥) .

(٣) كشف الغمة : (ص ٢٤٤) أصول الكافي : (ج١ ص ٣٠٨) البحار : (ج ١١ ص ٢٣٥) الارشاد : (ص ٢٦٤) .

(٤) أصول الكافي : (ج ١ ص ٣٠٩) .

٩ ـ سليمان بن خالد :

وحدث سليمان بن خالد قال : كنت جالسا أنا وجماعة من أصحابي عند الامام أبي عبد الله عليه السلام فدعا (ع) ولده موسى فلما مثل بين يديه التفت الى أصحابه قائلا :

« عليكم بهذا بعدي ، فهو والله صاحبكم » (١) .

١٠ ـ صفوان الجمال :

تقدم نص حديثه الذي استدللنا به على ذكاء الامام وعبقريته في دور طفولته .

١١ ـ اسحاق بن جعفر :

وحدث اسحاق بن الامام الصادق قال : كنت عند أبي فسأله عمران ابن علي عن الامام من بعده قائلا :

ـ جعلت فداك الى من نفزع ويفزع الناس بعدك ؟ .

ـ الى صاحب الثوبين الأصفرين الطالع عليكم من الباب .

فجعل علي يتشوف ويترقب الداخل من الباب فلم يلبث أن خرج اليهم الامام موسى ، وهو صبي يافع وعليه ثوبان اصفران ، وعنده غديرتان (٢) .

١٢ ـ علي بن جعفر :

وروى علي نجل الامام الصادق عليه السلام ، قال : « سمعت أبي جعفر ابن محمد (ع) يقول لجماعة من خاصته وأصحابه ، استوصوا بابني موسى خيراً فانه أفضل ولدي ، ومن اخلف بعدي ، وهو القائم مقامي والحجة لله تعالى على كافة خلقه » (٣) .

---

(١) الارشاد : (ص ٢٦٥) أصول الكافي : (ج ١ ص ٣١٠) .

(٢) كشف الغمة : (ص ٢٤٤) الارشاد : (ص ٢٦٥) البحار .

(٣) كشف الغمة : (ص ٢٤٤) الارشاد : (ص ٢٦٦) .

١٣ - يزيد بن اسباط :

ودخل يزيد بن اسباط على الامام أبي عبد الله (ع) عائداً له في مرضه الذي توفي فيه . فالتفت له الامام قائلا :

« يا يزيد أترى هـذا - وأشار لولده موسى - إذا رأيت الناس قد اختلفوا فيه ، فاشهد عليّ بأني اخبرتك أن يوسف انما كان ذنبه عند اخوته حتى طرحوه في الجب ، الحسد له حين اخبرهم أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين وكذلك لابد لهذا الغلام من أن يحسد ... » .

ثم استدعى بأولاده عبـد الله واسحاق ومحمد والعبـاس ، وموسى فقـال لهم :

« هذا - وأشار لولده موسى - وصي الأوصيـاء ، وعالم العلماء ، وشهيد على الأموات والأحياء . . » (١) .

١٤ - سلمة بن محرز :

وندد بعض المنـافقين من العجلية في عقيدة الشيعة التي تنص على أن الامام لابد أن يخلفه إمام ، والامام الصادق ليس له خلف ليقوم مقامه ، وقد ذكر ذلك أمام سلمة بن محرز فلما سمع كلامه فزع الى الامام (ع) - وهو متألم - لينقـل له حديثه ويطلب منه تعيين الامام من بعده قائلا :

« سيدي : إن رجلا من العجلية ، قال لي : كم عسى أن يبقى لـكم هذا الشيخ - يعني أبا عبد الله - إنمـا سنة أو سنتان حتى يموت ، ثم تصيرون ليس لـكم أحد تنظرون اليه . . . » .

- فقال له أبو عبد الله : ألا قلت له : هذا موسى بن جعفر قد أدرك ما يدرك الرجال . . . الخ (٢) .

---

(١) البحار : (ج ١١ ص ٢٣٦) .

(٢) البحار : (ج ١١ ص ٢٣٧) .

١٥ ـ زرارة بن أعين :

وروى زرارة بن اعين (١) قال : دخلت على أبي عبد الله (ع) وكان عنده سيد ولده أبو الحسن موسى ، وفي مجلسه جثمان قد غطي بثوب فأمرني أبو عبد الله (ع) أن أحضر له داود الرقي ، ، وحمران وأبا بصير ، فخرجت لدعوتهم فصادفني المفضل بن عمر قاصداً نحو الامام ، ورأيت الناس تتوافد على بيت الامام : فمضيت مسرعا فدعوت القوم اليه فلما تشرفوا بمقابلته التفت (ع) الى داود الرقي فقال له : اكشف عن وجه اسماعيل ، فكشف عن وجهه وإذا به جثة هامدة لا حراك فيها فقال عليه السلام لداود :

ـ يا داود : أهو حي أم ميت ؟

ـ يا سيدي : بل هو ميت .

وجعل يعرض ذلك على جميع حضار مجلسه يشهدهم على وفاته ، ويطلب منهم الاقرار والاعتراف بموته ، وانما فعل دلك ليفند مزاعم بعض الشيعة الذين ذهبوا الى أن اسماعيل هو الامام بعد أبيه نظراً لصلاحه ووفور علمه

(١) زرارة بن أعين الشيباني من أقطاب الشيعة وفي طليعة علمائها في الفقه والحديث والكلام ـ كما قال ابن النديم ـ وقد اعتز به الامام أبو عبدالله عليه السلام فنصبه علما للفتيا بين شيعته ، وقال للفيض بن المختار : « إذا أردت حديثاً فعليك بهذا الجالس وأومأ بيده الى زرارة » وقال عليه السلام : « لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي » وروى زرارة الكثير من فقه أهل البيت وأحاديثهم وكل ما رواه فهو صحيح مقبول ، ونظراً لاتصاله الوثيق وقربه بأهل البيت فقد طعن فيه أعدائهم ومخالفوهم فاتهموه بشتى التهم والطعون ، ولم يحط ذلك من كرامته ومنزلته ، فقد عرف الجميع ما لزرارة من أياد بيضاء على العلم والدين ، توفي رحمه الله سنة ١٥٠ هـ راجع ترجمته في النجاشي والكشي والفهرست والتعليقات ولسان الميزان وغيرها .

فأراد (ع) أن يثيبهم الى الرشاد ، ويرجعهم الى الصواب ، ويدلهم على أن الامام من بعده ولده موسى ؛ ثم أنه أمر بتجهيزه فغسل وأدرج في اكفانه ثم أمر المفضل بن عمر أن يحسر عن وجهه ثانيا ليراه الناس ويقطعوا بموته حتى لا يبقى مجال للشك في ذلك ، وبعد هذا أراد الزيادة في التأكيد ونفي الريب فالتفت الى جميع أصحابه قائلا :

ـ أهو حي أم ميت ؟ .

فهتفوا جميعا معترفين بموته فرفع (ع) يديه الى السماء وانطلق يقول :

« اللهم : اشهد فانه سيرتاب فيه المبطلون ، يريدون إطفاء نور الله ـ وأشار لولده موسى ـ بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره المشركون »

ثم إنه أمر أن يوارى الجثمان في مقره الأخير ، وبعد أن وسد في ملحود قبره وأهيل عليه التراب التفت الى أصحابه ليرفع عنهم الشبه والظنون قائلا:

« الميت ، المكفن ، المحنط ، المدفون في هذا اللحد من هو ؟ .

فانبروا جميعاً قائلين : إنه اسماعيل ، فقال (ع) : اللهم ، اشهد ، ثم أخذ بيد ولده موسى وهو يقول :

« هو الحق ، والحق معه ومنه الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . . » (١) .

وقد فند (ع) بهذه التصريحات المتكررة الشبه التي حامت عند بعض أصحابه حول إمامة ولده اسماعيل ، وقد بين لهم غير مرة أن الامامة ليست بيده وإنما هي بيد الله تعالى فهو الذي يمنحها لمن يشاء من عباده ، وقد روى أبو بصير قال : كنت عند أبي عبد الله (ع) فذكر أصحابه الأوصياء وذكروا اسماعيل ، فالتفت إلي الامام قائلا :

ـ لا والله ، يا أبا محمد ، ما ذاك الينا ، وما هو إلا الله عز وجل ينزل

---

(١) البحار : (ج ١١ ص ٢٣٧) .

واحداً بعد واحد . . » (١) .

وقد صرح (ع) بأن تعيين الامام لا يرجع اليه وانما هو بيد الله تعالى فهو الذي يختاره من بين عباده ممن تتوفر فيـــه النزعات الخيرة والمواهب الكريمة وليس لأحد ـ بعد ذلك ـ أن يختار ، وقد عرف ذلك وآمن به الخواص من الشيعة كما حدث بذلك ظريف بن ناصح (٢) قال : كنت مع الحسين بن زيد ومعه ابنه علي إذ مر بنا أبو الحسن موسى عليـــه السلام فسلم وانصرف ، فقلت للحسين :

« جعلت فداك يعرف موسى بقائم آل محمد (ع) ؟ » .

ـ إن يكن أحد يعرفه فهو ، ثم قال : وكيف لا يعرفه ؟ ! وعنده خط علي بن أبي طالب وإملاء رسول الله (ص) » .

فانبرى اليه ولده قائلا :

ـ كيف لم يكن ذلك عند أبي زيد بن علي ؟!.

ـ يا بني : إن علي بن الحسين ، ومحمد بن علي سيدا الناس وإماماهم فلزم ـ يا بني ـ أبوك زيد أخاه ، وتأدب بأدبه ، وتفقه بفقهه .

ـ يا أبة : ان حدث بموسى (ع) حدث يوصي الى أحد من اخوته .

ـ لا ـ والله لا يوصي إلا الى ابنه . . » (٢) .

١٦ ـ بعض الشيعة :

ودخـــل على الامام بعض شيعته يطلب منه أن يعين له الامام من

---

(١) البحار : (ج ١١ ص ٢٢٧) .

(٢) ظريف بن ناصح : كوفي نشأ ببغداد ثقة في حديثه ، ألف عدة كتب منها كتاب (الديات) ، وكتاب (الحدود) ، وكتاب (النوادر) جاء ذلك في التعليقات ص ١٨٦ .

(٢) زيد بن علي ص ١٩٣ نقلا عن قرب الاسناد مخطوط .

بعده فقال (ع) :

« سابعكم قائمكم ألا وهو سمي صاحب التوراة ـ يعني موسى بن عمران عليه السلام ـ (١) .

١٧ ـ بعض أصحابه :

وتشرف بعض أصحاب الامام بمقابلته فطلب منه أن يعين له الحجة من بعده فقال (ع) له : عد الأيام فعدها من الأحد حتى بلغ السبت فقال له الامام :

ـ كم عددت ؟ .

ـ سبعة .

فانبرى قائلا : سبت السبوت ، وشمس الدهور ، ونور الشهور ، من لا يلهو ، ولا يلعب ، وهو سابعكم قائمكم ، ثم أشار لولده موسى (٢) .

الى هنــا ينتهي بنا الحديث عن بعض النصوص الواردة من الامام جعفر بن محمد (ع) في إمامة ولده أبي الحسن موسى (ع) ، وهي تفيــد القطع بامامته ، والامامة ـ كما ذكرنا ـ من أهم الطاف الله تعالى التي خص بها أئمة أهل البيت ، فبها تلتقي جميع عناصر الصلاح والكمال ، ونعرض فيما يلي الى بعض مثله الأخرى التي تكشف عن سر إمامته .

مواهبه العلمية :

كان الامام موسى (ع) أعلم أهل عصره بجميع أنواع العلوم العقلية والنقلية ، وكان علمه إلهامياً كعلم الأنبياء والأوصياء لا كسبياً كبقية الناس

(١) دائرة المعارف لفريد وجدي : (ج ٩ ص ٥٩٤) الملل والنحل

(٢) نفس المصدر .

وقد أقام المتكلمون من الشيعة على ذلك سيلا من الأدلة لا تقبل الجدل والشك وشهد للامام موسى (ع) بوفور علمه أبوه الامام جعفر بن محمد فقال في حقه لعيسى :

« إن ابني هذا لو سألته عما بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم »

وقال فيه :

« وعنده علم الحكمة ، والفهم ، والسخاء ، والمعرفة بما يحتاج اليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم » .

ويكفي للتدليل على سعة علومه رواية العلماء عنه جميع الفنون من علوم الدين وغيرها مما ملأوا به الكتب ، وألفوا المؤلفات الكثيرة ، حتى عرف بين الرواة بالعالم ، وقال الشيخ المفيد :

وقد روى الناس عن أبي الحسن موسى فأكثروا ، وكان أفقه أهل زمانه (١) .

عبادته وتقواه :

نشأ الامام موسى في بيت القداسة والتقوى ، وترعرع في معهد العبادة والطاعة ، بالاضافة الى أنه ورث من آبائه حب الله والايمان به والاخلاص له فقد قدموا نفوسهم قرابين في سبيله ، وبذلوا جميع إمكانياتهم في نشر دينه والقضاء على كلمة الشرك والضلال ؟ فأهل البيت أساس التقوى ومعدن الايمان والعقيدة ، فلولاهم ما عبد الله عابد ولا وحده موحد . وما حقت فريضة ، ولا أقيمت سنة ، ولا ساغت في الاسلام شريعة .

لقد رأى الامام (ع) جميع صور التقوى ماثلة في بيته ، فكان أبوه

(١) الارشاد : ص ٢٧٢ .

الامام الصادق (ع) لا يخلو ـ كما يقول مالك ـ من خصال ثلاث : اما صائما واما قائما ، واما ذاكراً ، وكان يطعم الفقراء ويكسوهم حتى لم يبق لعياله شيء من طعـام وكسوة (١) بذل كل ذلك بسخاء في سبيل الله والتقرب اليه .

رأى الامام موسى ذلك من أبيه فتطبع عليه وصار من مقومات ذاته ومن عناصر شخصيته ، وحدث المؤرخون أنه كان أعبد أهل زمانه (٢) حتى لقب بالعبد الصالح ، وبزين المجتهدين إذ لم تر عين انسان نظيراً له قط في الطاعة والعبادة ، ونعرض انموذجاً من مظاهر طاعته وعبادته :

أ ـ صلاته :

إن أجمل الساعات وأثمنها عند الامام (ع) هي الساعات التي يخلو بها مع الله عز اسمه فكان يقبل عليه بجميع مشاعره وعواطفه وقد حدث الرواة أنه إذا وقف بين يدي الله تعالى مصلياً أو مناجيا أو داعيا ارسل مافي عينيه من دموع ، وخفق قلبه ، واضطرب موجدة وخوفا منه ، وقد شغل أغلب أوقاته في الصلاة فكان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ، ثم يعقب حتى تطلع الشمس ، ويخر لله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتى يقرب زوال الشمس (٣) ، من مظاهر طاعته انه دخـل مسجد النبي (ص) في أول الليل فسجد سجدة واحدة وهو يقول بنبرات تقطر إخلاصا وخوفا منه :

« عظم الذنب عندي ، فليحسن العفو من عندك ، يا أهل التقوى ، ويا أهل المغفرة » .

---

(١) صفوة الصفوة : (ج ٢ ص ٩٨) .

(٢) جوهرة الكلام : ص ١٣٩ .

(٣) كشف الغمة : ص ٢٧٦ .

وجعل يردد هذه الكلمات بانابة وخشوع وبكاء حتى أصبح الصبح (١)

ولما أودعه طاغية زمانه الملك هارون الرشيد في ظلمات السجون تفرغ للطاعة والعبادة حتى بهر بذلك العقول وحير الألباب ، فقد شكر الله على تفرغه لطاعته قائلا :

« اللهم ، إني طالما كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك ، وقد استجبت مني فلك الحمد على ذلك . . » (٢) .

لقد ضرب الامام الرقم القياسي للعبادة فلم يضارعه أحد في طاعته واقباله على الله ، فقد هامت نفسه بحبه تعالى ، وانطبع في قلبه الايمان العميق ؟

وحدث الشيباني (٣) عن مدى عبادته ، فقال :

كانت لأبي الحسن موسى (ع) في بضع عشر سنه سجدة في كل يوم بعد ابيضاض الشمس الى وقت الزوال (٤) ، وقد اعترف عدوه هارون الرشيد بأنه المثل الأعلى للانابة والايمان ، وذلك حينما أودعه في سجن

---

(١) وفيات الأعيان : (ج ٤ ص ٢٩٣) وكنز اللغة : ص ٧٦٦ ،

(٢) وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٢٩٣) المناقب (ج ٢ ص ٣٧٩)

(٣) الشيباني : هو أبو عبد الله محمد بن الحسن مولى لبني شيبان حضر مجلس أبي حنيفة سنين ، وتفقه على أبي يوسف ، وصنف الكتب الكثيرة ونشر علم أبي حنيفة وقال الشافعي : حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير وقال أيضا : ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت في وجهه الكراهة إلا محمد بن الحسن . توفي بالري سنة ١٨٧ هـ وهو ابن ثمان وخمسين سنة جاء ذلك في طبقات الفقهاء : ص ١١٤ .

(٤) البحار : (ج ١١ ص ٢٩٨) .

الربيع (١) فكان يطل من أعلى القصر فيرى ثوباً مطروحا في مكان خاص

(١) الربيع بن يونس كان حاجبا للمنصور ثم صار وزيراً له بعد أبي أيوب ، وكان المنصور كثير الميل اليه حسن الاعتماد عليه قال له يوما : ويحك ، يا ربيع ما أطيب الدنيا لولا الموت ، فقال له الربيع : ما طابت الدنيا إلا بالموت ، قال له : وكيف ذلك ؟ فأجابه لولا الموت لم تقعد هذا المقعد ، فقال له : صدقت ، وقال له المنصور : لما حضرته الوفاة بعنا الآخرة بنومة ، ويقال إن الربيع لم يكن له أب يعرف ، وان بعض الهاشميين وفد على المنصور فجعل يحدثه ويقول له : كان أبي رحمه الله ، وكان ، وكان ، وأكثر من الترحم عليه ، فقال له الربيع : كم تترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين ؟ فقال له الهاشمي : أنت معذور لأنك لا تعرف مقدار الآباء فخجل ، أشد الخجل ، ومن أبدع الصدف التي اتفقت للربيع مع المنصور انه لما دخل المدينة قال له : ابغني رجلا عاقلا عالما ليوقفني على دورها فقد بُعد عهدي بديار قومي ، فالتمس له الربيع فتى من أعلم الناس وأعقلهم ، فكان لا يبتدىء بالاخبار عن شيء حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة وأجود بيان وأوفى معنى ، فأعجب المنصور به فأمر له بمال فتأخر عنه ، ودعته الضرورة الى استنجازه ، فاجتاز المنصور ومعه الفتى ببيت عاتكة الأموية ، فقال له : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص بن محمد الانصاري :

يا بيت عاتكة الذي أتغزل ... حذر العدى وبه الفؤاد موكل

إني لأمنحك الصدود وانني ... قسماً اليك مع الصدود لأميل

ففكر المنصور في قوله ، وقال إنه لم يخالف عادته بابتداء الاخبار دون الاستخبار إلا لأمر وأقبل يردد القصيدة ويتصفحها بيتا فبيتا حتى انتهى الى قوله فيها : =

من البيت لم يتغير عن موضعه فيتعجب من ذلك ويقول للربيع :

ـ ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع ؟!.

ـ يا أمير المؤمنين : ما ذاك بثوب ، وإنما هو موسى بن جعفر ، له في كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس الى وقت الزوال .

فبهر هارون وانطلق يبدي إعجابه .

ـ اما إن هذا من رهبان بني هاشم !!

والتفت اليه الربيع بعدما سمع منه اعترافه بزهد الامام وعزوفه عن الدنيا طالباً أن يطلق سراحه ولا يضيق عليه قائلا :

ـ يا أمير المؤمنين : ما لك قد ضيقت عليه في الحبس !!؟

فأجابه هارون بما انطوت عليه نفسه من عدم الرحمة والرأفة قائلا :

« هيهات : لابد من ذلك ! . » (١) .

إن هارون يعلم مآثر الامام وزهده ، ولكن حرصه على الدنيا وحبه للملك هو الذي أعماه لأن يضيق على الامام ، وسنوضح ذلك بمزيد من البيان عند التعرض لما لاقاه الامام منه من الخطوب الهائلة والمحن السود .

وروت شقيقة السندي بن شاهك ـ حينما سجن الامام في بيت أخيها ـ عن عبادة الامام فقالت :

« إنه إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه الى أن يزول الليل ، ثم

= وأراك تفعل ماتقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل

فقال المنصور للربيع : هل أوصلت الى الرجل ما أمرنا له به ، فقال له : تأخر عنه لعلة فقال : عجله له مضاعفاً ، وهذا الطف تعريض من الفتى وأحسن فهم من المنصور ، توفي الربيع سنة ١٧٠ هـ جاء ذلك في وفيات الأعيان : (ج ١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٣) ط بولاق .

(١) البحار : (ج ١١ ص ٢٩٨) .

يقوم ، ويصلي حتى يطلع الصبح ، فيصلي الصبح ، ثم يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم يقعد الى ارتفاع الضحى ، ثم يرقد ويستيقظ قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر ، ثم يذكر الله حتى يصلي المغرب ، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة ، فكان هذا دأبه الى أن مات » (١) ، وهذه البوادر التي نقلت دلت على شغف الامام بالعبادة وإقباله على الله وقد شغل أغلب أوقاته في الصلاة ، ولكثرة سجوده فقد كانت له ثفنات كثفنات البعير ، وكان له غلام يقص اللحم من جبينه وعرنين أنفه ، وقد ألمع الى ذلك بعض الشعراء بقوله :

طالت لطول سجود منه ثفنته فقرحت جبهة منه وعرنينا
رأى فراغته في السجن منيته ونعمة شكر الباري بها حينا (٢)

ب ـ صومه :

أنفق الامام أغلب أيام حياته في طاعة الله فكان يصوم في النهار ويقوم مصليا في الليل ، خصوصا لما سجنه هارون فانه لم يبارح العبادة الاستحبابية بجميع أنواعها من صوم وغيره ، وهو يشكر الله ويحمده على هذا الفراغ الذي قضاه في عبادته .

ج ـ حجه :

وما من شيء يحبه الله وندب اليه إلا فعله الامام عن رغبة واخلاص فمن ذلك أنه حج بيت الله ماشيا على قدميه ، والنجائب تقاد بين يديه ، وقد حج معه أخوه علي بن جعفر وجميع عياله أربع مرات ، وحدث علي ابن جعفر عن الوقت الذي قطعوا به طريقهم فقال : كانت السفرة (الاولى) ستاً وعشرين يوما ، و (الثانية) كانت خمساً وعشرين يوما ، و (الثالثة)

(١) تأريخ أبي الفداء : (ج ٢ ص ١٢) .
(٢) الأنوار البهية : ص ٩٣ .

كانت أربعاً وعشرين يوما ، و (والرابعة) كانت إحدى وعشرين يوما (١)

وكان في أغلب أسفاره الى بيت الله يتنكب الطريق ، وينفرد عن الناس ، قد تعلق قلبه وفكره بالله تعالى ، وقد حج عليه السلام مرة فلم يصحب معه أحداً ، وجرت له قصة مع شقيق البلخي (٢) أجمع على ذكرها أغلب

(١) البحار : (ج ١١ ص ٢٦١) .

(٢) شقيق البلخي من كبار العباد والزهاد في العالم الاسلامي كان في بداية أمره من المرابين فتاب الى الله توبة نصوحة فتصدق بأمواله البالغــة ثلثمائة الف درهم . وكانت له ثلثمائة قرية فتصدق بها حتى أنه لما استشهد في غزوة (كولان) لم يكن يملك كفناً يلف به ، وقد لبس ثياب الصوف الخشنة عشرين سنة ، وقال : عملت في القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة في حرفين ، وهو قوله تعالى : « وما أوتيتم من شي فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى » وكان يقول : ثلاث خصال هي تاج للزهد : (الأولى) أن يميل على الهوى ولا يميل مع الهوى ، و (الثانية) ينقطع الزهد الى الزهد بقلبه ، و (الثالثة) أن يذكر كلما خلى بنفسه كيف مدخله في قبره وكيف مخرجه ، ويذكر الجوع والعطش والعرى وطول القيامة ، والحساب ، والصراط ، وطول الحساب ، والفضيحة البادية ، فاذا ذكر ذلك شغله عن ذكر دار الغرور ، فاذا كان ذلك كان من محبي الزهاد ، ومن أحبهـــم كان معهم ، وقال : من أراد أن يعرف معرفة بالله فلينظر الى ما وعده الله ، ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق ، وقال لبعض أصحابه اتق الأغنياء فانك متى ما عقدت قلبك معهم ، وطمعت فيهم فقد اتخذتهم ربا من دون الله عز وجل ، جاء ذلك في حلية الأولياء : « ج ٨ ص ٥٩ ـ ٧١ » ، وقد ذكر له صاحب الحلية الشيء الكثير من الكلمات الحكمية والوصايا الرفيعة ، وجاء في لسان الميزان (ج ٣ ص ١٥١ ـ ١٥٢) =

من ترجم للامام ، وهذا نصها :

خرج شقيق حاجاً بيت الله الحرام سنة ١٤٩ ﻫ أو سنة ١٤٦ ، فنزل القادسية ، ولما استقر به المكـــان أخذ يشرف على الحجاج ، وينظر الى استعدادهم وبينما هو مشغول بالنظر الى الحجيج إذ وقع بصره ـ كما يقول ـ على شاب حسن الوجه ، شديد السمرة ، نحيف الجسم ، فوق ثيابه ثوب من صوف ، قد جلس وحده ، منفرداً عن الناس ، بعيدا عن شؤونهم ، لم يختلط معهم ، فدار في خلده ، أن هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون عبئاً ثقيلا على الحاج حيث لا متـاع عنده ، ولم يصحب معه ما يحتاج اليه المسافر من المتاع اللازم ، فصمم شقيق على أن يمضي اليه ، ويوبخه ليرتدع عما هو فيه ، ويثيب الى الصواب فلما دنا منه انبرى اليه الفتى قبل أن يفتح معه الحديث قائلا له بنبرات تقطر لطفاً :

« يا شقيق : إجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم !! » .

ولم يتكلم بأكثر من هذا . ثم إنه تركه وانصرف عنه ، فبهر شقيق وبقي حائر الفكر مذهول اللب ، من أمر الفتى الذي نطق باسمه ، وعرف دخائل نفسه ، وقد داخله الشيء الكثير من الاكبار له ، واطمأن بأنه من عباد الله الصالحين ، وقد ندم على ما فرط في أمره ، فصمم على الالتحاق به ليعفو عنه ، ويحله من خطيئته ، فجد في طلبه فلم يدركه ، فلما نزلت القوافـــل بوادي (فضة) نظر شقيق واذا بصاحبه واقف يصلي وأعضاؤه تضطرب خوفا من الله ، ودموعه تتبلور على خديه ، فصبر حتى فرغ من صلاته ، فالتفت اليه الفتى قبل أن يسأله قائلا له :

« يا شقيق : اتل ، وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى »

= إن مناقب شقيق كثيرة جداً لايسعها هذا المختصر ، وانه استشهد في غزوة (كولان) سنة ١٩٤ ﻫ .

ثم إنه تركه وانصرف عنه ، وهام شقيق في تيـــار من الهواجس والأفكار ، وأخذ يقول : يا لله ! يا للعجب ! ! إنه تكلم بما انطوت عليه نفسي مرتين .

إنه من الابدال .

إنه من المنيبين المهتدين ، وأخذ يطيل التفكير في شأنه ، وسارت القافلة تطوي البيداء ، فلما انتهت الى (الأبواء) خرج شقيق يتجول فيهـا فوقع نظره على الفتى فبادر اليه ، واذا به واقف على بئر يستقي منهـــا ، وبيده ركوة قد سقطت في البئر فرمق السماء بطرفه ، وجعل يخاطب الله بمنتهى الخضوع والايمان قائلا :

أنت شربي إذا ظمئت من الما ء وقوتي اذا أردت الطعاما

« إلهي : وسيدي ، مالي سواك فلا تعدمنيها . . » .

ولم يزد على ذلك حتى ارتفع المـــاء فوراً ، الى رأس البئر والركوة طافية عليه ، فمد يده فتناولها ثم توضأ منها ، وصلى أربع ركعات ، ثم مال الى كثيب من الرمل فتناول منه قبضة وجعلها في الركوة فحركها وشرب منه ، فسلم عليه شقيق وقال له :

ـ اطعمني ، مما رزقك الله .

ـ يا شقيق : لم تزل نعم الله علي ظاهرة وباطنة ، فاحسن ظنك بربك ثم ناوله الركوة فشرب منها ، فاذا فيها سويق وسكر ، فما شرب شقيق ـ كما يقول ـ شراباً قط ألذ ولا أطيب منه ، وبقي أياماً وهو لا يشتهي الطعام والشراب ، ثم إنه مضى عنه ، فلم يجتمع به إلا بمكـــة ، فرآه الى جانب (قبة الشراب) في غلس الليل البهيم وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك حتى انبثق نور الفجر ، ثم انه قام الى (حاشية المطاف) فركع ركعتي الفجر ، وصلى صلاة الصبح مع الناس ، ثم انعطف

نحو البيت ، فطاف فيه بعد شروق الشمس ، وبعد الفراغ من الطواف صلى صلاة الطواف ، ثم خرج من البيت فتبعه شقيق يريد السلام عليه والتشرف بمقابلته ، وإذا بالخدم والموالي قد طافوا حوله وأحاطوا به يمينا وشمالا ، وانكبت عليه جماهير الناس تلثم يديه وأطرافه فتعجب شقيق من ذلك وبادر الى من حوله يسأله عن اسم صاحبه فقيل له : « هذا موسى الكاظم » .

فعند ذلك آمن شقيق وتيقن بأن تلك الكرامة جديرة بالامام (١) ونظم بعض الشعراء هذه البادرة بقوله :

سل شقيق البلخي عنه بماعاين منه	وما الذي كان أبصر
قال : لما حججت عاينت شخصا	شاحب اللون ناحل الجسم أسمر
سائراً وحده وليس له زاد	فما زلت دائماً أتفكر
وتوهمت أنه يسأل الناس	ولم أدر انه الحج الأكبر
ثم عاينته ونحن نزول	دون فيد على الكثيب الأحمر
يضع الرمل في الاناء ويشربه	فناديته وعقلي محير
إسقني شربة فلما سقاني	منه عاينته سويقاً وسكر
فسألت الحجيج من يك هذا	قيل هذا الامام موسى بن جعفر (٢)

لقد دلت قصة شقيق على بعض كرامات الامام وما اتصف به من الايمان والعلم بما انطوت عليه النفوس .

---

(١) اخبار الدول : ص ١١٢ ، جوهرة الكلام : (ص ١٤٠ ـ ١٤١) مختار صفوة الصفوة : ص١٥٣ ، جامع كرامات الأولياء : (ج ٢ ص ٢٢٩) نور الأبصار : ص ١٣٥ ، مثير الغرام ، معالم العترة ، المناقب ، البحار ، كشف الغمة ، وغيرها .

(٢) مطالب السؤول : ص ٨٤ ، البحار : (ج ١١ ص ٥٥) المناقب

د ـ تلاوته للقرآن :

كان الذكر الحكيم رفيق الامام في خلواته ؛ وصاحبه في وحشته وكان يتلوه بامعان وتدبر ، وكان من أحسن الناس صوتا به ، فاذا قرأ يحزن ، ويبكي السامعون لتلاوته (١) .

وحدث حفص عن كيفية تلاوته للقرآن فقال : وكانت قراءته حزنا فاذا قرأ فكأنه يخاطب إنساناً (٢) بهذه الكيفية كان يتلو آيات الذكر الحكيم فكان يمعن في تعاليمه ويمعن في آدابه ، ويتبصر في أوامره ونواهيه وأحكامه

ه ـ بكاؤه من خشية الله :

وكان الامام موسى عليه السلام أكثر الناس خشية وأعظمهم خوفا من الله فكان كجده امير المؤمنين (ع) في مظاهر خوفه وخشيته من الله وقد حدث الرواة عن مدى خوفه من الله فقالوا : إنه كان يبكي من خشية الله حتى تخضل كريمته الشريفة ، من دموع عينيه (٣) .

و ـ عتقه للعبيد :

ومن مظاهر طاعة الامام (ع) عطفه واحسانه على الرقيق فقد أعتق منه الف مملوك (٤) كل ذلك لوجه الله ، وابتغاء مرضاته ، والتقرب اليه .

---

(١) المناقب : (ج ٢ ص ٣٧٩) .

(٢) البحار : (ج ١١ ص ٢٦٥) .

(٣) كشف الغمة : (ص ٢٤٧) .

(٤) الدر النظيم في مناقب الأئمة ليوسف بن حاتم الشامي مخطوط نفيس في مكتبة الامام الحكيم العامة .

زهده :

كان الامام في طليعة الزاهدين في الدنيا والمعرضين عن نعيمها وزخارفها فقد اتجه الى الله ورغب فيما أعده له في دار الخلود من النعيم والكرامة ، وقد حدثنا عن مدى زهده ابراهيم بن عبد الحميد فقال : دخلت عليه في بيته الذي كان يصلي فيه ، فاذا ليس في البيت شيء سوى خصفة ، وسيف معلق ، ومصحف (١) ، لقد كان عيشه زهيداً ، وبيته بسيطاً فلم يحتو على شيء حتى من الأمتعة البسيطة التي تضمها بيوت الفقراء الأمر الذي دل على تجرده من الدنيا ، وإعراضه عنها . على أنه كانت تجبى له الأموال الطائلة ، والحقوق الشرعية من العالم الشيعي ، بالاضافة الى أنه كان يملك البسرية وغيرهـا من الأراضي الزراعية التي تدر عليه بالأموال الخطيرة ، وقد أنفق جميـع ذلك بسخاء على البائسين والمحرومين في سبيل الله وابتغاء مرضاته ، وكان (ع) دوماً يتلو على أصحابه سيرة أبي ذر الصحابي العظيم الذي ضرب المثل الأعلى لنكران الذات والتجرد عن الدنيا والزهد في ملاذها ، فقال (ع) :

« رحم الله أبا ذر . فلقد كان يقول : جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير ، أتغذى بأحدهما ، وأتعشى بالآخر ، وبعد شملتي الصوف ائتزر باحدهما وأتردى بالأخرى . . » (٢) .

وهكذا كان عليه السلام قد وضع نصب عينيه سيرة العظماء الخالدين من صحابة النبي (ص) يشيد بذكراهم ، ويتلو سيرتهم الوضاءة على أصحابه لتكون لهم قدوة حسنة في هذه الحياة .

---

(١) البحار : (ج ١١ ص ٢٦٥) .

(٢) أصول الكافي : (ج ٢ ص ١٣٤) .

جوده وسخاؤه :

والامام موسى (ع) من أرقى أمثلة التكامل الانساني في مواهبه ، ومن تلك المواهب الكريمة الماثلة فيه أنه كان ندي الكف ، مبسوط اليدين بالعطاء ومما لا شبهة فيه أن السخاء انما ينم عن طيب النفس ، إذا كان بداعي الخير والاحسان لا بدواع أخرى كحب الظهور وذيوع الاسم فان ذلك لايعد من السخاء بل يباينه بكل ما للتباين من معنى .

لقد تجلى الكرم الواقعي ، والسخاء الحقيقي في الامام فكان مضرب المثل للكرم والمعروف ، فقد فزع اليه البائسون والمحرومون لينقذهم من كابوس الفقر وجحيم البؤس وقد أجمع المؤرخون أنه أنفق عليه السلام جميع ما عنده عليهم كل ذلك في سبيل الله لم يبتغ من أحد جزاءاً أو شكورا ، وكان (ع) في صلاته يتطلب الكتمان وعدم الذيوع لئلا يشاهد على الآخذ ذلة الحاجة وكان يلتمس في ذلك وجه الله ورضاه ، ولهذا كان يخرج في غلس الليل البهيم فيوصل الطبقة الضعيفة ببره وإحسانه وهي لا تعلم من أي جهة تصلها تلك المبرة ، وكان يوصلهم بصراره التي تتراوح ما بين المائتي دينـــار الى الاربعمائة دينار(١) وكان يضرب المثل بتلك الصرار فكان أهله يقولون:

« عجباً لمن جاءته صرار موسى وهو يشتكي القلة والفقر !! » (٢) .

وبلغ من عطفه المستفيض أنه إذا بلغه عن شخص يؤذيه ويسيء اليه بعث له بصرة فيها الف دينار(٣) ، وقد قامت هباته السرية وصلاته الخفية

---

(١) تأريخ بغداد : (ج ١٣ ص ٢٨) كنز اللغة : ص ٧٦٦ .

(٢) عمدة الطالب : ص ١٨٥ .

(٣) تأريخ بغداد : (ج ١٣ ص ٢٧) .

باعاشة فقراء يثرب ، فكانوا جميعاً يرتعون بنعمته ويعيشون من عطاياه ،

وقد ذكر المؤرخون جمهرة كبيرة ممن أغدق عليهم الامام ببره ، نقتصر منهم على ما يلي :

١ ـ محمد البكري :

وكانت لمحمد بن عبد الله البكري ديون على جماعة من أهالي يثرب فقدم اليهم ليستحصل ديونه منهم فبقي مدة يطالبهم ، ويلح عليهم فلم يظفر بشيء من ديونه فعن له أن يتشرف بمقابلة الامام ، ويشكو له الحاجة والفقر ، فمضى اليه وكان (ع) في بعض ضياعه (بنقمى) (١) ، ولما وصل الى محل الامام خرج عليه السلام وكان بخدمته غلام معه منسف (٢) فيه قديد (٣) مجزع (٤) فأكلوا منه جميعا وبعد الفراغ من تناول الطعام سأله الامام عن حاله فأخبره بقصته وضيق حاله ، فقام عليه السلام فدخل البيت ثم خرج فأمر غلامه بالانصراف لئن يراه فيكون ذل على السائل ثم أعطاه صرة فيها ثلثمائة دينار ـ لعلها اكثر من ديونه ـ فأخذها محمد وانصرف شاكراً للامام وداعياً له بالخير (٥) .

---

(١) نقمى : بالتحريك والقصر من النقمة وهي العقوبة ، موضع من اعراض المدينة كان لآل أبي طالب ، جاء ذلك في معجم البلدان : (ج٨ ص ٣١٠) .

(٢) المنسف : بالكسر يستعمل في تصفية الحب وغربلته .

(٣) القديد : اللحم المشرر الذي قطع وشرر كما في تاج العروس : (ج ٢ ص ٤٦١) .

(٤) المجزع : كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض .

(٥) تأريخ بغداد : (ج ١٣ ص ٢٨) .

٢ ـ غلام زنجي :

وخرج الامام من يثرب مع حاشيته وبعض أولاده الى ضياعه الواقعة بساية (١) وقبل الانتهاء اليها استراحوا في بعض المناطق المجاورة لها ، وكان الوقت آنذاك شديد البرد ، فبينا هم جلوس إذ خرج اليهم عبد زنجي فصيح اللسان وهو يحمـل على رأسه قدرا يفور ، فوقف أمام غلمان الامام وقال لهم :

ـ أين سيدكم ؟ .

ـ هو ذاك ـ وأشاروا الى أبي الحسن ـ

ـ أبو من يكنى ؟ .

ـ أبو الحسن .

فوقف بين يديه وهو يتضرع قائـلا له :

ـ يا سيدي : هذه عصيدة أهديتهـا اليك .

فقبل الامام هديته وأمره بأن يضعها عند الغلمان فوضعهـا عندهم ثم انصرف فلم يلبث إلا قليلا حتى أقبل ومعه حزمة من الحطب فوقف قبال الامام وقال له :

ـ يا سيدي : هذا حطب أهديته اليك .

فقبل عليه السلام هديته وأمره أن يلتمس له قبساً من النـار ، فمضى قليلا ثم جاء بالنار فأمر الامام بكتابة اسمه واسم مولاه وبعد تسجيله أمر بعض ولده بالاحتفاظ به عند الحاجة ، ثم أنهم رحلوا الى ضياعهم فمكثوا فيها أياما ، وبعدها اتجهوا الى بيت الله الحرام ، فاعتمر (ع) فيه ، وبعد فراغه أمر صاعداً أن يفتش عن مالك العبد وقال له :

« إذا علمت موضعه فاعلمني حتى أمشي اليـه ، فاني اكره أن أدعوه

---

(١) ساية : واد من حدود الحجاز فيه مزارع .

والحاجة لي ؟ .

فمضى ففتش عن الرجل حتى ظفر به ، فعرفه وعرف أنه ممن يدين بالإمامة ، وبعد السلام عليه سأله الرجل عن قدوم الامام فأنكر عليه صاعد ذلك ، ثم سأله عن سبب مجيئه فأخبره بأن الحوائج دعته الى السفر ، فلم يقتنع الرجل بذلك وغلب على ظنه تشريف الامام الى مكة ، ثم ودعه صاعد وقفل راجعاً الى الامام ، فتبعه الرجل وسار على أثره فالتفت صاعد فرآه يسير خلفه فكلما أراد التخلي عنه فلم يتمكن فسارا معا حتى أقبلا الى الامام فلما مثلا عنده أخذ (ع) يؤنب صاعداً على اخبار الرجل بقدومه فاعتذر له بأنه لم يخبره ولكنه تبعه بغير اختيار منه ، وبعد ما استقر الرجـل التفت عليه السلام اليـه قائلا :

ـ غلامك فلان تبيعه ؟ .

ـ جعلت فداك ، الغلام لك والضيعة وجميع ما أملك .

ـ اما الضيعة فلا أحب أن أسلبكها . . » .

وجعل الرجل يتضرع الى الامام ويتوسل اليه ليقبلها منه ، والامام ممتنع من إجابته ، وأخيراً اشترى (ع) الغلام مع الضيعة بألف دينار فأعتق الغلام ، ووهب له الضيعة ، كل ذلك ليجازي الاحسان بالاحسان ويقابل المعروف بالمعروف ، وقد وسع الله على العبد ببركة الامام حتى اصبح أبناؤه من أثرياء مكة وصرافيها (١) .

٣ ـ عيسى بن محمد :

وحدث عيسى بن محمد القرطي قال : زرعت بطيخاً وقثاء وقرعا (٢)

---

(١) تأريخ بغـداد : (ج ١٣ ص ٢٩ ـ ٣٠) البداية والنهاية : (ج ١٠ ص ١٨٣) .

(٢) القرع : نوع من اليقطين ، الواحدة قرعة .

في موضع بالجوانية (١) على بئر يقال لها أم عضام ، فلما قرب الخير واستوى الزرع بغتني الجراد فأتى على الزرع كله ، وكنت قد غرمت عليه مع ثمن جملين مائة وعشرين ديناراً ، فبينما أنا جالس إذ طلع علي الامام موسى بن جعفر (ع) فسلم ثم قال لي :

- كيف حالك ؟ .

- أصبحت كالصريم (٢) بغتني الجراد ، فأكل زرعي .

- كم غرمت فيه ؟

- مائة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين .

فالتفت (ع) لعرفة ، وقال له : زن لابن المغيث مائة وخمسين دينارا ثم قال لعيسى : فربحك ثلاثون ديناراً مع الجملين (٣) .

٤ - فقير :

ودخل على الامام فقير يسأله العطاء فأراد (ع) اختباره ليكرمه على مقدار معرفته فقال له :

- لو جُعل لك التمني في الدنيا ما كنت تتمنى ؟ .

- كنت أتمنى أن ارزق التقية في ديني وقضاء حقوق اخواني .

فاستحسن (ع) جوابه وأمر بأن يعطى الف دينار (٤) . وقد حفلت كتب التأريخ بذكر الكثير من بره واحسانه على البائسين فقد أغدق عليهم من

(١) الجوانية : بالفتح وتشديد ثانيه : وكسر النون وياء مشددة : موضع أو قرية قرب المدينة ، جاء ذلك في معجم البلدان (ج ٢ ص ١٧٥) طبع بيروت .

(٢) الصريم : الأرض المحصود زرعها .

(٣) تأريخ بغداد : (ج ١٣ ص ٢٩) وكشف الغمة : (ص ٢٤٣) .

(٤) الوسائل : باب الأمر بالمعروف .

جوده ومعروفه ما أغناهم به عن الحاجة والسؤال .

ومن آيات كرمه (ع) أنه أولم وليمة في مناسبة لبعض أولاده فأطعم أهالي يثرب اطعامـاً شاملا ثلاثة أيام ، فعابه على ذلك بعض حساده ، فقال (ع) :

« ما آتى الله نبياً من أنبيائه شيئا إلا وقد آتى محمداً (ص) وزاده ما لم يؤتهم قال تعالى لسليمان بن داود : « هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب (١) (٢) ، وكان (ع) يقول :

« من موجبات المغفرة إطعام الطعام » (٣) .

وكان (ع) لا يرى للمال قيمة سوى ما يرد به جوع جائع أو يكسو به عارياً ، وقد تلقى هذه الصفة الرفيعـة من آبائه الذين ضربوا أسمى الأمثلة للجود والسخاء والمعروف .

حلمه :

واهتم الاسلام اهتماما بالغا في تركيز الحلم في نفوس المسلمين ، وجعله عادة لهم ، وقد أثرت عن النبي وأئمة الهدى طائفة كبيرة من الأخبار تحث على التحلي به فقد قال النبي (ص) : « اللهم اغنني بالعلم ، وزيني بالحلم » وقال (ص) : « ما أعز الله بجهل قط ، ولا أذل بحلم قط » وقال الامام أمير المؤمنين « ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك وحلمك » وقال الامام زين العابدين : « إنه ليعجبني الرجـل أن

(١) سورة ص آية ٣٩ .

(٢) فروع الكافي : باب الولائم .

(٣) الوسائل .

يدركه حلمه عند غضبه » وقال الامام الصادق : « كفى بالحلم ناصراً » (١) .

وكانت هذه الظاهرة من أبرز صفات الامام موسى (ع) فقد كان مضرب المثل في حلمه وكظمه للغيظ ، وكان يعفو عمن أساء اليه ، ويصفح عمن اعتدى عليه ، ولم يكتف بذلك وانما كان يحسن لهم ويغدق عليهم بالمعروف ليمحو بذلك روح الشر والانانية من نفوسهم ، وقد ذكر المؤرخون بوادر كثيرة من حلمه، فقد رووا أن شخصا من احفاد عمر بن الخطاب كان يسيء للامام ، ويكيل السب والشتم لجده امير المؤمنين (ع)فأراد بعض شيعة الامام اغتياله فنهاهم (ع) عن ذلك ورأى أن يعالجه بغير ذلك فسأل عن مكانه فقيل انه يزرع في بعض نواحي المدينة ، فركب (ع) بغلته ومضى اليه متنكراً ، فوجده في مزرعته فأقبل نحوه فصاح به العمري لا تطأ زرعنا ، فلم يعتن الامام إذ لم يجد طريقا يسلكه غير ذلك ، ولما انتهى اليه جلس الى جنبه وأخذ يلاطفه ويحدثه بأطيب الحديث ، وقال له بلطف ولين :

- كم غرمت في زرعك هذا ؟ .
- مائة دينار .
- كم ترجو أن تصيب منه ؟ ،
- أنا لا أعلم الغيب !! .
- انما قلت لك : كم ترجو أن يجيئك منه ؟ .
- أرجو أن يجيئني منه مائتا دينار ؟ .

فأعطاه (ع) ثلثمائة دينار ، وقال : هذه لك وزرعك على حاله فتغير العمري ، وخجل من نفسه على ما فرط من قبل في حق الامام ، وتركه (ع)

---

(١) النظام التربوي في الاسلام .

ومضى الى الجامع النبوي ، فوجد العمري قد سبقه ، فلما رأى الامام مقبلا قام اليه تكريماً وانطلق يهتف :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء » .

فبادر اليه اصحابه منكرين عليه هذا الانقلاب ، فأخذ يخاصمهم ، ويتلو عليهم مناقب الامام ومآثره ، ويدعو له ، فالتفت (ع) إلى أصحابه قائلا :

« أيما كان خيراً ؟ ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهـذا المقدار ؟ » (١) .

لقد كان موقف الامام مع جميع مناوئيه ومبغضيه موقف اللطف والاحسان فقد وضع نصب عينيه قوله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وبذلك فقد أعطى لأصحابه درسا رائعا لكيفية النصح والارشاد وبين لهم أن الدعوة والتبشير لابد أن يبتنيان على الخلق الرفيع ، ويرتكزان على سعة الصدر والحلم ، وإذا لم يحفها ذلك فانها لاتكاد تجدي في ميادين الاصلاح .

ومن آيات حلمه (ع) أنه اجتاز على جماعة من حساده وأعدائه ، وكان فيهم ابن هياج فأمر بعض اتباعه أن يتعلق بلجام بغلة الامام ويدعيها فمضى الرجل الى الامام وتعلق بزمام بغلته فادعاها له فعرف الامام غايته فنزل عن بغلته وأعطاها له (٢) . لقد أتام (ع) بذلك أسمى مثل للانسانية الفذة والحلم الرفيع .

وكان (ع) يوصي أبناءه بالتحلي بهذه الصفة الرفيعة ويأمرهم بالصفح عمن أساء اليهم فقد جمعهم وأوصاهم بذلك فقال :

« يا بني : إني أوصيكم بوصية من حفظها انتفع بها ، إذا أتاكم آت

---

(١) تأريخ بغداد : (ج ١٣ ص ٢٨ ـ ٢٩) كشف الغمة : (ص ٢٤٧) .

(٢) البحار : (ج ١١ ص ٢٧٧) .

فأسمع أحدكم في الاذن اليمنى مكروها ثم تحول إلى اليسرى فاعتذر لكم ، وقال : إني لم أقل شيئا فاقبلوا عذره . . (١) .

وبهـذه الوصية نقف على مدى حلمه وسعة خلقه ويترتب على ذلك كثير من الفوائد الاجتماعية ، فان قبول عذر المسيء وعدم مقابلته بالمثل من أهم الوسائل الداعية للتآلف والمحبة وجمع الكلمة ، وازالة البغضاء بين الناس .

ارشاده وتوجيهه :

إن إرشاد النـاس الى الحق وهدايتهم الى الصواب من أهم الأمور الاصلاحية التي كان الامام يعني بها ، فقد قام بدور مهم في انقاذ جماعة ممن أغرتهم الدنيا وجرفتهم بتياراتها . وببركة ارشاده ووعظه لهم تركوا ما هم فيه من الغي والضلال وصاروا من عيون المؤمنين. وقد ذكر المؤرخون بوادر كثيرة له في هذا المجال فقد رووا قصته مع بشر الحافي ، فقد كان في بداية أمره فيما يقول الرواة يتعاطى الشراب ويقضي لياليه وأيامه في المجون والدعارة فاجتاز الامام عليه السلام على داره ببغداد فسمع الملاهي وأصوات الغنـاء والقصب تعلو من داره ، وخرجت منها جارية وبيدها قمامة فرمت بها في الطريق ، فالتفت الامام اليها قائلا :

« يا جارية : صاحب هذه الدار حر أم عبد ؟ .

« حر » .

« صدقت ، لو كان عبداً لخاف من مولاه » .

ودخلت الجارية الدار ، وكان بشر على مائدة السكر ، فقال لها : ما أبطأك ؟ فنقلت له ما دار بينها وبين الامام فخرج بشر مسرعا حتى

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٢٠ .

لحق الامام فتاب على يده ، واعتذر منه وبكى (١) وبعـد ذلك أخذ في تهذيب نفسه واتصل بالله عن معرفة وايمان حتى فاق أهل عصره في الورع والزهد ، وقال فيه ابراهيم الحربي :

« ما أخرجت بغـداد أتم عقلا ، ولا أحفظ للسانه ، من بشر بن الحارث كان في كل شعرة منه عقل » (٢) .

وقد أعرض عن زينة الحياة الدنيا ، ورضي بالقناعة ، وقال فيها : لو لم يكن في القناعة شيء إلا التمتع بعز الغنـاء لكان ذلك يجزي ، ثم أنشأ يقول :

أفادتني القناعة أي عز ولا عز أعز من القناعه

فخذ منها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعه

تحز حالين تُغنى عن بخيل وتسعد في الجنان بصبر ساعه

وكان يتذمر من أهل عصره ، ويكره الاختلاط بهم وذلك لفقدان المؤمنين والاخيار ، وكثرة الأشرار والمنحرفين ، لذلك ابتعد عن الاجتماع بكثير من الناس حتى أن المأمون تشفع بأحمد بن حنبل في أن يأذن له في زيارته فأبى ولم يجبه (٣) ، ومن شعره في تذمره من أهل زمانه قوله :

ذهب الرجال المرتجى لفعالهم والمنكرون لـكل أمر منكر

وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضاً ليدفع معور عن معور (٤)

---

(١) الكنى والألقاب : (ج ٢ ص ١٥٠) نقلا عن منهاج الكرامة للعلامة ، وذكر المناوي هذه البادرة في الكواكب الدرية : ص ٢٠٨ إلا أنه لم يصرح باسم الامام موسى .

(٢) تأريخ بغداد : (ج ٧ ص ٧٣) .

(٣) الكواكب الدرية : (ج ١ ص ٢٠٨) .

(٤) تأريخ بغداد : (ج ٧ ص ٧٧) .

وتجرد عن الدنيا ، وانقطع الى الله حتى صار من أقطاب العارفين كل ذلك ببركة وعظ الامام وإرشاده له (١) .

وممن أرشدهم الامام الى طريق الحق : الحسن بن عبد الله فقد كان شخصية مرموقة عند الملوك زاهداً في الدنيا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم ، فاجتمع بالامام فقال (ع) له :

ـ يا أبا علي ، ما أحب الي ما أنت عليه ، وأسرني به ، إلا أنه ليست لك معرفة فاطلب المعرفة .

ـ وما المعرفة ؟ .

ـ تفقه واطلب الحديث .

فذهب الرجل فكتب الحديث عن مالك وعن فقهاء أهل المدينة ، وعرضه على الامام فلم يرض (ع) ، وأرشده الى فقه أهل البيت وأخذ الأحكام منهم ، والاعتراف لهم بالامامة فانصاع الرجل لذلك واهتدى (٢)

لقد كان عليه السلام يدعو الناس الى فعل الخير ويدلهم على العمل الصالح ويحذرهم لقاء الله واليوم الآخر ، فقد سمع رجلا يتمنى الموت فانبرى (ع) له قائلا :

ـ هل بينك وبين الله قرابة يحابيك لها ؟ .

ـ لا

ـ فأنت إذن تتمنى هلاك الأبد (٣) .

---

(١) توفي بشر سنة ٢٠٧ هـ ودفن في بغداد ، وله جامع يقع بجانب مسجد الامام الاعظم ، واما القبر المشهور بقبر شيخ بشار فانه ليس بقبر بشر الحافي كما توهم بعضهم بل هو لبشار المعروف بالزهد .

(٢) المناقب : (ج ٣ ص ٤٠٧) ط النجف .

(٣) الاتحاف بحب الأشراف : (ص ٥٥) .

لقد عنى الامام بارشاد المسلمين الى فعل التقوى وعمل الخير، وسنذكر بعض نصائحه الرفيعة، وارشاداته القيمة الحافلة بالنصح والتوجيه عند عرض تراثه العلمي والأدبي .

احسانه الى الناس :

وكان الامام باراً بالمسلمين محسناً لهم فما قصده احد في حاجة إلا قام بقضائها ، فلا ينصرف منه إلا وهو ناعم الفكر مثلوج القلب ، وكان (ع) يرى أن إدخال الغبطة على الناس وقضاء حوائجهم من أهم أفعال الخير فلذا لم يتوان قط في إجابة المضطر ، ورفع الظلم عن المظلوم ، وقد أباح لعلي بن يقطين الدخول في حكومة هارون وجعل (كفارة عمـــل السلطان الاحسان الى الاخوان) مبرراً له، وقد فزع اليه جماعة من المنكوبين فكشف آلامهم وملأ قلوبهم رجاءاً ورحمة .

ومن هؤلاء الذين أغاثهم الامام (ع) شخص من أهالي الري كانت عليه أموال طائلة لحكومة الرى فلم يتمكن من أدائها ، وخاف على نعمته أن تسلب منه ، فأخذ يطيـــل الفكر فيما يعمل ، فسأل عن حاكم الري ، فأخبر أنه من الشيعـــة ، فطوت نيته على السفر الى الامام ليستجير به فسافر الى يثرب فلما انتهى اليهـــا تشرف بمقابلة الامام فشكـا اليه حاله وضيق مجاله ، فزوده عليـه السلام برسالة الى والي الري جاء فيهـــا بعد البسملة :

« إعلم أن لله تحت عرشه ظلا لا يسكنه إلا من أسدى الى أخيـــه معروفا ، أو نفس عنه كربة ، أو أدخل على قلبه سروراً ، وهذا أخوك والسلام . . . » .

وأخذ الرسالة ، وبعد أدائه لفريضة الحج ، اتجه الى وطنه ، فلما وصل ، مضى الى الحاكم ليلا ، فطرق عليه باب بيته فخرج غلامه ، فقال له :

ـ من أنت ؟ .

ـ رسول الصابر موسى ؟ .

فهرع الى مولاه فأخبره بذلك فخرج حافي القدمين مستقبلا له ، فعانقه وقبّل ما بين عينيه ، وجعل يكرر ذلك ، ويسأله بلهفة عن حال الامام ، ثم إنه ناوله رسالة الامام فقبلها وقام لها تكريما ، فلما قرأها استدعى بأمواله وثيابه فقاسمه في جميعها وأعطاه قيمة ما لا يقبل القسمة وهو يقول له :

ـ يا أخي هل سررتك ؟ .

ـ أي والله وزدت على ذلك !! .

ثم استدعى السجل فشطب على جميع الديون التي عليه وأعطاه براءة منها ، وخرج الرجل وقد طار قلبه فرحاً وسروراً ، ورأى أن يجازيه على إحسانه ومعروفه فيمضي الى بيت الله الحرام فيدعو له ، ويخبر الامام بما أسداه اليه من البر والمعروف ، ولما أقبل موسم الحج مضى اليه ثم اتجه الى يثرب فواجه الامام وأخبره بحديثه ، فسر (ع) بذلك سروراً بالغا ، فقال له الرجل :

ـ يا مولاي : هل سرك ذلك ؟ .

ـ أي ، والله !! لقد سرني ، وسر أمير المؤمنين . والله لقد سر جدي رسول الله (ص) ، ولقد سر الله تعالى . . » .

وقد دل ذلك على اهتمامه البالغ بشؤون المسلمين ورغبته الملحة في قضاء حوائج الناس وبذلك ينتهي بنا الحديث عن ذكر بعض مثل الامام وصفاته .

أقوال وآراء



وظاهرة أخرى من حياة الامام موسى (ع) ربما تكون أعمق ، واكثر شمولا من غيرها وهي اجماع معظم المسلمين على اختلاف ميولهم ، ومذاهبهم على اجلاله وتعظيمه ، وانه في مقدمة الثقافة من أئمة المسلمين في علمه وتقواه وزهده وتحرجه في الدين ، وانه ممن طبق العالم شذى وعبيراً بسيرته وسلوكه ورسوخ يقينه ، وقد سجل كبار العلماء والمؤلفين وغيرهم انطباعاتهم واحاسيسهم وهي مليئة بالاكبار والتعظيم له . وفيما يلي عرض لذلك :

١ ـ الامام الصادق :

وأشاد الامام الصادق عليه السلام بفضل ولده ، وبيّن للمسلمين ما مُثل فيه من المواهب والعبقريات ، فقال :

« ولدي موسى شبيه عيسى بن مريم » (١) .

وقال : « وفيه علم الحكمة ، والفهم ، والسخاء ، والمعرفة بما يحتاج الناس اليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم ، وفيه حسن الخلق ، والجوار ، وهو باب من أبواب الله » .

وأثرت عنه كثير من الاخبار وهي تشيد بفضل الامام موسى (ع) وتعرب عن مآثره ومواهبه .

٢ ـ هارون الرشيد :

واعترف هارون الرشيد ـ الذي هو خصم الامام وأعدى أعدائه ـ بمواهب الامام ومناقبه ، وأنه أحق بالخلافة من غيره ، وقد صرح بذلك حينما سأله ولده المأمون عن اكباره وتقديره له ، فقال له :

« يا بني : هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه ، وخليفته على عباده ، أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر ، وانه والله لأحق بمقام رسول الله (ص) مني ومن الخلق جميعا ، ووالله لو نازعني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناه فان الملك عقيم » وأضاف الى ذلك قوله : « يا بني

(١) دائرة المعارف لمحمد فريد وجدي : (ج ٩ ص ٤٤٦) .

هذا وارث علم النبيين هذا موسى بن جعفر إن أردت العلم الصحيح تجده عند هذا » (١) .

٣ ـ ابن الساعي :

« اما الامام الكاظم فهو صاحب الشأن العظيم ، والفخر الجسيم ، كثير التهجد ، الجاد في الاجتهاد ، المشهود له بالكرامات ، المشهور بالعبادات المواظب على الطاعات ، يبيت الليل ساجداً ، وقائما ويقطع النهار متصدقاً وصائما ، ولفرط حلمه ، وتجاوزه عن المعتدين عليه كان كاظما ، يجازي المسيء باحسانه اليه ، ويقابل الجاني بعفوه عنه ، ولكثرة عبادته يسمى بالعبد الصالح ، ويعرف بالعراق بباب الحوائج الى الله لنجح المتوسلين الى الله تعالى به ، كراماته تحار منها العقول ، وتقضي بان له قدم صدق عند الله لا تزول » (٢) .

٤ ـ عبد الله بن أسعد اليافي :

« الامام موسى كان صالحا عابداً ، جواداً حليما ، كبير القدر ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر المعصومين في اعتقاد الامامية ، وكان يدعا بالعبد الصالح لعبادته واجتهاده ، وكان سخياً كريماً ،كان يبلغه عن الرجل ما يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها الف دينار » (٣) .

٥ ـ ابن الجوزى :

« موسى بن جعفر كان يدعا العبد الصالح ، وكان حليما وكريماً إذا بلغه عن رجل مايؤذيه بعث اليه بمال » (٤) .

---

(١) ينابيع المودة : (ج ٣ ص ٣٢) .

(٢) مختصر أخبار الخلفاء : ص ٣٩ .

(٣) مرآة الجنان : (ج ١ ص ٣٩٤) .

(٤) مختار صفوة الصفوة : ص ١٥٢ .

٦ ـ أبو حاتم :

« موسى بن جعفر ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين » (١) .

٧ ـ القرماني :

« موسى هو الامام الكبير الأوحد ، الحجة الساهر ليله قائما ، القاطع نهاره صائما ، المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً ، وهو المعروف بباب الحوائج لأنه ما خاب المتوسل به في قضاء حاجته قط » (٢) .

٨ ـ محمد بن احمد الذهبي :

« كان موسى من أجواد الحكماء ، ومن العباد الأتقياء ، وله مشهد معروف ببغداد . . » (٣) .

٩ ـ خير الدين الزركلي :

« موسى بن جعفر الصادق بن الباقر ، أبو الحسن سابع الأئمة الاثني عشر عند الامامية ، كان من سادات بني هاشم ، ومن أعبد أهل زمانه ، وأحد كبار العلماء الأجواد . . » (٤) .

١٠ ـ الحسن بن عبد الله البخشي :

« هو الامام الكبير القدر ، والكثير الخير ، كان رضى الله عنه يسهر ليله ويصوم نهاره ، وسمي كاظما لفرط تجاوزه عن المعتدين ، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج ، لأنه ما خاب المتوسل به في قضاء حاجته قط وكانت له كرامات ظاهرة ومناقب باهرة ، تسنم ذروة الشرف وعلاها وسما

---

(١) تهذيب التهذيب : (ج ١٠ ص ٣٤) .

(٢) أخبار الدول : ١١٢ .

(٣) ميزان الاعتدال : (ج ٣ ص ٢٠٩) .

(٤) الأعلام : (ج ٣ ص ١٠٨) ،

أوج المرايا فبلغ أعلاها . . » (١) .

١١ ـ احمد بن عبد الله الخزرجي :

« موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، أبوالحسن الكاظم : المدني ، روى عن أبيه ، وعنه ابنه علي الرضا وأخواه علي ومحمد ابنا جعفر بن محمد ، وطائفة ، قال أبو حاتم ، ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين وقال يحي بن الحسين انه اذا بلغه عن رجل يؤذيه ، يبعث اليه بصرة فيها الف دينار ، وحبسه المهدي ثم أطاقه . . » (٢) .

١٢ ـ ابن حجر العسقلاني :

« موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أبو الحسن الهاشمي المعروف بالكاظم صدوق عابد من الطبقة السابعة . . » (٣) .

١٣ ـ السيد علي فكري :

« قال بعض أهل العلم : الكاظم هو الامام الكبير القدر الأوحد الحجة الحبر ، جمع من الفقه والدين بما لا مزيد عليه . . » (٤) .

١٤ ـ الدكتور زكي مبارك :

« كان موسى بن جعفر سيداً من سادات بني هاشم ، واماما مقدما في العلم والدين . . » (٥) .

---

(١) النور الجلي في نسب النبي : ص ٩٧ ، مخطوط نفيس توجد نسخة منه بخط المؤلف بمكتبة الاستاذ الشيخ علي الخاقاني .

(٢) خلاصة تهذيب الكمال : (ص ٣٣٤) .

(٣) التقريب : (ص ٣٦٦) .

(٤) احسن القصص : (ج ٤ ص ٢٩٣) .

(٥) شرح زهر الآداب : (ج ١ ص ١٣٢) .

١٥ ـ علي بن محمد المالكي الشهير بابن الصباغ :

« وأما مناقبه ، وكراماته الظاهرة ، وفضائله وصفاته الباهرة تشهد له بأنه اقترع (١) قبة الشرف وعلاها ، وسما الى أوج المزايا فبلغ أعلاها وذللت له كواهل السيادة فامتطاها ، وحكم في غنائم المجد فاختار صفاياها فاصطفاها . . » (٢) .

١٦ ـ الفضل بن الحسن الطبرسي :

« قد اشتهر بين الناس أن أبا الحسن موسى كان أجل ولد الصادق شأنا ، وأعلاهم في الدين مكانا ، وأفصحهم لسانا ، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأفقههم . . » (٣) .

١٧ ـ محمد أمين غالب :

« وكان العلويون يقتدون بالرجل العظيم الامام موسى الكاظم ، المشهور بالتقوى ، وكثرة العبادة حتى سماه المسلمون « العبد الصالح » وكان يلقب أيضا بالرجل الصالح تشبيهاً له بصاحب موسى بن عمران ، المذكور في القرآن ، وكان كريما سخيا . . » (٤) .

١٨ ـ ابن معية :

« الامام موسى الكاظم ويلقب بأبي الحسن ، وأبي ابراهيم ، وامه أم ولد وكان عظيم الفضل جليل القدر حبسه الهادي ثم أطلقه لمنام رآه ،

---

(١) اقترع : أي اختار .

(٢) الفصول المهمة : (ص ٢١٤) .

(٣) أعلام الورى في أعلام الهدى : (ص ١٧٨) .

(٤) تأريخ العلويين : (ص ١٥٧ ـ ١٥٨) .

ثم حبسه الرشيد ومضى في حبسه شهيداً » (١) .

١٩ ـ السيد كاظم اليماني :

« موسى الكاظم وهو خامس سبط وسابع إمام سمي الكاظم لكظمه الغيظ وحلمه ، وكان يخرج بالليل ، وفي كمه صرر من دراهم فيعطي من أراد بره، وكان يضرب المثل بصبر موسى وسيرته ، وكان إذا صلى العشاء لم يزل يحمد الله ويدعو الى نصف الليل ، واذا صلى الصبح ذكر الله تعالى الى طلوع الشمس ، وكان هذا دأبه . . » (٢) .

٢٠ ـ محمد بن علي بن شهراشوب :

« وكان الامام أجل الناس شأنا ، وأعلاهم في الدين مكانا ، وأسخاهم بنانا ، وأفصحهم لسانا ، وأشجعهم جنانا ، قد خص بشرف الولاية وحاز إرث النبوة ، وتبوأ محل الخلافة ، سليل النبوة وعقيد الخلافة » (٣) .

٢١ ـ السيد ضامن بن شدقم :

« السيد الكريم ، والامام الحليم ، وسمي الكليم والصابر الكظيم ، صاحب العسكر ذو الشرف الأنور ، والنور الأزهر والمجد الأظهر ، والنسب الاطهر الصالح الأمين ، الصابر الصائم ، القائم ، الحاكم على المحكوم ، الشهيد المسموم المشهود له بالكرامات ، المجدّ في العبادات ، المواظب على الطاعات المقيم ليله راكعا وساجداً ، الصائم نهاره ، وفي سبيل الله مجاهداً ، المجازي المسيء باحسانه ، الكاظم غيظه ، المنتشر حلمه وامتنانه ، قائد الجيش ، المدفون بمقابر قريش ، الامام بالحق أبي ابراهيم ، وأبي الحسن الامام موسى الكاظم

---

(١) سبك الذهب في سبك النسب ، مخطوط توجد منه نسخة بمكتبة الامام كاشف الغطاء العامة .

(٢) النفحة العنبرية في أنساب خير البرية : (ص ١٥) .

(٣) المناقب : (ج ٢ ص ٣٨٣) .

ابن الامام جعفر الصادق . . » (١) .

٢٢ ـ علي بن محمد الصوفي :

« كان موسى عظيم الفضل رابط الجأش ، واسع العطاء ، وقيل ان أهله كانوا يقولون : عجباً لمن جاءته صرار موسى فشكا القلة .. » (٢) .

٢٣ ـ محمد الصبان :

« أما موسى الكاظم فكان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله ، وكان من أعبد أهل زمانه ومن أكابر العلماء الأسخياء .. » (٣) .

٢٤ ـ احمد بن حجر الهيثمي :

« موسى الكاظم : هو وارث أبيه علما ومعرفة وكمالا وفضلا سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه ، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله ، وكان أعبد اهل زمانه ، وأعلمهم وأسخاهم » (٤) .

٢٥ ـ احمد بن أبي يعقوب المعروف بابن واضح :

« كان موسى بن جعفر عليه السلام من أشد الناس عبادة ، وكان قد روى عن أبيه » (٥) .

٢٦ ـ عبد الوهاب الشعراني :

« موسى الكاظم أحد الأئمة الاثني عشر ، وهو ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان يكنى بالعبد الصالح لكثرة عبادته واجتهاده وقيامه بالليل ، وكان اذا بلغه عن أحد يؤذيه يبعث اليه

---

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار .

(٢) المجدي : مخطوط نفيس بمكتبة الامام كاشف الغطاء .

(٣) اسعاف الراغبين المطبوع على هامش نور الأبصار: (ص٢١٣).

(٤) الصواعق المحرقة : (ص ١٢١) .

(٥) تأريخ اليعقوبي : (ج ٣ ص ١٤٥) .

بمال . . . » (١) .

٢٧ ـ النبهاني :

« موسى الكاظم أحد أعيان أكابر الأئمة من ساداتنا آل البيت هداة الاسلام رضي الله عنهم أجمعين ، ونفعنا ببركتهم وأماتنا على حبهم وحب جدهم الأعظم . . » (٢) .

٢٨ ـ محمد بن طلحة الشافعي :

« موسى بن جعفر الكاظم (ع) هو الامام الكبير القـــدر ، العظيم الشأن الكبير ، المجتهد الجاد في الاجتهاد ، المشهور بالكرامات ، يبيت الليل ساجداً وقائماً ، ويقطع النهار متصدقا وصائما ، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه ، دعي كاظماً ، كان يجازي المسيء باحسانه اليـــه ، ويقابل الجاني بعفوه عنـــه ، ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح ، ويعرف بالعراق بباب الحوائج الى الله لنجح مطالب المتوسلين الى الله تعالى به ، كراماته تحار منها العقول ، وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول » (٣) .

٢٩ ـ الشيخ المفيد :

« كان أبو الحسن موسى أعبد أهل زمانه ، وأفقههم وأسخاهم كفاً وأكرمهم نفساً ، وكان أوصل الناس لأهله ورحمه ، وكان يتفقد فقراء المدينة في الليل فيحمل اليهم الزنبيل فيه العين والورق ، والأدقة والتمور فيوصل اليهم ذلك ولا يعلمون من أي جهة هو » (٤) .

(١) الطبقات الكبرى : (ص ٣٣) .

(٢) جامع كرامات الأولياء : (ج ٢ ص ٢٢٩) .

(٣) مطالب السؤول (ص٨٣) طبع ايران .

(٤) الارشاد : (ص ٢٧١) .

٣٠ ـ حفص :

« ما رأيت أحداً أشد خوفا على نفسه من موسى بن جعفر ، ولا أرجى للناس منه » (١) .

٣١ ـ الشبانجي :

« قال بعض أهل العلم : الكاظم هو الامام الكبير القدر الأوحد الحجة الحبر الساهر ليله قائما ، القاطع نهاره صائما المسمى ، لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظما ، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج الى الله وذلك لنجح المتوسلين به . . » (٢) .

٣٢ ـ علي بن عيسى الأربلي :

« مناقب الكاظم (ع) وفضائله ومعجزاته الظاهرة ، ودلائله وصفاته الباهرة ، ومخائله تشهد أنه اقترع قمة الشرف وعلاها وسما الى أوج المزايا فبلغ أعلاها ، وذللت له كواهل السيادة فركبها وامتطاها ، وحُكم في غنائم المجد فاختار صفاياها واصطفاها :

تُركت والحسن تأخذه   تصطفي منه وتنتجب
فانتقت منه أحاسنه   واستزادت فضل ما تهب

طالت أصوله فسمت الى أعلى رتب الجلال ، وطابت فروعه فعلت الى حيث لا ينال ، يأتيه المجد من كل أطرافه ، ويكاد الشرف يقطر من أعطافه ، « أتاه المجد من هنا وهنا ، وكان له بمجتمع السيول »السحاب الماطر قطرة من كرمه ، والعباب الزاخر نغبة (٣) من نغبه واللباب الفاخر من عد من

---

(١) البحار : (ج ١١ ص ٢٦٥)

(٢) نور الأبصار : (ص ١٣٥) .

(٣) النغبة : بالضم ، الجرعة .

عبيده وخدمه كأن الشعرى (١) عاقت في يمينه ، ولا كرامة للشعر العبور وكأن الرياض أشبهت خلايقه ، ولا نعمى لعين الروض الممطور وهو عليه السلام غرة في وجـــه الزمان ، وما الغرور والحجول (٢) وهو أضوأ من الشمس والقمر ، وهذا جهد ما يقال بل هو والله أعلى مكانة من هذه الأوصاف وأسمى وأشرف عرقاً من هذه النعوت وأنمى ، فكيف تبلغ المدايح كنه مقداره أو ترقى همة البليغ الى نعت فخاره ، أو تجري جيـــاد الأقلام في حلبات صفاته ، أو يسري خيال الأوهام في ذكر حالاته ، كاظم الغيظ ، وصائم القيظ ، عنصره كريم ، ومجده حادث وقديم ، وخلق سؤدده وسيم ، وهو بكل ما يوصف به زعيم ، الآباء عظام والأبناء كرام والدين متين والحق ظاهر مبين ، والكاظم في أمر الله قوي أمين ، وجوهر فضله غال ثمين ، وواصفه لا يكذب ولا يمين ، قـد تلقى راية الامامة باليمين فسما (ع) الى الخيرات منقطع القرين ، وأنا أحلف على ذلك فيه وفي آبائه باليمين ، كم له من فضيلة جليلة ، ومنقبة بعلو شأنه كفيلة ، وهي إن بلغت الغـاية بالنسبة اليه قليلة ، ومهما عد من المزايا والمفاخر فهي فيهم صادقة وفي غيرهم مستحيلة اليهم ينسب العظماء وعنهم يأخذ العلماء ومنهم يتعلم الكرماء ، وهم الهداة الى الله تعـالى ، فبهداهم اقتده . . » (٣) .

٣٣ الخطيب البغدادي :

« وكان الامام موسى سخياً كريما ، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها الف دينار ، وكان يصر الصرر ثلثمائة دينار وأربعمائة

(١) الشعرى : بالكسر ، الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطاوعه في شدة الحر .

(٢) الحجول : يوم مضيء مشرق بالسرور .

(٣) كشف الغمة : (ص ٢٥٥) .

ومائتين ثم يقسمها بالمدينة ، وكانت صرر موسى بن جعفر إذا جاءت الانسان استغنى . . » (١) .

٣٤ ـ الدكتور محمد يوسف موسى :

« ونستطيع أن نذكر أن أول من كتب في الفقه هو الامام موسى الكاظم الذي مات سجيناً عام ١٨٣هـ وكان ما كتبه إجابة عن مسائل وجهت اليه تحت اسم (الحلال والحرام) (٢) .

٣٥ ـ الشيخ سليمان المعروف بخواجة كلان :

« موسى الكاظم وهو وارثه ـ أي وارث أبيه جعفر بن محمد ـ علما ومعرفة وكمالا وفضلا ، سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه ، وكان عند أهل العراق معروفا بباب قضاء الحوائج ، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم . . » (٣) .

٣٦ ـ النسابة أحمد بن علي :

« كان موسى الكاظم عظيم الفضل رابط الجأش ، واسع العطاء لقب بالكاظم لكظمه الغيظ ، وحلمه ، وكان يخرج في الليل وفي كمه صرر من الدراهم فيعطي من لقيه ومن أراد بره ، وكان يضرب المثل بصرة موسى وكان أهله يقولون : عجباً لمن جاءته صرة موسى فشكا القلة » (٤) .

٣٧ ـ محمود بن وهيب القراغولي :

« موسى بن جعفر وارث أبيه علما ومعرفة وكمالا ، وفضلا ، سمي بالكاظم لكظمه الغيظ ، وكثرة تجاوزه وحلمه ، وكان معروفا عند أهل

---

(١) تأريخ بغداد : (ج ١٣ ص ٢٧ ـ ٢٨) .

(٢) الفقه الاسلامي مدخل لدراسة نظام المعاملات فيه : (ص ١٦٠)

(٣) ينابيع المودة : (ص ٣٦٢) .

(٤) عمدة الطالب : (ص ١٨٥) .

العراق بباب قضاء الحوائج عند الله ، وكان أعبد أهل زمانه ، وأعلمهم وأسخاهم . . » (١) .

٣٨ ـ محمد أمين السويدي البغدادي :

« موسى الكاظم هو الامام الكبير القدر الكثير الخير ، كان يقوم ليله ويصوم نهاره ، وسمي الكاظم لفرط تجاوزه عن المعتدين » (٢) .

٣٩ ـ الدكتور عبد الجبار الجومرد :

« الامام الكاظم : هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب (ع) وكان ذا تأريخ حافل بالزهد والورع والكرم ودماثة الخلق ، وقد لقب بالكاظم لأنه كان يحسن الى من يسيء اليه » (٣) .

٤٠ ـ جمال الدين الاتابكي :

« كان موسى يدعا بالعبد الصالح لعبادته ، وبالكاظم لعلمه (٤) ولد بالمدينة سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة ، وكان سيداً عالماً فاضلا سنيا جواداً ممدوحا مجاب الدعوة » (٥) .

هذه بعض الآراء التي دوّنها كبار العلماء في مؤلفاتهم وهي تحمل طابع التقدير والاكبار للامام ، وقد أجمعت على اتصاف الامام بما يلي :

١ ـ انه أعلم أهل زمانه ، وأفقههم .

٢ ـ اجتهاده في العبادة والطاعة الى حد لا يجاريه أحد .

---

(١) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام : (ص ١٣٩) .

(٢) سبائك الذهب : (ص ٧٣) .

(٣) هارون الرشيد : (ج ١ ص ١٧٧) .

(٤) انما لقب الامام بالكاظم لكظمه للغيظ وسعة حلمه لا لعلمه ، فانه لا مناسبة بين الأمرين .

(٥) النجوم الزاهرة (١١٢/٢) .

٣ ـ انه احلم الناس واكظمهم للغيظ ، وانه يقابل الجاني والمعتـدي عليه بالعفو والاحسان .

٤ ـ انه من اجود الناس وأسخاهم وأنداهم كفاً فبصرره يضرب المثل ويستغني بكرمه من يصله .

٥ ـ انه باب للحوائج عند الله ، وقد خصه تعالى بهذه الكرامة ومنحه بهذا اللطف فضمن لمن توسل به أن يقضي حاجته ومهمته ولا يرجع الى اهله الا وهو مثلوج الفؤاد ناعم الفكر .

٦ ـ انه ذو كرامات تحار منها العقول والالباب .

٧ ـ انه أوصل الناس لأهله ورحمه .

٨ ـ انه من أفصح الناس وأبلغهم .

٩ ـ انه امام من أئمة المسلمين ومن حجج الله على خلقه .

١٠ ـ انه بلغ القمة في تواضعه ودماثة اخلاقه .

وروى المؤرخون ما يدعم هذه الظاهرة الكريمة فيه ، فقالوا أنه مر برجل من اهل السواد ذميم المنظر ، فسلم عليه ونزل عنده وحادثه طويلا ، ثم عرض عليه القيام بحاجته ، وقضاء شؤونه ، وانصرف عنه ، وثقل ذلك على بعض من صحب الامام ، فأنكر عليه صنعه ، واخذ يندد بالامام قائلا له :

ـ يا ابن رسول الله أتنزل الى هذا ، ثم تسأله حوائجه ، وهو اليك أحوج ؟

فغاظ ذلك الامام ، وانطلق يجيبه بروح الاسلام ووعيه الذي لا يفرق بين المسلمين قائلا له :

« عبد من عبيد الله ، وأخ في كتاب الله ، وجار في بلاد الله ، يجمعنا واياه خير الآباء آدم ، وأفضل الاديان الاسلام ، ولعل الدهر يرد من حاجتنا اليه فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه . . »

انه ليس من الاسلام في شيء التفرقة بين صفوف المسلمين ، فهم جميعاً على صعيد واحد ، وان اكرمهم عند الله اتقاهم .

بهذه الروح الفواحة بالايمان والتقوى كان الامام عليه السلام يعالج النفوس المريضة التي اترعت بالانانية ، والآفات الاجتماعية .

وهذه الصفات الماثلة في الامام هي السر في عظمته ، والسر في اجماع العلماء على اكباره واتفاق المسلمين على محبته .

مِنْ تُرَاثِهِ الفِكْرِي



أما تراث الامام الفكري الذي زوّد به أصحابه وطلاب مدرسته فهو من أروع ما خلفه أئمة المسلمين من الثروات الفكرية ، ومن أنفس ما أبقاه علماء الاسلام من التراث العلمي ، فقد تناول كثيراً من العلوم كعلم الحكمة والكلام ، وعلم الفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم ، ويضاف اليها حكمه وآراؤه القيمة التي تناولت آداب السلوك ، والاخلاق ، وقواعد الاجتماع وهي حافلة بأروع صور الفصاحة والبلاغة البالغتين حد الاعجاز ، وفيما يلي عرض موجز لبعضها :

رسالته في العقل :

العقل هو القوة المبدعة التي منحها الله للانسان وشرفه وميزه به على بقية الموجودات ، وجعله خليفة في الأرض ، وقد استطاع بعقله وتفكيره أن يستخدم الكائنات ، ويكشف أسرارها ، ويميط الحجاب عن دقائقها ، وان يغزو الفضاء ، ويصل الى الكواكب ، ويكتشف ما فيها كل ذلك وصل اليه الانسان وسيصل في مستقبله القريب أو البعيد الى ما هو أعمق وأشمل من ذلك .

لقد انتهى الانسان في انطلاقه الرائع الى هذه الاكتشافات المذهلة بفضل عقله ، وادراكه ، وعلمه ، وقد تحدث الامام موسى عن أهم آثار العقل واستدل على فضله بالآيات الكريمة ، وذلك في حديثه الذهبي الذي زود به تلميذه هشام بن الحكم ، ويعتبر هذا الحديث من أهم الثروات الفكرية التي أُثرت عن الامام ، وقد شرحه شرحا فلسفياً صدر المتألهين الآخوند ملا صدرا (١) وقال في تقريضه ما نصه :

(١) الشيخ ملا صدرا هو محمد بن ابراهيم الشيرازي الحكيم المتأله =

« هذا الحديث مشتمل على بيان حقيقة العقل بالمعنى المذكور - أعني المرتبة الرابعة من العقول الاربعة المذكورة في علم النفس - ومحتوعلى معظم صفاته وخواصه ومدائحه ، ومتضمن لمعارف جليلة قرآنية ، ومقاصد شريفة إلهية لم يوجد نظيرها في كثير من مجلدات كتب العرفاء ، ولم يعهد شبيهها في نتائج أنظار العلماء النظار ذوي دقائق الأفكار إلا منقولاً عن واحد من الأئمة الأطهار أو مسنداً من طريقهم أو طريق العامة الى الرسول المختار (ص) ، والحديث مشتمل على خطابات ذكر في كل منها بابا عظيما من العلم ، بعضها في العلوم الالهية وبعضها في علم السماء والعالم، وبعضها في علم الفلكيات ، وبعضها في علم الأكوان والمواليد ، وبعضها في علم النفس ، وبعضها في تهذيب الأخلاق وتطهير النفوس من الرذائل ، وبعضها في السياسات المدنية ، وبعضها في المواعظ والنصائح ، وبعضها في علم الزهد وذم الدنيا ، وبعضها في علم المعاد والرجوع الى الله ، وبعضها في مذمة الكفرة والجهلة وسوء عاقبتهم وانقلاب نشأتهم الى نشأة البهائم وانهم صم بكم عمي لأنهم لا يعقلون . الى غير ذلك من العلوم والمعارف . . . » .

ونقدم نص حديث الامام (ع) مشفوعا بشرح موجز اقتبسنا بعضه مما ذكره فيلسوف الاسلام الشيخ ملا صدرا في تفسيره لهذا الحديث قال عليه السلام :

« يا هشام : إن الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه

= المعروف كان أعلم أهل زمانه في الحكمة ، متقنا لجميع فنونها - كما قال صاحب السلافة - له الاسفار الاربعة ، وشرح أصول الكافي وتفسير بعض السور القرآنية و « كسر الاصنام الجاهلية » و « شواهد الربوبية » وغيرها . توفي بالبصرة في حال توجهه الى الحج وذلك في سنة ١٠٥٠ ، جاء ذلك في الكنى والألقاب : (ج ٢ ص ٣٧٢) .

فقال : (فبشر عبادي ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) (١) .

إستدل الامام (ع) بهذه الآية الكريمة على تقديم أهل العقول المستقيمة على غيرهم لأن الله قد بشرهم بالهداية والنجاح ، وقد تضمنت الآية التي استشهد بها الامام جملة من الفوائد العلمية نذكر فائدتين منها :

١ - وجوب الاستدلال :

إن الانسان إذا وقف على جملة من الأمور فيها الصحيح والفاسد ، وكان في الصحيح هدايته وفي السقيم غوايته فانه يتحتم عليه أن يميز بينهما ليعرف الصحيح منها فيتبعه والفاسد فيبتعد عنه ، ومن الطبيعي أن ذلك لا يحصل إلا باقامة الدليل والحجة ، وبهذا يستدل على وجوب النظر والاستدلال في مثل ذلك .

٢ - حدوث الهداية :

ودلت الآية على حدوث الهداية وعروضها ، ومن المعلوم أن كل عارض لابد له من موجد كما لابد له من قابل ، أما الموجد للهداية فهو الله تعالى ولذلك نسبها اليه بقوله : (أولئك الذين هداهم الله) وأما القابلون لها فهم أهل العقول المستقيمة والى ذلك أشار تعالى بقوله : (أولئك هم أولو الألباب) ومن المعلوم ان الانسان انما يقبل المعرفة والهداية لا من جهة جسمه وأعضائه بل من جهة عقله ، فلو لم يكن كامل العقل امتنع عليه حصول المعرفة والفهم كما هو ظاهر ، وقد أقام الشيخ ملا صدرا رحمه الله الدليل على حدوث الهداية وعلى أن فاعلها هو الله تعالى ، وأطال الكلام في ذلك .

قال (ع) :

---

(١) سورة الزمر : آية ١٧ - ١٨

« يا هشام ان الله تبارك وتعالى اكمل للناس الحجج بالعقول ، ونصر النبيين بالبيان ، ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هوالرحمن الرحيم ، إن في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » (١) .

أفاد الامام في حديثه أن الله اكمل نفوس أنبيائه بالعقول الفاضلة ، ليكونوا حججاً على عباده ، وهداة لهم الى طريق الخير والنجاة ، ولو لم يمنحهم بذلك لما صلحوا لقيادة الأمم وهدايتها فان الناقص لا يكون مكملا لغيره .

لقد نصر الله انبياءه ببيان الحق ، وآيات الصدق ، ودلهم على ربوبيته وعلمهم طريق معرفته ، وتوحيده بأدلة حاسمة تشهد على وجوده ، وتدل على وحدانيته ، والآيات التي دلهم عليها من آثار خلقه ، ومن المعلوم - حسب ما ذكره المنطقيون - ان المعلول يدل على العلة ، والأثر يدل على المؤثر ، وقد تضمنت الآية الكريمة التي تضمنها حديث الامام على جملة من الآثار العظيمة التي يستدل بها على وجود الله تعالى وهي :

١ - خلق السماوات :

ان من أعظم آيات الله الباهرات خلقه للسماوات التي زينها بالكواكب التي تسبح في الفضاء ، وتسير في مداراتها ، وتتباعد بعضها عن بعض حسب قواعد الجاذبية . وهي مسخرة في حركاتها ، وانجذابها وجذبها بأمر الله تعالى ، يبلغ حجم الواحدة من بعض الكواكب اضعاف حجم الارض عشرات الآلاف ، وبعضها اكبر من الارض عدة ملايين ، وهي تسير في افلاكها ومنحنياتها لا يصطدم بعضها ببعض ، وهي تنادي بوجود الله جلت

---

(١) سورة البقرة : آية ١٦٣ - ١٦٤ .

قدرته ، قال سماحة الامام المغفور له الشيخ محمد عبده :

« تتألف هذه الأجرام السماوية من طوائف لكل طائفة منها نظام كامل محكم ، ولا يبطل نظام بعضها نظام الآخر لأن للمجموع نظاما عاماً واحداً يدل على أنه صادر عن إله واحد لا شريك له في خلقه وتقديره وحكمته وتدبيره ، وأقرب تلك الطوائف الينا ما يسمونه النظام الشمسي نسبة الى شمسنا هذه التي تفيض أنوارها على أرضنا فتكون سبباً للحياة النباتية والحيوانية ، والكواكب التابعة لهذه الشمس مختلفة في المقادير والأبعاد ، وقد استقر كل منها في مداره ، وحفظت النسبة بينه وبين الأخر بنسبة إلهية ، ولولا هذا النظام لانفلتت هذه الكواكب السابحة في أفلاكها فصدم بعضها بعضاً ، وهلكت العوالم بذلك فهذا النظام آية على الرحمة الالهية كما انه آية على الوحدانية . . » (١) .

إن ما اكتشفه العلم الحديث من النجوم هو بمقدار من الكثرة بحيث لو كنا نعد النجوم كلها بسرعة ١٥٠٠ نجم في الدقيقة لاستغرق عدنا ٧٠٠ سنة ، أما نسبة الأرض اليها فهي أقل كثيراً من نقطة على حرف في مكتبة تضم نصف مليون من الكتب من الحجم المتوسط (٢) .

ومما لا شبهة فيه أنها لم تكن ناشئة عن الصدفة ، وهل انها المدبرة والخالقة لهذه العوالم اذ كيف يمكن أن تفسر هذه العلميات المعقدة المنضمة بتفسير يقوم على المصادفة والتخبط العشوائي « وكيف نستطيع أن نفسر هذا الانتظام في ظواهر الكون والعلاقات السببية والتكامل والفرضيـة والتوافق والتوازن التي تنتظم بسائر الظواهر ، وتمتد آثارها من عصر الى عصر ، كيف يعمل هذا الكون من دون أن يكون له خالق مدبر هو الذى خلقه وأبدعه

---

(١) تفسير المنار ٦٠/٢ .

(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص ٤٨ .

ودبر سائر أموره » .

يقول جون وليام كوتس :

« ان هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قـد نشأ بمحض المصادفة . إنه ملىء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج الى مدبر ، والتي لا يمكن نسبتها الى قدر أعمى . ولا شك ان العلوم قد ساعدتنا على زيادة وفهم وتقدير ظواهر هذا الكون وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن ايماننا بوجوده » (١) .

٢ ـ الارض :

ومن عجائب آيات الله خلقه لهذا الكوكب الذي نعيش عليه ، فقد جعله تعالى يدور حول محوره في كل ٢٤ ساعة مرة واحدة ، وسرعة حركته (١٠٠٠) ميل في الساعة ، ولو كان يدور حول محوره بسرعة ١٠٠ ميل في الساعة لكان طول الليل عشرة أمثال ما عليه الآن ، وكذا طول النهار ، وكانت الشمس محرقة في الصيف لجميع النبات ، وفي الليالي الباردة كان ينجمد ما عليها من نبات وحيوان كما انها لو اقتربت الشمس من الأرض أكثر مما عليه الآن لازدادت الاشعة التي تصل اليهـا بدرجة تؤدي الى امتناع الحياة فوقهـا كما انها لو ابتعدت عنها اكثر مما عليهـا لحدث العكس وقلت الأشعة وازدادت قسوة الـبرد بدرجة تؤدي الى امتناع الحياة عليها ولو أن الأرض كانت صغيرة كالقمر أو حتى أن قطرها كان ربـع قطرها الحالي لعجزت عن احتفاظها بالغلاف الجوي والمائي اللذين يحيطان بها ، ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت ، ولو كان

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٤٨ .
(٢) التكامل في الاسلام ٤/٦٦ .

قطرها ضعف قطرها الحالي لأصبحت جاذبيتها للاجسام ضعف ماهي عليه وانخفض تبعـــاً لذلك ارتفـــاع غلافها الهوائي ، وزاد الضغط الجوي وهو يوجب تاثيراً بالغاً على الحياة فان مساحة المناطق الباردة تتسع اتساعا كبيراً ، وتنقص مساحة الاراضي الصالحة للسكنى نقصا ذريعـــاً ، وبذلك تعيش الجماعات الانسانية منفصلة أو في أماكن متنائية فتزداد العزلة بينها ، ويتعذر السفر والاتصال بل قد يصير ضرباً من ضروب الخيال .

ولو كانت الارض في حجم الشمس لتضاعفت جاذبيتهـــا للاجسام التي عليها الى ١٥٠ ضعفاً ونقص بذلك ارتفاع الغلاف الجوي ، ووصل وزن الحيوان الى زيادة ١٥٠ ضعف عن وزنه الحقيقي كما تتعذر الحيـاة الفكرية بصورة عامة (١) .

وخص الله الأرض بميزة أخرى بأن جعل لها غلافا غازيا كثيفا سمكه يقدر بـ ٨٠٠ كيلومتر ، وهو يتكون من جميع العناصر الضرورية للحياة ، وهو السبب في حيلولة الشهب القاتلة الى الارض كما انه السبب في ايصال حرارة الشمس بصورة معتدلة الى الارض بحيث يمكن ان تعيش على سطحها النباتات والحيوانات كما ان له الأثر في نقل المياه والبخار من المحيطات الى القارات ولولاه لتحولت القارات الى أرض قاحلة ، وليس لبعض الكواكب هذا الغلاف مما سبب عدم ظهور الحياة عليهـــا فالمريخ له غلاف غازي ولكنه رقيق جدا وغير صالح للحيـاة لخلوه من الاوكسجين والزهرة لهـــا غلاف غازي ولكنه مكون من ثاني اوكسيد الكربون مما يجعله غير صالح لظهور الحياة وكذلك القمر له غلاف ، ولكنه رقيق ، وخال من العناصر الضرورية للحياة مثل الاوكسجين (٢) .

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ١٠ - ١١

(٢) التكامل في الاسلام ١٢٨/٦

ومما ميز الله به الأرض بأن جعلها غبراء اللون لتكون قابلة للانارة والضياء ، وجعلها متوسطة في الصلابة ليمكن المشي عليها ، ولتقبل الزرع والحرث ، وناهيك بما في مائها وأنهارها وجبالها ومعادنهـــا من الآيات والعجائب قال سماحة الامام المغفور له كاشف الغطاء :

« حقاً إن من أعظم تلك الآيات التي نمر عليها في كل وقت وعلى كل حال هذه الأرض التي نعيش عليها، ونعيش منها ونعيش بها، منها بدؤنا واليها معادنا . (منها بدأناكم واليها تعودون) لا نزال نمشي على الأرض ، ونثير ترابها في الحرث والنسل ، ونتقلب عليها للضرع والمرع ، ونزاولها في عامة شؤون الحياة ، ولا تزال تدر علينا بخيراتها وبركاتها ونحن ساهون لاهون ، وعن آياتها معرضون غافلون عما فيها من عظيم القدرة ، وباهر الصنعة ، ودلائل العظمة والقوة ، هذا التراب الذي قد نعده من أحقر الأشياء وأهونها والذي هو في رأي العين شي واحد وعنصر فرد ، كم يحتوي على عناصر لا تحصى وخواص لا تتناهى ، تنثر فيه حب القمح فيعطيك أضعافاً من نوعه ، وتنثر فيه الفول والعدس وأمثالها من القطانيات المختلفة في الطعوم والخواص فتعيدها اليك مضاعفة مترادفة ، وتغرس في نفس ذلك التراب نواة النخل وبذرة الكرم ، وأقلام التين والتفاح وأمثالهـــا من الفواكه فتثمر تلك الثمار الشهية المختلفة الأذواق المتغايرة الخواص ، وقال رحمه الله : الأرض هي أم المواليد الثلاثة : الجماد ، والنبات ، والحيوان ، وتحوطها العناية بالروافد الثلاثة : الماء ، والهواء والشمس ، فهي الحياة وهي الممات ، وفيها الداء ، ومنها الدواء وقد تحصى نجوم السماء ، أما نجوم الأرض فلا تحصى .

نعم لا تحصى نجوم الارض ولا معادن الارض ولا عناصر الأرض ، ولا تزال الشريعة الاسلامية قرآنها وحديثها يعظم شأن الأرض وينوه عنها صراحة وتلميحاً فيقول : (ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياءاً وأمواتاً) (والارض

بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها) فلينظر الانسان الى طعامه إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلباً وفاكهة وأبا) (١) .

إن الأفكار الثاقبة والعقول الجبارة التي استخدمت جميع وسائل العلم الحديث لم تصل الى تحليل جميع عناصر الارض واستخراج جميع كنوزها ، مع انها بعض مخلوقات الله بل من أبسطها فسبحانه ما أجل قدرته وأعظم صنعه . . !

٣ ـ اختلاف الليل والنهار :

ومن آيات الله تعالى اختلاف الليل والنهار ، وذكر علماء التفسير للاختلاف وجهين : (أحدهما) انه افتعال مأخوذ من خلفه يخلفه إذا ذهب الاول وجاء الثاني فيكون المراد باختلاف الليل والنهار تعاقبهما في الذهاب والمجيء (الثاني) الاختلاف في الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقيصة ، وكما انهما يختلفان في الزمان فكذلك يختلفان في المكان فكل ساعة فرضت معينة في موضع من الأرض بأنها صبح مثلا فهي في موضع آخر ظهر ، وفي مكان ثالث عصر ومن رابع مغرب وهلم جرا وذلك لكروية الارض ، وهذا الاختلاف من آثار النظام الشمسي الذي يدل على وحدة الله ووجوده ، وهناك مصالح لا تحصى ترتبت على هذا الاختلاف كانتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة في النهار وطلب الراحة والنوم في الليل (٢) الى غير ذلك من المصالح الحيوية التي ذكرها العلماء في

(١) الارض والتربة الحسينية : ص ١٠ ـ ١٣ .

(٢) تفسير الرازي : (ج ٢ ص ٦٥ ـ ٦٦) .

سر هذا الاختلاف التي تكشف عن وجوده تعالى وجميل صنعه وعظيم قدرته ! .

٤ ـ جريان الفلك :

ومن آياته تعالى جريان الفلك في الماء فانه لولا توسط الماء في اللطافة والخفة لما أمكن جريان البواخر والسفن فيه ، كما انه لولا الرياح المعينة على تحريكها الى الجهات المختلفة حسب اغراض الناس لما أمكن النفع بها ، وقد جعـل الله تلك الرياح متوسطة في الهدوء ولو كانت عاصفة لتحطمت البواخر ، بالاضافة الى أن مواد السفن من الخشب والحديد وغيرها هي من خلق الله تعالى ومن إيجاده ، وإن كانت الهيئة التركيبية من الناس (١) وجميع هذه الأمور التي الحنا اليها من فعل الله ومن آثاره .

٥ ـ نزول الماء من السماء :

ومن عظيم آيات الله تعالى انزاله الماء من السماء فانه من عجائب صنعه وباهر قدرته ، فقد خلقه مركباً من الاوكسجين والهيدروجين وغيرهما بنسب متفاوتة ومقادير معينة . وكل عنصر من أجزائه يختلف عن العنصر الآخر ويخالفه وجعله تعالى سببا لحياة الاجسام النامية فقال : « وجعلنا من الماء كل شيء حيا » كما جعله تعالى سبباً لحياة الانسان وسببا لرزقه ومعيشته فقال : « وفي السماء رزقكم وما توعدون) .

وإنما كان نزول المطر حياة للارض ـ كما صرحت به الآية الكريمة ـ لأن فيها قوة الحياة الحيوانية والنباتية ، وان كانت القوة بعيدة بالقياس الى

---

(١) تفسير الرازي : (ج ٢ ص ٦٨) .

الحيوانية ، فاذا نزل عليها الماء ظهر فيها من العشب والكلاء وما شاكله من النباتات التي يعيش بها الانسان وتحيي بها دواب الأرض ، أو لأنه يحصل للارض بسبب نزول المطر النبات والازهار والرياحين فتكسى بذلك ثوبا من الحسن والجمال تبعث على البهجة والمسرة لمن نظر اليهـا وهذا هو المراد من حياتها ، وعلى كل ففي ذلك آيات وشواهد على وجود الصانع وباهر قدرته .

ولو أمعن الانسان في النبات والزرع وما فيها من العجائب لآمن بقدرة الله وجمال صنعه وتدبيره ، فان الزرع يخرج على الحد الذي يحتاج اليه العباد في أوقات معلومة فما يخرج في موسم الربيع لا يدرك في الخريف وما يخرج في الصيف لا يوجد في الشتاء ، ومضافا الى ذلك تغاير الاشجار والثمار فانها متغايرة بألوانها وطعمها ورائحتها مع أنها تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة ، فلو نظر الانسان الى ذلك بعين البصيرة لآمن بربه وما زاغ قلبه وما خرج عن جادة الايمان .

٦ ـ بث الدواب في الأرض :

ومن آيات الله العظيمة بث الحيوانات في الأرض المختلفة في أنواعها وأصنافها وأشكالها وشرفها وخستها المتباينة في أخلاقها وطبايعها ومعيشتها والانسان من جملة الحيوانات ، ولكنه من أشرفها وأرقاها فهو خليفة الله في أرضه لأن فيه انموذجاً لجميع ما في العالمين عالم الملك ، وعالم الملكوت خصوصا بحسب وعيه وادراكه ، واحاطته بكثير من الحقائق والمعلومات الكلية والجزئيـــة فهو عالم بنفسه بل هو أكبر من العالم يقول الامام امير المؤمنين (ع) :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

إن الانسان بحسب تكوينه من أعظم آيات الله ففيــه من الاجهزة الدقيقة ما لا تحصى ولا تعد كتكوين العين التي تحتوي على التنظيمات التلسكوبية والمكروسكوبية وهي تحتوي على ١٣٠ مليون من مستقبلات الضوء ، وهي أطراف أعصاب الابصار ، ويقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب الذي يقيهـا ليلا ونهاراً ، وتعتبر حركته حركة لا ارادية ، ويمنع عنها الاتربة والذرات كما يكسر من حدة الشمس ، وجعل لها السائل المحيط بها المعروف بالدموع من أقوى المطهرات والمعقمات الى غير ذلك مما هو أبلغ دليل على وجودالله وفي الانسان حاسة السمع ، وهي من أعجب اجهزة الانسان فان فيه التيه وقد قال فيه العـالم (كورثي) :

« إن التيه يشتمل على نوع من الاقنية بين لولبية ، ونصف مستديرة وان في القسم اللولبي وحده اربعة آلاف قوس صغيرة متصلة بعصب السمع في الرأس » .

ما طول تلك الأقواس ؟

ما حجمها ؟

كيف ركبت ؟

إنها دقة تحير الالباب ، فسبحان الله المكون والمصور ، وفي الانسان حاسة الشم ، وهي من اعظم آيات الله ، فان مركز هذه الحاسة منطقة محدودة من الغشاء المخاطي المبطن لتجويف الأنف ، تسمى منطقة الشم ، وهي خالية من الأهداب ، وبها عدة خلايا شمية طويلة رقيقة تنقل الأثر الى المخ ، وذلك في جزء من الأنف ، وهو المدخل الرئيسي للجهاز التنفسي الذي يتوقف عليه حياة الانسان .

وفي الانسان الجهاز العظمي ، وهو يتكون من ٢٠٦ عظم ، ويتصل

بعضها ببعض بالمفاصل التي تحركها العضلات ، وهذه العظام مصنع الحياة في الجسم اذ انها تكون الكريات الدموية الحمراء والبيضاء وانها اساس الحياة ومن عجيب أمر هذه الكريات انها في كل دقيقة من حياة الانسان يموت منها ما لا يقل عن مائة وثمانين مليونا بسبب دفاعها عن الجسم ضد الميكروبات الوافدة ، واضافة لما تصنعه العظام من كريات الدم فانها مخزن تحفظ للجسم ما يزيد على حاجته من الغذاء سواء كان ذلك في داخل العظام نفسها كالمواد الدهنية والزلالية أو على العظام نفسها كالمواد الجيرية .

اما ملاءمة العظام لما خلقت له فهذا أمر عجيب . فعظام الجمجمة التي تحمي المخ أشد صلابة من غيرها ، وأكثرها سمكاً لانها تحمي انسجة رقيقة ودقيقة .

الى غير ذلك مما في الانسان من الاجهزة المحيرة كالجهاز العصبي والجهاز التناسلي ، والجهاز اللمفاوي ، والجهاز العضلي (١) وهي تدل بوضوح على مكونها وخالقها ، فانها لا يمكن ان تتكون صدفة فان حديث المصادفة اصبح من الخرافات التي لا يؤمن بها من كان له أدنى تفكير وشعور .

٧ ـ تصريف الرياح :

من آيات الله تصريفه للرياح فانهـا تأتي جنوباً ، وشمالا ، وقبولا ودبورا ، هذا هو كيفية تصريفها (٢) .

---

(١) يراجع في هذه البحوث بصورة مستفيضة الى المصادر التالية : الله والعلم الحديث ، أمالي الامام الصادق ، الله يتجلى في عصر العلم ، العلم يدعو للايمان .

(٢) تفسير الطبري ٢/٦٥ .

ان الرياح : هي حركة الهواء الموجود في الطبقات السفلى من الجو إذا سارت متوازية مع سطح الارض ، وتختلف سرعة الرياح حتى تصل الى مائة كيلومتر في الساعة ، وتسمى زوبعة ، وإذا زادت عليهـا تسمى اعصارا ، وقد تصل سرعتها الى ٢٤٠ كيلومترا في الساعة ، وهذه الرياح هي العامل المهم في نقل بخار الماء وتوزيعه ، كما انهـا من أهم الوسائل لتلقيح النباتات. فقد ثبت ان هناك قسما كبيراً من النبات لا يتم تلقيحه الا بالهواء ، قال تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » (١) .

٨ ـ تسخير السحاب :

ومن آياته تعالى تسخير السحاب ، فقد سخره في أوقات مخصوصة لاحياء العباد والبلاد ، ولو دام وجوده لعظم ضرره لأنه يستر أشعة الشمس كما يؤدي الى فساد جميـع المركبات التي تتوقف على الجفاف ، وبانقطاعه يعظم الضرر لأنه يؤدي الى القحط فيهلك الانسان والحيوان فكان تقديره بالأوقات الخاصة والفصول المعينة لأجل الصالح العام .

ان السحاب يتكون من تكاثف البخار في الهواء ، ويختلف ارتفاع السحب على حسب نوعها ، فمنها ما يكون على سطح الأرض كالضباب ، ومنها ما يكون ارتفاعه بعيداً الى اكثر من ١٢ كيلومتراً كسحاب (السيرس) الرقيق .

وعندما تكون سرعة الرياح الصاعدة أكثر من ثلاثين كيلومترا في الساعة لا يمكن نزول قطرات المطر المتكون ، وذلك لمقاومة الرياح لها ، ..

(١) سورة الحجر : آية ٢٢ .

وكلما تناثرت النقط تشحن بالكهرباء الموجبة ، وتنفصل عنها الكهرباء السالبة التي تحملها الرياح . . وبعد مدة تصير مشحونة شحنا وافرا بالكهرباء ، وعند ما تقترب الشحنتان بعضها من بعض بواسطة الرياح .. يتم التفريغ الكهربائي ، وذلك بمرور شرارة بينهما ، ويستغرق وميض البرق لحظة قصيرة ويكون شكله خطا منكسراً ، ويسمع بعده الرعد وهو عبارة عن الموجات الصوتية التي يحدثها الهواء ، وتخيم السحابة ، وينزل منها المطر فتأخذ منه الأرض ما قدر الله لها من الماء .

فانظر كيف ولدت الرياح الكهرباء بنوعيه في السحب ، وسببت نزول المطر منها (١) كل ذلك بتقدير الله العزيز العليم ، وتحدث الطنطاوي في تفسيره عن السحب وفوائدها قال :

« تعجب كيف كان السحاب ليس يرتفع عن وجه الارض في الجو اكثر من ستة عشر الف ذراع ، وإن أقربه ما كان مماساً لوجه الارض نادر في بعض البلدان إذ لو كان السحاب مماساً لوجه الارض لأضر ذلك بالحيوان والنبات وأمتعة الناس . إلى أن قال : كما أنه لو كان بعيداً شديد الارتفاع في الهواء حتى لا يرى لكانت الامطار والثلوج تأتي مفاجأة والناس والحيوان عنها غافلون لا يتحرزون فيكون الضرر عاماً » (٢) .

هذا بعض ما في الآية الكريمة من الشواهد والأدلة على وجود الله تعالى الذي هو المصدر لوجود هذه العوالم وقد استدل الامام (ع) بهذه الآيات لدعم حقيقة الايمان بالله ، وتحرير العقول من خرافات الشرك وفيما يلي فصل آخر من حديثه (ع) قال :

---

(١) الله والعلم الحديث ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٢) تفسير الجواهر : (ج ١ ص ١٥٥) .

« يا هشام : قد جعل الله ذلك (١) دليلا على معرفته بأن لهم مدبرا فقال : (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٢) وقال : (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون) (٣) وقال : (ان في اختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيي به الارض بعد موتها وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) (٤) وقال : (يحيي الارض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) (٥) وقال : (وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٦) وقال : (ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعا وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٧) وقال : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس

---

(١) اسم الاشارة يرجع الى الآية المذكورة او لكلامه المتقدم .

(٢) سورة النحل : آية : ١٢ .

(٣) سورة المؤمن : آية : ٦٦ .

(٤) قد أخذ هذا من مضمون الآية الرابعة في سورة الجاثية .

(٥) سورة الحديد : آية ١٨ .

(٦) سورة الرعد : آية : ٤ .

(٧) سورة الروم : آية : ٢٤ .

التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) (١) وقال : (هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء ، تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) (٢) .

استدل (ع) بهذه الآيات الكريمة على آثار الله تعالى الدالة على وجوده ووحدانيته ، وقد بسطنا الكلام في بعضها ، وإنما أعادها (ع) للتنبيه على وثاقة الأدلة فانه لو أمعن بهـا العاقل المفكر وتدبرها لآمن بذلك ولم يبق عنده أي مجال للشك ، ولذا كررها تعالى في كتابه الحكيم ، ثم انه (ع) ذكر بعض الموبقات والجرائم التي حرمها القرآن وهي :

١ ـ الشرك بالله .

٢ ـ عصيان الأبوين .

٣ ـ قتل الاولاد خشية إملاق .

٤ ـ الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

٥ ـ قتل النفس المحترمة .

ولولا خوف الاطالة لبسطنا الكلام في بيان بقية الآيات التي استشهد بها الامام في حديثه ، ولننتقل الى فصل آخر من كلامه ، قال عليه السلام :

« يا هشام : ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال : (وما الحيـاة الدنيـا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خـير للذين يتقون أفلا تعقلون) (٣) .

استدل (ع) بالآية الكريمة على ترغيب الله تعالى لعباده العقلاء في دار الخلود والنعيم وذمه لدار الدنيا لأنها محصورة على الاكثر في اللهو واللعب

(١) سورة الانعام : آية ١٥١ .

(٢) سورة الروم : آية : ٢٨ .

(٣) سورة الانعام : آية : ٣١ .

فينبغي للعقلاء أن يزهدوا فيها ويجتنبوا شرها وحرامهـــا ، ويعملوا للدار الباقية التي أعدت للمتقين والصالحين ولننتقل الى فصل آخر من حديثـــه قال (ع) :

« يا هشام : ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى : « ثم دمرنا الآخرين ، وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ، وبالليل أفلا تعقلون) (١) وقال : (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا فيها آية بينة لقوم يعقلون) (٢) .

استدل (ع) بهذه الآيات الكريمة على تدميره تعالى للذين لا يعقلون من الامم السالفة التي كفرت بالله وقد نزلت الآيات في قوم لوط حينما جحدوا الله وكفروا بآياته فأنزل تعالى بهم عقابه وجعل موطنهم بحيرة منتنة قبيحة المنظر وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المارون ليلا ونهاراً ولذا قال تعالى : (وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل . .) (٣) وقد جعلهم تعالى عبرة وموعظة للذين يعقلون ، فان فيه تحذيرا لهم من مخالفة المرسلين والمصلحين فان عاقبة المخالفة والعصيان الدمار والهلاك (٤) ، وقال عليه السلام :

« يا هشام : إن العقل مع العلم قال تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون » (٥) .

استدل (ع) بالآية الكريمة على ملازمة العقل للعلم فان العقل بجميع مراتبه لا ينفك عن العلم ولا يفترق عنه ، وسبب نزول الآية فيما يقوله المفسرون

---

(١) سورة الصافات : آية : ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ .

(٢) سورة العنكبوت : آيه : ٣٣ و ٣٤ .

(٣) تفسير ابن كثير : (ج ٤ ص ٢٠) .

(٤) روح المعاني : (ج ٧ ص ٣١٣) .

(٥) سورة العنكبوت : آية : ٤٣ .

ان الكافرين قالوا إن الله كيف يضرب الأمثال بالهوام والحشرات كالبعوض والذباب والعنكبوت ، والامثـال ينبغي ان تضرب بغير ذلك من الامور الخطيرة وهو منطق هزيل ، فان التشبيه انما يكون بايغا فيا اذا كان مؤثراً في النفس فاذا قال الحكيم ان يغتاب انساناً إنك بهذه الغيبة كأنك تأكل لحم الميتة لأنك تغتابه فان هذا يؤثر في ردعه اكثر مما يؤثر قوله : إن الغيبة حرام أو تورث العتاب والشحناء بين الناس .

وأشار تعـالى بقوله : (وما يعقلهـا إلا العالمون) إلى أن معرفة حقيقةالاشياء والتمييز بين صحيحها وسقيمهالايعقلها إلا من حصل له العلم والمعرفة فغير العالم لا يفقه ذلك (١) ولننتقل الى فصل آخر من كلامه قال (ع) :

« يا هشام : ثم ذم الذين لا يعقلون فقال : (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)(٢) وقال: (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون (٣) وقال : (ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون) (٤) وقال : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضـل سبيلا) (٥) وقال : « لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعـاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم

---

(١) تفسير الرازي .

(٢) سورة البقرة : آية : ١٦٩ .

(٣) سورة البقرة : آية : ١٧١ .

(٤) سورة يونس : آية : ٤٢ .

(٥) سورة الفرقان : آية : ٤٤ .

لا يعقلون » (١) وقال : « وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » (٢) .

استدل الامام (ع) بالآيات الكريمة على ذم من لا يعقل ، ونتعرض فيما يلي الى بعض معانيها ليتضح استشهاد الامام بها :

(الآية الأولى) :

دلت على ذم من يتبع أسلافه ومشايخه في الامور الدينية من غير بصيرة ولا دليل ، فان الذي يحفزهم الى اتباعهم انما هو الجهل والغباوة والتعصب ، وقد نزلت الآية في اليهود حينما دعاهم رسول الله (ص) الى الاسلام فرفضوا ذلك ، وقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا (٣) ولو كانت لهم عقول مستقيمة ، ونضوج فكري لفقهوا أن التقليد في العقائد لا يقره العقل السليم ، فالعقيدة لابد أن تؤخذ من الدليل العلمي الصحيح فانها أساس لحياة الانسان وسلوكه قال الامام الشيخ محمد عبده في تفسيره :

« لو كان للمقلدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه الحكاية كافية باسلوبها لتنفيرهم من التقليد فانهم في كل ملة وجيل يرغبون عن اتباع ما أنزل الله استئناساً بما ألفوه مما ألفوا آباءهم عليه ، وحسبك بهذا شناعة إذ العاقل لا يؤثر على ما أنزل الله تقليد أحد من الناس مهما كبر عقله وحسن سيره ، إذ ما من عاقل إلا وهو عرضة للخطأ في فكره ، وما من مهتد إلا ويحتمل أن يضل في سيره ، فلا ثقة في الدين إلا بما أنزل الله ، ولا معصوم إلا من عصم الله ، فكيف يرغب العاقل عما أنزل الله الى اتباع الآباء مع دعواه الايمان بالتنزيل ، على أنه لو لم يكن مؤمنا بالوحي لوجب

---

(١) سورة الحشر : آية : ١٣ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٤٣ .

(٣) التبيان : (ج ١ ص ١٨٨) ط ايران .

أن ينفره عن التقليد قوله تعالى : « ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » (١) .

(الآية الثانية) :

متصلة بالآية الأولى ، ومتممة لها فانه تعالى لما حكى حالة الكفار في إصرارهم على التقليد الأعمى عند دعوتهم الى الاسلام ضرب الله للسامعين مثلا عن حالهم - لئلا ينخدعوا بهم - بأنهم كالانعام والبهائم التي لا تعي دعاء الراعي لهـا سوى سماع الصوت منه دون أن تفهم المعنى ، فكذلك هؤلاء لا يتأملون دعوة الحق ولا يعونها فهم بمنزلة من لا يعقل وهذا أعظم قدح وذم للذين لا يعقلون .

(الآية الثالثة) :

حكى فيهـا تعالى حال بعض الكفار بأنهم في منتهى القسوة وجمود الطبع وخمود نار الذهن فانهم يستمعون الى ما يتلى عليهم من الآيات والأدلة على صحة دعوة النبي (ص) ولكنهم صم من ناحية إدراك المعنى وتفهمه ، وانه لا جدوى ولا فائدة في دعوتهم الى اعتناق هذا الدين فقد بلغوا النهاية في أمراضهم العقلية والنفسية بحيث لا يجدي معهم العلاج والنصح .

(الآية الرابعة) :

خاطب الله فيها نبيه بأن لا يطمع في إيمان بعض الكفرة لانهم كالأنعام في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من الآيات الباهرة فهم أضل سبيلا من الأنعام لأنها تنقاد لصاحبها الذي يتعهدها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتأوى الى معاطنها ومرابضها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم فلا يعرفون احسانه ونعمه بالاضافة الى أن الحيوانات لم تعطل قوة من قواها المودعة فيها بل صرفت كل قوة الى ما خلقت له ، وأما الكفرة فقد عطلوا قواهم

(١) المنار : (ج ١ ص ١٠٠)

العقلية فضيعوا الفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها وهي معرفة الله والايمان به فلذا كانوا أضل سبيلا من البهائم .

(الآية الخامسة) :

احتوت على ذم الكفرة لأن فيهم ثلاث من الصفات الذميمة وهي :

١ ـ الجبن عن الحرب .

٢ ـ البأس الشديد فيما بينهم .

٣ ـ تشتت قلوبهم .

وعلل تعالى الصفات الثلاث أو الاخيرة بعدم العقل ، فان العاقل لا يكون جبانا كما انه لا يقع بأس أو خلاف بينه وبين غيره فان ذلك ينشأ من الجهل والغباوة ، وذلك لا يتصف به المؤمنون وقد أشار(ع) اليهم بقوله: « المؤمنون يد واحدة على من سواهم » وذلك لاتحاد أفكارهم ووحدة اتجاههم فلا يعقل التفرق والانقسام بين صفوفهم .

(الآية السادسة) :

نزلت في علماء اليهود فقــد كانوا يقولون لاقربائهم من المسلمين : اثبتوا على ما انتم عليه وهم لا يؤمنون بالاسلام (١) وكان الاحرى بهم أن يعتنقوا الاسلام ثم يأمرون الغير بالتمسك به .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث في بيان الآيات التي استدل بها (ع) على ذم من لا يعقل من الناس ، ولننتقل الى فصــل آخر من كلامه ، قال (ع) :

« يا هشام : ثم ذم الله الكثرة فقال : (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) (٢) ، وقال : (ولئن سألتهم من خلق

---

(١) مجمع البيان : (ج ١ ص ٩٨) .

(٢) سورة الانعام : آية : ١١٦ .

السماوات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون) (١) وقال تعالى : (ولئن سألت من نزل من السماء ماءً فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون) (٢) .

استدل (ع) بالآيات الثلاث على ذم اكثر الناس لأنهم قد حجبوا عن نفوسهم الحق وتوغلوا في الباطل وغرقوا في الشهوات إلا من رحمه الله منهم وأخرجه من الظلمات الى النور ، ونعرض فيما يلي الى مداول الآيات ـ بايجاز ـ :

(الآية الاولى) :

خاطب فيها تعالى نبيه (ص) وأراد به غيره أو ان الخطاب له ولغيره في أنه (ص) لو أطاع الجمهور من الناس وسار على وفق أهوائهم وميولهم لأضلوه عن دين الله وصرفوه عن الحق :

(الآية الثانية) :

دلت بحسب مفهومها على أن اكثر الناس يقولون . ما لا يعلمون ، وانهم لا يؤمنون بالله في قلوبهم بل انما يجري على السنتهم من دون أن ينفذ الى اعماق نفوسهم .

(الآية الثالثة) :

خاطب فيها تعالى نبيه بأنه لو سأل المشركين من هو الذي أنزل الماء من السماء الذي هو سبب رزقهم وحياتهم ؟ لأجابوه بأنه هو الله تعالى الموجد للممكنات بأسرها ومع ذلك فانهم يشركون به ويعبدون بعض مخلوقاته التي لا يتوهم منها القدرة على ايجاد أي شيء ـ فالحمد لله ـ على اظهارهم الحجة واعترافهم بأن الخالق لأصول النعم وفروعها هو الله تعالى فيكون

(١) سورة لقمان : آية : ٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت : آية : ٦٣ .

الحمد الذي ذكره تعالى كالحمد عند رؤية المبتلى (١) ، ونعرض الى فصل آخر من كلامه قال عليه السلام :

« يا هشام : ثم مدح القلة فقال : (وقليل من عبادي الشكور) (٢) وقال : (وقليل ماهم) (٣) وقال : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) (٤) وقال : (ومن آمن وما آمن معه الا قليل) (٥) وقال : (ولكن اكثرهم لا يعلمون) (٦) وقال : (واكثرهم لا يعقلون) (٧) وقال : (واكثرهم لا يشعرون) .

استدل (ع) بالآيات الكريمة على مدحه قلة المؤمنين وندرة وجودهم وقد صرحت الاخبار الواردة عن أهل البيت (ع) بذلك فقد قال أبو عبدالله عليه السلام : (المؤمنة أعز من المؤمن ، والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر ، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر ؟ »

ويعود السبب في هذه القلة الى أن الايمان الحقيقي بالله من أعظم مراتب الكمال التي يصل اليها الانسان ، وهناك موانع كثيرة تحول دون الوصول الى هذا الايمان كانحطاط التربية وسوء البيئة وغيرهما من الحواجز التي تؤدي الى حجب الانسان عن خالقه وتماديه في الاثم .

والمراد من قوله تعالى : (وقليل من عبادي الشكور) ليس معناه

---

(١) روح المعاني : (ج ٦ ص ٤٢٣) .

(٢) سورة سبأ : آية : ١٣ .

(٣) سورة ص : آية : ٢٤ .

(٤) سورة غافر : آية : ٢٨ .

(٥) سورة هود : آية : ٤٠ .

(٦) سورة الانعام : آية : ٣٧ .

(٧) سورة المائدة : آية : ١٠٣ .

التلفظ بكلمة الشكر لله ، بل معناه صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه فيما خلق لأجله وهذه مرتبة عظيمة لا تصدر إلا ممن عرف الله واعتقد بأن جميع النعم والخيرات صادرة منه ، فيعمل على تحصيل الخير ومحاربة آفات نفسه ، وحينئذ يكون من الشاكرين لله والشكر بهذا المعنى من المقامات العالية التي لا يتصف بها إلا القليل ، ونعرض الى فصل آخر من كلامه قال (ع) :

« يا هشام : ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر وحلاهم بأحسن الحلية ، فقال : (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذّكر إلا أولوا الألباب) (١) وقال : (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذّكر إلا أولوا الألباب) (٢) وقال تعالى : (إن في خلق السمات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) (٣) وقال تعالى : (أفمن يعلم أنما أُنزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى إنما يتذكر أولوا الألباب) (٤) وقال تعالى : (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب) (٥) وقال تعالى : (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) (٦) وقال تعالى : (ولقد آتينا موسى الهدى ، وأورثنا بني إسرائيل الكتاب

---

(١) سورة البقرة : آية : ٢٦٨ .

(٢) سورة آل عمران : آية : ٦ .

(٣) سورة آل عمران : آية : ١٨٩ .

(٤) سورة الرعد : آية ١٩ .

(٥) سورة الزمر : آية : ٨ .

(٦) سورة ص : آية : ٢٨ .

هدى وذكرى لأولي الألباب) (١) وقال تعالى : (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) (٢) .

استدل (ع) بالآيات الكريمة على مدح العقلاء الكاملين وتفوقهم على غيرهم فقد مدحهم تعالى بأحسن الصفات وأضفى عليهم أسمى النعوت ، ونقدم بياناً موجزاً عن مفادها حتى يتضح استشهاد الامام بها :

(الآية الاولى) :

دلت على أنه تعالى منح بعض عباده (الحكمة) وهي من أعظم المواهب ومن أجل الصفات فقد قيل في تعريفها ، انها العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته .

ووصف تعالى من منح بها بأنه أوتي خيراً كثيراً كما أنه تعالى ذكر أنه لايعلم معنى الحكمة أو القرآن إلا أولوا الألباب .

(الآية الثانية) :

وصف تعالى فيها عباده الكاملين في عقولهم بثلاثة أوصاف :

١ ـ الرسوخ في العلم .

٢ ـ الايمان بالله .

٣ ـ العرفان بأن الكل من عند الله (٣) .

وحكم تعالى بأن المتصفين بهذه النعوت الشريفة هم العقلاء الكاملون الذين هم ذوو الألباب .

(الآية الثالثة) :

سبق الكلام في تفسيرها وبيانها .

---

(١) سورة غافر : آية : ٥٢ .

(٢) سورة الذاريات : آية : ٥٤ .

(٣) أي كلا من المتشابه والمحكم .

(الآية الرابعة) :

دلت على التعجب والانكار على من يدعي المساواة بين العالم باحكام القرآن وبين غيره مع ان الفرق بينهما كالفرق بين الأعمى والبصير ، والحي والميت ! .

(الآية الخامسة) :

دلت على التفاوت بين من يسهر ليله في طاعة الله وبين غيره الذي يقضي أوقاته بالملاهي والملذات وهو معرض عن ذكر الله ، فكيف يكونان متساويين .

(الآية السادسة) :

دلت على أن القرآن الحكيم لما كان مشتملا على أسرار عظيمة ومعارف جليلة وآيات باهرة أنزله تعالى الى عباده ليتدبروه ويتفهموه ، ولكن هذا التدبر إنما يظفر به من له تفكير سليم .

(الآية السابعة) :

دلت على أنه تعالى أورث بني إسرائيل الكتاب فجعلهم حماة له ، وإنما منحهم ذلك ليكون هدى وذكرى لأولي الألباب .

(الآية الثامنة) :

خاطب الله فيهـا نبيه (ص) بالاستمرار في الذكر وعدم الاعتناء بالجاهلين الذين لا يعون ولا يتدبرون دعوته فان شأنه (ص) الافاضة ونشر التعليم وبسط القوى الروحية ولم ينتفع بذلك الا المؤمنون ، قال (ع) :

« يا هشام : إن الله تعالى يقول في كتابه : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » (١) - يعني عقل - وقال تعالى : « ولقد آتينا لقمان

---

(١) سورة ق : آية ٣٦ .

الحكمة » (١) يعني الفهم والعقل » .

ذكر (ع) أنه ليس المراد بالقلب الذي ذكر في الآية الاولى هو العضو الخاص الموجود في الانسان وسائر البهائم ، بل المراد منه هو العقل الذي يدرك المعاني الكلية والجزئية ويتوصل الى معرفة حقائق الأشياء وهو في الحقيقة الكيان المعنوي للانسان وأشارت الآية الثانية الى نعمته تعالى على لقمان فقد وهبه الحكمة وهي من أفضل النعم وأجلها . وأخذ (ع) يتلو على هشام بعض حكم لقمان ونصائحه فقال :

« يا هشام : ان لقمان قال لابنه : تواضع للحق تكن أعقل الناس وان الكيس لدى الحق يسير ، يا بني : إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وحشوها الايمان ، وشراعها التوكل، وقيمها العقل ودليلها العلم ، وسكانها الصبر » .

عرض (ع) في حديثه لبعض وصايا لقمان ، فقد أوصى ولده بالتواضع للحق وهو أن لا يرى الانسان لنفسه وجوداً إلا بالحق ولا قوة له ولا لغيره إلا بالله ، والتواضع من أفضل الأعمال ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : (من تكبر وضعه الله ، ومن تواضع لله رفعه الله) .

إن الانسان كلما تجرد عن الانانية ومحا عن نفسه التكبر زاده الله شرفاً وفضلا .

وشبه لقمان الدنيا بالبحر ، ووجه الشبه تغير الدنيا وتغير أشكالها وصورها في كل لحظة فالكائنات التي فيها كالامواج التي تكون في البحر معرضاً للزوال والفناء ، ويحتمل أن يكون وجه الشبه أن الدنيا كالبحر الذي يعبر عليه الناس فكذلك الدنيا يعبر عليها الناس الى دار الآخرة وتكون

(١) سورة لقمان : آية : ١١ .

النفوس فيها كالمسافرين ، والابدان كالسفن والبواخر تنقلهم من دار الدنيا الى دار الخلود ، وقد غرق عالم كبير من الناس في هذه الدنيا ، وانما غرقوا لتهالكهم على الشهوات ، وإذا كانت الدنيا بحراً توجب الغرق والهلاك ، فلا نجاة منها ولا سلامة إلا بسفينة التقوى والصلاح ، وليكن شراعها التوكل على الله والاعتماد عليه في جميع الامور ، كما انه لابد من عقل يكون قيما لتلك السفينة وربانا لها ، والعقل دليله العلم فان نسبته اليه كنسبة النور من السراج والرؤية من البصر ، ومع هذه الخصال لابد من الصبر فان ارتقاء الانسان وقربه من ربه لا يحصل إلا بمجاهدات قوية للنفس ولننتقل الى مشهد آخر من كلامه قال (ع) :

« يا هشام : إن لكل شيء دليلا ، ودليل العقل التفكر ، ودليل التفكر الصمت ، ولكل شيء مطية ، ومطية العقل التواضع وكفى بك جهلا أن تركب ما نهيت عنه .

يا هشام : ما بعث الله أنبياءه ورسله الى عباده الا ليعقلوا عن الله فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة ، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا، وأكملهم عقلا أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة » .

استدل عليه السلام في كلامه الاخير على شرف الأنبياء وفضلهم بكمال عقولهم وقد قال النبي (ص) لأمير المؤمنين : يا علي إذا تقرب الناس الى خالقهم بأنواع البر فتقرب اليه أنت بالعقل حتى تسبقهم » ان وفور العقل من أفضل ما يمنح به الانسان إذ به يتوصل الى سعادة الدنيا والفوز في دار الآخرة .

قال عليه السلام :

« يا هشام : إن لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة ، وحجة باطنة فاما الظاهرة فالرسل والانبياء والأئمة (ع) وأما الباطنة فالعقول » .

« يا هشام : ان العاقـل الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره » .

تعرض (ع) في الفقرات الاخيرة من كلامه الى بعض أحوال العقلاء من أنهم لا تمنعهم كثرة نعم الله عليهم من شكره تعالى كما لا تزيل صبرهم النوائب والكوارث .

قال عليه السلام :

« يا هشام : من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله : من أظلم نور تفكره بطول أمله ، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه ، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله ، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه » .

تعرض (ع) في كلامه الى أن في الانسان قوتين متباينتين ، وهما العقل والهوى ، ولكل واحدة منهما صفات ثلاث تضاد الصفات الأخرى ، فصفات العقل : التفكر والحكمة والاعتبار ، وصفات الهوى : طول الامل وفضول الكلام ، والانغماس في الشهوات .

أما طول الامل في الدنيا فانه يمنع من التفكر في أمور الآخرة ، ويحمل النفس على الاقبال في أمور الدنيا ، وهذا هو المراد من قوله (ع) : « اظلم نور تفكره بطول أمله » ان طول الأمل يبدد نور الفكر بالظلمة ويحجبه عن الانطلاق في ميادين الخير .

أما فضول الكلام فانه يمحي طرائف الحكمة من النفس .

وأما الاشتغال باللذات والانصراف الى الشهوات فانـه يعمي القلب ويذهب بنور الايمان ويطفيء نور الاستبصار والاعتبار من النفس فمن ساط هذه الخصال الشريرة على نفسه فقد أعان على هدم عقله ، ومن هدم عقله فقد أفسد دينه ودنياه .

قال عليه السلام :

« يا هشام : كيف يزكو (١) عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك ، وأطعت هواك عن غلبة عقلك .

يا هشام : الصبر على الوحدة علامة قوة العقل ، فمن عقـل عن الله (٢) اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ، ورغب فيما عند الله ، وكان الله آنسه في الوحشة وصاحبـه في الوحدة وغنـاه في العيلة ، ومعزه من غير عشيرة .

يا هشام : نصب الحق (٣) لطاعة الله ، ولا نجاة الا بالطاعة ، والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم ، والتعلم بالعقل يعتقد (٤) ولا علم إلا من عالم رباني ، ومعرفة العلم بالعقل .

يا هشام : قليل العمل من العالم مقبول مضاعف » وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود » .

مراده (ع) أن قليل العمل من العالم مقبول وسببه أن بالعـلم صفاء القلوب وطهارة النفوس والتوصل الى معرفة الله عز شأنه .

وفضيلة كل عمل إنما هي بقدر تأثيرها في صفاء القلب وإزالة الحجب والظلمة عن النفس ، وهي تختلف بحسب الاشخاص فرب انسان يكفيه قليل العمل في صفاء نفسه نظراً للطافة طبعه ، ورقة حجابه ، ورب انسان لايؤثر

---

(١) يزكو : الزكاة لغة الطهارة والنماء وهي تطلق على العين والمعنى فيقال : زكى ماله ـ أي نما ماله ـ ويقال زكى عمله ـ أي طهر عمله ، ويحتمل كلا المعنين في المقام .

(٢) أي حصلت له معرفة الله والعلم بصفاته وأحكامه وشرائعه .

(٣) نصب الحق : مبني للمجهول ـ أي وجد الحق لطاعة الله .

(٤) يعتقد ـ أي يشتد ويستحكم .

العمل الطيب الذي يصدر منه في صفاء ذاته . نظراً لكثافة طبعه وكثرة الحجب على نفسه .

قال (ع) :

« يا هشام : إن العاقل رضى بالدون من الدنيا مع الحكمة ، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا فلذلك ربحت تجارته .

يا هشام : إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب ؟ وترك الدنيا من الفضل ، وترك الذنوب من الفرض » .

قال (ع) :

يا هشام : إن العاقل نظر الى الدنيا والى أهلها فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة ، ونظر الى الآخرة فعلم أنها لا تنـال إلا بالمشقة ، فطلب بالمشقة أبقاهما .

يا هشام : إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة ، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ؛ ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته » .

وتوضيح الفقرات الاخيرة من حديثه (ع) قوله : « الدنيـا طالبة مطلوبة » يعني أن الدنيا توصل الرزق المقدر الى من هو فيهـا ، وبهذا الاعتبار تكون طالبة ، وأما مطلوبيتها فهو سعي أبنائها وجدهم لتحصيل نعمها ، وأما طلب الآخرة فهو إتيان الموت وحلول الأجل المحتوم لجميع من في الدنيا فهي تطلبهم لتنقلهم من الدنيا اليها ، وأما مطلوبيتها فهو سعي أبنائها الصلحاء في تحصيل الأعمال الصالحة ليكونوا آمنين من العقاب والعتاب

قال (ع) :

« يا هشام : من أراد الغنى بلا مال وراحـة القلب من الحسد ،

والسلامة في الدين . فليتضرع الى الله عز وجل في مسألته بأن يكمل عقله ، فمن عقل قنع بما يكفيه ، ومن قنع بما يكفيه استغنى ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً .

يا هشام : ان الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ، حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود الى عماها ورداها ، انه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ولا يكون أحد كذلك الا من كان قوله لفعله مصدقا وسره لعلانيته موافقا ، لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه» .

أشار الامام (ع) بكلامه الاخير الى ان المؤمن اذا لم يكن قلبه مستضيئاً بنور الله تعالى وعقله مهتدياً بهدى الله ، فانه لا يكون آمناً من الزيغ كما لا يكون آمناً من الارتداد بعد الدخول في حظيرة الاسلام ، وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الظاهرة قال تعالى : (وذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم) وقال تعالى : (من يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) ولذلك يدأب الصالحون بالسؤال من الله في أن لا تزيغ قلوبهم وأن لا يضلوا عن دينه فان النفوس البشرية بحسب نشأتها وخلقتها إذا لم يساعدها التوفيق لا تنجو من وساوس الشيطان وغوايته .

قال (ع) :

« يا هشام كان أمير المؤمنين (ع) يقول : ما عبد الله بشيء أفضل من العقل ، وما تم عقل امرىء حتى يكون فيه خصال شتى : الكفروالشر منه مأمونان ، والرشد والخير منه مأمولان ، وفضل ماله مبذول ، وفضل قوله مكفوف ، ونصيبه من الدنيا القوت ، لا يشبع من العلم دهره ، الذل

أحب اليه مع الله من العز مع غيره ، والتواضع أحب اليه من الشرف ، يستكثر قليل المعروف من غيره ، ويستقل كثير المعروف من نفسه ويرى الناس كلهم خيراً منه ، وانه شرهم في نفسه ، وهو تمام الامر » .

استدل (ع) على مقصوده بكـــلام جده أمير المؤمنين (ع) الذي تعرض فيه لصفات العقلاء وخصائص أفعالهم .

قال (ع) :

يا هشام : إن العاقل لا يكذب وان كان فيه هواه .

يا هشام : لا دين لمن لا مروة له ، ولا مروة لمن لا عقل له ، وان أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً . أما إن أبدانكم ليس لها ثمن الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها » .

وتوضيح ما أفاده في قوله عليه السلام : « أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها » : هو أنه لا يليق أن يكون ثمناً لهذه الابدان سوى الجنة ، ونقل صاحب الوافي عن استاذه إيضاحاً لمقالة الامام ما نصه :

« إن الابدان في التناقص يوما فيوما وذلك لتوجه النفس منها الى عالم آخر فان كانت النفس سعيدة كانت غاية سعيه في هذه الدنيا وانقطاع حياته البدنية الى الله سبحانه والى نعيم الجنان لكونه على منهج الهداية والاستقامة فكأنه باع بدنه بثمن الجنة معاملة مع الله تعالى ، ولهذا خلقه الله عزو جل وان كانت شقية كانت غاية سعيه وانقطاع أجله وعمره الى مقارنة الشيطان وعذاب النيران لكونه على طريق الضلالة فكأنه باع بدنه بثمن الشهوات الفانية واللذات الحيوانية التى ستصير نيراناً محرقة وهي اليوم كامنة مستورة عن حواس أهل الدنيا وستبرز يوم القيامة « وبرزت الجحيم لمن يرى » معاملة

مع الشيطان وخسر هنالك المبطلون» (١) .

قال (ع) :

« يا هشام إن أمير المؤمنين (ع) كان يقول : إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال : يجيب إذا سئل ، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ويشير بالرأى الذي يكون فيه صلاح أهله ، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق » .

إن أمير المؤمنين (ع) قال : لا يجلس في صدر المجلس الا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن فمن لم يكن فيه شيء فجلس فهو أحمق .

وقال الحسن بن علي (ع) : إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها ، فقيل له : يا بن رسول الله ومن أهلها ؟ .

ـ الذين قصهم الله في كتابه وذكرهم فقال : إنما يتذكر أولوا الألباب قال : هم أولوا العقول .

وقال علي بن الحسين (ع) : مجالسة الصالحين داعية الى الصلاح وآداب العلماء زيادة في العقل ، وطاعة ولاة العدل تمام العز ، واستثمار المال تمام المروة وارشاد المستشير قضاء النعمة ، وكف الأذى من كمال العقل ، وفيه راحة البدن عاجلا وآجلا .

يا هشام : ان العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ، ولا يسأل من يخاف منعه ، ولا يعد ما لا يقدر عليه ، ولا يرجو ما يعنف برجائه ، ولا يقدم على مايخاف فوته بالعجز عنه » .

أشار (ع) بهذه الفقرات الاخيرة الى حزم العاقل واحتياطه في أقواله وتحفظه على شرفه ومنزلته ، وتوقفه من الاقدام على ما لا يثق بحصوله .

---

(١) الوافي .

وانتهت هذه الرسالة الرفيعة على رواية ثقة الاسلام الشيخ الكليني (١) وقد ذكر زيادة عليها الحسن بن علي الحراني في كتابه (تحف العقول) وقد أهملها الكليني ، وقد رأينــا أن نقتطف منها بعض الوصايا من دون أن نعلق عليهــا إيثاراً للاختصار وإتماما للفائــدة والى القراء ذلك ، قال (ع) :

« يا هشام : من كف نفسه عن أعراض الناس أقاله الله من عثرته يوم القيامة ، ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه غضبه يوم القيامة .

يا هشام : وجد في ذوابة (٢) سيف رسول الله (ص) إن أعتى الناس على الله من ضرب غير ضاربه وقتل غير قاتله . ومن تولى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله على نبيه محمد (ص) ومن أحدث حدثاً (٣) أو آوى محدثاً لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا .

يا هشام أفضل ما يتقرب به العبد الى الله بعد المعرفة به الصلاة وبر الوالدين وترك الحسد والعجب والفخر .

يا هشام : اصلح يومك الذى هو أمامك ، فانظر أي يوم هو ، واعدّ له الجواب ، فانك موقوف ومسؤول . وخذ موعظتك من الدهر وأهله ، الى أن قال : وانظر في تصرف الدهر وأحوالــه ، فان ما هو آت من الدنيا كما ولى منها ، فاعتبر بها ، وقال علي بن الحسين (ع) : « إن جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الأرض ومغاربها بحرها وبرها وسهلهــا

---

(١) أصول الكافي : (ج ١ ص ١٣ - ٢٠) وذكرت أيضا في الوافي (ج ١ ص ٢٦ - ٢٨) .

(٢) الذوابة : من كل شيء أعــلاه ومن السيف علاقته ، ومن السوط طرفه .

(٣) الحدث : الأمر الحادث الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة .

وجبلها عند ولي من أولياء الله واهل المعرفة بحق الله كفيء الظلال ، ثم قال (ع) : أولا حر يدع هذه اللماظة (١) - يعني الدنيا - لأهلها فليس لأنفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها ، فانه من رضى من الله بالدنيا فقد رضي بالخسيس .

يا هشام : ان كل الناس يبصرون النجوم ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها ، وكذلك انتم تدرسون الحكمة ، ولكن لا يهتدي بها منكم الا من عمل بها .

يا هشام : مكتوب في الانجيل : « طوبى للمتراحمين ، أولئك هم المرحومون يوم القيامة . طوبى للمطهرة قلوبهم ، أولئك هم المتقون يوم القيامة . طوبى للمتواضعين في الدنيا ، أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة .

يا هشام : قلة المنطق حكمة عظيمة . فعليكم بالصمت ، فانه دعة حسنة وقلة وزر ، وخفة من الذنوب . فحصنوا باب الحلم ، فان بابه الصبر ، وان الله عز وجل يبغض الضحاك من غير عجب ، والمشاء الى غير إرب ، ويجب على الوالي أن يكون كالراعي لا يغفل عن رعيته ، ولا يتكبر عليهم ، فاستحيوا من الله في سرائركم ، كما تستحيون من الناس في علانيتكم ، واعلموا ان الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن ، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه غيبة عالمكم بين أظهركم .

يا هشام : تعلم من العلم ما جهلت ، وعلم الجاهل مما علمت ، عظم العالم لعلمه ، ودع منازعته ، وصغر الجاهل لجهله ، ولا تطرده ولكن قرّبه وعلمه .

---

(١) اللماظة : بالضم بقية الطعام الذي يكون في الفم ، وبقية الشيء القليل ؛ والمراد بها هنا الدنيا .

يا هشام : ان كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها ، وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : « ان لله عباداً كسرت قلوبهم خشيته فأسكتتهم عن المنطق ، وانهم لفصحاء عقلاء ، يستبقون الى الله بالأعمال الزكية ، لا يستكثرون له الكثير ولا يرضون لهم من أنفسهم بالقليل ، يرون في أنفسهم أنهم أشرار وأنهم لأكياس وأبرار .

يا هشام : الحياء من الايمان ، والايمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار .

يا هشام : المتكلمون ثلاثة : فرابح ، وسالم ، وشاجب (١) فأما الرابح فالذاكر لله ، وأما السالم فالساكت ، وأما الشاجب فالذي يخوض في الباطل ، ان الله حرم الجنة على كل فاحش بذي قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه ، وكان أبو ذر (رضي الله عنه) يقول : « يا مبتغي العلم ان هـذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر ، فاختم على فيك كما تختم على ذهبك وورقك » .

يا هشام : بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطري أخاه اذا شاهده ، ويأكله اذا غاب عنه ، ان أعطي حسده ، وان أبتلي خذله ، ان أسرع الخير ثواباً البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي ، وان شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه ، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ، ومن حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه .

يا هشام : لا يكون الرجل مؤمنا حتى يكون خائفاً راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو .

يا هشام : قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي وعظمتي وقدرتي وبهائي وعلوي في مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه الا جعلت الغنى في نفسه ،

(١) الشاجب : كثير الهذيان والكلام ، والهالك هو الأنسب .

وهمه في آخرته ، وكففت عليه في ضيعته ، وضمنت السماوات والارض رزقه ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر .

يا هشام : عليك بالرفق ، فان الرفق يمن ، والخرق شؤم ، ان الرفق والبر وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الرزق .

يا هشام قول الله تعالى · (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) . جرت في المؤمن والكافر والبر والفاجر ، من صُنع اليه معروف فعليه أن يكافىء به ، وليست المكافأة أن تصنع كما صنع حتى ترى فضلك ، فان صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء .

يا هشام : إن مثل الدنيا مثل الحية مسها لين . وفي جوفها السم القاتل يحذرها الرجال ذوو العقول ويهوي اليها الصبيان بأيديهم .

يا هشام : اصبر على طاعة الله ، واصبر عن معاصي الله ، فانما الدنيا ساعة ، فما مضى منها فليس تجد له سروراً ولا حزناً ، وما لم يأت منها فليس تعرفه ، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها فكأنك قد اغتبطت .

يا هشام : مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله .

يا هشام : إياك والكبر فانه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر ، الكبر رداء الله فمن نازعه رداءه أكبه الله في النار على وجهه .

يا هشام : ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فان عمل حسناً استزاد منه وان عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب اليه .

يا هشام تمثلت الدنيا للمسيح (ع) في صورة امرأة زرقاء فقال لها : كم تزوجت ؟ فقالت : كثيراً ، قال : فكل طلقك ؟ فقالت : بل كلا قتلت قال المسيح فويح لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين .

يا هشام : ان ضوء الجسد في عينه ، فان كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كله ، وان ضوء الروح العقل ، فان كان العبد عاقلا كان عالماً بربه . واذا كان عالماً بربه أبصر دينه ، واذا كان جاهلا بربه لم يقم له دين ، وكما لا يقوم الجسد الا بالنفس الحية فكذلك لا يقوم الدين الا بالنية الصادقة ولا تثبت النية الصادقة الا بالعقل .

يا هشام : ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا (١) فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار ، لأن الله جعل التواضع آلة العقل ، وجعل التكبر من آلة الجهل ، ألم تعلم أن من شمخ الى السقف برأسه شجبه ، ومن خفض رأسه استظـل تحته وأكنه ، وكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله ومن تواضع لله رفعه .

يا هشام : ما أقبح الفقر بعد الغنى ، وأقبح الخطيئة بعد النسك ، وأقبح من ذلك العابد لله ثم يترك عبادته .

يا هشام : لا خير في العيش إلا لرجلين : لمستمع واع ، وعالم ناطق .

يا هشام : ما قسم بين العباد أفضـل من العقل ، نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل .

يا هشام : قال رسول الله (ص) : اذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه فانه يلقي الحكمة ، والمؤمن قليل الكلام كثير العمل والمنافق كثيرالكلام قليل العمل .

يا هشام : أوحى الله تعالى الى داود (ع) قل لعبادي : لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدهم عن ذكري ، وعن طريق محبتي ومناجاتي أولئك قطاع الطريق من عبادي ، ان أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبتي ومناجاتي من قلوبهم .

---

(١) الصفا : الحجر الصلد .

يا هشام : من تعظم في نفسه لعنته ملائكة السماء وملائكة الارض ، ومن تكبر على اخوانه واستطال عليهم فقد ضاد الله ، ومن ادعى ما ليس له فهو أعنى لغير رشده .

يا هشام أوحى الله تعالى الى داود ، يا داود حذر وأنذر أصحابك عن حب الشهوات فان المعلقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم محجوبة عني .

يا هشام : اياك والكبر على أوليائي والاستطالة بعلمك فيمقتك الله فلا تنفعك بعد مقته دنياك ولا آخرتك ، وكن في الدنيا كساكن دار ليست له إنما ينتظر الرحيل .

يا هشام : مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة ، ومشاورة العاقل الناصح يمن وبركة ورشد وتوفيق من الله ، فاذا أشار عليك العاقل الناصح فاياك والخلاف فان في ذلك العطب (١) .

يا هشام : اياك ومخالطة الناس والأنس بهم الا ان تجد منهم عاقلا ومأمونا فانس به واهرب من سايرهم كهربك من السباع الضارية ، وينبغي للعاقل اذا عمل عملا أن يستحي من الله ، واذا تفرد له بالنعم أن يشارك في نعمه أحداً غيره ، واذا مر بك أمران لا تدري أيهما خير وأصوب ، فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه ، فان كثير الصواب في مخالفة هواك ، واياك أن تطلب الحكمة وتضعها في الجهال .

فانبرى اليه هشام قائلا :

« فان وجدت رجلا طالباً لهـــا غير أن عقله لا يتسع لضبط ما ألقي اليـــه » .

فتلطف له في النصيحة ، فان ضاق قلبه فلا تعرض نفسك للفتنة .

ثم انه استرسل عليه السلام في حديثه فقال : واحذر رد المتكبرين ،

---

(١) العطب : الهلاك .

فان العلم يُذل على ان يملي على من لا يفيق ، فقال هشام : فان لم أجد من يعقل السؤال عنها ؟ فقال (ع) : فاغتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنة القول وعظيم فتنة الرد ، واعلم أن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده ، ولم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم ولكن آمنهم بقدر كرمه وجوده ، ولم يفرح المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفتـه ورحمته ، فما ظنك بالرؤف الرحيم الذي يتودد الى من يؤديه بأوليائه ، فكيف بمن يؤذى فيه ؟ وما ظنك بالتواب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه ، فكيف بمن يترضاه ، ويختار عداوة الخلق فيه .

يا هشام : من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه ، وما أوتى عبد علماً فازداد للدنيا حباً الا ازداد من الله بعداً ، وازداد الله عليه غضباً .

يا هشام : ان العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به ، واكثر الصواب في خلاف الهوى ، ومن طال أمله ساء عمله .

يا هشام : لو رأيت مسير الأجل لألهاك عن الأمل !!.

يا هشام : اياك والطمع ، وعليك باليأس مما في أيدي الناس ، وأمت الطمع من المخلوقين ، فان الطمع مفتاح للذل ، واختلاس للعقـل واختلاق للمروات ، وتدنيس للعرض ، وذهاب للعـلم ، وعليك بالاعتصام بربك والتوكل عليه ، وجاهد نفسك لتردها عن هواها فانه واجب عليك كجهاد عدوك ، فقال له هشام :

فأي الأعداء أوجبهم مجاهدة ؟ .

ـ أقربهم اليك وأعداهم لك ، وأضرهم بك وأعظمهم لك عداوة ، وأخفاهم لك شخصا مـع دنوه منك ، ومن يحرض عليك أعداءك وهو إبليس الموكل بوسواس القلوب فله فلتشتد عداوتك ، ولا يكونن أصبر على مجاهدتك لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته فانه أضعف منك في قوته ، وأقل

ضرراً في كـثرة شره ، اذا انت اعتصمت بالله فقـد هديت الى صراط مستقيم .

يا هشام : من اكرمه الله بثلاث فقد لطف له ، عقل يكفيه مؤونة هواه ، وعلم يكفيه مؤونة جهله ، وغنى يكفيه مخافة الفقر .

يا هشام : احذر هذه الدنيا واحذر أهلها ، فان الناس فيها على أربعة أصناف : رجل متردي معانق لهواه ، ومتعلم مقري كلما ازداد علما ازداد كبراً يستعلي بقراءته وعلمه على من هو دونه ، وعابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته ، يحب أن يعظم ويوقر ، وذي بصيرة عالم عارف بطريق الحق يحب القيام به ولكنه عاجز أو مغلوب فلا يقدر على القيام بما يعرفه ، فهو محزون مغموم بذلك وهو أمثل أهل زمانه وأوجههم عقلا » (١)
الى هنا ينتهي بنا الحديث في هذه الوصية القيمة التي حوت أصول الفضائل والآداب وقواعد السلوك والاخلاق ، وقد وضع فيها المناهج العامة لما يصلح الحياة الفردية والاجتماعيـة .

رسالته في التوحيد :

ومن تراثه القيم رسالته في التوحيد وهي ـ على ايجازها ـ مدعمة بالحجج الكلامية على وجود الله تعالى ، وبيان صفاته الايجابية والسلبية ، وقد كانت هذه الرسالة ـ فيما يرويه المؤرخون ـ جوابا عن رسالة وجههـا اليه الفتح بن عبد الله يسأله عن ذلك فأجابه (ع) بعد البسملة بما نصه :

« الحمد لله الملهم عباده حمده ، وفاطرهم على معرفة ربوبيته ، الدال

---

(١) تحف العقول : ص ٣٩٠ ـ ٤٠٠ .

على وجوده بخلقه ، المستشهد بآياته على قدرته (١) الممتنعة من الصفات ذاته (٢) ومن الأبصار رؤيته (٣) ومن الأوهام الاحاطة به (٤) لا أمد لكونه (٥) ولا غاية لبقائه (٦) لا تشمله المشاعر ، ولا تحجبه الحجب (٧) والحجاب بينه وبين خلقه خلقه إياهم ، لامتناعه مما يمكن في ذواتهم (٨) ولا مكان

---

(١) أراد (ع) أن الله استشهد على قدرته الباهرة بآياته العظيمة كخلق السماوات والأرض والشمس والقمر ، ويعبر عنها بالآيات الافقية ، وبخلق الأرواح والعقول والنفوس وادراكاتها وتسمى بالآيات النفسية وهي تدل على عظيم قدرته تعالى .

(٢) اشار (ع) الى أن صفات الله عين ذاته تعالى وليست عارضة عليه كعروضها على الممكن ، وقد أقيمت الأدلة الوافرة في علم الكلام على ذلك

(٣) أراد (ع) أن الأبصار تمتنع من رؤيته تعالى ، وفيه ايماء لطيف الى عدم امتناع ادراك البصائر والقلوب من رؤيته ، ولكنها تراه بنور المعرفة وحقيقة الايمان كما قال (ع) : « ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان » .

(٤) أراد (ع) ان الله يحيط بما سواه فكيف يحيط به شيء من الأوهام التي لا تتعلق الا بالمعاني الجزئية المحدودة .

(٥) اي انه تعالى فوق الآجال والازمنة فلا أمد له ، فان الزمان مخلوق له .

(٦) المراد : ان بقاء الله تعالى قائم بذاته لا بصفة عارضة .

(٧) المراد : انه تعالى لا يمكن أن تحجبه الحجب فانها مختصة بالجسمانيات الحادثة التي أفاض تعالى عليها الوجود .

(٨) يعني انه تعالى يمتنع عليه ما يمكن في ذوات عباده من الاحداث والأمور الناقصة :

مما يمتنع منه (١) ولافتراق الصانع من المصنوع والحاد من المحدود والرب من المربوب (٢) الواحد بلا تأويل عدد (٣) والخالق لا بمعنى حركة (٤) والبصير لا بأداة والسميع لا بتفريق آلة (٥) .

(١) أراد (ع) ان الصفات التي يمتنع جريانهـا على ذاته تعالى هي الصفات الممكنة ، ويراد بالامكان الامكان العام الشامل للامتناع ، وعليه فتوصف بالامتناع في مقام حملها عليه تعالى ، وفي بعض النسخ « ولا مكان ذواتهم مما يمنع منه ذاته » والمراد منها ان ذوات العباد متصفة بالامكان الخاص ، ويمتنع ان يتصف به تعالى لأنه واجب الوجود .

(٢) المراد : ان ذات الصانع تفترق عن ذات المصنوع ، ووجهه كمال الصانع ، ونقص المصنوع ، وكذلك يفترق الحاد عن المحدود فان الحاد هو الله تعالى ، وهو غير متناه ، والمحدود هو الانسان وهو متناه . أما أدلة ذلك فقد تعرضت له كتب الحكمة والكلام .

(٣) المراد : ان وحدة الله ووحدة صفاته ليست من باب الأعداد التي تحصل كثرتها من تكرر العدد ، فوحدة علم الله لا ثاني لها خارجا ولا ذهنا وكذا وحدة قدرته وارادته وسائر صفاته ، فلا تدخل تلك الوحدة في باب الاعداد فان وحدة كل شيء ليست الا نفس وجوده الخاص ، واذا كان وجود الله لا مثل له خارجا ولا ذهنا فكذلك وحدته تكون خاصة غير داخلة في باب الاعداد .

(٤) يعني ان خلق الله وايجاده للاشياء انمـا هو من باب الافاضة والابداع لا من باب المباشرة والعمل، كما ان الحركة انما هي من عوارض الاجسام وهو منزه عنها .

(٥) ان الله لو كان مفتقراً في صفاته الى آلة للزم إمكانه ، فان المفتقر للغير انمـا هو الممكن لا الواجب .

والشاهد لا بمماسة (١) والباطن لا باجتنان (٢) والظـاهر البائن لا بتراخي مسافة (٣) أزله نهي لمحاول الأفكار (٤) ودوامه ردع لطامحات العقول (٥) قد حسر كنهه نوافذ الأبصـار ، وقمع وجوده جوائل الأوهام (٦) أول الديانة به معرفته (٧) وكمال معرفته توحيده ، وكمال توحيده نفي الصفات

(١) المماسة : من خواص الاجسام وهو تعالى منزه عنها فلا تعرض عليه أوصافها .

(٢) الاجتنان : الاستتار ، والمراد ان العقول لا تصـل الى ادراك كنهه لا من جهة استتاره بستر أو حجاب ، وانما هي قاصرة عن ادراكه وتصوره .

(٣) مراده ان الله تعالى في غاية الظهور لأن وجوده مجرد عن الحجب أو الغواشي الساترة ، وانما كان تعالى بائنا لا بتراخي مسافة لأنه تعالى منزه عن الأبعاد والمسافات والحركات فانما يتصف بها الممكن لا الواجب .

(٤) المراد أن أزلية الله ليست من الأزمنة وانما هي فوق الزمان فلا سبيل الى العقول ـ التي هي من الزمنيات ـ ان تدرك أزليته تعالى .

(٥) اراد (ع) أن دوام الله وبقاءه محيطان بالأزمان والآباد ، والعقول لا تتوصل الى ادراك ذلك .

(٦) المراد : ان الله تعالى قـد قهر بوجوده أن تجول فيه الأوهام فتصل الى ادراك كنهه .

(٧) يعني أن اول الدين وبدايته أن يعرف الانسان أن للعالم صانعـا ومدبراً ، وللمعرفة مراتب وهي :

١ ـ التصديق بوجوده تعالى .

٢ ـ تفرده بالألوهية ، ونفي الشريك عنه .

٣ ـ مرتبة الاخلاص والايمان بقدرته وصفاته المتحدة مع ذاته .

عنه بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف . وشهادة الموصوف أنه غير الصفة وشهادتها جميعاً بالتثنية ، الممتنع منه الأزل ، فمن وصف الله فقد حده (١) .

ومن حده فقد عده (٢) ومن عده فقد أبطل أزله (٣) ومن قال : كيف ؟ فقد استوصفه (٤) ومن قال : فيم فقد ضمنه ، ومن قال علي م ؟ فقد جهله (٥) ومن قال : اين نقد اخلا منه (٦) ومن قال ما هو فقد

(١) المراد : أن من وصف الله بصفة ولم يجعلها عين ذاته فقد جعله محدودا فان كل صفة تكون غير الذات لابد أن تقع تحت مقولة من المقولات التسع ، ولها حد خاص ، والوجود لا يعرض عليها الا بعد ان تكون لها حدود معينة ، والحال ان الله هو الذي يفيض الوجود على غيره فكيف يوصف بهذه الصفة العارضة .

(٢) اراد (ع) أن من يحد الله فقد جعله من جملة المعدودات ، وقد بينا استحالة ذلك بالنسبة اليه تعالى .

(٣) المراد : ان كل معدود مفتقر في وجوده الى غيره ، وكل من كان مفتقراً الى غيره فهو مسبوق بالعدم ، ومن جعل الله في سلسلة المعدودات فقد أبطل أزليته .

(٤) يعني أن من قال بذلك فقد جعل لله وصفاً زائداً على ذاته ، وقد بينا امتناع ذلك .

(٥) ان القول بذلك مستلزم لاثبات الجسمانية لله ، وهي مستحيلة بالنسبة اليه تعالى .

(٦) يعني أن من قال بذلك فقد أخلى منه تعالى سائر الامكنة ، والحال أن كل ذرة من ذرات الكون لا تخلو منه تعالى ولكن لا على وجه الحلول وقد استدل على ذلك في علوم الحكمة .

نعته (١) ومن قال : الى م ؟ فقد غاياه ، عالم اذ لا معلوم ، وخالق اذ لا مخلوق ، ورب اذ لا مربوب ، وكذلك يوصف ربنا ، وفوق ما يصفه الواصفون (٢) . . . » (٣) .

وبهذا تنتهي هذه الرسالة المنعمة بأصول التوحيد وقواعده ، وقد أثر كثير منها عن الامام أمير المؤمنين (ع) ولكن أئمة أهل البيت (ع) كثيراً ما تتشابه كلماتهم في علم التوحيد فهم واضعوا قواعده واصوله ومنشؤا ادلته وبراهينه ، فبهم عرف هذا العلم ، ومنهم استمدت أصوله وقواعده .

البداء :

ومسألة البداء من غوامض المسائل الكلامية وأكثرها تعقيداً ، وقد وقع الخلاف فيه بين المسلمين ، فأجمعت الشيعة على صحته والالتزام به ، وأنكره أهل السنة والجماعة ، وقد شهروا به على الشيعة ، وعدوه - فيما يرونه - من المؤاخذات التي تواجه كيانهم العقائدي . ولعل السبب - فيما

(١) المراد : أن كلمة (ما هو ؟) تقع في السؤال عن ماهية الشيء - التي تسمى بما الحقيقية - وتقع في جوابها النعوت الكلية الذاتية المركبة من الجنس والفصل القريبين ، والحال ان وجوده تعالى وجود بحت بلا ماهية ، وكل ما لا ماهية له لا نعت له كما هو مقرر في فن الحكمة .

(٢) المراد : ان عقول الواصفين لا يمكن أن تدرك كنه كماله تعالى لأنه فوق عقولهم فانها من الممكنات المتناهية ، وهي لا يمكن أن تحيط بكنه غير المتناهي .

(٣) اصول الكافي ١/١٣٩ - ١٤٠ .

نحسب ـ يعود الى أنه لم يتضح لهم بصورة موضوعية معنى البداء وحقيقته الذي تقول به الشيعة فأنكروه عليهم ، ولابد لنا من وقفة قصيرة للبحث عنه قبل أن نعرض الى رأي الامام فيه .

المعنى اللغوي :

البداء في اللغة ـ اسم ممدود ـ مشتق من البدو وهو الظهور ، وهو اسم لرأي حادث متجدد يستصوبه صاحبه ، ويقدمه على رأيه الأول (١) وفي الحديث « بدا الله عز وجل أن يبتليهم » أي قضى بذلك وهو معنى البداء (٢) .

حقيقته عند الشيعة :

والتزمت الشيعة بالبداء ، وصرحت به أئمة أهل البيت (ع) فقد ورد عنهم أنه « ما عُبد الله بشيء مثل البداء » وقد أثبت العلماء الأعلام بالأدلة الوافرة امكانه وضرورة الالتزام به ولكن لا على إطلاقه ـ كما سنوضحه ـ وممن بحث عنه بصورة موضوعية وشاملة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي فقد قرره في بحثه كما كتبه في (بيانه) ، ونسوق نص ما كتبه في (البيان) قال ما نصه :

« ان البداء الذي تقول به الشيعة الامامية انما يقع في القضاء غيرالمحتوم أما المحتوم منه فلا يتخلف ، ولابد من أن تتعلق المشيئة بما تعلق به القضاء وتوضيح ذلك : ان القضاء على ثلاثة أقسام :

الأول : قضاء الله الذي لم يطلع عليه احدا من خلقه ، والعلم المخزون الذي استأثر به نفسه . ولا ريب في أن البداء لا يقع في هذا القسم ، بل ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت (ع) ان البداء إنما ينشأ

(١) الصحاح : القاموس ، أساس البلاغة .

(٢) البداية : ١/١٠٩ .

من هذا العلم .

روى الشيخ الصدوق في (العيون) باسناده عن الحسن بن محمد النوفلي أن الرضا (ع) قال لسليمان المروزي : رويت عن أبي عبد الله (ع) أنه قال : ان لله عز وجل علمين علما مخزونا مكنونا لا يعلمه الا هو من ذلك يكون البداء ، وعلما علمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه

وروى الشيخ محمد بن الحسن الصفار في (بصائر الدرجات) باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال : إن لله علمين : علم مكنون مخزون لا يعلمه الا هو من ذلك يكون البداء ، وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه ونحن نعلمه (١) .

الثاني : قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بأنه سيقع حتما ، ولا ريب في أن هذا القسم أيضا لا يقع فيه البداء ، وان افترق عن القسم الأول بأن البداء لا ينشأ منه .

قال الرضا (ع) لسليمان المروزي في الرواية المتقدمة عن الصدوق : إن علياً كان يقول : العلم علمان ، فعلم علمه الله ملائكته ورسله ، فما علمه ملائكته ورسله فانه يكون ، ولا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله ، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه يقدم منه ما يشاء ويؤخر مايشاء ويمحو ويثبت ما يشاء (٢) .

وروى العياشي عن الفضيل . قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : من الامور أمور محتومة جائية لا محالة ، ومن الامور أمور موقوفة عند الله

---

(١) ورواه الشيخ الكليني عن أبي بصير . الوافي باب البداء (ج ١ ص ١١٣) .

(٢) ورواه الشيخ الكليني عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (ع) نفس المصدر .

يقدم منها ما يشاء ، ويمحو ما يشاء ، ويثبت منها ما يشاء ، لم يُطلع على ذلك أحدا ـ يعني الموقوفة ـ فأما ما جاءت به الرسل فهي كائنة لا يكذب نفسه ، ولا نبيه ، ولا ملائكته .

الثالث : قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج الا أنه موقوف على أن لا تتعلق مشيئة الله بخلافه . وهذا القسم هو الذي يقع فيه البداء « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . لله الامر من قبل ومن بعد » .

وقد استدل ـ سماحته ـ على ان البداء الذي تقول به الشيعة : هو القسم الثالث من القضاء ـ بجملة من الاخبار والروايات المأثورة عن اهل البيت (ع) وأضاف بعد ذلك ايضاحا وافيا لحقيقة البداء بقوله :

والبداء انما يكون في القضاء الموقوف المعبر عنه بلوح المحو والاثبات والالتزام بجواز البداء لا يستلزم نسبة الجهل الى الله سبحانه ، وليس في هذا الالتزام ما ينافي عظمته وجلاله .

فالقول بالبداء هو الاعتراف الصريح بأن العالم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه ، وان ارادة الله نافذة في الأشياء أزلا وأبدا بل وفي القول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الالهي وبين علم المخلوقين فعلم المخلوقين ـ وان كانوا أنبياء أو أوصياء ـ لا يحيط بما أحاط به علمه تعالى فان بعضا منهم وان كان عالما ـ بتعليم الله اياه ـ بجميع عوالم الممكنات لا يحيط بما أحاط به علم الله المخزون الذي استأثر به لنفسه ، فانه لا يعلم بمشيئة الله تعالى ـ لوجود شيء ـ أو عدم مشيئته الا حيث يخبره الله تعالى به على نحو الحتم .

والقول بالبداء يوجب انقطاع العبد الى الله وطلبه اجابة دعائه منه ، وكفاية مهماته ، وتوفيقه للطاعة ، وابعاده عن المعصية ، فان انكار البداء

والالتزام بأن ما جرى به قلم التقدير كائن لا محالة - دون استثناء - يلزمه يأس المعتقد بهذه العقيدة عن اجابة دعائه . فان ما يطلبه العبد من ربه وان كان قد جرى قلم التقدير بانفاذه فهو كائن لا محالة ، ولا حاجة الى الدعاء والتوسل . وإن كان قد جرى القلم بخلافه لم يقع أبداً ، ولم ينفعه الدعاء ولا التضرع . واذا يئس العبد من اجابة دعائه ترك التضرع لخالقه حيث لا فائدة في ذلك . وكذلك الحال في سائر العبادات والصدقات التي ورد عن المعصومين (ع) انها تزيد في العمر أو في الرزق أو غير ذلك مما يطلبه العبد (١) .

ودعم السيد قوله بعد هذا بالآيات والأخبار الواردة من الفريقين على ضرورة البداء ولزوم القول به .

هذا هو رأي الشيعة في البداء - كما أفاده آية الله الخوئي - وهو صريح واضح يقضي بصحته الدليل ويعضده البرهان .

الانكار على الشيعة :

والبداء الذي تلتزم به الشيعة - كما ذكرنا - لا يشذ عن القواعد العلمية ولا يخالف قاعدة اسلامية ولكن خصومهم قد شهروا به عليهم ففسروه بتفسير مجاف لما تراه الشيعة ، وفيما يلي عرض لبعض الناقدين :

١ - سليمان بن جرير

ونقل الشهرستاني عن سليمان بن جرير أنه قال : ان أئمة الرافضة وضعوا مقالتين لشيعتهم « الاولى » القول بالبداء ، فاذا قالوا : انه سيكون لهم أمر وشوكة ثم لا يكون الامر على ما اخبروه قالوا : بدا لله تعالى فيه

---

(١) البيان في تفسير القرآن : (ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٦) .

وقد قال فيه زرارة بن أعين شعراً :

وتلك إمارات تجيء لوقتها ومالك عما قدر الله مذهب
ولولا البدا سميته غير فائت ونعت البدا نعت لمن يتقلب
ولولا البدا ما كان ثم تصرف وكان كنار دهرها تتلهب

« الثانية » : التقية فكلما أرادوا شيئاً تكلموا به فاذا قيل لهم هـذا خطأ قالوا : انما قلناه تقية (١) .

٢ ـ الفخر الرازي

قال الرازي ـ عند تفسير قوله تعالى « يمحو الله ما يشاء ويثبت » :ـ قالت الرافضة : البداء جائز على الله تعالى ، وهو أن يعتقد شيئا ثم يظهر له أن الامر بخلاف ما اعتقده (٢) .

٣ ـ احمد أمين

قال الدكتور احمد امين : « ورأينا بعض الشيعة يرى البداء الذي أنكره اليهود ، وأقدم من قال به المختار بن أبي عبيد : الذي كان يدعو لمحمد بن الحنفية . ويقول الشهرستاني : « انما صار المختار الى البداء لأنه كان يدّعي علم ما يحدث من الاحوال إما بوحي يوحى اليه ، واما برسالة من قبل الامام ، فكـان اذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة فان وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه ، وان لم يوافق قال : قد بدا لربكم . وكان لا يفرق بين النسخ والبداء ، فاذا جاز النسخ في الاحكام جاز البداء في الأخبار » وقد اعتنق كثير من الشيعة مذهب البداء وطبقوه في كثير من مسائلهم التأريخية ، وقال أحد أئمتهم : « لا يعبد الله بأحسن من القول بالبداء » لأنه يفتح باب التوبة في طلب العفو من الله ، وكان

(١) شرح اصول الكافي نقلا عن الرازي في خاتمة كتاب المحصل .
(٢) تفسير الرازي .

اليهود أقوى المعارضين في البداء » (١) .

وهؤلاء الناقدون للشيعة ـ على مقالتهم بالبداء ـ لم يكن رأيهم قريباً من الواقع وذلك لعدم وقوفهم على حقيقة البداء الذي تذهب اليه الشيعة .

إنكار اليهود :

وأول من انكر البداء واحاله اليهود فقد ذهبوا الى أن قـلم التقدير والقضاء حينما جرى على الاشياء في الأزل استحال ان تتعلق المشيئة بعكسه وخلافه ، وبسبب ذلك قالوا : يد الله مغلولة عن الفيض والبسط والاخذ والعطاء لأنه قد جرى فيها قلم التقدير فلا يمكن فيها التغيير والتبديل .

رأي الامام موسى :

وتحدث الامام موسى عليه السلام عن البداء في حديثه مع المعلى بن محمد ، وقد سأله عن كيفية علم الله فأجابه (ع) بجواب عرض فيه لأهم المسائل الفلسفية والكلامية ، وهذا نصه :

قال عليه السلام :

« علم وشاء ، وأراد وقدر ، وقضى ، وأمضى فأمضى ما قضى، وقضى ما قدر ، وقـدر ما أراد ، فبعلمه كانت المشيئة وبمشيئته كانت الارادة ، وبارادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الامضاء ، والعلم يتقدم على المشيئة ، والمشيئة ثانيـة ، والارادة ثالثة (٢) والتقدير واقع على

(١) فجر الاسلام : (ج ١ ص ٣٥٤) .

(٢) مراده : ان علم الله تعالى له مراتب ستة بعضهـا مترتب على بعض ، وهي :

القضاء بالامضاء (١) فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء ، وفيما أراد لتقدير الاشياء (٢) فاذا وقع القضاء بالامضاء فلا بداء ، فالعلم في المعلوم قبل كونه ، والمشيئة في المنشأ قبل عينه ، والارادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها (٣) عينا ووقتا (٤) والقضاء بالامضاء هو المبرم من المفعولات (٥) ذوات الأجسام المدركات

اولا ـ العلم وهو في المقام عبارة عن تصور الشيء ، وهو أول المبادىء الاختيارية للافعال .

ثانيا ـ المشيئة .

ثالثا ـ الارادة وهي العزم على الفعل أو الترك .

رابعا ـ التقدير وهو تعيين المكان والزمان الذي يوجد فيه الفعل بعد تصوره وتصور أوصافه .

خامسا ـ القضاء وهو ايجاب العمل .

سادساً ـ الايجاد للشيء .

وهذه المراتب بعضها مرتب على بعض ترتبا ذاتيا كل في محله .

(١) مراده ان التقدير مع ترتبه وتقدمه الذاتي على القضاء فانه واقع عليه وموجب لجعله اقتضاءاً خاصا لايجاد خاص ، فالتقدير ينبعث منه امضاء الاقتضاء .

(٢) بيان لوقوع البداء في أي مرتبة من المراتب السابقة ، وقد تقدم بيانها بالتفصيل .

(٣) مراده : ان الانواع الطبيعية والطبائع الجسمانية موجودة في علم الله الأزلي ، ومشيئته وارادته الذاتيتين .

(٤) أشار (ع) الى تركيب الاجسام من العناصر المختلفة .

(٥) يعني ان الذي يتعلق القضاء بامضائه انما هو الشيء المبرم =

بالحواس من ذي لون وريح ووزن وكيل وما دبّ ودرج من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس فلله تعالى فيه البداء مما لا عين له فاذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء والله يفعل ما يشاء (١) فبالعلم علم الاشياء قبل كونهـا (٢) وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل اظهارها وبالارادة ميز أنفسها في ألوانها وصفاتهـا ، وبالتقدير قدر أقواتها وعرف أولها وآخرها وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها وبالامضاء شرح عليها وأبان أمرها وذلك تقدير العزيز العليم » .

وانتهى بذلك هذا الحديث الحافل بأروع المسائل الكلامية وأشدهـا غموضا ، وقد اعرب فيه الامام عن المرحلة التي يقع فيها البداء من علم الله ، وقد اوضحنا ذلك فيما سبق .

الايمان بالله

ان النفوس اذا أترعت بروح الايمان بالله فقد صفت من الذنوب وزكت من الزيغ ، . . فبالايمان تسود العدالة والمحبة ، وتنتشر الفضيلة والمودة ، ويقضى على جميـع أنواع الرذائل الاجتماعية من الظلم والغبن والاعتداء . . .

لقد بعث الله الأنبياء والرسل الى عباده ليغرسوا في نفوسهم هذه الظاهرة

= الذي هو من المفعولات التي تقع في عالم الكون ، وما يقع في عالم الكون انما هو من ذوات الاجسام المدركة بالحواس من ذي لون وريح . . الخ

(١) بين (ع) المرحلة التي يقع فيها البداء من علم الله .

(٢) مراده بيان الخواص التي تترتب على المراتب الستة من علم الله تعالى وقد بينها (ع) في حديثه .

الكريمة ، وقد تحدث الامام عنه ففضله على جميع الأعمال وذلك حينما سأله شخص فقال له :

ـ أيها العالم ، اخبرني أي الأعمال أفضل عند الله ؟ .

ـ ما لا يقبل عمله الا به .

ـ وما ذلك ؟ ! ! .

ـ الايمان بالله ، الذي هو أعلى الاعمال درجة ، وأسناها حظـاً ، وأشرفها منزلة .

ـ اخبرني عن الايمان أقول وعمل أم قول بلا عمل ؟ .

ـ الايمان عمل كله ، والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله ، بين في كتابه ، واضح نوره ، ثابتة حجته ، يشهد به الكتاب ويدعو اليه .

ـ صف لي ذلك حتى أفهمه ؟ .

ـ ان للايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل ، فمنه التام المنتهي تمامه ، ومنه الناقص البين نقصانه ، ومنه الزائد الراجح زيادته .

ـ إن الايمان ليتم ويزيد وينقص ؟ ! ! .

ـ نعم .

ـ وكيف ذلك ؟ ! ! .

ان الله تبارك وتعالى فرض الايمان على جوارح بني آدم ، وقسمه عليها وفرقه عليها فليس من جوارحهم جارحة الا وهي موكلة من الايمان بغير ما وكلت به أختها ، فمنهـا قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم ، وهو أمير بدنه الذي لا تورد الجوارح ، ولا تصدر الا عن رأيه وأمره ، ومنها يداه اللتان يبطش بهما ، ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجه الذى ألباه وعيناه اللتان يبصر بهما ، وأذناه اللتان يسمع بهما ، وفرض على القلب غير ما فرض على اللسان ، وفرض على اللسان غير ما فرض على العينين ، وفرض على العينين

غير ما فرض على السمع ، وفرض على السمع غير مافرض على اليدين ، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين ، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج ، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه ، فأما ما فرض على القلب من الايمان فالاقرار ، والمعرفة ، والتصديق ، والتسليم ، والعقد والرضا بأن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، أحدا ، صمدا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وان محمداً (ص) عبده ورسوله . . » (١) .

العلم :

وحمل أئمة اهل البيت (ع) مشعل النهضة العلمية في العالم الاسلامي ، فأسسوا في حواظره معـــالم الحياة الفكرية ، ودعوا المسلمين دعوات جادة تحمل طابع النصح والتوجيه لهم في أن يبنوا حياتهم على اساس من الوعي العلمي ، وقد ملئت موسوعات الحديث والفقه بما أثر عنهم من أحاديث الترغيب في طلب العلم .

وعنى الامام موسى (ع) بهذه الدعوة الخلاقة فأمر المسلمين بالجد على تحصيل العـــلم والتفقه في الدين ، وحذرهم من طلب بعض العلوم التي لا يستفيدون بها في تطويرحياتهم ، فقد روى المؤرخون انه دخل مسجد النبي(ص) فرأى قوماً قد طافوا برجل وهم يعظمونه ويبالغون في تكريمه فقال (ع) لبعض أصحابه :

- من هذا ؟

- علامة !

- وما العلامة ؟

(١) اصول الكافي : (ج ٢ ص ٣٨ - ٣٩) .

ـ أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها .

ـ ذاك علم لا يضر من جهله ، ولا ينفع من علمه .

والتفت الى اصحابه فبين لهم العلوم النافعـــة التي ينبغي لهم أن ينفقوا حياتهم على تحصيلها فقال :

« انما العلم ثلاثة : آية محكمة أو فريضة عادلة ، أو سنة قائمة ، وما خلاهن فهو فضل . . . » .

انه ليس في علم الانساب ، ولا في معرفة وقائع العرب ما يبعث على النماء الفكري ، او يصنع حضارة انسانية ، او يخلق تقدما وتطوراً في حياة المسلمين فهو علم لا يضر من جهله ، ولا ينفـع من علمه ، فلذا قلل الامام من أهميته ، ودعا الى صرف الوقت في غيره من سائر العلوم .

وحدث الامام عليـــه السلام اصحابه عما ينبغي عليهـم أن يعرفوه قال (ع) :

« وجدت علم الناس في أربع : « اولها » أن تعرف ربك (الثانية) أن تعرف ما صنع بك « الثالثة » ان تعرف ما أراد منك « الرابعة » أن تعرف ما يخرجك عن دينك » .

وأوضح هذه الفقرات الاربعـة سماحة المغفور له السيد محسن الأمين قال :

« الاولى » وجوب معرفة الله التي هي اللطف « الثانية » معرفة ماصنع بك من النعم التي يتعين عليك لأجلها الشكر والعبادة « الثالثة » أن تعرف ما أراد منك فيما أوجبه عليك ، وندبك الى فعله لتفعله على الحد الذي اراده منك فتستحق بذلك الثواب « الرابعة » أن تعرف الشيء الذي يخرجك عن طاعته فتجتنبه » (١) .

---

(١) اعيان الشيعة ٥٧/٤

التفقه في الدين :

وحث الامام المسلمين على التفقه في الدين ، ومعرفة الاحكام الشرعية فقال لهم :

« تفقهوا في دين الله ، فان الفقه مفتــاح البصيرة ، وتمام العبادة ، والسبب الى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا ، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب ، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملا . . » .

وسأله بعض أصحابه عما يحتاج اليه من الاحكام الشرعية قائلا :

« هل يسع الناس ترك المسألة عما يحتاجون اليه ؟ .

فقال (ع) : « ان الناس لا يسعهم أن يتركوا ما يحتاجون اليه في امور دينهم » .

مجالسة العلماء :

وأمر (ع) اصحابه بملازمة العلماء ومجالستهم وذلك للاستفادة من علومهم وآدابهم والاقتداء بساوكهم فقال (ع) :

« محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي »(١) .

فضل الفقهاء :

وأشاد (ع) بفضل الفقهاء الذين هم أعلام الدين وحماة كتاب الله فقال (ع) محدثاً عن جده رسول الله (ص) في فضلهم :

« قال رسول الله (ص) : الفقهاء امناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا » .

---

(١) الزرابي : البسط والفرش الفاخرة .

فانبرى اليه احد اصحابه قائلا :

- يا رسول الله ، ما دخولهم في الدنيا ؟ .

- اتباع السلطان ، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم .

العمل :

وأعلن الاسلام دعوته الاكيدة على العمل والكسب ، قال تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (١) .

ان الاسلام دعا الناس الى العمل ، وحثهم عليه ليكونوا ايجابيين في حياتهم يتمتعون بالجد والنشاط ليفيدوا ويستفيدوا ، وكره لهم الحياة السلبية والانكماش عن العمل الذي يؤدي الى عرقلة الاقتصاد ، وشيوع الفقر والحاجة في البلاد .

وقد استفاضت كتب الحديث بما أثر عن النبي (ص) وأوصيائه في الحث على العمل ، واضفاء النعوت الكريمة عليه فهو جهاد ، وشرف ، وعبادة ومن سيرة الانبياء .

وكان أئمة أهل البيت (ع) يزاولون العمل بأنفسهم ليقتدي بهم المسلمون ، فهذا الامام جعفر الصادق (ع) كان يعمل في بعض بساتينه ، فقد حدث ابو عمر الشيباني قال : رأيت أبا عبد الله (ع) وبيده مسحاة ، وعليه ازار غليظ والعرق يتصبب منه ، فقلت له :

« جعلت فداك اعطني اكفك »

فقال (ع) : « اني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب

---

(١) سورة الجمعة : آية : ١٠

المعيشة » (١) .

وكان الامام الكاظم (ع) يعمل لاعاشة عائلته ، فقد روى الحسن بن علي بن أبي حمزة قال : رأيت أبا الحسن موسى يعمل في أرض له ، وقد استنقعت قدماه في العرق فقلت له :

جعلت فداك ، اين الرجال ؟

ـ يا علي ، عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه .

فبهر الحسن وانطلق يقول :

ـ من هو ؟

ـ رسول الله (ص) وأمير المؤمنين وآبائي كلهم قد عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النبيين والمرسلين والصالحين » (٢) .

واعطى (ع) بذلك درساً رائعا عن الاسلام من أنه دين العمل والجد وان الشخص مهما علت منزلتـه فهو مأمور بالعمل ليكف نفسه ومن يعول به عما في أيدي الناس .

التحذير من الكسل :

ونهى الاسلام عن الكسل لأنه موجب لشل الحركة الاقتصـادية ، وتجميد طاقات الانسان ، وفساد المجتمع ، وقد ورد في الأدعية المأثورة عن أئمة الهدى بالتعوذ منه ، فقد جاء عنهم « اللهم اني اعوذ بك من الكسل والسأم والفترة » وقال الامام الصادق (ع) : لبعض اصحابه : « اياك والكسل والضجر فانهما مفتاح كل سوء . . انه من كسل لم يؤد حقا ، ومن ضجر

(١) العمل وحقوق العامل في الاسلام ص ١٣٥ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٥٣/٣

لم يصبر على حق » (١) .

وأوصى الامام موسى بن جعفر (ع) بعض ولده بالجد في اموره والحذر من الكسل فقال (ع) :

« إياك والكسل والضجر فانهما يمنعاك من حظك في الدنيا والآخرة »

لقد كان الامام (ع) يكره الكسل والبطالة ؛ ويمقت صاحبها لأنها تؤدي الى الفقر والسقوط ، وذهاب المروءة ، ومن يتصف به يكون في حكم الموتى لا تفكير له ولا تدبر .

الاقتصاد :

وأوصى (ع) اصحابه بالاقتصاد ، ونهاهم عن التبذير والاسراف لأن بهما زوال النعمة فقال (ع) :

« من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة ، ومن بذّر وأسرف زالت عنه النعمة » .

وقال عليه السلام :

« ما عال امرىء اقتصد »

ان من معالم الاقتصاد الاسلامي المنع من التبذير لأن فيه اضاعة للاموال وفساداً للاخلاق ، ونشراً للميوعة والتحلل ، واثارة للحقد والكراهيــة في نفوس الفقراء الذين لا يجدون السعة في المال ، وقد تحدثنــا عن هذه الظاهرة بصورة موضوعية وشاملة في كتابنــا « العمل وحقوق العامل في الاسلام » .

---

(١) العمل وحقوق العامل في الاسلام ص ١٤٠

مكارم الاخلاق :

وجاء الاسلام بمكارم الاخلاق ، واعتبرها قاعدة اساسية في رسالته المشرقة قال الرسول (ص) : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » فكان (ص) في اخلاقه المثل الاعلى للانسانية الكريمة ، وسار من بعده أئمة الهدى يقتفون آثاره في تأسيس معالم الاخلاق ومكارم الاعمال ، وذلك بسلوكهم ، وفيما أثر عنهم من الوصايا ، والارشادات لاصحابهم .

وقد عنى الامام بهذه الظاهرة فكان دوما يوصي اصحابه بالتحلي بالصفات الكريمة ليكونوا بسلوكهم وهديهم قدوة صالحة للمجتمع ، حتى يستطيعوا على نشر مفاهيم الخير والصلاح بين الناس ، ونعرض الى بعض ما أثر عنه في ذلك .

السخاء وحسن الخلق :

وحث (ع) اصحابه على التحلي بالسخاء وحسن الخلق قال :

« السخي الحسن الخلق في كنف الله ، لايتخلى الله عنه ، حتى يدخله الجنة ، وما بعث الله نبياً الا سخياً ، وما زال أبي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق . . . » .

الورع :

كان عليه السلام كثيراً ما يوصي اصحابه وشيعته بالورع عن محارم الله ، قال :

« كثيرا ما كنت أسمع أبي يقول : ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن » .

الصبر :

وأوصى (ع) اصحابه بالتمسك بالصبر ان نزلت بهم كارثة أو حل بهم خطب فان الجزع يذهب بالاجر الذي أعده الله للصابرين قال (ع) :

« المصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها الا بالصبروالاسترجاع عند الصدمة » .

قال (ع) : « ان الصبر على البلاء أفضل من العافية عند الرخاء »

قال (ع) : « المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان »

الصمت :

وأوصى (ع) اصحابه بالصمت وبين لهم فوائده قال :

« ان الصمت باب من أبواب الحكمة ، وان الصمت يكسب المحبة انه دليل على كل خير » .

العفو والاصلاح :

وحث (ع) اصحابه على العفو والاحسان لمن أساء اليهم ، كما شجعهم على الاصلاح بين الناس ، وبين لهم عاقبة المحسنين والمصلحين وما لهم من الاجر عند الله فقال :

« ينادي مناد يوم القيامة ألا من كان له أجر على الله فليقم ، فلا يقوم إلا من عفا وأصلح » .

قول الخير :

وأوصى (ع) اصحابه بقول الخير واسداء المعروف الى الناس ، فقد قال للفضل بن يونس :

أبلغ خيرا وقل خيرا ، ولا تكن إمعة (١) .

ـ ما الامعة ؟ .

ـ لا تقل : انا مع الناس ، وانا كواحد من الناس . ان رسول الله صلى‌الله عليه وآله قال : « يا أيها الناس انما هما نجدان (٢) نجد خير، ونجد شر ، فلا يكن نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير » .

قول الحق :

وامر (ع) اصحابه بقول الحق : واظهاره والتجنب عن الباطل قال :

« إتق الله ، وقل الحق وان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك ، أي فلان اتق الله ودع الباطل وان كان فيه نجاتك ، فان فيه هلاكك » .

حسن الجوار :

وأوصى (ع) اصحابه بالاحسان الى الجار والصبر على تحمــل الأذى

---

(١) الإمع والإمعة ـ بالكسر فالتشديد ـ قيل أصله إني معك .

(٢) النجد : الطريق الواضح المرتفع .

والمكروه منه قال (ع) :

« ليس حسن الجوار كف الأذى ، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى » .

اغاثة المستجير :

وحث (ع) أصحابه على إغاثة المستجير وقضاء حاجته فقال :

« من قصده رجل من اخوانه مستجيرا به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل » (١) وقد أمرهم بقضاء حوائج الناس فقال : من أتاه اخوه المؤمن في حاجة فإنما هو رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها اليه ، فان قبل ذلك فقد وصله بولايتنا ، وهو موصول بولاية الله ، وان رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره الى يوم القيامة .. »وقال (ع) في فضل من لا يرد حاجة اخيه المؤمن : « ان لله عبادا في الارض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة ، ومن أدخل على مؤمن سرورا فرح الله قلبه يوم القيامة » (٢) .

زيارة الاخوان :

وأمر (ع) اصحابه بالتوادد والتآلف وزيارة بعضهم بعضا لأنها توجب المحبة وشيوع المودة ، مضافا لما لها من الأجر العظيم عند الله ،

---

(١) الوسائل : باب الأمر بالمعروف .

(٢) نفس المصدر .

قال :

« من زار أخاه المؤمن لله لا لغيره يطلب به ثواب الله ، وكل الله عزوجل به سبعين الف ملك من حين يخرج من منزله حتى يعود اليه ينادونه ألا طبت وطابت لك الجنة ، تبوأت من الجنة منزلا . . » .

الرضاء بقضا الله :

وحث (ع) اصحابه على الرضا بقضاء الله والتسليم لمشيئته وأمره قال :

« ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه ، ولا يتهمه في قضائه » .

شكر النعمة :

وأوصى (ع) اصحابه باظهار نعم الله وشكرها قال :

« التحدث بنعم الله شكر ، وترك ذلك كفر ، فاربطوا نعم ربكم بالشكر ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا البلاء بالدعاء ، فان الدعاء جنة ترد البلاء وقد أبرم إبراما . . » .

محاسبة النفس :

وحث (ع) اصحابه على محاسبة نفوسهم والنظر في اعمالهم فان كانت حسنة استزادوا منها ، وان كانت سيئة طلبوا من الله المغفرة والرضوان قال :

« ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فان عمل حسنا استزاد منه ، وان عمل سيئا استغفر الله منه وتاب منه . . » .

الاستشارة :

واوصى (ع) شيعته بالاستشارة في أمورهم ، وعدم الاستبداد بها قال :

« من استشار لا يعدم عند الصواب مادحاً ، وعند الخطأ عاذرا . . »

مساوىء الافعال :

ونهى (ع) أصحابه عن التخلق بالصفات الذميمة ، وارتكاب أي عمل غير صالح وفيما يلي ذلك :

اتباع الهوى :

قال (ع) : « اتق المرتقى السهل إذا كان منحدره وعراً ، إن أبي قال : لا تدع النفس وهواها ، فان هواها رداها ، وترك النفس وما تهوى اذاها ، وكف النفس عما تهوى دواها » .

العقوق :

قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « كن باراً واقتصر على الجنة ، وان كنت عاقا فظاً فاقتصر على النار » .

استصغار الذنب :

قال (ع) : « لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب ، فان القليـــل من الذنوب يجتمع حتى يكون كثيرا ، وخافوا في السر حتى تعطوا من انفسكم النصف » .

المزاح :

قال (ع) لبعض ولده : « اياك والمزاح فانه يذهب بنور ايمانك ويستخف بمروءتك . . » .

أدعيته :

وانقطع الامام الى الله فكان في جميـــع اوقاته يلهج بذكره تعالى ، ويدعوه دعاء المنيبين ، وقد حفلت كتب الأدعية بالشيء الكثير من ادعيته اما فائدة الدعاء فقد تحدث عنها بقوله :

« عليكم بالدعاء ، فان الدعاء لله والطلب الى الله يرد البلاء وقد قدر وقضي ولم يبق الا امضاؤه ، فاذا دعي الله عزوجل ، وسئل صرف البلاء » .

وتحدث (ع) مرة اخرى عما يترتب على الدعاء من الفوائد فقال :

« ما من بلاء يقع على عبد مؤمن فيلهمه الله عزوجل الدعاء الا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً وما من بلاء يقع على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء الا كان ذلك البلاء طويلا فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع الى الله عز وجل » (١) ونقدم عرضا موجزاً لبعض أدعيته .

دعاؤه على ظالم له :

دعا (ع) بهذا الدعاء الشريف في قنوته على بعض ظالميه واكبر الظن انه أحد خلفاء العباسيين المعاصرين له الذين جرعوه انواع الغصص والآلام ونحن نقـــدم نصه الكامـــل ليتضح منه ما قاساه الامام من طواغيت زمانه ، « اللهم ، اني وفلان ابن فلان ، عبدان من عبيدك ، نواصينا بيدك تعلم مستقرنا ومستودعنا ومنقلبنا ، ومثوانا ، وسرنا ، وعلانيتنا تطلع على نياتنا وتحيط بضمائرنا ، علمك بما نبديه كعلمك بما نخفيه ، ومعرفتك بما نبطنه كمعرفتك بما نعلنه ، ولا ينطوي عندك شيء من أمورنا ، ولا يستتر دونك حال من أحوالنا ، ولا لنا منك معقل يحصننا ، ولا حرز يحرزنا ، ولا مهرب

(١) اصول الكافي : (ج ٢ ص ٥٥٣) .

لنا نفوتك به ، ولا تمنع الظالم منك حصونه ، ولا يجاهدك عنه جنوده ، ولا يغالبك مغالب بمنعه ، انت مدركه ابنما سلك وقادر عليه اينما لجأ ، فعاذ المظلوم منابك ، وتوكل المقهور منا عليك ، ورجوعه اليك ، يستغيث بك اذا خذله المغيث ، ويستصرخك اذا قعد عنه النصير ، ويلوذ بك اذا نفته الافنية ، ويطرق بابك اذا اغلقت عنه الابواب المرتجة ، ويصل اليك اذا احتجبت عنه الملوك الغفاة ، تعلم ما حل به من قبل أن يشكوه اليك ، وتعرف ما يصلحه قبل أن يدعوك له ، فلك الحمد بصيرا عليما لطيفا ، اللهم ، وانه قد كان في سابق علمك ومحكم قضائك ، وجاري قدرك ، ونافذ امرك ، وماضي مشيئتك في خلقك أجمعين شقيهم وسعيدهم وبرهم وفاجرهم ان جعلت « لفلان ابن فلان » علي قدرة فظامني بها وبغى علي بمكانهـا واستطال وتعزز بسلطانه الذي خولته اياه ، وتجبر وافتخر بعلو حاله الذي نولته ، وغره املاؤك ، وأطغاه حلمك عنه فقصدني بمكروه عجزت عن الصبر عليه ، وتعمدني بشر ضعفت عن احتماله ، ولم اقدر على الاستنصاف منه لضعفي ، ولا على الانتصار لقلتي فوكلت أمره اليك ، وتوكلت في شأنه عليك ، وتوعدته بعقوبتك ، وحذرته ببطشك ، وخوفته بنقمتك ، فظن ان حلمك عنه من ضعف ، وحسب أن إملاءك له من عجز ، ولم تنهه واحدة عن اخرى ، ولا انزجر عن ثانية بأولى لكنه تمادى في غيه ، وتتابع في ظلمه ، ولج في عدوانه واستشرى في طغيانه جرأة عليك يا سيدي ومولاي وتعرضاً لسخطك الذي لا تحبسه عن الباغين ، فها أنا ياسيدي مستضام تحت سلطانه مستذل بفنائه مبغي علي ، وجل خائف ، مروع مقهور قد قل صبري وضاقت حيلتي ، وتغلقت علي المذاهب الا اليك ، وانسدت عني الجهات الا جهتك ، والتبست علي اموري في دفع مكروهه واشتبهت على الآراء في ازالة ظلمه ، وخذلني من استنصرته من خلقك ، واسلمني من تعلقت به

من عبادك ، فاستشرت نصحي فأشار علي بالرغبة اليك ، واسترشدت دليلي فلم يدلني الا اليك ، فرجعت اليك يا مولاي صاغراً راغبا مستكينا عالما انه لا فرج لي الا عندك ، ولا خلاص لي الا بك انتجز وعدك في نصرتي واجابة دعائي لأن قولك الحق الذي لا يرد ولا يبدل ، وقد قلت تباركت وتعاليت « ومن بغي عليـه لينصرنه الله » وقلت جل ثناؤك ، وتقدست أسماؤك : « ادعوني استجب لكم » فأنا فاعل ما امرتني به لا مناً عليك ، وكيف أمن به وانت دللتني عليه ، فاستجب لي كما وعدتني يا من لا يخلف الميعاد واني لأعلم يا سيدي ان لك يوما تنتقم فيه من الظالم للمظلوم ، وأتيقن ان لك وقتاً تأخذ فيه من الغاصب للمغصوب لأنه لا يسبقك معاند ، ولا يخرج من قبضتك منابذ ، ولا تخاف فوت فائت ولكن جزعي وهلعي لا يبلغان الصبر على اناتك ، وانتظـار حلمك فقدرتك يا سيدي فوق كل قدرة ، وسلطانك غالب كل سلطـان ، ومعاد كل احد اليك وان أمهلته ، ورجوع كل ظالم اليك وان انظرته ، وقد أضرني - ياسيدي - حلمك عن (فلان) وطول اناتك له ، وإمهالك اياه ، ويكـاد القنوط ان يستولي علي ، لولا الثقة بك ، واليقين بوعدك ، فان كان في قضائك النافذ وقدرتك الماضية انه ينيب ، او يتوب ، او يرجع عن ظلمي ويكف عن مكروهي ، وينتقل عن عظيم ما ركب مني ، فصل على محمد وآله ، وأوقع ذلك في قلبه قبل إزالة نعمتك التي أنعمت بها عليه ، وتكدير معروفك الذي صنعته اليه ، وان كان علمك به غير ذلك من مقامه على ظلمي ، فاني أسألك يا ناصر المظلومين المبغي عليهم اجابة دعوتي فصل على محمد وآله وخذه من مأمنه أخذ عزيز مقتدر وافجأه في غفلته مفاجاة مليك منتصر واسلبه نعمته وسلطانه وافضض عنه جموعه وأعوانه ومزق ملكه كل ممزق ، وفرق انصاره كل مفرق ، واعزله من نعمتك التي لم يقابلها بالشكر والاحسان ، وانزع عنه سربال عزك الذي لم يجازه بالاحسان ، واقصمه

يا قاصم الجبابرة ، واهلكه يا مهلك القرون الخالية ، وابره يا مبير الأمم الظالمة ، واخذله يا خاذل الفرق الباغية ، وابتر عمره ، وابتز ملكه ، وعف أثره ، واقطع خبره ، واطف ناره ، واظلم نهاره ، وكور شمسه ، وازهق نفسه ، واهشم سوقه ، وجب سنامه ، وارغم أنفه ، وعجل حتفه ولا تدع له جنة الا هلكتها ، ولا دعامة الا قصمتها ، ولا كلمة مجتمعة الا فرقتها ولا قائمة علو الا وضعتها ، ولا ركنا الا وهنته ، ولا سبباً الا قطعته ، وأرنا انصاره وجنوده عبيدا بعد العزة ، واجعلهم متفرقين بعد اجتماع الكلمة ومقنعي الرؤوس بعد الظهور على الامة ، واشف بزوال امره القلوب الوجلة والأفئدة اللهيفة ، والأمة المتحيرة ، والبرية الضايعة ، واظهر بزواله الحدود المعطلة ، والسنن الداثرة ، والأحكام المهملة ، والمعالم المتغيرة ، والآيات المحرفة ، والمدارس المهجورة ، والمحاريب المجفوة ، والمشاهد المهدومة ، واشبع به الخماص السابغة ، وارو به اللهوات اللاغبة والأكباد الضامية ، وأرح به الأقدام المتعبة ، واطرقه ببلية لا اخت لها ، وبساعة لا مثوى فيها ، وبنكبة لا انتعاش معها ، وبعثرة لا إقالة منها ، وابح حريمه ، ونغص نعيمه ، وأره بطشتك الكبرى ، ونقمتك المثلى ، وقدرتك التي هي فوق قدرته ، وسلطانك الذي هو أعز من سلطانه ، وأغلبه لي بقوتك القوية ، ومحالك الشديد ، وامنعني منه بمنعك ، وابتله بفقر لا يجبره ، وبسوء لا يستره ، وكله الى نفسه فيما تريد انك فعال لما تريد ، وابره من حولك وقوتك ، وكله الى حوله وقوته وازل مكره بمكرك ، وادفع مشيئته بمشيئتك ، واسقم جسده ، وايتم ولده ونقص اجله ، وخيب امله ، وازل دولته ، واطل عولته ، واجعل شغله في بدنه ، ولا تفكه من حزنه ، وصير كيده في ضلال وامره الى زوال ونعمته الى انتقال وجده في سفال وسلطانه في اضمحلال ، وعاقبته الى شر مآل وامته بغيظه إن أمته ، وابقه بحسرته ان أبقيتـــه ، وقني شره وهمزه ولمزه

وسطوته وعداوته ، والمحه لمحة تدمر بهـــا عليه ، فانك اشد بأساً وأشد تنكيلا . . » (١) .

ويلمس في هذا الدعاء الشريف مدى الخطوب الفادحة والآلام المرهقة التي تلقاها الامام من خصمه ، فانه لم يدع عليه بهذا الدعاء الا بعد أن ملأ قلبه بالحزن الشديد والألم المرير .

دعاؤه عند الحاجة :

وكان (ع) يدعو بهذا الدعاء اذا اصابته فاقة او أعواز .

« يا الله : اسألك بحق من حقه عليك عظيم أن تصلي على محمد وآل محمد وأن ترزقني العمل بما علمتني من معرفة حقك ، وأن تبسط علي ما حظرت من رزقك » (٢) .

دعاؤه لوفاء الدين :

وشكا الى الامام بعض اصحابه الديون المتراكمة عليـه فكتب (ع) له هذا الدعاء وأمره ان يدعو به .

« اللهم ، اردد الى جميع خلقك مظالمهم التي قبلي صغيرها وكبيرها في يسر منك وعافية ، وما لم تبلغه قوتي ، ولم تسعه ذات يدي ، ولم يقو عليه بدني ، ويقيني ونفسي ، فأده عني من جزيل ما عندك من فضلك ثم لا تخلف علي منه شيئاً تقضيه من حسناتي يا ارحم الراحمين ، اشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، واشهـــد ان محمداً عبده ورسوله وأن الدين كما شرع وان الاسلام كما وصف ، وان الكتاب كما انزل ، وأن القول كما حدث وان الله هو الحق المبين ، ذكر الله محمدا وأهل بيته بخير ، وحيـــا محمدا

---

(١) مهج الدعوات : (ص ٦٧ ـ ٧٢) .

(٢) اصول الكافي : (ج ٢ ص ٥٥٣) ،

واهل بيته السلام . . » (١) .

دعاء الحجاب :

كان عليـــه السلام يتحجب بهذا الدعاء ، ويتقي به شر من يخاف شره ، وهو :

« توكلت على الحي الذي لا يموت ، وتحصنت بذي العزة والجبروت واستعنت بذي الكبرياء والملكوت ، مولاي استسلمت اليك ، فلا تسلمني وتوكلت عليك فلا تخذلني ، والتجـــأت الى ظلك البسيط فلا تطرحني انت الطلب واليك المهرب ، تعلم ما اخفي وما اعلن وتعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فامسك عني اللهـــم ايدي الظالمين من الجن والانس أجمعين واشفني ، وعافني يا ارحم الراحمين . . » (٢) .

ونكتفي بهذا المقدار من ادعيته المقدسة التي تدل على مدى انقطاعه الى الله وتعلقه به وذكرت له ادعية كثيرة في (الاقبال) و (مهج الدعوات) وغيرهما مما ألف في هذا الموضوع .

وعظ وارشاد :

كان (ع) في اغلب الأوقات يدلي بنصائحه الرفيعة ، وارشاداته القيمة الى اصحابه والى من يمت اليه ، وكان (ع) دوما يحذرهم من عذاب الله وعقابه ويخوفهم الدار الآخرة ، وهذه بعض وصاياه .

وصيته لبعض ولده :

قال (ع) : يا بني ، اياك ان يراك الله في معصية نهاك عنها ، واياك

(١) اصول الكافي : (ج ٢ ص ٥٥٥) .

(٢) مهج الدعوات : (ص ٣٧٣) .

ان يفقدك الله عند طاعة أمرك بها ، وعليك بالجد ، ولا تخرجن من نفسك التقصير عن عبادة الله ، فان الله عزوجل لا يعبد حق عبادته ، واياك والمزاح فانه يذهب بنور ايمانك ، ويستخف بمروءتك ، واياك والكسل والضجر فانهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة » (١) .

ارشاد وتوجيه :

ووجه (ع) ارشاداً عاماً لجميع المسلمين جاء فيه :

« كفى بالتجارب تأديبا ، وبمر الايام عظة ، وبأخلاق من عاشرت معرفة ، وبذكر الموت حاجزاً من الذنوب والمعاصي ، والعجب كل العجب للمحتمين من الطعام والشراب مخافة الداء ان نزل بهم كيف لا يحتمون من الذنوب مخافة النار اذا اشتعلت في ابدانهم . . » (٢) .

وصية عامة :

وأوصى (ع) عموم اصحابه بتنظيم اوقاتهم ، والعمل على تهذيب نفوسهم قال (ع) :

« اجتهدوا في ان يكون زمانكم اربع ساعات : ساعة لمناجاة الله ، وساعة لأمر المعاش ، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ، ويخلصون لكم في الباطن ، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات ، ولا تحدثوا انفسكم بفقر ولا بطول عمر ، فانه من حدث نفسه بالفقر بخل ، ومن حدثها بطول العمر يحرص اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا باعطائها ما تشتهي من الحلال وما لا يثلم المروءة ، وما لا سرف فيه ، واستعينوا بذلك على أمور الدين ، فانه روى

(١) الوافي : (ج ٣ ص ٧٨) .

(٢) الدر النظيم .

« ليس منا من ترك دنياه لدينه او ترك دينه لدنياه » (١) .

الحث على فعل الخير :

قال (ع) : من استوى يوماه فهو مغبون ، ومن ، كان آخر يوميه أشرها فهو ملعون ، ومن لم يعرف الزيادة على نفسه فهو في النقصان ، ومن كان الى النقصان اكثر فالموت خير له من الحياة . . » (٢) .

وبهذا العرض الموجز ينتهي بنا الكلام من بعض مواعظه وارشاداته وننتقل الى فصل آخر من تراثه .

مناظراته واحتجاجاته :

وللامام (ع) مناظرات واحتجاجات بليغة مع خصومه المناوئين له كما جرت له مناظرات اخرى مع بعض علماء اليهود والنصارى ، وقد افلج (ع) الجميع بما أقامه من الأدلة الوافرة على صحة مدعاه وبطلان ما ذهبوا اليه ، وقد اعترفوا بالعجز والفشل ، وبغزارة علم الامام ، وتفوقه عليهم وفيما يلي بعضا منها :

١ ـ مع نفيع الانصاري :

وشرّف (ع) بلاط الملك هارون ، فلما رآه حاجب البلاط قابله بالتكريم والحفاوة وقدمه على غيره لمقابلة هارون وكان في مجلس الانتظار نفيع الأنصاري فلما رأى تلك الحفاوة البالغة احترق قلبه من الغيظ وساءه تكريم الامام ، فالتفت الى عبد العزيز وكان معه فقال له :

(١) تحف العقول (ص٤٠٩) عرضنا لبيان هذا الحديث بصورة موضوعية وشاملة في كتابنا « العمل وحقوق العامل في الاسلام » .

(٢) الاتحاف بحب الاشراف : (ص ٥٥) .

ـ من هذا الشيخ ؟ .

ـ أوما تعرفه !! هذا شيخ آل أبي طالب ، هذا موسى بن جعفر .

فانبرى نفيع يندد بالعباسيين على تكريمهم للامام قائلا :

ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير ، أما لئن خرج لأسوأنه .

فزجره عبد العزيز ونهره قائلا :

«لا تفعل ، فان هؤلاء أهل بيت لم يتعرض لهم أحد بخطاب الا وسموه ـ بالجواب ـ سمة يبقى عارها عليه أبد الدهر . . » .

ولما انتهى الامام من مقابلة هارون ، وخرج من عنده اقبل عليه نفيع يشتد فامسك بزمام دابته وقال له :

ـ من انت ؟

ـ يا هذا ، ان كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله ، وابن اسماعيل ذبيح الله ، وابن ابراهيم خليل الله ، وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله عز وجل على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه ، وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركوا قومي بمسلمي قومك اكفاءاً لهم حتى قالوا يا محمد اخرج الينا أكفاءنا من قريش ، خل عن زمام دابتي .

وانصرف نفيع وهو لا يبصر طريقه من الخجل والعار الذي وسمه به الامام (١) .

٢ ـ مع الفضل بن الربيع :

وتشرف هارون الرشيد بزيارة قبر النبي (ص) فاجتمع به الامام (ع) وبعد انتهاء المقابلة ، خرج (ع) فاجتاز على محمد الامين ابن الرشيد ، فالتفت

(١) نزهة الناظر في تنبيه الخاطر : ص ٤٥ .

محمد الى الفضل بن الربيع قائلا له : عاتب هذا ، فقام الفضل الى الامام فقال له :

كيف لقيت امير المؤمنين على هذه الدابة التي ان طلبت عليها لم تسبق وان طلبت عليها تلحق ؟

- لست احتاج ان أطلب ، ولا أن أُطلب ، ولكنها دابة تنحط عن خيلاء الخيل . وترتفع عن ذلة العير ، وخير الامور اوسطها . . » (١) .

فتركه الامام وانصرف ، وبدا على الفضل الارتباك والعي والعجز .

٣ - مع أبي يوسف :

وامر هارون الرشيد أبا يوسف (٢) ان يسأل الامام بحضرته لعله أن يبدي عليه العجز فيتخذ من ذلك وسيلة للحط من كرامته ، ولما اجتمع (ع) بهم وجه اليه ابو يوسف السؤال الآتي :

- ما تقول في التظليل للمحرم ؟

- لا يصلح .

- فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت ؟

- نعم .

- فما الفرق بين الموضعين ؟

- ما تقول في الطامث اتقضي الصلاة ؟

- لا

---

(١) زهر الآداب (ج ١ ص ١٣٢) .

(٢) ابو يوسف : هو يعقوب بن ابراهيم الأنصاري ، ولد سنة ١١٣ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٢٨٢ هـ وكان من اصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي واخذ الفقه عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثم عن ابي حنيفة وولي القضاء لهارون الرشيد جاء ذلك في طبقات الفقهاء : ص ١١٣ .

ـ اتقضي الصوم ؟

ـ نعم

ـ ولمَ ؟

ـ هكذا جاء

ـ وهكذا جاء هذا

فسكت أبو يوسف ولم يطق جواباً وبدا عليه الخجل والعجز فقال هارون :

ـ ما أراك صنعت شيئا ؟

ـ رماني بحجر دامغ (١) ،

وتركهما الامام وانصرف عنهما وقد خيم عليهما الحزن والشقاء .

٤ ـ مع أبي حنيفة :

ودخل ابو حنيفة على الامام الصادق (ع) فقال له :

رأيت ابنك موسى يصلي والناس يمرون بين يديه ، فلم ينههم عن ذلك ؟ ! .

فأمر أبو عبد الله (ع) باحضار ولده فلما مثل بين يديه قال له :

« يا بني ، ان أبا حنيفة يذكر انك كنت تصلي والناس يمرون بين يديك ؟ » .

« نعم ، يا أبت ان الذي كنت اصلي له كان اقرب إلي منهم ، يقول الله عزوجل : « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » .

وفرح الامام الصادق (ع) وسُرّ سروراً بالغا بما ادلى به ولده من المنطق الرائع ، فقام اليه فضمه وانطاق قائلا :

---

(١) المناقب : (ج ٣ ص ٤٢٩) .

« بأبي أنت وأمي يا مودع الاسرار !! » (١) .

٥ ـ مع هارون الرشيد :

ولما اعتقل هارون الرشيد الامام موسى (ع) وبقي في السجن حفنة من السنين امر يوما باحضاره في بلاطه ، فلما حضر واستقر به المجلس التفت اليه هارون وقد نخر الغيظ قلبه قائلا :

ـ يا موسى بن جعفر : خليفتين يجبى لهما الخراج ؟ ! ! .

ـ يا امير المؤمنين ، أعيذك بالله ان تبوء باثمي وإثمك ، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا ، فقد علمت انه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله (ص) بما علم ذلك عندك ، فان رايت بقرابتك من رسول الله (ص) أن تأذن لي أن احدثك بحديث اخبرني به ابي عن آبائه عن جدي رسول الله (ص) ؟

ـ قد أذنت لك .

ـ اخبرني ابي عن آبائه عن جدي رسول الله (ص) انه قال : « ان الرحم اذا مست الرحم تحركت واضطربت » ، فناولني يدك .

فرق هارون وزال غضبه فمد اليه يده وجذبه الى نفسه وعانقه طويلا ثم ادناه منه وقد اغرورقت عيناه بالدموع والتفت اليـــه قائلا له بنبرات تقطر عطفا :

« صدقت ، وصدق جدك ، لقد تحرك دمي ، واضطربت عروقي حتى غلبت علي الرقة ، وفاضت عيناي ، وأنا أريد أن اسألك عن اشياء تتلجلج في صدري منذ حين لم اسأل عنها احدا ، فان انت اجبتني عنها خليت عنك ولم اقبل قول احد فيك ، وقد بلغني انك لم تكذب قط ، فاصدقني عما أسألك مما في قلبي » .

ـ ما كان علمه عندي فاني مخبرك به ، إن انت آمنتني .

---

(١) البحار : (ج ١٢ ص ٢٨٣) .

ـ لك الأمان ، إن انت صدقتني ، وتركت التقية التي تعرفون بهـا معشر بني فاطمة .

ـ سـل عما شئت .

ـ لمَ فضلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة ، وبنو عبد المطلب ونحن وانتم واحد ، فبنو العباس وانتم ولد أبي طالب ، وهما عما رسول الله (ص) ، وقرابتهما منه سواء ؟

ـ نحن اقرب .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ لأن عبد الله وأبا طالب لأب وأم ، وأبوكم العباس ليس هو من أم عبد الله وأبي طالب .

ـ لمَ ادعيتم انكم ورثتم النبي (ص) والعم يحجب ابن العم ، وقبض رسول الله (ص) وقد توفي أبو طالب قبله ، والعباس عمه حي ؟

ـ إن رأى أميرالمؤمنين أن يعفيني عن هذه المسألة ، ويسألني عن كل باب سواها .

ـ لا ـ أو تجيب ؟

ـ آمني .

ـ قد آمنتك قبل الكلام ،

ـ جاء في قول علي (ع) : انه ليس مع ولد الصلب ذكراً كان أم أنثى لأحد سهم الا الأبوين والزوج والزوجة ، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث ، الا ان تيما وعديا ، وبني امية قالوا : العم والد ، رأيا منهم بلا حقيقة ولا أثر عن النبي (ص) ثم انه (ع) ذكر له جماة من فقهاء العصر الذين أفتوا بما أفتى به جده امير المؤمنين (ع) في هذه المسألة وأضاف (ع) الى ذلك قوله :

« روى قدماء العامة ، عن النبي (ص) أنه قال : (علي أقضاكم) وكذلك قال عمر بن الخطاب : (علي أقضانا) وهو - أي القضاء - اسم جامع لأن جميع ماامدح به النبي (ص) أصحابه من القراءة والفرائض ، والعلم داخل في القضاء » .

وبعد ما ادلى (ع) بهذه الحجة الدامغة طلب منه هارون الرشيد المزيد من الايضاح والبيان فقال (ع) : ان النبي لم يورث من لم يهاجر، ولا اثبت له ولاية حتى يهاجر .

قال هارون : ماحجتك ؟

قال (ع) : قول الله تبارك وتعالى : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » (١) ، وان عمي العباس لم يهاجر .

فتغير لون هارون وتميز من الغيظ فقال للامام :

- هل أفتيت أحدا بذلك من أعدائنا أم أخبرت به أحدا من الفقهاء؟

- لا - وما سألني عنها أحد سواك .

فسكن غضبه وقال :

لمَ جوزتم للعامة والخاصة ان ينسبوكم الى رسول الله (ص) ويقولوا : لكم يا بني رسول الله ، وأنتم بنو علي ، وإنما ينسب المرء الى أبيه ، وفاطمة انما هي وعاء ، والنبي (ص) جدكم من قبل أمكم ؟

- لو ان النبي (ص) نُشر فخطب مناك كريمتك هل كنت تجيبه ؟

- سبحان الله ! ! ولم لا أجيبه ، بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك .

- لكنه لا يخطب مني ولا أزوجه .

(١) سورة الأنفال آية ٧٣ .

- ولِمَ ؟

- لأنه ولدني ولم يلدك .

- أحسنت يا موسى !!

- كيف قلتم : إنا ذرية النبي : والنبي لم يعقب ، وانما العقب للذكر لا للأنثى ، وانتم ولد بنته .

- أسألك بحق القرابة الا ما أعفيتني .

- لا - أو تخبرني عن حجتكم فيه يا ولد علي ، وانت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم ، ولست أعفيك .

- تأذن لي في الجواب ؟

- هات .

- قال الله تعالى في كتابه : (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين) (١) من أبو عيسى يا أمير المؤمنين ؟

- ليس لعيسى أب .

- انما ألحقه الله تعالى بذراري الأنبيـــاء من طريق مريم ، وكذلك أُلحقنا بذراري النبي (ص) من قبل أمنا فاطمة (ع)

وطلب هارون من الامام أن يزيد في حجته وبرهانه ، فأجابه الى ذلك فقال (ع) :

« قال الله عزوجل : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (٢) فلم يدع أحد أن النبي (ص) أدخل

(١) سورة الأنعام : آية ٨٤ - ٨٥

(٢) سورة آل عمران : آية ٦٠

تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين ، فكان تأويل قوله تعالى : ابناءنا الحسن والحسين ، ونساءنا فاطمة وأنفسنا علي بن ابي طالب (ع) وأضاف الى هذه الحجة برهانا آخر وهو: ان العلماء قد أجمعوا على ان جبرئيل قال : يوم أحد ، يا محمد ان هذه لهي المواساة من علي فقال (ص) انه مني وانا منه ، فقال وانا منكما » (١) .

وانقطعت حجة هارون ولم يجد طريقا يسلكه ، لأن الامام قد أدلى بحجج دامغة لا مجال للشك فيها ، ثم ان هارون طلب منه ان يزوده برسالة موجزة تجمع اعمال الدين فكتب (ع) بعد البسملة ما نصه :

« جميع امور الأديان أربعة : امر لا اختلاف فيه ، وهو اجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون اليها ، والأخبار المجمع عليها ، وهي الغاية المعروض عليها كل شبهة ، والمستنبط منها كل حادثة ، وامر يحتمل الشك والانكار ، فسبيله استنصاح اهله (٢) الحجة عليه مما ثبت لمنتحليه من كتاب مجمع على تأويله او سنة عن النبي (ص) لا اختلاف فيها ، او قياس تعرف العقول عدله ولا يسع خاصة الأمة وعامها الشك فيه والانكار له ، وهذان الأمران من امر التوحيد فما دونه الى أرش الخدش فما دونه فهذا المعروض الذي يعرض عليه امر الدين ، فما ثبت لك برهانه اصطفيته ، وما غمض عليك صوابه نفيته ، فمن أورد واحدة من هذه الثلاثة (٣) فهي الحجة البالغة التي بينها الله في قوله لنبيه : « قل فلله الحجة البالغة فلو شاء

---

(١) البحار : (ج ١٢ ص ٢٧٤ - ٢٧٥) .

(٢) ورد في بعض النسخ : استيضاح أهله .

(٣) الظاهر ان المراد بهذه الثلاث : الكتاب والسنة والقياس الذي تعرف العقول عدله .

لهديكم اجمعين » (١) يبلغ الحجة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه ، لأن الله عدل لا يجور ، يحتج على خلقه بما يعلمون ويدعوهم الى ما يعرفون لا الى ما يجهلون وينكرون . . » .

فأجازه هارون وأكرمه (٢) وانصرف الامام وقد دل خصمه ـ المسمى بخليفة المسلمين وأمير المؤمنين ـ على امور الدين كما أوضح له منزلة أهـل البيت وصحة اقوالهم ودعم ما ذهب اليه بأوثق الأدلة والبراهين .

وذكر رواة الأثر له مناظرة أخرى مع هارون ، والذي نراه انهـا من الموضوعات ، وانها الى الخيال أقرب منها الى الواقع ، وفيما يلي نصها :

حج هارون الرشيد بيت الله الحرام فمنعت الشرطة دخول الحجاج الى البيت حال طوافه ، وبينما هو مشغول في الطواف وقد احاطت به الحرس اذ بادر اعرابي الى البيت وجعل يطوف معه فأقبل عليه الحاجب قائلا :

ـ تنح يا هذا عن وجه الخليفة .

ـ ان الله ساوى بين الناس في هذا الموضع ، فقال : « سواء العاكف فيه والبادي » .

فكف الحاجب عنه ، وكلما طاف الرشيد طاف الاعرابي امامه ، ونهض الرشيد الى الحجر الأسود ليقبله فسبقه الاعرابي اليه ولثمه ، وصار الرشيد الى (المقام) ليصلي فيه فسبقه الاعرابي وصلى امامه فالتاع هارون واستولى عليه الغضب فأمر حاجبه باحضاره فانبرى اليه قائلا :

ـ اجب امير المؤمنين .

ـ ما لي اليه حاجة فأقوم اليه ، فان كانت الحاجة اليه فهو بالقيام أولى

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٤٩ .

(٢) تحف العقول : ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ، ورواه المفيد في الاختصاص والمجلسي في البحار بصورة أوجز من هذه .

فمضى الحاجب الى الرشيد فقال : صدق ، ثم مشى اليه فلما وصل سلم عليه وقال :

ـ يا اعرابي أجلس ؟

ـ ما الموضع لي فتستأذنني فيه بالجلوس ، إنما هو بيت الله نصبه لعباده فان أحببت أن تجلس فاجلس ، وان أحببت ان تنصرف فانصرف !!

فجلس هارون وهو مغيظ محنق فقال له :

ـ ويحك !! مثلك من يزاحم الملوك ؟ !

ـ نعم . وفيّ مستمع (١) .

ـ فاني سائلك ، فان عجزت آذيتك .

ـ سؤالك هذا سؤال متعلم ؟ او سؤال متعنت ؟

ـ بل سؤال متعلم .

ـ اجلس مكان المسؤول من السائل . وسل ، وانت مسؤول .

ـ اخبرني ما فرضك ؟

ـ ان الفرض واحد ، وخمسة ، وسبعة عشر ، واربع وثلاثون ، واربع وتسعون ، ومائة وثلاثة وخمسون على سبعة عشر ، ومن اثني عشر واحد ومن اربعين واحـــد ، ومن مائتين خمس ، ومن الدهر كله واحد ، وواحد بواحد .

فضحك الرشيد ، وقال مستهزءاً به :

ـ ويحك أسألك عن فرضك وانت تعد علي الحساب ؟ !!

ـ اما علمت ان الدين كله حساب ، ولو لم يكن الدين حسابا لمـــا اتخذ الله للخلائق حسابا ثم قرأ (وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) .

(١) في مستمع : أي عندي علم يجب ان يستمع اليه .

- بين لي ما قلت : والا امرت بقتلك بين الصفا والمروة .

فقال الحاجب : لهارون :

- هبه لله ولهذا المقام .

فضحك الاعرابي من قوله ، فغضب منه هارون وقال له :

- مم ضحكت ؟

- تعجباً منكما !! اذ لا ادري من الأجهل منكما الذي يستوهب أجلا قد حضر ، او الذي استعجل أجلا لم يحضر ؟ !!

فقال الرشيد : فسر ما قلت ؟

- أما قولي : الفرض واحد فدين الاسلام كله واحد وعليه خمس صلوات وهي سبعة عشر ركعة ، وأربع وثلاثون سجدة ، واربع وتسعون تكبيرة ، ومائة وثلاث وخمسون تسبيحة ، واما قولي : من اثني عشر واحد فصيام شهر رمضان من اثني عشر شهراً ، وأما قولي : من الاربعين واحد فمن ملك اربعين ديناراً اوجب الله عليه ديناراً ، وأما قولي : من مائتين خمسة فمن ملك مائتي درهم اوجب الله عليه خمسة دراهم ، وأما قولي : فمن الدهر كله واحد فحجة الاسلام ، وأما قولي : واحد بواحد فمن أهرق دماً بغير حق وجب إهراق دمه قال الله تعالى : « النفس بالنفس » .

فانطلق هارون يعرب عن اعجابه بغزارة علمه قائلا له : لله درك !! ثم انه أمر باعطائه بدرة فقال له الاعرابي : بم استوجبت هذه البدرة ، بالكلام أو بالمسألة ؟

- بل بالكلام .

- فاني أسألك عن مسالة فان أتيت بها كانت لك البدرة تتصدق بها في هذا الموضع الشريف ، فان لم تجبني عنها اضفت الى البدرة بدرة اخرى لأتصدق بها على فقراء الحي من قومي .

فأمر هارون باحضار بدرة اخرى وقال له :

ـ سل عما بدا لك .

ـ اخبرني عن الخنفساء تزق أم ترضع ولدها ؟

فتغير هارون واستولى عليه الغضب فاندفع قائلا :

ـ ويحك مثلي من يسأل عن هذه المسألة ! !

ـ سمعت ممن سمع من رسول الله (ص) انه قال : من ولي أقواماً وهب له من العقل كعقولهم ، وأنت إمام هذه الأمة ، يجب أن لا تسأل عن شيء من أمر دينك ومن الفرائض إلا اجبت عنه ، فهل عندك له جواب ؟ .

ـ لا ـ بين لي ما قلته وخذ البدرتين .

ـ ان الله لما خلق الأرض خلق دبابات الأرض من غير فرث ولا دم خلقها من التراب ، وجعل رزقها وعيشها منه ، فاذا فارق الجنين أمه لم تزقه ، ولم ترضعه ، وكان عيشها من التراب فقال هارون : والله ما ابتلى أحد بمثل هذه المسألة .

فأخذ الاعرابي البدرتين وانصرف فتبعه بعض الناس فسأل عن اسمه فاذا هو الامام موسى بن جعفر (ع) فانعطف الى هارون فأخبره بذلك ، فقال هارون :

ـ ينبغي ان تكون هذه الورقة من تلك الشجرة (١) .

والذي يبعثنا على الريبة في هذه الرواية ما يلي :

١ ـ انها احتوت على قيام الامام بمزاحمة هارون في طوافه وصلاته وهو بعيد عن هدي الامام وسلوكه ، ولم يكن هناك أي أثر ديني يترتب على هذه العملية .

---

(١) المناقب : (ج ٣ ص ٤٢٧ ـ ٤٢٩) .

٢ ـ خفاء شخصية الامام على هارون وعدم معرفته به طيلة هذه المناظرة التي استوعبت وقتاً كبيراً مع أن هارون يعرف الامام ، ولم يكد يخفى عليه امره .

٣ ـ أخذ الامام البدرتين من هارون ، وهو بعيد كل البعد عما عرف به الامام من الاباء ، وعدم الخضوع الى هارون وغيره من ملوك عصره .

٤ ـ ان هذه القصة بجميع ابعادها سؤالاً وجواباً لا تخلو من هزال ، وبعد عن المنطق فهي الى الخيال أقرب منها الى الواقع . . . ان كثيراً من امثال هذه الامور هي من وضع الغلاة والمفوضة ، ولا نصيب لها من الصحة حسب ما اعتقد .

مع علماء اليهود :

وقصد وفد من علماء اليهود الامام الصادق ليحاججونه في الاسلام فلما تشرفوا بالمثول بين يديه انبروا اليه يطلبون منه الحجة والدليل على نبوة رسول الله (ص) قائلين :

ـ أي معجز يدل على نبوة محمد (ص) ؟

ـ كتابه المهيمن ، الباهر لعقول الناظرين ، مع ما أعطي من الحلال والحرام ، وغيرهما مما لو ذكرناه اطال شرحه .

ـ كيف لنا ان نعلم هذا كما وصفت ؟

فانطلق الامام موسى وكان آنذاك صبياً قائلا لهم :

ـ وكيف لنا بأن نعلم ما تذكرون من آيات الله لموسى على ماتصفون ؟

ـ علمنا ذلك بنقل الصادقين .

ـ فاعلموا صدق ما أنبأتكم به بخبر طفل لقنه الله تعالى من غير تعليم ولا معرفة عن الناقلين .

فبهروا وآمنوا بقول الامام الكاظم ـ الذي هو المعجز بحق ـ وهتفوا معانين اسلامهم قائلين :

ـ نشهد ان لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله ، وأنكم الأئمة الهادون والحجج من عند الله على خلقه . . .

ولما أدلى الامام موسى بهذه الحجة وأسلم القوم على يده ، وثب اليه أبو عبد الله فقبل ما بين عينيه وقال له : أنت القائم من بعدي ، ثم انه (ع) أمر بكسوة لهم وأوصاهم فانصرفوا وهم شاكرون (١) .

مع بريهة :

كان بريهة من أقطاب النصارى ومن علمائها النابهين ، وكان يطلب الحق ويبغي الهداية فاتصل بجميع الفرق الاسلامية واخذ يحاججهم فلم يصل الى الهدف الذي يريده ، فوصفت له الشيعة ووصف له هشام بن الحكم فقصده ومعه مائة عالم من علماء النصارى فلما استقر به المجلس سأله عن أهم المسائل الكلامية والعقائدية فاجابه عنها هشام ثم ارتحلوا جميعاً الى التشرف بمقابلة أبي عبد الله (ع) وقبل الالتقاء به اجتمعوا بالامام موسى فقص عليه هشام مناظراته وحديثه مع بريهة فالتفت (ع) الى بريهة قائلا :

ـ يا بريهة : كيف علمك بكتابك ؟

ـ أنا به عالم .

ـ كيف ثقتك بتأويله ؟

ـ ما أوثقني بعلمي به !!

فأخذ (ع) يقرأ عليه الانجيل ويرتل عليه فصوله فلما سمع ذلك بريهة آمن بأن دين الاسلام حق وان الامام من شجرة النبوة فانبرى اليه قائلا :

(١) البحار : (ج ٤ ص ١٤٨) .

- اياك كنت اطلب منذ خمسين سنة ، أو مثلك !!

ثم انه أسلم وأسلمت معه زوجته وقصدوا جميعاً ابا عبد الله (ع) فحكى له هشام الحديث وإسلام بريهة على يد ولده موسى فسر (ع) بذلك والتفت(ع) قائلا له :

« ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » .

وانبرى بريهة الى أبي عبد الله قائلا :

- جعلت فداك ، انى لكم التوراة والانجيل وكتب الأنبياء ؟!!

- قال هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرأوها ، ونقولها كما قالوها : ان الله لا يجعل حجة في أرضه يسئل عن شيء فيقول : لا أدري .

ولزم بريهة الامام أبا عبد الله وصار من خلص أصحابه ولما انتقل الامام (ع) الى دار الخلود اتصل بالامام موسى حتى توفي في عهده (١)

مع راهب :

كان في الشام راهب تقدسه النصارى وتعظمه ، وكان يخرج لهم في السنة يوما فيعظهم ، فالتقى به الامام في ذلك اليوم الذي يعظ به وقد طافت به الرهبان وعلية القوم ، فلما استقر المجلس بالامام التفت اليه الراهب قائلا :

- يا هذا ، أنت غريب ؟

- نعم .

- منا أو علينا ؟

- لست منكم .

- انت من الامة المرحومة ؟

- نعم -

- أمن علمائها أم من جهالها ؟

---

(١) البحار : (ج ٤ ص ١٤٧) .

ـ لست من جهالها ؟

فاضطرب الراهب ، وتقدم الى الامام يسأله عن أعقد المسائل عنده قائلا :

ـ كيف طوبى ، أصلها في دار عيسى عندنا ، وعندكم في دار محمد (ص) وأغصانها في كل دار ؟

ـ انها كالشمس يصل ضوؤها الى كل مكان وموضع وهي في السماء .

ـ ان الجنة كيف لا ينفذ طعامها وإن أكلوا منه ، وكيف لا ينقص منه شي ؟

ـ انه كالسراج في الدنيا يقتبس منه ، ولا ينقص منه شيء .

ـ ان في الجنة ظلا ممدوداً ، ما هو ؟

ـ الوقت الذي قبل طلوع الشمس ، هو الظل الممدود ، ثم تلا قوله تعالى : « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » .

ـ ان أهل الجنة يأكلون ويشربون كيف لا يكون لهم غائط ولا بول؟

ـ انهم كالجنين في بطن أمه .

ـ ان لأهل الجنة خدما كيف يأتونهم بما أرادوا بلا أمر ؟

ـ ان الانسان اذا احتاج الى شيء عرفت اعضاؤه ذلك فتعرفه الخدم فيحققون مراده من غير أمر .

ـ مفاتيح الجنة من ذهب أو فضة ؟

ـ مفتاح الجنة قول العبد : لا اله الا الله .

ـ صدقت .

ثم انه أسلم هو وقومه (١) .

---

(١) المناقب : (ج ٣ ص ٤٢٧) .

هذه بعض احتجاجات الامام ومناظراته ، وسنذكر قسما آخر منها في بعض فصول الكتاب .

نظمه الشعر :

أما نظمه للشعر فقليل جدا وقد ذكر الشيخ المفيد له أبياتا تلاها الامام الرضا (ع) على المأمون ونسبها (ع) الى أبيه :

كن للمكاره بالعزاء مدافعاً ... فلعل يوماً لا ترى ما تكره
فلربما استتر الفتى فتنافست ... فيـــه العيون وانه لمموه
ولربما خزن الأديب لسانه ... حـــذر الجواب وانه لمفوه
ولربما ابتسم الوقور من الأذى ... وضميره من حره يتأوه (١)

وذكر ذو النون المصري أنه اجتاز في أثناء سياحته على قرية تسمى بتدصر فرأى جداراً قد كتبت عليه هذه الأبيات وهي :

أنا ابن منى والمشعرين وزمزم ... ومكة والبيت العتيق المعظـــم
وجدي النبي المصطفى وأبي الذي ... ولايته فرض على كل مســـلم
وأمي البتول المستضاء بنورها ... اذا ما عددناهـــا عديلة مريم
وسبطا رسول الله عمي ووالدي ... وأولاده الأطهـــار تسعة أنجم
متى تعتلق منهم بحبل ولاية ... تفز يوم يجزى الفائزون وتنعم
أئمة هذا الخلق بعد نبيهم ... فان كنت لم تعلم بذلك فاعلم
أنا العلوي الفاطمي الذي ارتمى ... به الخوف والأيام بالمرء ترتمي
فضاقت بي الأرض الفضاء برحبها ... ولم استطع نيل السماء بســـلم
فالممت بالدار التي انا كاتب ... عليها بشعري فاقر ان شئت والمم

(١) الأمالي : ص ١٥٠ .

وسلم لأمر الله في كل حالة فليس أخو الاسلام من لم يسلم

قال ذو النون فعلمت انه علوي قد هرب من السلطة وذلك في خلافة هارون ، واحتمل المجاسي ان تكون هذه الأبيات للامام الكاظم (ع) ذهب الى ذلك المكان وكتبها لاتمام الحجة على أعدائه (١) ويبعد ذلك أن الامام لم يهرب من السلطة ولم يتخف في يوم من الأيام بل كان في يثرب مقيما منكراً على هارون وعلى غيره من ملوك عصره ولم يهرب من السلطة ولم يخف من جورها وسنذكر ذلك بالتفصيل .

جوامع الكلم :

وله (ع) كلمات حكمية قد تطرق فيها لبعض الشؤون الأخلاقية والاجتماعية ، زيادة على ماذكرناه ، وقد آثرنا ذكرها من دون ايضاح او تعليق وهي :

قال (ع) : لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك ، وابق منها ، فان ذهابها ذهاب الحياء .

قال (ع) : عونك للضعيف من أفضل الصدقة .

قال (ع) : يعرف شدة الجور من حكم به عليه .

قال (ع) : تعجب الجاهل من العاقل أكثر من تعجب العاقل من الجاهل .

قال (ع) : لا تصلح المسألة الا في ثلاث : في دم منقطع ، أو غرم مثقل ، أوحاجة مدقعة .

قال (ع) : المؤمن أعز من الجبل ، الجبل يستفل بالمعاول ، والمؤمن

(١) البحار : (ج ١١ ص ٢٨٦) .

لا يستقل دينه بشيء .

قال (ع) : أداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق ، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق .

وسأله عبيدالله بن اسحاق المدائني فقال له : ان الرجل يراني فيحلف بالله انه يحبني ، أفأحلف بالله انه لصادق ؟ فقال (ع) : امتحن قلبك فان تحبه فاحلف والا فلا .

قال (ع) : من تكلف ما ليس من عمله ضاع عمله ، وخاب أمله .

قال (ع) : لا خير في العيش الا لمستمع واع او عالم ناطق .

قال (ع) : ان صلاحكم من صلاح سلطانكم ، وان السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم ، فأحبوا له ما تحبون لانفسكم واكرهوا له ما تكرهون لانفسكم .

قال (ع) : لمحمد بن الفضل : يا محمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك وان شهد عندك خمسون قسامة ، وقال لك قولا : فصدقه وكذبهم ولا تذيعن شيئاً يشينه .

قال (ع) : من دعا قبل الثناء على الله والصلاة على النبي (ص) كان كمن رمى بسهم بلا وتر .

قال (ع) : افضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج .

قال (ع) : التودد الى الناس نصف العقل .

قال (ع) : كثرة الهم تورث الهرم .

قال (ع) : العجلة هي الخرق .

قال (ع) : قلة العيال أحد اليسارين .

قال (ع) : من أحزن والديه فقد عقهما .

قال (ع) : الصنيعة لا تكون صنيعة الا عند ذي دين أو حسب ،

والله ينزل المعونة على قدر المؤنة ، وينزل الصبر على قدر المصيبة .

قال (ع) : اذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه .

قال (ع) : المؤمن مثل كفتي الميزان كلما زيد في ايمانه زيد في بلائه

قال (ع): وقد حضر ميتاً أنزل في قبره ، ان شيئا هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله ، وان شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره .

قال (ع) : اشتدت مؤنة الدين والدنيا ، أما مؤنة الدنيا فانك لا تمد يدك الا وجدت فاجراً قد سبقك اليها ، وأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد أعواناً يعينونك عليها .

قال (ع) : لا تبذل لاخوانك من نفسك ما ضرره عليك أعظم من منفعته لهم .

قال (ع) : أخذ أبي بيدي ، وقال يا بني : ان ابي محمد بن علي أخذ بيدي ، وقال ان أبي علي بن الحسين أخذ بيدي وقال : يا بني : افعل الخير الى كل من طلبه منك فان كان من أهله فقد أصبت موضعه ،وان لم يكن له بأهل كنت أهله ، وان شتمك رجل عن يمنك ثم تحول الى يسارك واعتذر اليك فاقبل منه .

قال (ع) : ما أهان الدنيا قوم قط الا هنأهم الله اياها وبارك لهم فيها ، وما أعزها قوم قط إلا بغضهم الله اياها .

وذكر في مجلسه بعض الجبابرة ، فقال(ع) : أما والله لئن عز بالظلم في الدنيا ليذلن بالعدل في الآخرة .

قال (ع) : من أتى الى أخيه مكروها فبنفسه بدأها .

قال (ع) : من ولده الفقر أبطره الغنى .

قال (ع) : ما استسب إثنان الا انحط الأعلى منهما الى المرتبة السفلى .

قال (ع) : المؤمن أخو المؤمن لأمه وأبيه وان لم يلده أبوه ، ملعون من اتهم أخاه ، ملعون من لم ينصح لأخيه ، ملعون من استأسر لأخيه ، ملعون من احتجب عن أخيه ، ملعون من اغتاب أخاه .

قال (ع) : قلة الوفاء عيب بالمروئة .

قال (ع) : المعروف تلو المعروف غل لا يفكه الا مكافأة او شكر .

قال (ع) : لو ظهرت الآجال لأفتضحت الآمال .

قال (ع) : قلة الشكر تزهد في اصطناع المعروف .

قال (ع) : رأس السخاء أداء الأمانة .

قال (ع) : من لم يكن له من نفسه واعظ تمكن منه عدوه ـ يعني به الشيطان ـ .

قال (ع) : المغبون من غبن من عمره ساعة .

قال (ع) : من كثر خلقه لم يعرف بشره .

قال (ع) : من ترك التماس المعالي لانقطاع رجائه فيها لم ينل جسيما .

قال (ع) : أولى العلم بك مالا يصلح لك العمل الا به ، وأوجب العلم عليك ما أنت مسؤول عن العمل به ، وألزم العلم ما دلك على صلاح قلبك وأظهر لك فساده ، وأحمد العلم عاقبة ما زاد في عقل العاقل ، فلا تشغلن بعلم لا يضرك جهله ، ولا تغفلن عن علم يزيد في جهلك تركه .

قال (ع) : اياك ان تمنع في طاعة الله فتنفق مثليه في معصية الله .

قال (ع) : من تكلم في الله هلك ، ومن طلب الرياسة هلك ، ومن دخله العجب هلك .

سأله رجل عن الجواد : فقال (ع) : ان لكلامك وجهين . فان كنت تسأل عن المخلوقين ، فان الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه . والبخيل من بخل بما افترض الله عليه ، وان كنت تعني الخالق فهو الجواد

ان أعطى ، وهو الجواد ان منع لأنه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك وان منعك منعك ما ليس لك .

قال (ع) : ان قوماً يصحبون السلطان يتخذهم المؤمنون كهوفاً هم الآمنون يوم القيامة .

قال (ع) : فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتامنا المنقطعين عن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج اليه أشد على إبليس من ألف عابد ، لأن العابد همه ذات نفسه فقط ، وهذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته ولذلك هو أفضل عند الله من الف عابد والف عابد

قال عبد الله بن يحيى : كتبت الى الامام موسى في دعاء « الحمد لله منتهى علمه » فكتب (ع) لا تقولن : منتهى علمه ، فانه ليس لعلمه منتهى ولكن قل : منتهى رضاه .

قال (ع) : كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدون .

قال علي بن سويد السائي : سألت أبا الحسن الأول عن قول الله عز وجل « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » فقال (ع) : التوكل على الله درجات : منها ان تتوكل عليه في أمورك كلها ، فما فعل بك كنت عنه راضيا . تعلم أنه لا يألوك الا خيراً وفضلا ، وتعلم ان الحكم في ذلك اليه ، وتثق به فيها وفي غيرها .

قال (ع) : ان اهل الارض لمرحومون ما تحابوا وأدوا الأمانة وعملوا بالحق .

قال (ع) : لا تضيـع حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس بأخ من ضيعت حقه ، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته .

قال (ع) : ان الأنبياء وأولاد الأنبياء وأتباع الأنبياء خصوا بثلاث خصال ، السقم في الأبدان ، وخوف السلطان والفقر .

قال (ع) لبعض ولده : لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله وطاعته فان الله عزوجل لا يعبد حق عبادته .

قال (ع) : ان الله عزوجل يقول : اني لم أغن الغني لكرامة له علي ولم أفقر الفقير لهوان به علي ، وهو مما ابتليت الأغنياء بالفقراء ، ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة .

قال (ع) : اذا لم تستح فاعمل ما شئت .

وحدث العباس بن هلال الشامي قال قلت لأبي الحسن موسى : جعلت فداك ما أعجب الى الناس من يأكل الجشب ، ويلبس الخشن ويتخشع ؟!! فقال (ع) : أما علمت أن يوسف نبي وابن نبي كان يلبس أقبية الديباج مزرورة بالذهب ويجلس في مجالس آل فرعون فيحكم ، فلم يحتج الناس الى لباسه وانما احتاجوا الى قسطه ، وانما يحتاج من الامام اذا قال : صدق ، واذا وعد انجز ، واذا حكم عدل ، إن الله لم يحرم طعاماً ولا شراباً من حلال ، انما حرم الحرام قل او كثر ، وقد قال الله من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

قال موسى بن بكر : سألت أبا الحسن (ع) عن الكفر والشرك أيهما أقدم فقال لي : ما عهدي بك تخاصم ، فقلت : امرني هشام بن سالم ان أسألك ، فقال لي : الكفر أقدم وهو الجحود قال الله عزوجل : « إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » .

قال علي بن سويد : سألت أبا الحسن موسى (ع) عن الضعفاء ـ أي ضعفاء العقيدة ـ فكتب (ع) لي الضعيف من لم ترفع له حجة ، ولم يعرف الاختلاف فاذا عرف الاختلاف فليس بمستضعف .

قال علي بن سويد : سألت أبا الحسن عن العجب الذي يفسد العمل فقال (ع) : العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعاً ، ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمن على الله عز وجل ، ولله عليه فيه المن .

قال (ع) : من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله فان غلب عليه فليستدن على الله وعلى رسوله ما يقوت به عياله فان مات ولم يقضه كان على الامام قضاؤه فان لم يقضه كان عليه وزره ان الله عزوجل يقول : انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين ، الى قوله تعالى : والغارمين ، وهذا فقير مسكين مغرم .

قال (ع) : قال رسول الله (ص) : من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماوات والأرض .

قال (ع) : أحسن من الصدق قائله ، وخير من الخير فاعله .

قال علي بن جعفر : سألت اخي موسى بن جعفر فقلت له :

ـ أصلحك الله ، أيكون المؤمن بخيلا ؟

ـ نعم .

ـ أيكون خائنا ؟

ـ لا ـ ولا يكون كاذباً ، ثم قال (ع) : ان أبي حدثني عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : كل خلة يطوى المؤمن عليها ليس الكذب والخيانة

وقال (ع) : سأل رجل رسول الله (ص) ماحق الوالد على ولده ؟ فقال (ص) لا يسميه باسمه ، ولا يمشي بين يديه ، ولا يجلس قبله ، ولا يستسب له (١) .

قال (ع) : قال رسول (ص) : من اصبح وهو لا يهم بظلم احد

(١) أي لا يعمل فعلا يصير سبباً لسب الناس الى أبيه .

غفر الله ما اجترم (١) .

قال (ع) : جاء رجل الى رسول الله (ص) فقال له يارسول الله ما حق ابني هذا ؟

فقال (ص) : ان تحسن إسمه وأدبه .

قال (ع) :- نعم المال النخل الراسخات في الوحل المطعمات في المحل .

ونقتصر على هذا المقدار من جوامع كلماته (ع) وله تراث آخر يتعلق في رد الملحدين وغيرهم وسوف نقدمه عنـد عرض مشاكل عصره وفيما يلي بعض المصادر التي اقتبسنا منها هذه الكلمات القيمة وهي :

١ ـ الوسائل : لمحمد بن الحسن الحر العاملي
٢ ـ من لايحضره الفقيه : للصدوق محمد بن علي القمي
٣ ـ المحاسن : لأبي جعفر احمد بن محمد البرقي
٤ ـ اصول الكافي : لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي
٥ ـ عيون اخبار الرضا : للصدوق محمد بن علي القمي
٦ ـ أعيان الشيعة : للسيد محسن الأمين العاملي
٧ ـ ميزان الاعتدال لمحمد بن أحمد الذهبي
٨ ـ الاتحاف في حب الاشراف : للشبراوي
٩ ـ نور الأبصار : للشبلنجى
١٠ ـ الاحتجاج : للطبرسي
١١ ـ قرب الاسناد : لعبد الله بن جعفر الحميري
١٢ ـ الوافي : لمحسن القاشاني
١٣ ـ تأريخ اليعقوبي : لأحمد بن أبي يعقوب المعروف بابن واضح
١٤ ـ مجموعة ورام : لورام بن أبي فراس
١٥ ـ تحف العقول : للحسن بن علي
١٦ ـ نزهة الناظر في تنبيه الخاطر : للحسين بن محمد الحلواني

---

(١) اجترم : اكتسب .

انهيار الحكم الأموي



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان الامام موسى (ع) أيام الثورة العارمة على الحكم الأموي في سن مبكر ، فقد كان عمره الشريف ـ حسب ما يقول الرواة ـ مما يزيد على اربع سنين ، وهو دور يسمح لصاحبه أن ينقل الى دخيلة نفسه كثيراً من المشاهدات والصور التي تمر عليه ، ولاسيما اذا كانت من الاحداث الجسام فانها تؤثر ـ من دون شك ـ في دخائل ذاته ، وتتفاعل معه ، وتترك فيه كثيراً من الانطباعات حسب ما يقوله علماء النفس .

وقد شاهد الامام أو سمع وهو في سنه المبكر الثورة العارمة التي عمت جميع الاقاليم الاسلامية على الحكم الأموي ، فقد واكبت تلك الثورة كثيراً من الأحداث الرهيبة فجبال من جثث الضحايا وبحور من الدماء بذلت بسخاء للتخلص من ذلك الحكم الاسود القائم على الجور والاستغلال والتنكر لحقوق الانسان .

ولسنا بصدد البحث عن تأسيس الدولة الأموية ، وبيان دوافع ايجادها فذاك أمر يحز في النفس ، ويترك لهب الحزن في القلوب ، فان هذه الدولة لم تتأسس الا لعزل أهل البيت (ع) واقصائهم عن قيادة الأمة حسب ما هو معلوم من مبدأ الشورى الذي صمم لأجل هذه الغاية . . . وقد رافقت تلك الدولة في جميع مراحلها كثيرا من المشاكل الاجتماعية ما أثرت به على الحياة الاسلامية العامة من اضاعة الاهداف الاصيلة التى ينشدها الاسلام في ظلال حكمه من نشر العدالة والمساواة والرفاهية والدعة بين الناس .

لقد جمدت بصورة قطعية جميع المفاهيم الاسلامية البناءة ، وضاعت آمال الاسلام في ايجاد مجتمع متحرر من الجهل والجمود ، والبؤس والفقر

لقد تبدلت الحياة الكريمة التي سعى الاسلام الى ايجادها الى حياة قاتمة تسودها النزعات الجاهلية ، ويعمها الظلم والجور والانحراف عن القيم الانسانية .

ولابد لنا من وقفة قصيرة للبحث عن الاسباب التي طوت ذلك الحكم الاسود ، وأزالت وجوده البغيض عن العالم الاسلامي ، فان الحديث عن ذلك يرتبط ارتباطا وثيقا - فيما نحسب - بالبحث عن حياة الامام موسى فانها تصور لنا محنة أهل البيت (ع) في تلك الادوار الرهيبة ، وما عانوه من الظلم المرير والجور الشديد ، وما قاسته شيعتهم من المجازر والسجون والمطاردة والتنكيل ، وما عاناه المسلمون جميعاً من الاضطهاد الجماعي المتميز بسلب حرياته ، وشل اقتصاده ، واشاعة البؤس والفقر وانعدام الأمن في ربوعه الى غير ذلك من الوان الظلم والاضطهاد ، ومن الطبيعي أن لذلك أثراً كبيراً في تكوين حياة الامام موسى ، وانطباعها على الحزن العميق ، والأسى الشديد . . . وفيما يلي عرض موجز لبعض تلك الاحداث .

التنكيل بأهل البيت : .

وكان الشيء البارز في السياسة الأموية انها وجهت جميع أجهزتها الادارية والاقتصادية والسياسية الى اضطهاد أهل البيت (ع) والتنكيل بهم وكان من مظاهر ذلك :

١ - انها فرضت سبهم ، وانتقاصهم على جميع المسلمين ، وجعلته فرضاً دينياً يسألون عنه ويحاسبون عليه ، فكان الخطيب يبدأ خطابه ويختمه بسب العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم ، وبلغ الانحطاط الفكري والاجتماعي أقصاه عند تلك السلطات الحاكمة ، فكان الانتهازيون وباعة الضمير يتوصلون اليها بانتقاص عترة النبي (ص) وسبها ، فقد روى المؤرخون ان شخصاً ذميم المنظر جاء يشتد الى الحجاج وهو رافع عقيرته :

« أيها الامير ان أهلي عقوني فسموني علياً ، واني فقير بائس ، وانا الى صلة الامير محتاج . . » .

فتضاحك الحجاج ، وقال له :

(للطف ما توصلت به فقد وليتك موضح كذا . . » (١) .

إن مناصب الدولة ، وأموالها تمنح بغير حساب للادعياء والاغبياء لأنهم ينتقصون أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

وقد أثار ذلك كوامن الحقد والغيظ في نفوس المؤمنين والمتحرجين في دينهم فاندفعوا الى اعلان سخطهم على الأمويين ، وكان من بينهم الشاعر الملهم كثير بن كثير فقد قال :

لعن الله من يسب علياً	وحسينا من سوقة وإمام
أيسبُ المطهرون جدوداً	والكرام الأخوال والأجداد
يأمن الطير والحمام ولا	يأمن آل الرسول عند المقام
طبت بيتاًوطاب اهلكأهلا	أهل بيت النبي والاسلام
رحمة الله والسلام عليهم	كلما قام قائم بسلام (٢)

وصورت هذه الأبيات مدى الاستياء الشامل والحزن العميق لانتقاص أهل البيت كما حكت أصدق الود وخالصه لهم .

٢ ـ واستخدمت السلطة التربية لمحاربة أهل البيت ، وهي أخطر وسيلة اعتمدت عليها لدعم غرضها فقد عهدت الى معلمي الكتاتيب أن يغذوا الاطفال بروح الكراهية والعداء لآل النبي (ص) وأن يمعنوا في غرس هذه النزعة الشريرة في نفوسهم من أجل أن ينشأ جيل حاقد على آل البيت (ع) وكان ذلك من أفتك الوسائل وأكثرها خطراً على الاسلام ، فقد باعدت بين بعض المسلمين وبين عترة النبي (ص) التي فرض الله مودتها في محكم

(١) حياة الامام الحسن بن علي ٢/٣٣٦

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣/٤٧٥ ، عرضنا كلمات الاحرار الذين نقدوا الامويين على ذلك في كتابنا حياة الامام الحسن بن على ٢ /٣٣٨ - ٣٤٦ .

كتابه ، ولا تزال آثار هذه الظاهرة السيئة باقية حتى يوم الناس هذا .

٣ ـ انها أقامت لجان الوضع لتضع الحديث وتنمقه في مثالب أهل البيت ، وتضع أحاديث المدح والثناء للصحابة وبني أمية ، ومما وضعوه ، أن النبي (ص) قال « ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء انما ولي الله » وروى أبو هريرة عميد هذه اللجنة أن الرسول (ص) قال : « ان ابا طالب في ضحضاح من نار » وهو الذي اكثر من الرواية في كفر أبي طالب مؤمن قريش وحامي الاسلام والمنافح عن رسول الله (ص) في احرج المواقف واكثرها صعوبة ، وسبب ذلك التقليل من أهميته والحط من مآثره ومناقبه .

وعلى أي حال فان السلطات الأموية قد عنت بلجان الوضع ، وجهدت باذاعة أخبارها المفتعلة ضد أهل البيت (ع) وذلك لتظليل الرأي العام وصرفه عن عترة رسول الله (ص) وذريته .

٤ ـ وأمعن الأمويون في قتـــل العترة الطاهرة فقد امتدت ايديهم الأثيمة الى تلك النفوس الزكية التي أوجب الله ودها على جميع المسلمين ، فقد كان لهم ضلع كبير في اغتيال الامام امير المؤمنين (ع) حسب ماحققناه(١) واغتال معاوية سبط النبي (ص) الأول وريحانته الامام الحسن (ع) فدس له السم على يد زوجته جعيدة بنت الأشعث (٢) وقام بعده يزيد بارتكـاب أفضع جريمة هزت الضمير الانساني وذلك بابادته للعترة الطاهرة على صعيد كربلاء فقد أوجبت هذه المأساة الكبرى التي مُني بها العالم الاسلامي شعوراً

(١) حققنا ذلك في تقديمنـــا لكتاب « معاوية أمام محكمة الجزاء » تأليف العلامة الكبير الشيخ مهدي القرشي .

(٢) حياة الامام الحسن

عاماً بالاستياء والكراهية لبني أمية ، وسببت الهاب نار الثورات العارمة ضد ذلك الحكم الجاهلي .

وقام طاغية بني مروان هشام بن عبد الملك بقتـــل زيد بن علي بن الحسين (ع) وأمر الرجس الخبيث بوضع رأس زيد في مجلسه وأمر جميع من يدخل عليه بأن يطـــأ بحذائه وجه زيد الذي هو قطعة من كبـــد رسول الله (ص) .

وكتب هشام الى والي الكوفة أن يبقى زيداً مصلوبا ، ولا ينزله عن خشبته قاصداً اذلال العلويين . والتشفي منهم ، وبقي جسده الطاهر مرفوعا على أعواد المشانق تصهره الشمس ، وتذروه الرياح ، قد وضعوا عليه الحرس خوفاً من أن يختلس ويوارى في التراب ، وعمدت السلطة بعد ذلك الى احراق الجثمان العظيم وذره في الهواء(١) .

وعمد الامويون الى قتـــل يحيى بن زيد الثائر العظيم ، ففي ذمة الله ما لاقته عترة رسول الله (ص) من القتل والتنكيل والظلم والهوان من بني أميـــة التي انتهكت بذلك حرمة النبي (ص) في عترته التي هي أولى بالرعاية والعطف من كل شيء .

وعلى أي حال فان ما واجهته العترة الطاهرة من صنوف الكوارث والخطوب طيلة الحـــكم الأموي قد أوجب سخط الاخيار والمتحرجين في دينهم ، كما أوجب التحام القوى ، وانتفاضة الشعوب الاسلامية الى الثورة الكبرى التي اطاحت بحكم الامويين .

---

(١) عقائد الزيدية

اضطهاد الشيعة :

ولاقت الشيعة في عهد الامويين المزيد من الجور والاضطهاد ، فقد صبت السلطات عليهم جام غضبها ، وقابلتهم بجميع الوان العنف ، لأنهم القوة الواعية التي تدفع الشعوب الاسلامية الى مناهضة الجور ، ومناجزة الظلم ، فكانت معظم الثورات الدامية التي أذعرت السلطات الأموية تستند الى الشيعة فهم قادة النضال ودعاة العدالة الاجتماعية ، وملهمي الشعوب روح التضحية في سبيل المبدأ والعقيدة .

لقد قاموا بأحرج الظروف ، وأشدها أزمة وتعقيداً بمناهضة الظلم ومكافحة الجور ، وتحرير المجتمع من الذل والعبودية ، وقد قاسوا في سبيل ذلك أعنف المشاكل وأشدها لوعة ومرارة ، وقد تحدث عنهـا الامام الباقر (ع) بقوله :

« وقتلت شيعتنا بكل بلدة ، وقطعت الايدي والأرجل على الظنة ، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع الينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره » (١) .

وقد كتب معاوية الى جميع عماله وولاته بعد عام الصلح مذكرة جاء فيها :

« . . انظروا الى من قامت عليه البينة انه يحب علياً واهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه . وشفع ذلك بنسخة اخرى : من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره » (٢) .

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ١٥/٣

(٢) نفس المصدر .

لقد واجهت الشيعة من العناء والارهاق ما لا سبيل الى تصويره ، وكان من اشدهم محنة شيعة أهل الكوفة أيام معاوية فقد استعمل عليهم زياد ابن أبيه ، وكان بهم عالما فاشاع فيهم القتل والاعدام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل عيونهم ، وصلبهم على جذوع النخل وشردهم وطردهم (١) .

وقد أوجبت هذه السياسة النكراء اشاعة السخط والتذمر بين جميع المسلمين فانهم لم يألفوا هذه السياسة ، ولم يعهدوها من قبل ، فانهم لم يواجهوا من الحكومات السابقة مثل هذا الاضطهاد والتنكيل بأحد من المسلمين .

وقد سعت الشيعة جاهدة بعد ما حل بها من الاضطهاد والجور إلى العمل المتواصل على اسقاط الحكم الأموي ، وفل عروشه ، فنظموا صفوفهم وشكلوا المنظمات السرية التي عملت على ايقاظ الرأي العام ، وبعثه الى ساحات النضال والتضحية للتخلص من الحكم الأموي .

واقعة الحرة :

ومن أهم المآسي التي رزء بها العالم الاسلامي واقعة الحرة فقد انتهكت فيها كرامة الاسلام وحرمة الرسول (ص) فقد اعلنت القيادة العسكرية بعد احتلالها ليثرب اباحة الدماء والاعراض والاموال ، وقد أسرف الجيش الأموي في ذلك بصورة لم يعهد لها نظير في القسوة والغلظة ، فقد استباح قتل النساء والاطفال والابرياء ، وانتهاك الأعراض ، وقد لجأ المدنيون الى قبر النبي (ص) واعتصموا به لاعتقادهم ان قداسته سوف تحميهم وتعصمهم من الاعتداء الا ان تلك الوحوش الكاسرة لم تقم وزنا لحرمة

(١) حياة الامام الحسن بن علي ٣٤٨/٢

القبر ولم ترجو له وقاراً ، فقـد عمدوا الى قتلهم وانتهاك أعراضهم في الجامع النبوي ، وقد علق مؤرخ أوربي على هذا الحادث المؤسف بقوله :

« إن تأثير هذا الحادث على العالم الاسلامي كان هائلا مروعاً ، فكأن الأمويين قد أرادوا أن يوفوا ما عليهم من دين حينما عاملهم الرسول وجيشه بالرحمة والعطف فشردوا وقتلوا خيرة شباب المدينة ، ورجالها الميامين كما أجبروا من تبقى منهم على مبايعة يزيد على أنهم خول يحـكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم فمن امتنع عن ذلك وسمه بالكي على رقبته .

وقد اصبحت مدينة الرسول في حكم بني أمية كالواحة في الصحراء التي تحيط من جهاتها الأربع الكآبة الموحشة ، والظلام الدامس ، ولم تسترد المدينة قط عهودها الغابرة حتى أصبحت في عصر بني أميـة بلدة الماضي السحيق » (١) .

وقد ذعر المسلمون من هذه الحادثة النكراء التي لم ترع فيها حرمة النبي (ص) في مجاوريه الذين آووه ونصروه وقاموا بحمايته أيام محنة الاسلام وغربته ، وإذا بهم تستباح دماؤهم وتنتهك أعراضهم ، وتنهب أموالهم ، ويرغمون على البيعة بأنهم خول وعبيد ليزيد . . وما انتهت هذه الكارثة الاليمة إلا بموجات من السخط والتذمر ، فقد اصبحت حديث الناس في أنديتهم ، وكانت من أوثق الاسباب التي أدت الى التحام القوى ، وتعبئة الرأي العام الى الثورة الكبرى التي اطاحت بالحكم الأموي .

سياسة الكفر والظلم :

والشيء المحقق الذي لم يختلف فيه المؤرخون هو أن الامويين لم تكن لهم أي نزعة اسلامية ، وانما كانوا على نزعاتهم الجاهلية ، فلم ينفث الاسلام

(١) مختصر تأريخ العرب ص ٧٥

الى دخائل قلوبهم ، وانما جرى على السنتهم خوفا من حد السيوف وأسنة الرماح ، ولما دخلوا في حظيرة هذا الدين أخذوا يكيدون له ، ويترقبون الفرص للانتقام منه ولما آل أمر المسلمين الى عميد الامويين عثمان بن عفان حسب المخطط الرهيب الذي صممته الشورى ، سارع أبو سفيان الزعيم الأموي الى قبر سيد الشهداء حمزة فركله برجله وقال :

« يا أبا عمارة ! . . إن الامر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا يتلعبون به . . . » .

ثم مضى مثلوج القلب ، ودخل على عثمان فقال : « اللهم ، اجعل الأمر أمر جاهليـــة ، والملك ملك غاصبية ، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية » (١) .

لقد قال أبو سفيان كلمة الكفر : أمام عثمان ، وهو خليفة المسلمين ولم يوجه له عتابا أو ينزل به عقابا .

وكانت هذه النزعة الالحادية ماثلة في معاوية ، وظل متأثراً بها طوال حياته ، وقد أعرب عن هذه الظاهرة في حديثه الخطير مع المغيرة بن شعبة فقد كشف فيه جانباً كبيراً عن واقعه الجاهلي وعدم ايمانه بالاسلام . وهذا نص حديثه فيما رواه مطرف بن المغيرة قال : وفدت مع أبي المغيرة على معاوية فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه ، وأقبل ذات ليلة فأمسك عن العشاء وهو مغتم أشد الغم ، فانتظرته ساعة . وظننت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنـــا فقلت له :

ـ ما لي أراك مغتما منذ الليلة ؟

ـ يا بني جئت من أخبث الناس !!

(١) تأريخ ابن عساكر ٤٠٧/٦

ـ وما ذاك ؟

ـ خلوت بمعاوية فقلت له : إنك قد بلغت مُناك يا امير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلا وبسطت خيراً فانك قد كبرت ، ولو نظرت الى اخوانك من بني هاشم فوصلت ارحامهم ، فوالله ما عنـــدهم اليوم شيء تخافه . فقـال لي :

« هيهات هيهات !! ملك أخو تيم فعدل ، وفعل ما فعـل ، فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره ، الا ان يقول قائل أبو بكر . ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ماعدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عمر . ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه ، فعمل ما عمل ، وعمل به فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره ، وذكر ما فعل به ، وان أخا بني هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات « أشهد ان محمداً رسول الله » فأي عمل يبقى بعد هذا لا أم لك إلا دفنا دفنا » (١) .

وهذه البادرة تدل بوضوح على كفره والحاده ، وعلى حقده البالغ على النبي (ص) فقد هاله وأزعجه ذكره في كل يوم خمس مرات في الأذان ولو وجد سبيلا لمحا اسمه ، وطمس معالم دينه ، ولشدة بغضه للنبي (ص) انه مكث في ايام خلافته اربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي وقد سئل عن ذلك فقال :

« لا يمنعني من ذكره الا ان تشمخ رجال بآنافها » (٢) .

وتمثلت هذه الظاهرة الالحادية بجميع ابعادها في ولده يزيد فانه بعد توليته الحـــكم اعلن الكفر والمروق من الدين ، وقـد اعلن كلمة الالحاد بقولـه :

---

(١) ابن أبي الحـديد ٢/٣٥٧ .

(٢) حياة الامام الحسن بن علي ٢/١٤٩

لعبت هاشم في الملك فلا   خبر جاء ولا وحي نزل

وهكذا اذا استعرضنا سيرة اغلب ملوك بني أميـــة لوجدناها حافلة بالزندقة والحقد على الاسلام ، وقد حاولوا جميعاً محو سطوره واطفاء نوره ولولا فيض عارم في مبادئه وعناية فيـــه من الله للف لواؤه ، ولم يبق له ذكر ولا أثر .

وقد ساس الامويون الأمة الاسلامية بسياستهم الالحادية التي لا تؤمن بالاسلام كقاعدة أساسية في ميادين الحكم والادارة ، والاقتصاد والسياسة ، فغيروا جميـــع المناهج الحية التي أقامها الاسلام لاصلاح المجتمع ، فعطلوا الحدود ، واستحلوا ما حرم الله ، وأقاموا أحكامهم على الشبهة ، وقتلوا على الظنة والتهمة ، ونهبوا أموال المسلمين وثرواتهم ، وقد ألمع الى ذلك سديف بن ميمون (١) في دعائه عن جور الأمويين وظلمهم بقوله :

---

(١) سديف بن ميمون : شاعر مفلق ، وأديب بارع ، وخطيب مصقع ، بليغ في رعايته للمناسبات ، واصابتـه للأهداف ، قال النمري : ما كان في زمان سديف أشعر منه ، ولا أطبع، ولا أقدر على ما يريده من الشعر ، كان مولى لامرأة من خزاعة ، وكان لهـــا زوج من اللهبيين ، وادعى سديف بذلك ولاء بني هاشم ، وزعم المدائني أنه مولى بني العباس وشاعرهم ، جاء ذلك في طبقات الشعراء (ص ٣٩ ـ ٤٠) وفي العمدة (ص ٤٥) أنه لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة على ابي جعفر المنصور قال له :

إنا لنـــأمل أن ترتد إلفتنا   بعد التباعد والشحناء والاحن

وتنقضي دولة احكـام قادتهـا   فينا كأحكام قوم عابدي وثن

فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا   إن الخـلافة فيـكم يا بني حسن

فلما بلغ المنصور ذلك كتب الى عبد الصمد ان يدفنه حياً ففعل ذلك =

« اللهم : قد صار فيئنا دولة بعد القسمة ، وامارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للامة ، واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة ، وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة ، وتولى القيام بأمرهم كل فاسق محلة فلا ذائد يذود عن هلكة ، ولا مشفق ينظر اليهم بعين الرحمة ، ولا رادع يردع من آوى اليهم بمظلمة ، ولا ذو شفقة يشبع الكبد الحرى من السغب ، فهم أهل ضرع وضيعة ، وحلفاء كآبة وذلة ، قد استحصد زرع الباطل ، وبلغ نهايته ، واستجمع طريده ، واستوسق وضرب بجرانه اللهم فأتح له يداً من الحق حاصدة تجتث سنامه ، وتهشم سوقه ، وتبدد شمله ، وتفرق كلمته ليظهر الحق في أحسن صورته ، وأتم نوره ، وأعظم بركته ، اللهم : وقد عرفنا من انفسنا خلالا لا تقعـد بنا عن استجابة الدعوة ، وأنت المتفضل على الخلائق أجمعين ، والمتولي الاحسان الى السائلين فآت لنا من أمرنا حسب كرمك وجودك ، وامتنانك ، فانك تقضي ماتشاء وتفعل ماتريد . . . »(١) .

وقـد ألم دعاء سديف بوصف رائع للسياسة الأموية التي انتهكت حقوق المسلمين ، وكفرت بجميع القيم العليا التي جاء بها الاسلام وحاربت جميع مبادئه ومناهجه .

وعلى أي حال فان الأمويين قد ساسوا الاقاليم الاسلاميـة بسياسة قد بنيت على الكفر والخروج على ارادة الامة ، وقد اعتقـد المسلمون بأن في في ظفر الأمويين بالحكم انما هو فوز للقوى المعادية للاسلام ، وقد جاء هذا المعنى فيما كتبه فيكلسن قال :

« اعتبر المسلمون انتصار بني أمية وعلى رأسهم معاوية انتصـاراً

= وجاء في تأريخ ابن عساكر ان المنصور رمى به في بئر بعد أن ضربه .

(١) طبقات الشعراء ص ٣٧ ـ ٣٨ .

..رستقراطية الوثنية ، التي ناصبت الرسول وأصحابه العداء ، والتي جاهدها رسول الله (ص) حتى قضى عليها ، وصبر معه المسلمون على جهادهـا ومقاومتها حتى نصرهم الله فقضوا عليها ، وأقاموا على انقاضها دعائم الدين الاسلامي ، ذلك الدين السمح الذي جعل الناس سواسية في السراء والضراء وأزال سيادة رهط كانوا يحتقرون الفقراء ، ويستذلون الضعفاء ، ويبتزون الأموال ، لذلك لاندهش إذ كره المسلمون بني أمية وغطرستهم ، وكبرياءهم واثارتهم للاحقاد القديمة ، ونزوعهم للروح الجاهلية . . » (١) .

ولم يكن يخالط المسلمين شك في أن الأمويين خصوم الاسلام واعداؤه الذين حاولوا اخفات صوته ، واخماد ضوئه ، وانهم انما دخلوا في حظيرته طمعاً في الأمرة ، وسعياً وراء مصالحهم الخاصة ، وقد أكد ذلك العلامة « دوزي » بقوله :

« إن جمهور المسلمين كانوا يرون أن من بين الأمويين رجالا كثيرين لم يعتنقوا الاسلام الا سعياً وراء مصالحهم الشخصية ، وانهم لا حق لهم في الخلافة ولاغيرها ، فقد كانت سياسة بني أمية تهدف الى جعل الخلافة ملكـاً كسروياً ، وليس أدل على ذلك من قول معاوية : « أنا أول الملوك » (٢) .

إن من يتصفح السياسة الأموية يرى أنها كانت ترمي الى بسط الالحاد واشاعة الكفر، وفل عروش الاسلام ، وازالة وجوده ، وذلك بما صعده الأمويون من العمليات التخريبية ضده كابادة اعلامه أمثال حجر بن عدي ، وعمرو ابن الحمق الخزاعي ، وميثم التمار ، ورشيد الهجري ، وأمثالهم من قادة الفكر في الاسلام .

---

(١) تأريخ الاسلام السياسي ٣٩٨/١

(٢) ملوك الطوائف ونظرات في تأريخ الاسلام (ص ٣٨١) .

وقد أوجبت هذه السياسة المعادية للاسلام انتفاضة الجماهير الاسلامية واجماعها على حرب الامويين وازالة دولتهم وسلطانهم .

السياسة المالية :

وللاسلام اقتصاده الخلاق الذي ينعش الشعوب ، ويزيد من دخلها الفردي ، ويزيل عنها كابوس الفقروالحرمان ، وقد أوجب على الدولة مراقبة الاقتصاد العام ، والعمل على زيادة الانتاج ، وصرف الخزينة العامة على المصالح الحيوية ، ولم يبح ان يصرف قليل أو كثير من أموال الأمة في غيرتطورها الاقتصادي والصناعي ، حسب ماهو معلوم من مخططات السياسة المالية في الاسلام .

وقد جافى الامويون هذه السياسة المشرقة ، وابتعدوا عنها ، وكان أول من انحرف عنها عثمان بن عفان فقد صرف بيت المال على بني أمية وآل أبي معيط ، وخص الوجوه والاشراف وذوي النفوذ بالهبات الضخمة والثراء العريض ، وحرم العامة من الانفاق عليها ، وقد أوجبت هذه السياسة الملتوية اخفاقه فقد سخط عليه الأخيار والمتحرجون في دينهم ، وطالبوه بالعدول عنها الا انه لم يعن بهم وأصر على تنفيذ سياسته فثار عليه المسلمون وأردوه صريعاً يتخبط بدمه ، وقد ارهق المسلمين في ايام حكمه وحملهم عناءاً شديداً ، وكذلك أجهدهم بعد قتله حسب ما أجمع عليه المؤرخون .

وقد سار الامويون طيلة حكمهم على وفق السياسة العثمانية فخصوا انفسهم ومن يمت اليهم بالاموال والثراء وحرموا الأمة ان تتمتع بالرفاهية فقد اصطفوا جميع ثرواتها وامكانياتها الاقتصادية وتركوا شبح الفقر ماثلا في كل بيت من بيوت المسلمين ، وقد فزع والي مصر الى العاهل الاموي

سليمان بن عبد الملك شاكياً له ما يعانيه المصريون من الاضطهاد والثقل من الضرائب التي فرضت عليهم قائلا له :

« يا أمير المؤمنين : إني ما جئتك حتى أنهكت الرعية ، وجهدت فان رأيت أن ترفق بها ، وتخفف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها وصلاح معايشها فافعل فانه يستدرك ذلك في العام المقبل ... »

وهذا منطق حق وعدل الا ان الطاغية الجبار لم يع ذلك ، واجابه بما انطوت عليه نفسه من النزعات الشريرة قائلا :

« هبلتك أمك ، احلب الدر فاذا انقطع فاحلب الدم والنجا » (١)

وهل هناك ظلم أفحش او أقسى من هذا الظلم ؟

أي استهانة بحقوق الانسان وكرامته مثل هذه الاستهانة ؟ إنه يريد ان يحكم على المجتمع بالدمار ، ويسلبه حياته ، ومقوماته ولما شاع هذا الظلم الفاحش اخذ العمال والولاة يتقربون اليهم بظلم الرعية والجور عليها ، فقد روى المؤرخون ان عبيد الله بن الحجاب صاحب الخراج على مصر أراد ان يتقرب الى هشام بن عبد الملك فكتب اليه إن ارض مصر تحتمل الزيادة فأمره ان يزيد في كل دينار قيراطاً (٢) .

وهكذا أخذت البلاد الاسلامية ترزح تحت كابوس ثقيل من الفقر والحرمان قد سلبت جميع مقوماتها ، وصارت بأيدي هؤلاء الأوغاد يصرفونها بسخاء على المجون والدعارة وافساد الاخلاق ، ولم يعد مايصرف من تلك الاموال على المصالح العامة .

---

(١) الجهشياري (ص ٥١ — ٥٢) .

(٢) تأريخ الحركات الفكرية في الاسلام (ص ٤٢) .

الضرائب الاضافية :

وأمعنت السلطات الاموية في جهد الرعية وارهاقها ، فقد سلبتها جميع مقدراتها وامكانياتها الاقتصادية ، وذلك بما فرضته عليها من الضرائب التي لم يألفها المسلمون ، ولم يقرها دينهم ، وقد روى المؤرخون ألواناً قاسية من تلك الضرائب وكان من بينها مايلي :

١ ـ الرسوم على الصناعات والحرف (١) .

٢ ـ الرسوم : على من أراد الزواج او يكتب عرضا (٢) .

٣ ـ الرسوم : على اجور البيوت (٣) .

٤ ـ ضريبة النيروز ، وأول من سنها معاوية بن أبي سفيان ، وقد بلغت عشرة ملايين درهم (٤) .

٥ ـ الضريبة على من أسلم (٥) والسبب في ذلك شل الحركة الاسلامية ووقف انتشارها .

والمهم في هذه الضرائب الاضافية انها لم تكن محدودة ، وانما كان أمرها بيد الولاة والجباة فهم الذين يقدرونها حسب رغباتهم وميولهم ، وتحدث « بندلي جوزه » عن شدة وطأتها وثقلها بقوله :

---

(١) تأريخ الحركات الفكرية في الاسلام (ص ٤٢) .

(٢) الطبري ١٢٩/٨ ، تأريخ ابن الأثير ٢٣/٥ .

(٣) الوزراء والكتاب (ص ٢٤) .

(٤) الحركات الفكرية في الاسلام (ص ٤٢) ، تأريخ التمدن الاسلامي ٢٢/٢ .

(٥) التمدن الاسلامي ٢١/٢ .

« انهـا كانت أشد وطأة من الخراج والجزية لأنها لم تكن محدودة ولا مستندة الى قاعدة مقبولة بل كان مقدارها يتوقف على رغبة العمال » (١)

وسأل صاحب أخنا بمصر عمرو بن العاص ان يخبره بمقدار ما عليه من الجزية فأجابه ابن العاص :

« لو أعطيتني من الارض الى السقف ما أخبرتك ما عليك انمـا أنتم خزانة لنـا ان كثر علينا كثرنا عليـكم ، وان خفف عنـا خففنا عنـكم » (٢) .

وليس في مفاهيم الظلم الاجتماعي اكثر من هذا الظلم ولا أشد وطأة منه على المجتمع الانساني فالشعوب خزانة لهؤلاء الحاكمين أو بستان لهم — على حد تعبير ابن العاص — وقال معاوية : « الأرض لله وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركته كان جائزاً لي » .

إن هذه السياسة النكراء قد أثارت سخط المجتمع والهبت العواطف والمشاعر بروح الثورة ، والنضال على قلب ذلك الحكم وازالة وجوده وآثاره .

اصطفاء الاموال :

وجهدت الحكومات الأموية في فقر المسلمين وتجويعهم فسلكت كل طريق يؤدي الى نشر الفـاقة والحرمان بينهم ، وكان من بين الوسائل التي اتخذها الأمويون الى فقر المسلمين اصطفاء أموالهم فقد كتب معاوية الى زياد بن أبيـه عامله على العراق ان يصطفي له الصفراء والبيضاء . فأوعز زياد الى عماله بذلك وأمرهم أن لا يقسموا بين المسلمين ذهبـاً

(١) الحركات الفكرية (ص ٤٢) .

(٢) تأريخ التمدن الاسلامي ٤/٧٩ ـ ٨٠ .

ولا فضة (١) .

وكتب معاوية الى وردان عامله على مصر « ان تزد على كل امرىء من القبط قيراطاً ، فكتب اليه وردان : كيف أزيد عليهم وفي عهدهم ان لا يزاد عليهم ؟ » .

وكانت الحال كذلك في سائر الولايات الاسلامية فقد صادر احد اخوة الحجاج املاك الاهالي ببلاد اليمن (٢) .

لقد اتخذ الامويون مال الله دولا ، وعباد الله خولا كما اخبر الصادق الامين (ص) عما تمنى به أمته في ظلال الحكم الاموي الجائر ، وقد أثارت هذه السياسة عليهم سخط العامة فهبوا الى اعلان الثورة والاطاحة بحكم الظلم والجور .

رفض الناس لاملاكهم :

ولفداحة الضرائب ، وثقلها فقد عمد المزارعون الضعفاء الى رفض اراضيهم والتخلي عنها ، والتجأ بعضهم الى تسجيلها باسم احدى شخصيات العرب ، او باسم احد رجال الدولة لأجل حمايتهم ، وكانوا يدفعون عوض هذا التسجيل قسما من الحاصلات الزراعية (٣) أما في ولاية الحجاج فقد سجل عدد كبير من الملاكين اراضيهم باسم مسلمة بن عبد الملك .

لقد لاقت الشعوب الاسلامية في تلك الأدوار المظلمة اشد الوان العسف والاضطهاد فهي تكدح وتعطي ثمرة جهودها الى اولئك الطغاة

---

(١) التمدن الاسلامي ٤/٧٩

(٢) تأريخ الاسلام ١/٤٧٤

(٣) الوزراء والكتاب (ص ١١٨)

ليصرفونه على المجون والدعارة والشهوات .

وبقي هذا الحال المرير مستمراً ، حتى دور النبيل عمر بن عبد العزيز فلمس المجتمع في عهده بعض الوان الدعة والرفاهيـــة ، فأمر بالغاء تلك الضرائب الاضافية (١) ، ولما انتهى دوره عاد الشقاء الى الناس ، فقد أمر يزيد بن عبـــد الملك بارجاع تلك الضرائب ، وكتب الى عماله مذكرة جاء فيها :

« اما بعد : فان عمر كان مغروراً ، فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس الى طبقتهم الأولى اخصبوا أم أجدبوا ، أحبوا أم كرهوا حيوا أم ماتوا » (٢) .

ولمـــا انتهى هـــذا المرسوم الملكي الى العمال أخذوا بخناق الناس وشددوا عليهم فأعادوا الضرائب الى حالتها الأولى (٣) .

لقد انحرف الأمويون عن القصد ، وجانبوا العـدل ، وابتعدوا عن الطريق القويم ، وهذا هو السر في اجماع المسلمين على بغضهم في جميع أدوار الحياة الاسلامية .

الولاة والجباة :

وأقام الامويون ولاتهم وجباتهم من شذاذ الآفاق أمثال زياد بن أبيه ، والمغيرة بن شعبة ، وبسر بن أبي ارطاة ، وسمرة بن جندب وخالد القسري ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، ونظرائهم من الظلمة المستبدين

---

(١) الطبري ١٢٩/٨

(٢) الادارة الاسلاميـة (ص ١١٤)

(٣) تأريخ اليعقوبي ٥٥/٢

الذين أثبتوا في نشاطهم السياسي والاداري انهم أعداء الانسانية ، وانهم لا عهد لهم بالرحمة والرأفة او بأي مثل كريم يمتاز به الانسان عن الحيوان السائم .

لقد سلط الامويون هؤلاء الجفاة الأوغاد على رقاب المسلمين فامعنوا في ظلمهم ، وانتهاك حرماتهم ، وسلب أموالهم ، يقول النمري لعبد الملك مبيناً له جور عماله ، واضطهادهم لقومه حتى افتقروا وهربوا في البيداء ، وليس معهم سوى إبل مهزولة ، يقول النمري :

أخليفة الرحمن إنا معشر ... حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
إن السعاة عصوك يوم أمرتهم ... واتوا دواهي او علمت وغولا
أخذوا العرين فقطعوا حيزومه ... بالاصبحية قائما مغلولا (١)
حتى اذا لم يتركوا لعضامه ... لحما ولا لفؤاده معقولا (٢)
جاؤا بصكهم وأحدر أشأرت ... منه السياط يراعه اجفيلا (٣)
أخذوا حمولته فأصبح قاعداً ... لا يستطيع عن الديار حويلا
يدعو امير المؤمنين ودونه ... خرق تجربه الرياح ذيولا (٤)
كهداهد كسر الرماة جناحها ... تدعو بقارعة الطريق هديلا
أخليفة الرحمن ان عشيرتي ... أمسى سوامهم عزين فلولا (٥)
قوم على الاسلام لما يتركوا ... ما عونهم ويضيعوا التهليلا (٦)

(١) الحيزوم : وسط الظهر ، الاصبحية جمع أصبح السياط .
(٢) المعقول : الادراك .
(٣) اشأرت : أي بقيت في الاناء بقية ، الاجفيل : الخائف .
(٤) الخرق : الصحراء الواسعة .
(٥) عزين : الجماعات .
(٦) الماعون : الزكاة .

قطعوا اليمامة يطردون كأنهم ... قوم أصابوا ظالمين فتيلا
شهرى ربيع ما تذوق لبونهم ... الا حموضاً وخمة وذبيلا (١)
وأتاهم يحيى فشد عليهم ... عقداً يراه المسلمون ثقيلا (٢)
كتباً تركن غنيهم ذا عيلة ... بعد الغنى وفقيرهم مهزولا
فتركت قومي يقسمون امورهم ... اليك أم يتربصون قليلا (٣)

وقد صور النمري بهذا الشعر الجور الهائل والمظالم الفظيعة التي صبها الولاة على قومه ، وقد استمر هذا الظلم حتى في دور عمر بن عبد العزيز الذي هو أعدل ملوك بني أمية ـ كما يقولون ـ فان عماله لم يألوا جهداً في اخذ اموال الناس بغير حق يقول كعب الاشعري مخاطباً له :

إن كنت تحفظ ما يليك فانما ... عمال أرضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذي تدعو لـه ... حتى تجلد بالسيوف رقاب
بأكف منصلتين اهل بصائر ... في وقعهن مزاجر وعقاب (٤)

وكان عمر يخطب على المنبر فانبرى اليه رجل فقطع عليه خطابه وقال لـه :

إن الذين بعثت في أقطارها ... نبذوا كتابك واستحل المحرم
طلس الثياب على منابر ارضنا ... كل يجور وكلهم يتظلم (٥)
وأردت ان يلي الامانة منهم ... عدل وهيهات الأمين المسلم (٦)

---

(١) الحموض : المر المالح ،
(٢) يحيى : احد السعاة الظالمين .
(٣) حياة الامام الحسن ٢/٢٠٢ نقلا عن طبقات الشعراء (ص ٤٣٩)
(٤) البيان والتبيان ٣/٣٥٨
(٥) طلس الثياب : الوسخة منها .
(٦) البيان والتبيان ٣/٣٥٩

لقد بالغ الولاة والجباة في اضطهاد المجتمع الاسلامي ، وسلبه جميع مقوماته الاقتصادية ، ولم يفعلوا ذلك من عند أنفسهم ، وانما كان بايعاز من ملوك الأمويين ، فهم كانوا يدفعونهم الى النهب ، ويقاسمونهم ما يسلبونه من الناس ، وقد جاء هذا المعنى صريحاً فيما قاله : « فان فلوتن » :

« وبدل ان يتخذ الخلفاء - اي خلفاء الأمويين - التدابير لمحاسبة الولاة ، ومنعهم من الظلم نجدهم يقاسمونهم في فوائدهم من الأموال التي جمعوها بتلك الطرق المفضوحة ، وهذا معناه رضى الخلفاء بسوء تصرف العمال مع أهل البلاد بالاضافة الى انه دليل على ان بعضهم كان يهمه مصالح الخزينة المركزية بالدرجة الأولى . . » (١) .

إن ملوك الامويين لم يحاسبوا ولاتهم وجباتهم على ما اقترفوه من الظلم الفاحش والنهب الفظيع لأموال الأمة ، فقد كان ذلك بدفع منهم ، فان الوالي كلما اشتد ظلمه ، وجار في حكمه ازداد قرباً منهم ، فزياد بن أبيه كان اقرب الناس الى معاوية حتى الصق نسبه به ، وذلك لبطشه وجوره ، وفتكه الذريع بالمسلمين ، والحجاج بن يوسف الثقفي كان من اقرب الولاة الى عبد الملك وآثرهم عنده حتى فوض أمر العراق اليه يتصرف فيه حيثما يشاء ، وذلك لعنفه واسرافه في اراقة الدماء .

وعلى أي حال فان ما عاناه المسلمون من جور العمال وظلمهم من أهم اسباب الثورة الكبرى التي اطاحت بنظام الحكم الأموي ، وطوت سلطانه .

---

(١) السيادة العربية (ص ٢٨) .

احتقار الشعوب :

والشيء البارز في السياسة الأموية ازدراء الشعوب الاسلامية ، فقد كان ملوك الأمويين يبالغون في الاستخفاف بحق شعوبهم ، يقول الوليد بن يزيد الأموي :

فدع عنك ادكارك آل سعدى   فنحن الأكثرون حصى ومالا
ونحن المالكون الناس قسراً   نسومهم المذلة والنكالا
ونوردهم حياض الخسف ذلا   وما نألوهم الا خبالا

وصور هذا الشعر مدى الاستهتار الفاحش بحق الأمة ، والاستهانة بارادتها وقيمها .

وقال عبد الملك بن مروان في خطابه الذي ألقاه في يثرب أمام أبناء المهاجرين والانصار :

« الا واني لا أداوي أمر هذه الأمة الا بالسيف حتى تستقيم قناتكم ، وانكم تحفظون اعمال المهاجرين الأولين ، ولا تعملون مثل عملهم ، وانكم تأمروننا بتقوى الله ، وتنسون ذلك من أنفسكم ، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه . . » (١) .

وحفل هذا المنطق القاسي الرهيب بالطغيان الفاجر على الأمة ، فقد جعل مداواتها بنشر القتل والخوف والارهاب لا ببسط العدل والرفاهية بينها . . .

ويقول ابن العاص : « انما السواد بستان قريش » ومعنى هذا ان السواد ملك للامويين لا لأهله فانهم عبيد وخول لهم ، لا حرية لهم ولا

(١) نظام الحكم والادارة في الاسلام (ص ٢٨٥) .

اختيار ، وكان هذا منطق السياسة الأموية في جميع فتراتها لا ترى هناك وجوداً للأمة ، وكان هذا من أهم العوامل التي ادت الى قلب الحكم الأموي وانهياره .

اضطهاد الذميين :

وقضى الاسلام في تشريعه الرائع الاصيل باحترام كافة الأديان ، وضمان كرامة ابنائها ، ومنحهم الحرية التامة فلهم أن يتمتعوا بجميع مايتمتع به المسلمون من الحقوق ماداموا داخلين في ذمة الاسلام .

انه ليس من الاسلام ان يضطهد أي انسان مهما كانت ميوله ومعتقداته ما لم يحدث فتنة أو فساداً في الأرض ، يقول الامام امير المؤمنين (ع) رائد العدالة الكبرى في عهده الدولي : « الناس صنفان اما أخ لك في الدين أو شبيه لك في الخلق » .

لقد تبنى الاسلام بصورة ايجابية شعار العدالة والحرية والمساواة بين جميع الناس في ضمن اطارها الاسلامي ، ولكن السياسة الاموية في جميع مخططاتها قد حملت معول الهدم على ما تبناه الاسلام في ميادين الاصلاح الاجتماعي فعاملت الذميين معاملة قاسية لا تتفق مع روح الاسلام وهديه ، فقد روى المؤرخون أن اسامة بن زيد التنوخي ، القائم بأمر الخراج من قبل يزيد بن عبد الملك قد اوقع بالذميين وارهقهم فأخذ أموالهم ، ووسم أيديهم (١) وفرض عبد العزيز بن مروان الجزية على الرهبان ، وهي أول جزية أخذت منهم (٢) .

---

(١) خطط المقريزي ٤/٣٩٥

(٢) نفس المصدر .

ان جور الأمويين وظلمهم قد عمّ جميع المواطنين ، ولم يقتصر على المسلمين الأمر الذي أوجب شيوع الحقد والكراهية عند جميع الناس لحكمهم .

ظلمهم للموالي :

وقضت السياسة الأموية بحرمان الموالي من جميع الحقوق الطبيعية للانسان فعاملتهم معاملة الحيوان السائم ، وقابلتهم بمزيد من العنف والاضطهاد مع دخولهم في حظيرة الاسلام الذي هتف بحقوق الانسان ، واعلن المساواة العادلة بين جميع الطبقات ، هذا مع ان فيهم طبقة كبيرة من اعلام الاسلام وقادته الفكريين ، وان شطراً كبيراً من الفتوحات الاسلامية قد قام على جهودهم وجهادهم ، ومن المؤسف حقاً أن الامويين لم يألوا جهداً في اذلالهم وارهاقهم ، وقد روى المؤرخون الواناً بغيضة من ذلك العسف ، وقد فتح عليهم باب الظلم والجور ـ كسرى العرب ـ معاوية بن أبي سفيان فقد انتهك حرماتهم ورام سفك دمائهم بغير حق فقد دعا كلا من الاحنف بن قيس التميمي ، وسمرة بن جندب الهلالي وقال لهما : إني رأيت هذه الحمر ـ أي الموالي من الفرس ـ قد كثرت ، واراها قد قطعت على السلف ، وكأني انظر وثبة منهم على العرب والسلطان ، فقد رأيت انأقتل شطراً لاقامة السوق ، وعمارة الطريق فما ترون ؟ » فأيده سمرة ، وعارضه الاحنف ، وأقنعه بأن لا يفعل (١) وقد سار على هذه الخطة الفاجرة ملوك الأمويين من بعده فهانوا الموالي وحرموهم من العطاء والرزق وقد جاء أحد الخراسانيين الى عمر بن عبد العزيز يطالبه بالعدالة والمساواة قائلا :

(١) العقد الفريد ٢/٢٧٠

« يا امير المؤمنين عشرون الفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ، ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤدون الخراج . . » (١) .

لقد قابلتهم السلطات الأموية بالحرمان والاجحاف فحرمتهم من العطاء والقوت مع انهم كبقية الجنود يغزون ويفتحون ، وهذا مما أوجب زيادة النقمة في صفوفهم ، واتساع نطاق العداء لهم ، وانضمامهم الى كل ثورة ضدهم يقول الجاحظ في كتابه ـ العرب والموالي ـ ان الحجاج بن يوسف لما خرج عليه عبد الرحمن بن الاشعث ، وحاربه ، ولقي مالقي من قراء اهل العراق ، كان اكثر من قاتله الموالي من أهل البصرة ، فجمعهم بعد اطفائه تلك الثورة ، وقال لهم : « انما أنتم علوج وعجم وقراؤكم اولى بكم » ثم فرقهم حيث شاء في البلاد النائية ، ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجهه اليها (٢) .

وبلغ من تعصبهم الأعمى انهم كانوا لا يرون الموالي اكفاءا لهم فكانوا ينادونهم بأسمائهم والقابهم ، ولا يكنونهم بالكنى لما في الكنية من الشعور بالمساواة لهم ، كما كانوا لا يسمحون لهم بالسير في الصف أمامهم أو معهم الا وراءهم ، ولا يجعلون منهم قائداً على جيش عربي ، ولا يجيزون لأحد منهم ان يصلي اماما على جنازة أحد من العرب ، وإذا اطعموا أحداً من الموالي معهم ـ لعلمه وفضله ـ اجلسوه على السفرة في طريق الخباز ، لكي يعلم من يراه أنه ليس عربياً في الصميم ، وإذا اقبل العربي من السوق ومعه شيء فرأى مولى دفعه اليه ليحمله عنه فلا يمتنع ، وكان إذا لقيه راكباً وأراد ان ينزل فعل (٣) .

---

(١) الطبري : ١٣٤/٨ ، ابن الأثير ١٩/٥

(٢) العقد الفريد ٢٧١/٢

(٣) ضحى الاسلام ١٨/١ ـ ٣٤

لقد ذكر المؤرخون صوراً كثيرة من الوان هذا الاضطهاد الجماعي للموالي الأمر الذي خولف فيه عما الزم به الاسلام من المساواة العادلة بين جميع المسلمين من دون فرق بين عربيهم واعجميهم ، وأبيضهم وأسودهم .

لقد سببت هذه التفرقة العنصرية شق كلمة المسلمين ، واشاعة الاحقاد والاختلاف بينهم ، كما سببت ان يكون الموالي في طليعة الثوار على الحكم الأموي وسبباً في تحطيم ملكهم .

خلاعة الخلفاء :

وانغمس ملوك الأمويين في الدعارة والمجون فتهالكوا على اللـذة والشهوات والاستهتار بالقيم الاخلاقية ، وقـد انتشر التسيب والتحلل في أيامهم وشاع استعمال الخمر والقمار ، وقد صرفت الدولة أغلب مقدراتها على المغنين والماجنين والعابثين ، وجابت جميع ادوات اللهو والآت الغناء ، وفيما يلي بعض خلفائهم الماجنين :

يزيد بن عبد الملك :

وانقطع يزيد بن عبد الملك الى العقار والقيان ، وكان يسمى خليع الأمويين ، شغف بجاريتين من جواريه تدعى احداهما (حبابة) والاخرى (سلامة) وقطع ايام حياته في احضانهما ، غنته حبابة يوماً بقولها :

بين التراقي واللهاة حرارة ما تطمئن ولا تسوغ فتبرد

فطرب حتى فقد رشده ، وأخذ يطير فقالت ساخرة به :

« يا أمير المؤمنين لنا فيك حاجة ! ! » .

وأخذ يقول : بلا اختيار « والله لأطيرن » وانطلقت تسخر به وتهزأ

من الأمة التي مكنته من رقابها قائلة له :
- على من تدع هذه الأمة ؟
- عليك
ثم انعطف عليها فجعل يقبل يدها ، وهي تعبث به وتسخر منه .

خرج يوماً يتنزه في بعض نواحي الأردن ، ومعه جاريته حبابة فأخذ يتعاطى معها كؤوس الخمر ، فلما تملأ رماها بحبة عنب فدخلت فيهـا ، فشرقت منها فتمرضت وماتت ، وقد فقد رشده على موت هذه المغنيـة فقد تركها ثلاثة أيام لم يدفنها حتى أنتنت وهو يشمها ويلثم جسدها وهي جثة هامدة ويبكي عليها أمر البكاء ، وقد كلمه بعض خواصه في أمرهـا فأذن في دفنها ، ورجع الى قصره كئيباً ، حزيناً فسمع احدى جواريه تقول :

كفى حزناً بالهائم الصب أن يرى   منازل من يهوى معطلـة قفرى

فأخذ يبكي أمر البكاء وقد استولى عليه الحزن والأسى ، ومكث في قصره سبعة أيام لا يواجه الناس حداداً وحزناً على هذه الفاجرة ، فأشـار عليه أخوه مسلمة بالخروج الى الناس لئلا يشيع عنه هذا المنكر فيزهدون فيه ، فاستجاب لنصحه وخرج الى الناس (١) وهذه البادرة قد دلت على خلاعة هذا الماجن الذي بلي به الاسلام وبأمثاله من الماجنين الذين تقلدوا زمام الحكم .

الوليد بن يزيد :

وصح عن النبي (ص) انه قال : « ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، لهو شر على هذه الأمة من فرعون على قومه » وقـد أيد

(١) ابن الأثير : (ج ٥ ص ٥٧) .

الأوزاعي أنه هو الوليد بن يزيد (١) وقد تمادى هذا الطاغية الخايـــع في الدعارة فكان أول من حمل المغنين من البلدان ، وجالس الملهين ، واظهر الشراب والملاهي ، والعزف ، وقـــد انتشر في عصره الفساد وانعكف الناس على تعاطي الخمر وشربها ، وكان مغرماً بها ، وقـــد وصفها بأدق وصف بقوله :

وصفـــراء كالزعفران سباها لنا التجر من عسقلان
ترياك القـذاة وعرض الانا ء ستر لهـا دون مس البنان
لها حبب كايا صفقت تراها كلامعة برق يماني (٢)

وبلغ من مجونه انه أراد ان يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب فيها الخمور ويشرف منها على الطواف (٣) ولكن الله حال بينه وبين ذلك وقصم ظهره وأخذه أخذ عزيز ذي انتقام فقد ظهر عليه يزيد بن الوليد مع جماعة من أهل بيته فقتلوه واحتزوا رأسه ونصبوه بدمشق (٤) .

ومن خلاعة هـــذا الماجن المستهتر ان ابن عائشة القرشي (٥) غناه بقوله :

---

(١) أمالي المرتضى : (ج ١ ص ٧٩) .
(٢) مروج الذهب : (ج ٣ ص ١٤٧) .
(٣) الأمالي : (ج ١ ص ٨٩) .
(٤) اليعقوبي : (ج ٣ ص ٧٣) .
(٥) ابن عائشة : هو عبد الرحمن بن عبيد الله ، وعائشة أمه هي أم محمد بنت عبد الله بن عبيد الله من تيم قريش ، يكنى أبا سعيد ، وكانت سمية أم زياد بن أبيه إحدى جداته وفي ذلك يقول :

أيا أسفي على إسعاف دهر وحظ من حظوظ بني الزواني =

اني رأيت صبيحة النحر حوراً نفين عزيمة الصبر
مثل الكواكب في مطالعها عند العشاء أطفن بالبدر
وخرجت ابغي الأجر محتسباً فرجعت موقوراً من الوزر

فطرب حتى فقد صوابه والتفت الى ابن عائشة قائلا :

« احسنت والله ، بأمير المؤمنين ، اعد بحق عبد شمس اعد . . » .

فأعادها عليه فقال له : احسنت والله ، بحق أمية اعد ، فأعادها عليه فأخذ يتخطى آباءه واحداً بعد واحد وهو يقسم عليه بهم ليعيدها عليه فأعادها عليه مراراً وهو ثمل لا يعقل قد أفسدت الخمرة عقله وانكبّ على ابن عائشة فجعل يقبل أطرافه وأعضاءه عضوا عضواً حتى انتهى الى عورته وبعد صراع طويل دام بينهما استطاع هذا الخليع ـ المسمى بأمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ـ تقبيل عورة ابن عائشة بصورة مخزية تندى منها خجلا وجه الانسانية ، ثم انه نزع ثيابه فألقاها عليه ، وبقي مجرداً بادي العورة حتى أتوه بثياب غيرها فلبسها ثم منحه الف دينار وحمله على بغلته ، وطلب منه ان يركبها على بساطه ثم ودعه قائلا له : « قد تركتني على أحر من جمر الغضا » (١) .

هذه صورة موجزة عن دعارة ملوك الأمويين وخلاعتهم ، وتماديهم في اللهو والفساد الأمر الذي سبب اشاعة الحقد عليهم والكراهية لحكمهم .

= على اني أمت الى الليالي بعرق من سمية غير واني

جاء ذلك في طبقات الشعراء : (ص : ٣٣٧ ـ ٣٣٨) .

(١) مروج الذهب : (ج ٣ ص ١٤٨) .

العصبية بين اليمنية والنزارية :

ومن أهم العوامل التي أدت الى تلاشي الحكم الأموي نشوب النزاع بين اليمانية والنزارية وتصاعد العداء فيما بينهما ، الأمر الذى أدى الى اضعاف الدولة ، وذلك لانضمام اليمانية الى الدولة العباسية ، وقد أوجد هذا النزاع العلويون فان الكميت شاعر الاسلام الاكبر لما أنشد هاشمياته التي مدح فيها اهل البيت (ع) قصد عبد الله بن الحسن فطلب منه أن ينشيء شعراً يثير به حفائظ النفوس بين العرب لعل فتنة تحدث فتكون سبباً لزوال دولة الامويين فاستجاب الكميت وانطلق ينظم قطعاً من الشعر الحماسي الرائع يذكر فيها مناقب قومه اليمانيين ويفضلهم على القحطانيين ، ومما قاله :

لنا قمر السماء وكل نجم ... تشير اليه أيدي المهتدينا
وجدت الله اذ سمى نزاراً ... واسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات ... وللناس القفا ولنا الجبينا

وقد أثر شعره في القلوب تأثيراً عظيما حتى ثارت الحفائظ بين القبيلتين وشاع البغض والعداء بينهما ، وانتصر للقحطانية شاعر اهل البيت دعبل الخزاعي ، واكبر الظن انه كان بين الشاعرين اتفاق على ذلك فانهما معاً من شعراء اهل البيت وكلاهما قد ضرب الرقم القياسي لاعمق الود والولاء لهم ومما قاله دعبل في الرد على الكميت :

أفيقي من ملامك يا ظعينا ... كفاك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي ... يشيبن الذوائب والقرونا
أحيي الغرمن سروات قومي ... لقد حييت عنا يا مدينا
فان يك آل إسرائيل منكم ... وكنتم بالأعاجم فاخرينا

الى ان يقول :

وماطلب الكميت طلاب وتر ... ولكنا لنصرتنا هجينـا

لقد علمت نزار ان قومي ... الى نصر النبوة فاخرينا

وأخذت كل قبيلة تفتخر على الأخرى وتدلي بمناقبها ومكارمها حتى اتسع العداء وشمل سكان القرى والبادية وتخربت من أجل ذلك القلوب.

وانفصمت عرى الوحدة بين هاتين الأسرتين اللتين تعدان من أعظم سكان الجزيرة العربية عدداً ونفوذاً ، وقد نتج من ذلك أن مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء الأمويين قد تعصب للنزاريين ، مما سبب انحراف اليمانيين عنه وانضمامهم الى الدعوة العباسية ، وبذلك فقد ضعف كيان الدولة الأموية الى أبعد الحدود (١) .

نتائج الأحداث :

إن الأحداث الرهيبة التي مُني بها العالم الاسلامي من جراء الحكم الاموي الجائر في سياسته ، واقتصاده ، وادارته ، قد اعقب ما يلي :

١ ـ الثورات المحلية :

وانطلقت في اغلب الاقاليم الاسلامية عدة ثورات محلية انتقاماً من السلطة وكراهية لها كثورات العلويين ، وثورات الخوارج ، وهي ثورات متصلة ، قد دوخت السلطة ، وأضعفت كيانها الاقتصادي والعسكري ، ومن الطبيعي ان هذه الثورات انما حدثت نتيجة لانتشار الظلم الاجتماعي ، وفقدان العدل والمساواة بين المسلمين ، ولو ان الحكومات الاموية سارت

---

(١) مروج الذهب : (ج ٣ ص ١٥٩ ـ ١٦٣) .

في سياساتها الداخلية على وفق الأهداف العليا التي ينشدها الاسلام في ظلال حكمه لما منيت بتلك الكوارث والزعازع .

٢ ـ الدعوة الى العلويين :

وانعقدت في يثرب والكوفة أحزاب سرية ، وقد عملت بكل اجهزتها على الدعوة للرضا من آل محمد (ص) وارجاع الخلافة الاسلامية لأهل البيت (ع) وقد حفل منطق الدعوة بما يلي :

اولا ـ انها كانت تذيع بين المسلمين ما ورد في فضل العترة الطاهرة من الآيات والاخبار التي تلزم المسلمين برعايتهم ومودتهم ، والرجوع اليهم وكان من اساليب الدعوة انهم يقولون للناس :

ـ هل فيكم احد يشك ان الله عزوجل بعث محمداً واصطفاه ؟

ـ لا

ـ أفتشكون ان الله أنزل عليه كتابه فيه حلاله وحرامه وشرائعه ؟

ـ لا

ـ أفتظنونه خلفه عند غير عترته واهل بيته ؟

ـ لا

ـ أفتشكون ان اهل البيت معدن العلم ، وأصحاب ميراث رسول الله (ص) الذي علمه الله ؟

ـ لا (١)

وقد سبب هذا الاسلوب الرائع التفاف المسلمين حول أهل البيت ، وتعطشهم الى ايام حكمهم .

وكان المنصور الدوانيقي يجوب في الارياف وينشد مديح اهل البيت

---

(١) الكامل لابن الأثير (١٧/٥)

واكبر الظن انه قد عُهد اليه القيام بهذه المهمة .

ثانياً - انها كانت تذيع ما جرى على آل النبي (ص) من النكبات والخطوب مما يذيب لفائف القلوب ، ويثير روح الحقد والكراهية للامويين ويدفع الجماهير الى الثورة على النظام القائم .

ثالثاً - انها كانت تبشر بالأهداف الاصيلة ، والمثل العليا التي تنشدها العترة الطاهرة في ظلال حكمها العادل من نشر الأمن والدعة والرفاهية بين الناس ، والقضاء على جميع الوان الغبن الاجتماعي ، والظلم الاجتماعي ، وان لا حكم يضمن للمسلمين كراماتهم ، ويصون حقوقهم ، ويحقق آمالهم الا في ظل حكم اهل البيت (ع) الذي هو امتداد لحكم الاسلام ، وتطبيق لعدله ومساواته .

رابعاً - انها كانت تقوم بافهام المسلمين بأن ما حل فيهم من المحن والنكبات في ظل الحكم الاموي انما هو من النتائج المباشرة لعملية فصل الخلافة عن أهل البيت الذين هم سدنة الوحي وعدلاء الذكر الحكيم ، وان الصدر الاول هم الذين فسحوا المجال بسقيفتهم الى القوى المعادية للاسلام ان تنزو على منابر الحكم ، وتستولي على زمام السلطة فتمعن في اذلال المسلمين وارغامهم على ما يكرهون .

إن الصدر الاول لو تابعوا النبي (ص) فيما احتاط به لامته من جعل الخلافة في اعلام عترته ، وقاية للامة من الانحراف ، وصيانة لها من الزيغ والضلال ، وانطلاقاً لها في ميادين التقدم الاجتماعي ، لو انهم واكبوا النبي (ص) وتابعوه لما حدثت تلك الخطوب والرزايا في العالم الاسلامي ، وما مني بالحكم الاموي الذي اتخذ عباد الله خولا ، ومال الله دولا .

لقد كانت هذه الدعوة الخلاقة تشق طريقها في أجواء العالم الاسلامي وتغزو العواطف والمشاعر ، فقد آمن بها المسلمون كقاعدة اساسية لتطورهم

الاجتماعي ، وانقاذهم من جور الامويين وظلمهم واستبدادهم .

لقـــد قامت الدعوة الى العلويين على هذا الاساس من الوعي الديني والوعي الاجتماعي ، ومما يؤكد ذلك ان القاسم بن مجاشع احد قادة الدولة العباسية بعث بوصيته الى المهدي ليشهد فيها ، وقد جاء في بنودها :

« شهد الله ان لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام ، يشهد بذلك ، ويشهد ان محمداً عبده ورسوله ، وان علي بن أبي طالب (ع) وصي رسول الله (ص) ووارث الامامة من بعده » .

فلما قرأ المهدي الفقرات الأخيرة من الوصية رماها من يده ، ونظر اليه نظرة غضب فقال له القاسم : اليس على هذا كان خروجنا على بني أمية ؟ فأجابه المهدي بأنهم قد عدلوا عن ذلك بعد أن استتب لهم الأمر وصفا لهم الملك .

وهذه البادرة تدل بوضوح على ان الدعوة كان من صميمها التبشير بأن الامام امير المؤمنين (ع) وصي رسول الله (ص) وخليفته من بعده على أمته ، وانه مع اعلام ذريته ورثة علم النبي (ص) وسفن نجاة هذه الأمة ، فلابد ان تكون قيادة الامة لهم ، وان ترجع لهم السلطة العليا في الاسلام .

٣ ـ الاضطراب العام :

وشاع الاضطراب وانتشرت الفتن في جميع انحاء العالم الاسلامي فقد ساد عليه الخوف والفزع من الحكم القائم ، وقد وصف الشاعر الشهير الحارث ابن عبد الله الجعدي الحالة الراهنة في عموم البلاد بقوله :

أبيت ارعى النجوم مرتفقاً (١)   إذا استقلت تجري أوائلهـا

---

(١) المرتفق : الواقف الثابت .

من فتنة اصبحت مجللة (١)	قد عم أهل الصلاة شاملها
من بخراسان والعراق ومن	بالشام كان شجاه (٢) شاغلها
فالناس منها في لون مظلمة	دهماء مثلجة غياطلهـا
يمسي السفيه الذي يعنف بالجهـ	ـل سواء فيه وعاقلها
والناس في كربة يكاد لها	تنبذ أولادها حواملهـا
يغدون منهـا في كل مبهمة	عمياء تمني لها غوائلها
لا ينظر الناس في عواقبها	الا التي لا يبين قائلهـا
كرغوة البكر او كصيحة حبـ	ـلى طرقت حولها قوابلها
فجاء فينا أزرى بوجهته	فيها خطوب حمر زلازلها (٣)

وقد جاء هذا الوصف رائعاً دقيقاً لحالة المواطنين ، فقد ألم بما منوا به من الفتن والاضطراب . ووصف حالة المجتمع شاعر آخر وهو العباس ابن الوليد بقوله :

إني اعيـذكم بالله من فتن	مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملت سياستكم	فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم	إن الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم	فثم لا حسرة تغني ولا جزع (٤)

لقد انصبت الفتن على المجتمـع كالجبال - كما يقول ابن الوليد - من جراء سياسة الأمويين التي بنيت على العسف والتنكيل بجميع المواطنين ،

(١) مجللة : أي شاملة

(٢) شجاه : حزنه

(٣) تأريخ الطبري : (ج ٩ ص ٣٨) .

(٤) تأريخ ابن الأثير : (ج ٥ ص ١٠٥) .

وكان من الطبيعي أن تحدث تلك الفتن انفجاراً عاماً لا تقف في وجهه أي قوة في العالم .

للثورة الكبرى :

وانتفضت جميع الشعوب الاسلامية من أقصاها الى أدناها كالمارد الجبار وهي تحطم جميع القيود والحواجز التي وضعت عليها ، وهي تهتف بسقوط الحكم الأموي ، وتدعوا للرضا من آل محمد (ص) وقد عجزت السلطات المحلية عن اخماد نار الثورة التي أخذت بالتوسع والازدياد .

ونعرض فيما يلي - بايجاز - الى بعض فصول تلك الثورة الكبرى ، وما رافقته من أحداث .

مؤسسو الثورة :

والشيء المحقق هو ان أول من صمم الثورة ، ووضع مناهجها وأساليبها هم العلويون ، وذلك لما عانوه من ظلم الأمويين وجورهم ، فانطلقوا يعملون جميــع الوسائل لقلب الحكم الأموي ، وليس للعباسيين في بداية الأمر أي ضلع في ذلك ، فقد كانوا بمعزل عن الاشتراك في أي عمل سياسي ، وانما كانوا مسالمين للدولة ، ومساندين لسياستهــا ، وكان الأمويون يمنحونهم الهبات ، ويوفرون لهم المزيد من العطاء لكسب ودهم ، واضعاف كيان العلويين ، وكان المسلمون ينظرون اليهم نظرة عادية ، وذلك لعدم قيامهم بأي عمل ايجابي كان في صالح المجتمع الاسلامي .

وأما تبني العباسيين للثورة فانما كان بعد ما بدا الضعف والانهيار في الحكم الأموي ، واطمئنوا بنجاح الثورة فانضموا الي العلويين ، وقد اختلف

المؤرخون في كيفية انضمامهم الى الثورة فذهب فريق منهم الى أن أبا هاشم ابن محمد بن الحنفية الزعيم االبارز في العلويين لما خشي سليمان بن عبد الملك أمره أخذ يستميله بالدعوة اليه فأجابه الى ذلك ، ولما قدم عليه أظهر له الود ، وقابله بمزيد من التبجيل والتكريم ، ولكنه دبر قتله فدس له السم وهو في طريقه الى الحميمة التي يقطن بها العباسيون ، ولما شعر بدنو أجله عهد بأمره الى محمد بن علي ، وأفضى باسراره اليه ، وعرفه بأسماء الدعاة في الاقطار ، وذهب بعض المؤرخين الى أن أبا هاشم لم يعهد بأمره الى محمد بن علي ، ولكنه لما حل عنده ورأى ما فيه من ثقل حاله أخذ يستدرجه حتى أخبره بما عنده ، ولما توفي عثر على الملفات التى كانت فيها أسرار الدعوة وأسماء الدعاة (١) .

وعلى أي حال فقد تبنى العباسيون منذ تلك اللحظة الأمر ، وأخذوا يعملون على تنسيق الثورة وتنظيمها .

مركز الثورة :

وانعقدت في يثرب الدعوة الى الثورة على الحكم الأموي ، وبعد اغتيال أبي هاشم انتقلت الى الحميمة ببلقاء الشام فصارت مركز الدعوة فبها كانت توضع المخططات ، وتصمم المناهج الثورية وترسل الى الدعاة في الكوفة التي هي الوطن الأم للدعوة العلوية ، وترسل ايضا الى الدعاة في خراسان التي عرفت بالنصب والعداء للامويين بسبب اضطهادهم للفرس ولميلهم الى التشيع .

وقد ارسلت الدعاة الى خراسان في زي التجار فقاموا ينشرون مساوىء الحكم الأموي ، ويذكر ما حل بأهل البيت من الخطوب والنكبات ، وقد

(١) الامامة والسياسة ٢/١٤٠ - ١٤١

استجاب الخراسانيون للدعوة وانضموا اليها (١) وقد وصف خراسان محمد ابن علي للدعاة وأكد عليهم ببذل المزيد من النشاط فيها قائلا لهم :

« عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير ، والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة ، وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ، ولم تتوزعها النحل ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وأصوات هائلة . . . وبعد فاني أتفاءل الى المشرق ، وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .. » (٢)

وبذل الدعاة المزيد من نشاطهم في خراسان حتى تبلورت فيها الدعوة وقامت على سوقها عبلة الذراع مفتولة الساعد فقد تفانى الخراسانيون في حمايتها وصيانتها ، واعتقدوا جازمين انها تقوم بحمايتهم من جور الأمويين واستغلالهم .

مؤتمر الأبواء :

وعقد الهاشميون مؤتمراً لهم في الأبواء تداولوا فيه شؤون الدعوة ، وتعيين المرشح للخلافة من بينهم ، وقد حضره كل من ابراهيم الامام ، والسفاح ، والمنصور ، وصالح بن علي ، وعبد الله بن الحسن ، وابناه محمد وابراهيم ومحمد بن عبد الله بن عمرو ، وغيرهم ، وقام فيهم صالح بن علي خطيباً فقال :

« إنكم القوم الذين تمتد أعين الناس اليهم فقد جمعكم الله في هذا الموضع فاجتمعوا على بيعة أحدكم ، فتفرقوا في الآفاق ، وادعوا الله ، لعل الله أن يفتح عليكم وينصركم . . . »

---

(١) الفخري (ص ١٢٢ - ١٢٣) .

(٢) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ٢٩٣ - ٢٩٤) .

فانبرى أبو جعفر المنصور فقال :

« لأي شيء تخدعون أنفسكم . والله لقد علمتم ما الناس أميل أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم الى هذا الفتى ـ وأشار بيده الى محمد بن عبد الله بن الحسن ـ . . . »

فانطلقوا جميعا يؤيدون مقالته قائلين :

« صدقت ، إنا لنعلم هذا »

وقاموا فبايعوا محمداً ، وبايعه ابراهيم الامام ، والمنصور والسفاح وسائر من حضر ذلك الاجتماع (١) .

ولم يف العباسيون بهذه البيعة فقد خانوا بعهدهم ، ونقضوا ميثاقهم فأخذوا يعملون بالخفاء لانفسهم فأفهموا الدعاة بذلك ، وأوصوهم بالسر والكتمان خوفا من انتفاضة العلويين عليهم ، وعدم استجابة الناس لهم إذ لم تكن لهم أي ركيزة اجتماعية ، ولم يكن لهم تأريخ ناصع ، فلذا أوصوا الدعاة بالكتمان ، وأمروهم بأن يدعوا الناس للرضا من آل محمد .

وعلى أي حال فقد اتخذ العباسيون الدعوة الى العلويين شعاراً لهم لينالوا ثقة الأمة ، ويكسبوا ود أهل البيت وعطفهم .

انتخاب أبي مسلم :

وانتخب ابراهيم الامام عميد الأسرة العباسية غلامه أبا مسلم الخراساني قائداً عاماً للحركة الانقلابية ، والزم الدعاة والشيعة بطاعته فقد جاء في كتابه الذي كتبه الى من في الكوفة وخراسان من الشيعة « إني قد أمرت أبا مسلم

---

(١) مقاتل الطالبيين (ص ٢٥٦) .

بأمري فاسمعوا له وأطيعوا ، وقد أمرته على خراسان وما غلب عليه » (١) .

وكان عمر أبي مسلم يومئذ تسعة عشر سنة حسب ما أجمع عليه المؤرخون وكان يقظاً حساساً حديدي الارادة ، فاتكاً غادراً لم يعرف الرحمة والرأفة وكان من أمهر السياسيين في حياكة المؤامرات والدسائس .

وقد دهش الجميع لترشيح أبي مسلم لهذا المنصب الخطير نظرا لحداثة سنة ، وقلة تجاربه ، وقد أبى جمع من الدعاة طاعته ، والانصياع لأوامره الا ان ابراهيم الامام الزمهم بالسمع والطاعة له (٢) فلم يجدوا بدا بعد ذلك من متابعته (٣) .

وصية ابراهيم لأبي مسلم :

وأوصى ابراهيم الامام غلامه بهذه الوصية الحافلة بالأثم والمنكر والخروج عن الدين فقد جاء فيها :

« يا عبد الرحمن ، إنك منا أهل البيت فاحفظ وصيتي : انظر هذا الحي من اليمن ، فأكرمهم وحل بين ظهرانيهم ، فان الله لا يتم هذا الأمر الا بهم . وانظر هذا الحي من ربيعة ، فاتهمهم في أمرهم . وانظر هذا الحي من مضر ، فانهم العدو القريب الدار . فاقتل من شككت في أمره ومن وقع في نفسك منه شيء . وإن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم

(١) الطبري احداث سنة ١٢٨ هـ

(٢) تأريخ ابن الأثير ٤/٢٩٥

(٣) لقد قتل أبو مسلم جميع من عارض في اختياره حسب ما نص عليه المؤرخون .

بالعربية فافعل . فأيما غلام بلغ خمسة أشبار فاقتله . . » (١) .

وان صحت هذه الوصية فانها تدل على أن الرجل لا عهد له بالمثل الانسانية ، ولا علاقة له بالاسلام الذي احتاط بالدماء وحرم سفكهـا بغير حق .

لقد أخذ أبو مسلم بوصية ابراهيم فأسرف في اراقة الدماء ، وانتهاك الحرمات ، فقتل ستمائة الف عربي بالسيف صبراً عدا من قتل في الحرب ـ حسب ما نص عليه المؤرخون ـ فأشاع الحزن والحداد والثكل في بلاد المسلمين ، وهو أمر لا يقدم عليه من كانت له أي نزعة دينية أو انسانية

في خراسان :

وبعد أن تم ترشيح أبي مسلم زعيما للقيادة العسكرية من بني العباس توجه من فوره الى خراسان ليقود المناضلين الى ساحة الحرب للاجهاز على الحكم الأموي ، وحين وصوله التقى بالدعاة والزعماء فخطب فيهم قائلا :

« اشعروا قلوبكم الجرأة فانها من أسباب الظفر ، واكثروا ذكر الضغائن فانهـا تبعث على الاقدام ، والزموا الطاعة فانهـا حصن المحارب . . . » (٢) .

وأخذ ينظم الحركة تنظيما رائعاً دقيقاً ، يصور للناس فساد الحكم الأموي وما يسومهم به من الظلم والارهاق ، وانه سوف ينشر العدل والدعة والرفاهية فيما بينهم حتى استجابت له القلوب ورحبت به جماهير الخراسانيين والتفوا حوله ، وبذلك فقد تكونت النواة الأولى لجيوش بني العباس .

(١) تأريخ ابن الأثير ٤/٢٩٥

(٢) العقد الفريد ١/١٥٨

والشيء الوحيد الذي استطاع أن يحرز به أبو مسلم النصر ، ويتغلب به على الاحداث هو استغلاله للعصبية القبلية في خراسان فقد كان اليمانيون مع خلاف مع المضريين ، واخذ أبو مسلم يغذي هذه الظاهرة العدائية ، ويوقدها . فكلما أوشك شملهم ان يجتمع على حربه أوغر صدور طائفة على الأخرى ، وأثار الموتور بطلب الثأر من واتره ، وبذلك فقد شغلهم عن مناجزته حتى تم له الأمر .

مع نصر بن سيار :

ولما رأى نصر بن سيار قوة أبي مسلم ، واستحكام نفوذه أرسل الى العاهل الأموي مروان رسالة يستنهضه فيها الى مساعدته ، ويستمد منه العون قبل أن تحترق حكومته بنـــار الثورة ، وكتب في رسالته هذه الأبيات الحماسية :

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعيدان تذكى ... وان الحرب أولها كلام
فان لم يطفئها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام
أقول من التعجب: ليت شعري ... أأيقاظ أميـــة أم نيـــام
فان كانوا لحينهم نياما ... فقل قوموا فقد حان القيام

وعجز مروان عن اجابته فكتب اليه يخبره بضعفه ، وعجزه عن اخماد تلك النار بقوله : « يرى الشاهد ما لا يراه الغائب » .

ولمـــا يئس نصر من نجدته استنجد بوالي العراق يزيد بن عمرو بن هبيرة ، وكتب اليه رسالة ، وختمها بهذه الابيات :

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه ... وقد تبينت أن لا خير في الكذب

بأن أرض خراسان رأيت بها بيضاً اذا أفرخت حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا انهـا كبرت ولم يطرن وقد سربلن بالزغب
فان يطرن ولم يحتل لهن بها يلهبن نيران حرب أيما لهب

فقال يزيد لحامل الرسالة : « قل لصاحبك : لا غلبة الا بكثرة ، فليس له عندي رجل » (١) .

وفكر نصر في الخروج من الأزمة ، فأرســل الى كل من الكرماني وشيبان الخارجي هذه الابيات يقول :

ابلغ ربيعة في مرو ، ومن يمن ان اغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبوا حرباً ، يحرق في حافاتها الحطب
ما بالكم تنشبون الحرب بينكم كأن أهل الحجا عن رأيكم غُيب
وتتركون عدواً قد أحاط بكم ممن تجمع لا دين ولا حسب
لا عرب مثلكم في الناس نعرفهم ولا صريح موال ، ان هم نسبوا
قوم يقولون قولا ما سمعت به عن النبي ولا جاءت به الكتب
من كان يسألني عن أصل دينهم فان دينهم أن يقتل العرب (٢)

ولم تجد محاولات نصر في التغلب على الأحداث فقد أخذت الثورة تتسع ، وحواضر خراسان تسقط واحدة اثر أخرى ، وكان أبومسلم يطرب من النصر الذي أحرزه وينشد :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت
عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
ما زلت أسعى بجهدي في دمائهم
والقوم في غفلة بالشـام قد رقدوا

---

(١) تأريخ ابن الاثير ٤/٣٠٥
(٢) تأريخ ابن الاثير ٤/٣٠٤

حتى طرقتهم بالسيف فانتبهوا
من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما في أرض مسبعة
ونام عنها تولى رعيها الاسد (١)

وانبرت جيوش أبي مسلم تحتل المدن والحصون ، وتلحق بالعدو الخسائر الفادحة في الارواح والاموال ، ولم يستطع نصر الوقوف أمام تلك القوى الهائلة فانهزم راكباً جواده ، وسلك المفازة بين الري وهمذان فمات في مجاهلها كمداً (٢) .

واحتل أبو مسلم خراسان ، وما والاها من المدن والقرى ، واتجه بعد ذلك الى تحرير العراق ، وسارت جيوشه كالموج تخفق عليها الرايات السود التي هي شعار بني العباس ، فقامت باحتلال العراق من دون أن تلقى أي مقاومة ، وقد برزت بذلك حكومة بني العباس على يدي أبي مسلم .

اما الحديث عن سقوط الدولة الاموية ، ومقتل عاهلها مروان ومالاقاه الامويون من صنوف الجهد والتنكيل من بني العباس فسوف نتحدث عنه عند البحث عن عهد السفاح .

ان الحديث عن العوامل التي أدت الى سقوط الدولة الاموية أمر تقتضيه ضرورة البحث عن حياة الامام موسى (ع) فقد قطع شوطاً من حياته ، وهو يسمع بتلك الازمات الاجتماعية التي غيرت مجرى الحياة العامة فقد بلغ عمره الشريف حين سقوط الدولة الاموية احدى عشرسنة وهو دور يسمح لصاحبه أن ينقل الى دخائل نفسه كثيراً من المشاهدات والصور التي تمر عليه . وقد رأى انحراف الثورة عن مجراها فقد كان باعثها ارجاع

(١) وفيات الاعيان ١/٢٨٢

(٢) مروج الذهب ٢/٢٠٤

الحكم لأهل البيت (ع) حتى تنعم الأمة بالعدل والرفاهية والدعة والاستقرار ولكنها مع الاسف قد حملت الخلافة الى بني العباس ، وإذا بهم يمعنون في قتل العلويين ومطاردتهم ، والتنكيل بهم ، وإذا ببيوت العلويين يعمها الأسى والثكل والحداد ، ومن الطبيعي ان لذلك أثراً بالغاً في نفس الامام موسى(ع) فقد اترعت نفسه بالاسى الشديد والحزن العميق .

فى عهد السفّاح



واستقبلت الكوفة بيعة أبي العباس السفاح بكثير من الوجوم والقلق والاضطراب لان الدولة الاموية لا تزال قائمة ، وهي تسيطر على أغلب الاقاليم الاسلاميـــة ، والعاهل الأموي مروان معسكر على نهر الزاب في جيش ضخم يزيد على مائة الف من فرسان الجزيرة والشام والموصل ، وليس مع الخليفة العباسي سوى خراسان واطرافها ، والكوفة ولم تدخـــل البصرة ولا واسط في اطار البيعة . . . مضافاً الى أن الدعوة للخلافة انما كانت للرضا من آل محمد ، ولم يرد ذكر لبني العباس ، فان الجماهير انما خاضت التيارات النضالية من أجل العلويين الذين هم الركيزة الاولى للعدل الاجتماعي ، وضمان مصالح الأمة .

ولم يدر في خلد احد ان الخلافة تؤول الى بني العباس لأن النفوس كانت مترعة بالشكوك والريبة منهم ، فان منهم من عرف بالغدر والخيانة للامة في أدق ظروفها ، وأحرج ساعاتها ، كعبيد الله بن العباس الذي خان الله ورسوله بانضمامه الى معسكر معاوية في غلس الليل البهيم بعد أن قبض الرشوة ، وترك سبط النبي (ص) . . ومما زاد في ارتياب المسلمين منهم انهم كانوا مسالمين للحكم الاموي في جميع فتراته ، ولم يقوموا بأي عمل ايجابي في مناهضة جور الامويين وظلمهم .

وعلى أي حال فقد استقبلت الكوفة ـ في يوم الجمعة ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٢ هـ ـ موكب أبي العباس السفاح وهو متجه الى الجامع ، وبعـــد اداء فريضة الصلاة ارتقى ابو العباس أعواد المنبر ، وكان موعوكا فخطب الناس خطبة رائعة بليغة اثنى فيها على بني العباس ، وقد جاء فيها :

« يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم ، حتى أدركتم زماننـا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، واكرمهم علينا وقد زدتكم في

أعطياتكم مائة درهم فأنا السفاح المبيح ، والثائر المنيح ... » (١) .

وانبرى من بعده عمه داود بن علي فخطب في الناس خطاباً بليغاً أثنى فيه على بني العباس وذم فيه بني أمية ، وجاء فيه :

« أيها الناس : إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الامر لنكثر لجيناً ولا عقيانا (٢) ولا نحفر نهراً ، ولا نبني قصراً ، وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا ، والغضب لبني عمنا ، وما كرهنا من أموركم ، فلقد كانت أموركم ترمضنا (٣) ونحن على فرشنا . ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم واستنزالهم (٤) لكم واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليهم ، لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله (ص) وذمة العباس رحمه الله علينا أن نحكم فيكم بما انزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله (ص) ... » .

وأخذ يمني أهل الكوفة بالصلة والعطاء ، ويكيل لهم الوعود ، وقد أشرأبت اليه الاعناق ، واصغت اليه الاسماع ، وهو يؤكد لهم ان الدولة الجديدة ستحقق لهم العدل السياسي والعدل الاجتماعي ، وتسير فيهم بسياسة قوامها الحق المحض . . ثم نزل ابو العباس عن المنبر ومعه عمه داود بن علي حتى دخل قصر الامارة ، وبقي أبو جعفر المنصور في المسجد يأخذ البيعة فيه على الناس ، فلم يزل يأخذها عليهم حتى صلى بهم العصر ثم المغرب والعشاء الى ساعة متأخرة من الليل (٥) .

---

(١) في الطبري « والثائر المبير » .

(٢) اللجين : الفضة ، العقيان : الذهب الخالص

(٣) ترمضنا : أي تحرقنا

(٤) في الطبري « واستذلالهم »

(٥) تأريخ ابن الاثير ٣٢٥/٤

ولم يطل أبو العباس الاقامة في الكوفة التي هي مقر العلويين فخرج منها وأقام بمعسكر أبي سلمة الخلال - في حمام أعين - ، وبعدها أخذ في بناء (الهاشمية) لتكون عاصمة لدولته .

وقعة الزاب :

وحينما تولى ابو العباس السفاح منصب الخلافة ارسل قواته المسلحة بقيادة محمد بن عبد الله بن علي لقتال العاهل الاموي مروان الحمار ، وسار عبد الله يطوي البيداء بجيشه الضخم ، فالتقى بجيش العدو بالزاب قرب الموصل ، وكانت رايات بني العباس تحملها الرجال على الجمال البخت (١) وقد جعل لها بدلا من القنا خشب الصفصاف والغرب ، فلما رآها مروان ذهل وقال لمن حوله :

« أما ترون رماحهم كأنها النخل غلاظا ! ! أما ترون أعلامهم فوق هذه الابل كأنها قطع الغمام السود !! » .

وبينما هو ينظر اليها ، وقد طار قلبه رعباً وفزعاً اذ نفرت قطع كبيرة من الغربان السود ، فنزلت على اول عسكر عبد الله بن علي فاتصل سوادها بسواد تلك الرايات فصارت كالليـــل البهيم ، فازداد فزع مروان وانبرى يقول :

« أما ترون الى السواد قد اتصل بالسواد حتى صار الكل كالسحب السود المتكاثفة !! » .

وأقبل مروان على رجل الى جانبه فقال له : بنبرات تقطر فزعاً وخوفاً - ألا تعرفني من صاحب جيشهم ؟ » .

---

(١) البخت : نوع من الأبل الواحد بختي .

ـ عبد الله بن علي بن العباس بن عبد المطلب .

ـ ويحك أمن ولد العباس هو ؟

ـ نعم

ـ والله لوددت أن علي بن أبي طالب مكانه في هذا الصف .

لقد ايقن مروان بالمصير المحتوم ، وتمنى أن يكون الفاتح الامام امير المؤمنين (ع) ليقابلهم بالعفو والاحسان ، ويصفح عنهم ، ولم يفهم الرجل مقالة مروان ، ودار في خلده أنه يتهم الامام بالجبن فانبرى اليه قائلا :

ـ أتقول هذا لعلي مع شجاعته ؟

ـ ويحك ان علياً مع شجاعته صاحب دين ، وان الدين غير الملك ، وإنا نروي عن قديمنا أنه لا شيء لعلي ولا ولده في هذا » (١) .

واندلعت نار الحرب بين الفريقين ، وماعتمت جيوش الامويين ان تحطمت شر تحطيم ، فانهزم مروان وولى منكسراً مع بعض فلول جيشه حتى أتى الموصل فمنعه أهلها من الدخول اليها خوفاً من نقمة الجيش العباسي المنتصر وولى منهزما نحو حران ، ولكنه لم يستطع البقاء فيها فانحدر نحو مدينة حمص والجيش العباسي يلاحقه ، والتحق بدمشق فأراد واليها نصرته الا انه لم يستطع لضيق الوقت ، فقد زحف العدو وراءه ، فتوجه الى الاردن فوجدها قد رفعت اعلام بني العباس فحاد عنها ، ونزل في فلسطين ، وعلم مروان ان دمشق قد سقطت بأيدي العباسيين فاستولى عليه الرعب ، فترك مقامه في فلسطين واتجه الى مصر فنزل في قرية (بوصير) وأقام في كنيسة كانت فيها فأدركته كتائب صالح بن علي في ليلة مظلمة ، ودارت بين الفريقين معركة دامية قتل فيها مروان وانبرى اليه شخص من أهل الكوفة فاحتز رأسه

(١) شرح ابن أبي الحديد (١٣٤/٧) .

واستخرج لسانه فجاءت هرة فاختطفته منه (١) .

وانتهت بذلك الدولة الأموية التي حكمت بالظلم والجور ، وعاثت فساداً في الارض ، فاتخذت مال الله دولا ، وعباد الله خولا ، وقد انتقم الله منهم أمرّ الانتقام وأشده فجعل ملكهم هباءاً ونصرهم جفاءاً ، وكتب لهم الخزي والعار على ممر العصور الصاعدة .

وحمل رأس مروان الى أبي العباس السفاح فلما رآه سجد وأطال السجود ثم رفع رأسه ، وقال :

« الحمد لله الذي لم يبق ثأرنا قبلك وقبل رهطك ، الحمد لله الذي أظفرنا بك ، وأظهرنا عليك . ما أبالي متى طرقني الموت ، وقد قتلت بالحسين (ع) ألفاً من بني أمية ، وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد كما أحرقوا شلوه . ثم تمثل :

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ... ولا دماؤهم جمعا ترويني

وحول وجهه الى القبلة فسجد ثانية وتمثل :

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت ... قواطع في ايماننا تقطر الدما

اذا خالطت هام الرجال تركتها ... كبيض نعام في الثرى قد تحطما

والتفت الى حضار مجلسه فقال لهم : اما مروان فقتلناه بأخي ابراهيم وقتلنا سائر بني أمية بحسين ، ومن قتـــل معه ، وبعده من بني عمنا أبي طالب (٢) ، وقد رسخ بذلك ملك بني العباس وأصبح السفاح ملكاً على المسلمين في جميع أقطارهم .

---

(١) مختصر أخبار الخلفاء .

(٢) شرح ابن أبي الحديد (١٣١/٧) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هرب الأمويين :

ولما انهارت الدولة الأموية فزع الأمويون ، وامتلأت قلوبهم بالذعر والهلع فهام بعضهم على وجهه في البيداء ، ومن الهاربين عبدالله وعبيد الله ابنا مروان ، ومعهما لمة من نسائهم واصحابهم، فوافوا بلاد « النوبة » فأكرمهم عظيمها ، وأرادوا اللجوء الى بلاده فأبى خوفا من سلطة العباسيين ، فخرجوا خائفين حتى انتهوا الى « بجاوة » فقاتلهم عظيمها ، وانصرفوا يريدون اليمن وقد اترعت نفوسهم بالجزع والذعر فعرض لهم طريقان بينهما جبل فسلك كل واحد منهما في طريق وهما يعتقدان انهما يلتقيان بعد ساعة .

فسارا تمام اليوم فلم يلتقيا ، وراما الرجوع فلم يمكنهما ذلك ، فسارا أياماً فلقي عبيد الله (منسراً) من مناسر الحبشة فقاتلهم وأخيراً قُتـل عبيد الله واستأسر أصحابه ونهب الحبشيون جميع ماعندهم من الأمتعة وتركوهم عراة حفاة حتى هلكوا من العطش فكان الرجل منهم يبول في يده ويشربه ويبول ويعجن به الرمل ويأكله حتى لحقوا عبد الله بن مروان وقد ناله من العناء والشدة اكثر مما نالهم ومعـه عدة من حرمه وهن عراة حفاة قد تقطعت أقدامهن من المشي وشربن البول حتى تقطعت شفاههن وقد وافوا (المندب) فأقاموا به شهراً وجمع الناس لهم شيئا ثم خرجوا يريدون مكة وهم في زي الحمالين (١) .

لقد صب الله عليهم هذا العذاب الشديد والخوف المرهق فجعلهم من أعظم العظات والعبر لأعداء الشعوب .

---

(١) اليعقوبي : (ج ٣ ص ٨٤ ـ ٨٥) ، العقد الفريد : (ج ٣ ص ١٩٨ ـ ١٩٩) .

الإبادة الشاملة :

واخذت الحكومة العباسية تطارد الأمويين وتستأصل شأفتهم بغير هوادة ولا رحمة فأشاعت فيهم القتل وأبادتهم تحت كل حجر ومدر ، وفيما يلي بعض ما لاقوه من الابادة والتنكيل :

١ ـ في البصرة :

وقام سليمان بن علي في البصرة بقتل الأمويين والتنكيل بهم ، فأعدم منهم جماعة ثم أمر بهم فجروا بأرجلهم والقوا في الطرق حتى أكلتهم الكلاب ، وقد اختفى كثير منهم كعمر بن معاوية فقد بقي وقتا طويلا خائفا متستراً حتى ضاقت به الارض فالتجأ الى سليمان بن علي فوقف على رأسه وهو لا يعرفه فقال له وقد بدت عليه الذلة والانكسار :

ـ لفظتني البلاد اليك ، ودلني فضلك عليك ، فاما قتلتني فاسترحت وإما رددتني سالماً فأمنت .

ـ من أنت ؟

فعرفه بنفسه فرق له وقال له :

ـ مرحبا بك ، ما حاجتك ؟

ـ إن الحرم اللواتي أنت أولى الناس بهن ، وأقربهم اليهن قد خفن لخوفنا .

ـ حقن الله دمك ووفر مالك .

ثم آمنه وكتب بذلك الى السفاح فأقرّ أمنه (١) .

---

(١) الكامل : (ج ٥ ص ٢٠٦) .

٢ ـ في مكة والمدينة :

وقتل داود بن علي جماعة منهم بمكة والمدينة ، وقد انشده ابراهيم بن هرمة أبياتا يحفزه فيها على الاستمرار في تتبعهم والقضاء عليهم قائلا :

فلا عفا الله عن مروان مظلمة ولا أمية بئس المجلس البادي
كانوا كعاد فأمسى الله أهلكهم بمثل ما أهلك الغاوين من عاد
فلن يكذبني من هاشم أحد فيما أقول ولو أكثرت تعدادي(١)

وقد تأسف الشيخ محمد الخضري على ما صنعه بهم داود بن علي فقال : « حتى لم يبق منهم احداً ارضاء لشهوة الانتقام التي تمسكت في قلوب بني العباس ولم تخجلهم تلك الوحشية القاسية . . » (٢) .

لقد تأسف الخضري على مقتل الأمويين ولم يأسف على ما فعلوه بعترة النبي الأعظم من القتل والسبي ، وبما انزلوه بأحرار المسلمين من التنكيل والارهاق والتعذيب وغير ذلك من الفضائع والفضائح ، وكان من المحتم ان يلاقوا ذلك ، فقد كتب الله على الظالمين اللعنة والخزي ، و أجرى في قضائه انه لابد أن يلاقوا مصيرهم الحافل بالخسران وسوء المصير ، ولكن الخضري لاينظر الى الواقع إلا بمنظار أسود ، قد أكلت العصبية قلبه ، فهام بحب اسياده الأمويين فبكى لحالهم وتألم على مصيرهم .

٣ ـ في الحيرة :

ولما استتب الأمر الى أبي العباس أخذ يتتبع الأمويين فلم يظفر بأحد منهم حتى نفذ فيه حكم الاعدام لأجل تدعيم ملكه وسلطانه ، وإرضاء لأبناء عمومته العلويين ، ورعاية لعواطف اكثر المواطنين الذين نكبتهم السلطة

---

(١) مختصر تأريخ الخلفاء (ص ٤) .
(٢) المحاضرات : (ص ٤٩) .

الأموية ، وقد استأمنه سليان بن هشام بن عبد الملك فآمنه فدخل عليه في الحيرة ومعه جاعة من الأمويين ، وبينما هم جلوس إذ دخل عليه حاجبه فقال له :

« يا أمير المؤمنين : رجل حجازي أسود ، راكب على نجيب متلثم يستأذن ولا يخبر باسمه ، ويحلف أن لا يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك !! »

ـ هذا مولاي سديف فليدخل .

فدخل سديف ، فلما رأى السفاح وحوله بنو أمية قد جلسوا على النمارق والكراسي تحرق قلبه من الغيظ وانبرى مستأذناً منه ليتلو عليه أبياته الحماسية فأذن له فاندفع قائلا وهو مغيظ محنق :

أصبح الملك ثابت الآساس	بالبهاليل من بني العباس
بالصدور المقدمين قديماً	والرؤوس القماقم الرّواس
يا أمير المطهرين من الذم ويا	رأس منتهى كل رأس
أنت مهدي هاشم وهداها	كم أناس رجوك بعد إياس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً	واقطعن كل رقلة وغراس
انزلوها بحيث أنزلها الله	بدار الهوان والاتعاس
خوفهم أظهر التودد منهم	وبهم منكم كحز المواسي
واذكروا مصرع الحسين وزيداً	وقتيلا بجانب المهراس
والامام الذي بحران أمسى	رهن قبر ذي غربة وتناسي

وألهبت هذه الأبيات قلب السفاح فأخذ الغيظ منه مأخذاً عظيما حتى بان على سحنات وجهه فشعر بذلك بعض الأمويين فانطلق يقول :

« قتلنا والله العبد »

وأخذ السفاح يتحرق قلبه غيظاً وموجدة ، وصاح بالخراسانيين : خذوهم ، فانبرى اليهم الخراسانيون بالدبابيس فضربوهم ضرباً بالغاً حتى

سقطوا على وجوههم ، وأمر السفاح ان يمد عليهم خوان الطعام ، ففرش عليهم الخوان ، ووضع عليهم الطعام ، وجلس السفاح مع حاشيته يتناولون الغذاء وهم يسمعون أنينهم حتى هلكوا عن آخرهم وبدى الفرح على وجه السفاح فقال :

ـ ما أكلت في عمري أكلة أهنأ من هذه الأكلة . . » .

ثم رفع الطعام عنهم ، وسحبت جثثهم فرميت بالطرق فأكلت الكلاب أكثرها (١) وأطل عليهم سديف وهو مثلوج القلب ناعم الفكر فانبرى قائلا :

طمعت أمية أن سيرضى هاشم عنها ويذهب زيدها وحسينها

كلا ورب محمد وإلهــه حتى يبيد كفورها وخؤونها (٢)

ولما فرغ السفاح من قتل الأمويين ، ومحاهم من دنيا الوجود اندفع وهو جذلان مبتهج يقول :

بني أمية قد أفنيت جمعكم فكيف لي منكم بالأول الماضي

يطيِّب النفس ان النار تجمعكم عوضتم من لظاها شر معتاض

منيتم لا أقال الله عثرتكم بليث غاب الى الأعداء نهاض

إن كان غيظي لفوت منكم فلقد منيت منكم بما ربي به راضي

وهكذا كانت نهاية الظالمين واعداء الشعوب القتل والدمار والخزي والعار

نبش قبور الأمويين :

وتتبع العباسيون خصومهم الأمويين أحياءً فأبادوهم ـ كما ذكرنا ـ وانعطفوا على أمواتهم فنبشوا قبورهم ، وأحرقوا ما تبقى من عظامهم النخرة وجرى ذلك بعد ما احتلت الجيوش العباسية دمشق فأمر عبد الله بن علي القائد العام للقوات

(١) مختصر أخبار الخلفاء : (ص ١٠) .

(٢) العقد الفريد : (ج ٣ ص ٢٠٧) .

المسلحة بنبش قبورهم فنبشوا قبر الطاغية معاوية بن أبي سفيان فلم يجدوا فيه إلا خيطاً مثل الرماد ، ونبشوا قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا فيه جمجمة ونبشوا قبر يزيد بن معاية فوجدوا فيه حطاماً كأنه الرماد ، وأخرج جسد هشام بن عبد الملك فضرب بالسياط ، وصلب ثم أحرق وذر في الهواء (١)

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن الأمويين وما جرى عايهم من الاندحار والدمار

السفاح والعلويون :

ولم يكن من المتوقع عند احد ان يفوز العباسيون بالخلافة لأن الثورة الكبرى التي اطاحت بالحكم الاموي انما كانت من اجل العاويين ، فقد كانت هتافات المتظاهرين بالدعوة « الى الرضا من آل محمد » وكانت هذه الدعوة شعار الثوار الذين بذلوا المزيد من التضحيات في سبيلها ، وكان العباسيون أنفسهم لا يحلمون بذلك فقد بايع السفاح وأخوه المنصور محمداً ذا النفس الزكيـــة ، ولكن الاقدار قد حولت الأمر عن العلويين ، وحملته الى العباسيين .

ولما صفا الملك لأبي العباس جهد في ارضاء العلويين فمنحهم بالعطاء الجزيل ، وقابلهم بشتى الوان التبجيل والتكريم ، وقضى على خصومهم الامويين ، وكانت العلاقة فيما بينهما ظاهراً علاقة ود وصفاء ، واما في الواقع فان العلويين قد انطوت نفوسهم على الحزن العميق ، والأسى الشديد وذلك لمكيـــدة العباسيين بهم واستئثارهم بالخلافة من دون ان يأخذوا رأيهم في الأمر .

وعلى أي حال فان العاويين قد وفدوا على أبي العباس وهو في الانبار

(١) الكامل : (ج ٥ ص ٢٠٥) .

يهنئونه بالخلافة ، ولم يفد عليه محمد وابراهيم فرابه ذلك ، والتفت الى ابيهما عبد الله فقال له :

ـ ما منعهما أن يفدا مع من وفد علي من أهل بيتهما ؟

ـ ما كان تخلفهما لشيء يكرهه أمير المؤمنين .

فقبل السفاح العـــذر على مضض وكره ، ومما زاد في قلق السفاح واضطرابه من محمد وأخيه أنه لما بنى مدينة الانبار التي اتخذها عاصمة له دخلها مـــع أخيه أبي جعفر ، وعبد الله بن الحسن ، وهو يسير بينهما ، ويطلعهما على ما في المدينة من المصانع والقصور فظهرت من عبد الله فلتة فجعل يتمثل بهذين البيتين :

ألم تر جوشنا قد صار يبني قصوراً نفعها لبني نفيلة (١)

يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة (٢)

فتغير وجه أبي العباس ، فالتفت ابو جعفر المنصور الى عبـــد الله فقال له :

ـ أتراهما ابنيك والأمر صائر اليهما لا محالة ؟

ـ لا والله ما ذهبت ، ولا أردته ، ولا كانت الا كلمة جرت على لساني لم الق لها بالا .

وقد أوحشت هذه الكلمات قلب السفاح فلما عزم العلويون على الخروج الى يثرب اجزل لهم العطاء وبعث معهم رجلا من ثقاته فقال له : قم بانزالهم ولا تألُ في الطافهم ، وكلما خلوت معهم فاظهر الميل اليهم ، والتحامل علينا ، وعلى ناحيتنا ، وانهم احق بهذا الأمر منا ، واحص لي مايقولون وما يكون منهم في مسيرهم ومقدمهم .

---

(١) في زهر الآداب « الم تر حوشبا لما تبنى »

(٢) في المقاتل « ان يعمر الف عام »

وحينما وصل عبد الله الى يثرب اجتمع به وُلده ، وسألوه عن كل صغيرة وكبيرة فأخذ يشرح لهم الحالة ، وحفزهم على الثورة ، وكان ذلك الرجل حاضراً فحفظ جميـــع ما دار بينهم فلما عاد الى ابي العباس اطلعه على جميع ما شاهده من بني الحسن فوغر صدره عليهم ، واشتد غضب المنصور عليهم .

وأخذ الذين يتزلفون الى السلطة يختلقون السعايات ويفتعلون الوشايات بأن العلويين يدعون الناس الى خلع بيعـــة السفاح ، فضاق السفاح بذلك ذرعاً ، وكتب الى عبد الله كتاباً شفعه بهذا البيت :

أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

فأجابه عبد الله برسالة فند فيها تلك المزاعم ، وكتب في آخرها هذه الأبيات :

وكيف يريد ذاك وأنت منه   بمنزلة النياط من الفؤاد
وكيف يريد ذاك وأنت منه   وزندك حين يقدح من زناد
وكيف يريد ذاك وأنت منه   وأنت لهاشم رأس وهاد (١)

واطمأن بذلك ابو العباس ، وسكن روعه الا ان أبا جعفر المنصور كان يحثه ، ويدفعه الى الايقاع بمحمد وابراهيم فزجره السفاح وقال له :

« من شدد نفر ، ومن لان تأسف ، والتغافل من سجايا الكرام » (٢) وسلك مع العلويين مسلك السياسي المحنك فلم يقابلهم بأذى ولا مكروه ، بل كان يتظاهر بالود والعطف عليهم .

---

(١) تأريخ اليعقوبي (٩٧/٣)
(٢) شذرات الذهب (١٥٩/١)

موقف الامام الصادق :

وتميز موقف الامام الصادق (ع) بالحياد ، والالتجاء الى الدعة والسكون وعدم القيام بأي نشاط سياسي فانه كان يعلم باخفاقه ، وعدم عائدته على الأمة بأي مكسب سوى الضرر الشامل الذي يفتك بالمجتمع ويجر له كثيراً من النكبات والخطوب .

وقد أصر الامام على هذه الخطة السليمة في موقفه مع العاويين تارة ومع دعاة الدولة العباسية أخرى ، وفيما يلي ايضاح ذلك :

١ - مع العلويين :

واستشف الامام الصادق (ع) من وراء الغيب أن الخلافة بعد سقوط الدولة الاموية لابد أن تؤول الى العباسيين ، وليس للعاويين فيها أي نصيب وكان يمعن في نصحهم ، وتحذيرهم من التصدي لطلب الحكم ، وقد روى المؤرخون بوادر كثيرة مما أثر عنه في هذا المجال ، فقد رووا أن العلويين والعباسيين أيام الحكم الاموي اجتمعوا واتفقوا على أن يبايعوا محمداً ذا النفس الزكية ، فأرسلوا خلف الامام الصادق (ع) وعرضوا عليه ذلك فنهاهم عنه ، وقال لهم :

« لا تفعلوا فان الأمر لم يأت بعد » .

فغضب عبد الله بن الحسن وحسب ان ذلك حسد لابنه ، فنظر اليه الامام نظرة رحمة واشفاق وقال له :

« لا والله ، ما ذاك يحملني ، ولكن هذا - وأشار الى أبي العباس السفاح - واخوته وابناؤهم دونكم » .

ونهض الامام متأثراً ، فتبعه عبـد الصمد ، وأبو جعفر المنصور فقالا له :

« يا أبا عبد الله أتقول ذلك » ؟

« نعم والله أقوله وأعلمه » (١) .

وبالغ (ع) في نصحه لعبـد الله في ان يعزب عن هذا الأمر ، ولا يورط نفسه وابنيه فيه ، وقد قال (ع) له :

« انها - اي الخلافة - والله ماهي اليك ، ولا الى ابنيك ، ولكنها لهؤلاء - وأشار الى بني العباس - وان ابنيك لمقتولان » (٢) .

ان هذا العلم ، وهذا الايحاء مستمد من علم رسول الله (ص) فهم اوصياؤه وورثة علمه ، وسدنة حكمته ، وموطن أسراره .

لقد منح (ع) ابناء عمه بالنصيحة ، وأشـار عليهم بما فيه نجاتهم ، وأعلمهم بأنهم لن ينالوا هـذا الأمر ، ولو تابعوه لجنبوا نفوسهم المهالك والمصاعب ، وما فجعوا الأمة برزاياهم ، ولكنهم - رضي الله عنهم - لهم عذرهم - في ذلك - فقـد لاقوا المزيد من الذل والـهوان من تلك السلطات المستهترة التي لم تألُ جهداً في قهرهم وارغامهم على ما يكرهون فانطلقوا الى ساحات الجهـاد أحراراً وماتوا كراماً تحت ظلال الاسنة ، وسوف نعرض ذلك بمزيد من التفصيل عنـد البحث عن عهد الطاغية أبي جعفر المنصور .

٢ - مع أبي سلمة :

ولما اشرفت الدولة الأموية على الانهيار تحت وطأة الجيوش العباسية

(١) مقاتل الطالبيين : (ص ٥٥٥) .

(٢) نفس المصدر .

وضرباتها المتلاحقة لها ، رأى أبو سلمة الذي لقب بوزير آل محمد أن يحول الخلافة الى العلويين ، وسواء أكان ذلك عن جد واخلاص منه أم عن مكيدة وخديعة لهم ، فقد كتب الى ثلاثة منهم يعرض عليهم ما فكر به ، وهم : الامام جعفر بن محمد ، وعبد الله المحض ، وعمر الاشرف بن الامام زين العابدين (ع) وسلم رسائله الى مولى من مواليهم الذين يقطنون الكوفة وأوصاه بقوله :

« اقصد أولا جعفر بن محمد الصادق (ع) فان أجاب فابطل الكتابين الآخرين ، فان لم يجب فالق عبد الله المحض فان أجاب فابطل كتاب عمر الأشرف ، وان لم يجب فالق عمر » .

وانطلق الرسول حتى اذا انتهى الى يثرب بدأ بمقابلة الامام أبي عبدالله الصادق (ع) فسلمه الكتاب ليلا ، فتناول (ع) الكتاب بعد ما عرض عليه حديث أبي سلمة فقال (ع) :

« ما أنا وأبو سلمة وهو شيعة لغيري ؟ »

وانبرى الرسول للامام قائلا له :

« اقرأ الكتاب ، واجب عليه بما ترى »

فقال الامام لخادمه : ادن السراج مني ، فأدناه فوضع الكتاب على النار حتى احترق ، فقال له الرسول :

ـ ألا تجيبه ؟

ـ قد رأيت الجواب

وتمثل (ع) ببيت للكميت :

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ... ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده ، وأتى عبد الله بن الحسن ، ودفع اليه الكتاب فقرأه وابتهج ، فلما كان الغد من ذلك اليوم ركب عبد الله

حتى أتى منزل أبي عبد الله الصادق (ع) فقام (ع) تكريماً له وقابله بمزيد من الحفاوة وقال له :

- يا أبا محمد ما أتى بك ؟

- هو أجل من أن يوصف !!

- ما هو ؟

- هذا كتاب أبي سلمة يدعوني الى الخلافة ، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان .

فتأثر (ع) منه ، وقال له :

« يا أبا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعة لك أنت بعثت أبا مسلم الى خراسان ، وأنت أمرتهم بلبس السواد ؟ هل تعرف أحداً منهم باسمه او بصورته ؟ فكيف يكونون شيعة لك ، وأنت لا تعرفهم ، وهم لا يعرفونك ؟ » .

فأخذ عبد الله يحاججه ، ويجادله ، فقطع (ع) حديثه ، وقال له :

« قد علم الله أني أوجب النصح على نفسي لكل مسلم ، فكيف أدخره عنك ، فلا تمن نفسك الأباطيل ، فان هذه الدوله ستتم لهؤلاء - يعني بني العباس - وقد جاءني مثل هذا الكتاب الذي جاءك » (١) .

لقد كشف الامام في حديثه المشرق صفحة من صفحات الغد المجهول فأنارها بعلمه ، ولم يبق بها أي خفاء والتباس ، من حتمية مصير الخلافة لبني العباس ، وعقم المعارضة لهم ، وما انتهت حفنة من السنين حتى تحقق تنبؤه وصدقه في ذلك .

وعلى أي حال فقد كان رفض الامام لدعوة أبي سلمة يحمل جانباً كبيراً من الاصالة والعمق في مجريات الأحداث ، فان دعوة أبي سلمة ان

(١) مروج الذهب ١٨٤/٣ ، الأداب السلطانية (ص ١٣٧) .

كان جاداً فيها لم تكن بداعي الايمان بحق أهل البيت ، وانما كانت ناشئة عن دواع أخرى من ضياع مصالحـــه وآماله ، وإلا فلماذا لم يراسلهم قبل هذا الوقت الحافل بالاخطـار ، فان الجيوش العباسية التي زحفت الى احتلال العراق لم تكن شيعة للعلويين ، وانما هي شيعة لبني العباس قــد صهرتهم دعوتهم ، فكيف يستجيب الامام لدعوة أبي سلمة أو يسير في مجاهل هذه التيارات القائمة المحفوفة بالمهالك والاخطار . . على أن عبد الله ابن الحسن قد استجاب له ، فماذا جناه منه غير الدمار الشامل له ولأسرته

ولم يخف امر هذه الدعوة على بني العباس فقــد اوجبت قلقهم واضطرابهم وتصميمهم على قتله ، فقد روى المؤرخون ان ابا العباس وأبا جعفر المنصور قد اتفقا على ان يخرج المنصور الى خراسان لزيارة أبي مسلم ويحدثه في امر ابي سلمة ، ويطلب منه القيام باغتياله ، فخرج المنصور حتى انتهى الى ابي مسلم فعرض عليه الأمر فقال له : « أفعلها ابو سلمة ؟ أنا أكفيكموه » ثم دعا احد قواده « مرار بن أنس الضبي » ، وقال له : « انطلق الي الكوفة فاقتـل أبا سلمة حيث لقيته ، وانته في ذلك الى رأي الامام » فسار مرار مع جماعة من جنده الى الكوفة ، وكان ابو سلمة يسمر عند السفاح الذي تظاهر باعلان العفو والرضا عنه ، فجلس مرار مع جماعته في طريقه ، فلما خرج ابو سلمة في منتصف الليل بادر الى قتله ، وأشاعوا في الصباح ان الخوارج هي التي قتلته (١) وانتهى بذلك امر ابي سلمة في فجر مولد الدعوة العباسية .

---

(١) الطبري احداث سنة ١٣٢ هـ وقتل ابو سلمة في ١٥ من شهر رجب وذلك بعد هزيمة مروان بشهر واحد .

٣ - مع ابي مسلم :

ولما استبان لأبي مسلم واقع العباسيين وغدرهم حاول أن ينقل الأمر الى اهل البيت (ع) فكتب الى الامام الصادق رسالة جاء فيها :

« إني قد أظهرت الكلمة ، ودعوت الناس عن موالاة بني أمية الى موالاة اهل البيت ، فان رغبت فلا مزيد عليك . . » .

فكتب الامام (ع) جوابا له تمثلت فيه الحكمة والوعي ، والادراك لحقائق الأمور ، وقد جاء فيه :

« ما أنت من رجالي ، ولا الزمان زماني » (١) .

أجل كيف يكون أبو مسلم من رجال الامام أبي عبدالله الصادق (ع) الذي هو الثقل الأكبر في الاسلام ؟

ان اصحاب الامام ودعاته انما هم الاخيار المتحرجون في دينهم الذين يؤثرون طاعة الله على كل شيء .

كيف يرضى الامام ان يتسلم السلطة من أبي مسلم الذي استحل جميع ما حرم الله وسفك دماء المسلمين بغير حق ؟

ندم أبي مسلم :

لقد ندم أبو مسلم في آخر الأمر على ما اقترفه من الموبقات والآثام وعزى جميع ما فعله الى السفاح ، وقد جاء ذلك في رسالته التي رفعها الى أبي جعفر المنصور فقد جاء فيها :

« كنت اتخذت أخاك إماماً ، وجعلته على الدين دليلا لقرابته ،

(١) الملل والنحل ١/٢٤١

والوصية التي زعم انها صارت اليه ، فأوطأ بي عشوة الضلالة ، وأوهقني في ربقة الفتنة ، وأمرني ان آخذ بالظنة ، وأقتل على التهمة ، ولا أقبل المعذرة ، فهتكت بأمره حرمات حتم الله صونها ، وسفكت دماءاً فرض الله حقنها ، وزويت الأمر عن أهله ، ووضعته منه في غير محله ، فان يعف الله عني فبفضل منه ، وإن يعاقب فبما كسبت يداي ، وما الله بظلام للعبيد . . » (١) .

لقد كشف أبو مسلم في رسالته عن ندمه وبربرية السفاح وقسوته ، وان جميع ما فعله من سفك الدماء ، وهتك الحرمات ، وإذاعة الرعب ، ونشر الارهاب كل ذلك مستند الى أوامر السفاح .

وادلى ابو مسلم بتصريح آخر يقرب من ذلك رفعه الى ابي جعفر المنصور وقد جاء فيه :

« أما بعد : فاني اتخذت رجلا إماماً ، ودليلا على ما افترض الله على خلقه ، وكان في محلة العلم نازلا ، وفي قرابته من رسول الله (ص) ، قريباً فاستجهلني بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعاً في قليل قد تعافاه الله الى خلقه ، وكان كالذي ادلى بغرور ، وأمرني أن اجرد السيف ، وارفع المرحمة ولا أقبل المعذرة ، ولا أقيل العثرة ، ففعلت توطيداً لسلطانكم ، حتى عرفكم من كان يجهلكم ، وأطاعكم من كان عدوكم ، وأظهركم الله بعد الخفاء والذل والحقارة . . » (٢) .

واعرب ابو مسلم بهذا التصريح الخطير عما اتصف به السفاح من الخداع والتضليل ، وعدم الايمان بالقيم الانسانية .

وقد بلغ به وخز الضمير والندم على ما ارتكبه من عظيم الإثم انه

---

(١) تأريخ بغداد ١٠/٢٠٨

(٢) البداية والنهاية ١٠/٦٤

كان لا يرجو مغفرة الله له فكان يدعو بعرفات :

« اللهم : إني تائب اليك مما لا أظنك ان تغفر لي »

فقيل له : أفيعظم على الله غفران ذنبك ؟

فقال : إني نسجت ثوب ظلم ما دامت الدولة لبني العباس ، فكم من صارخة تلقني عند تفاقم الظلم فكيف يغفر لمن هذا الخلق خصماؤه (١) .

لقد أفسد ابو مسلم أمر آخرته ، وباع دينه في سبيل توطيد الملك لبني العباس ، وقد ندم حيث لا يجديه الندم ، فما كان الله ليتلطف بالعفو والغفران على من اراق بحوراً من دماء الابرياء بغير حق ، واشاع في بلاد المسلمين الثكل والحزن والحداد .

وفاة السفاح :

ومرض السفاح مرضه الذي توفي فيه ، وبقي أياماً يعاني أشد الآلام وأقساها .

ولما ثقل حاله ، واشتد به المرض ارسل الى ابن أخيه عيسى بن موسى ، وفي رواية الى عمه عيسى بن علي ، فناوله كتاباً مغلقاً ، وكتب على غلافه : « من عبد الله ووليه إلى آل رسول الله (ص) والأولياء وجميع المسلمين » وأوصاه بكتمان أمره اذا خرجت نفسه حتى يقرأ الكتاب على الناس ، ولم يكن احد يدري لمن اوصى بالخلافة من بعده (٢)

وفي ليلة الأحد الموافق : ١٢ ذي الحجة سنة (١٣٦ هـ) توفي

---

(١) الكنى والالقاب ١٥١/٢ نقلا عن ربيع الابرار .

(٢) تأريخ اليعقوبي : ٣٤٨/٣

السفاح (١) وانتقل الى الله فسجاه عيسى بن علي بثوبه ، وكتم على الناس موته ، فلما اصبح الصبح جمع رجال بني العباس ، وكبار رجال الدولة فنعى اليهم السفاح ، واخرج اليهم كتاب البيعة مغلقاً ، ففض الكتاب أمامهم واذا به يوصي بالخلافة لأخيه أبي جعفر ، وبولاية العهد الى ابن أخيه عيسى ابن موسى بن محمد ، واخذ البيعة على الحاضرين لأبي جعفر المنصور ، ثم قام بعد ذلك بمواراته فدفن في قصره حسب وصيته (٢) .

وانتهت بذلك حياة السفاح الحافلة بسفك الدماء ، وهتك الحرمات ، وقد ختم حياته بفرض اخيه المنصور خليفة على المسلمين ، وهو من أشر خلق الله ، وأخبث حاكم في الاسلام لؤماً وانحرافاً عن العدل ، فقد جهد في فقر المسلمين واشاعة الذعر والخوف في جميع انحاء العالم الاسلامي كما سنذكره بالتفصيل .

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن الامام موسى (ع) في عهد السفاح ، فرأى وهو في غضون الصبا وريعة العمر محنة المجتمع الاسلامي وشقاءه بتلك الادوار الرهيبة التي اجتازت عليه فانه لم ينتقل من جور الامويين وظلمهم حتى وقع تحت وطأة الحكم العباسي فأخذ يعاني الجور والاستبداد ، والعسف والارهاق ، واخذت السلطة العباسية تمعن في افقار المسلمين ونهب ثرواتهم وصرفها بسخاء على المجون والدعارة كما كان الحال أيام الحكم الاموي ، ومن الطبيعي ان لذلك أثراً كبيراً في حياة الامام موسى (ع) وانطوائها على الحزن والأسى .

---

(١) مروج الذهب : ١٨١/٣

(٢) ابن الأثير : ٣٤٧/٤

فِي عَهْدِ المَنْصُور



ولم تكن للمنصور اية سابقة من السوابق ، أو مأثرة من المآثر حتى يستحق الخلافة التي هي من اعظم المراتب في الاسلام، فلم يكن يملك أي نزعة انسانية أو صفة شريفة تؤهله للقيام بشؤون المسلمين ، فقد اجمع المؤرخون انه تسربل باللؤم والبخل ، وخسة الطبع ، ودناءة النفس ، وكان الغدر والفتك من ابرز مظاهر شخصيته ، وقد ساس المسلمين سياسة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر فأشاع بينهم الخوف والارهاق ، وسلبهم جميع مقوماتهم الاقتصادية ، حتى تمنوا رجوع الحكم الاموي ، وعودة أيامهم على ما فيها من قسوة وعذاب ، يقول احد مخضرمي الدولتين :

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار

وقال الثائر العظيم محمد ذو النفس الزكية في حديثه الذي أدلى به عن جور العباسيين وظلمهم :

« ولقد كنا نقمنا على بني أمية ما نقمنا ، فما بنو العباس الا أقل خوفاً لله منهم ، وان الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم ، ولقد كانت للقوم مكارم وفواضل ليست لأبي جعفر . . » (١) .

وقد افرط في سفك الدماء الى حد لا يوصف فقتل على الظنة والتهمة وتنكر لجميع الناس فلم تسلم منه حتى أسرته فأباد اعلامها وقطع رؤوسها ، ويعزى ذلك الى حقده وطيشه ، وقد وصفه الاستاذ السيد مير علي بقوله :

« كان المنصور خداعاً لا يتردد البتة في سفك الدماء ، وتعزى قسوته الى حقده البالغ حد الافراط في حين كان خلفه لا يفتك بأحد الا بعد كثير من التروي والامعان ، وعلى الجملة كان أبو جعفر سادراً في بطشه مستهتراً في فتكه ، وتعتبر معاملته لأولاد علي صفحة من أسوأ صفحات التأريخ العباسي ، ويقول السيوطي : كان المنصور أول من أحدث ثغرة الخلاف

(١) الأغاني : ١٠/١٠٦

بين العباسيين والعلويين بعد ان كانا كتلة واحدة » (١) .

ووصفه ابن هبيرة (٢) وهو من معاصريه بقوله : « ما رأيت رجلا في حرب او سلم أمكر، ولا أنكر ، ولا اشد تيقظا من المنصور حتى لقد حاصرني في تسعة شهور ومعي فرسان العرب فجهدنا كل الجهد على أن ننال من عسكره شيئاً فما قدرنا لشدة ضبطه لعسكره ، وكثرة تيقظه » (٣) .

وقد استطاع ببطشه وكيده أن يؤسس الدولة العباسية ، ويسيطر على جميع اجهزة الحكم سيطرة كاملة .

وكان من أقسى ما قام به من الظلم جوره البالغ على العلويين ، ومعاملتهم بما لا يوصف من العنف والاضطهاد فقد صب عليهم جام غضبه فنكل بهم أفظع التنكيل ، ولم يرع فيهم أواصر الرحم ، وقربهم من الرسول (ص) وقد شاهد الامام موسى (ع) ما حل باسرته من صنوف المحن والارهاق ، فكان لذلك أثره الكبير في نفسه فقد صارت موطناً للآلام والاحزان .

لقد قطع الامام موسى (ع) عقدين من سني حياته في دور المنصور

---

(١) مختصر تأريخ العرب (ص ١٨٤) .

(٢) ابن هبيرة : هو عمر بن سعد بن عدي الفزاري ولي العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين ، وكان يكنى أبا المثنى ، ويقول الفرزدق مخاطباً لعبد الملك في أمر ابن هبيرة :

أوليت العراق ورافديه ... فزارياً احذ يد القميص

تفتق بالعراق أبو المثنى ... وعلّم قومه أكل الخبيص

والمراد بقوله : « احذيد القميص » انه خفيف اليد كناية عن خيانته الكنى والألقاب ١/٤٣٤ نقلا عن المعارف لابن قتيبة .

(٣) العصر العباسي (ص ٦٨) .

فرأى تلك السياسة النكراء التي تحمل شارات الموت والفناء لجميع المواطنين . . . ولابد لنا من البحث عن مظاهر شخصية المنصور ، وسياسته واعماله فان البحث عن ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الامام موسى لأنه يصور لنا العصر الذي عاش فيه ، وما لاقى فيه المسلمون من جهد وعناء فان لذلك أثراً في انطباعاته عن كثير من الاحداث ، وفيما يلي عرض موجز للتعريف بشخصية المنصور :

مظاهر شخصية المنصور :

اما الخصائص التي عرف بها المنصور ، وكانت من مقوماته وذاتياته فهي :

١ ـ البخل :

ومما لا شبهة فيه ان البخل هو المنبع الوحيد لجميع الرذائل النفسية فصاحبه قد انمحت عن اعماق نفسه جميع الوان الاريحية والنبل ، وقد تحمل هذه الصفة على التمادي في الإثم ، وتلقيه في شر عظيم .

وكانت هذه النزعة الشريرة من ابرز صفات المنصور ، فقد كان مضرب المثل في بخله ، وقد عرض الدولة الاسلامية للمجاعة الشاملة والبؤس والحرمان ونظراً لبخله الشديد فقد لقب بالدوانيقي .

قال ابن الأثير : إنما سمي المنصور بالدوانيقي لبخله وذلك لما حفر الخندق بالكوفة قسط على كل منهم دانقاً وصرفه على الحفر ، والدانق سدس الدرهم ، ثم قال وفي سنة ١٥٥ هـ عمل المنصور للكوفة والبصرة سوراً وخندقاً وأمر لمن عمل بالسور والخندق لكل واحد خمسة دراهم ، فلما

فرغوا أمر بجمعهم وأخذ من كل واحد اربعين درهماً وفي ذلك يقول الشاعر

يا لقومي ما لقينا من أمير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا وجبانا الأربعينا (١)

ولما فرغ من بناء بغداد حاسب امراء جيشه والزمهم بما بقي عندهم حتى استوفى من بعضهم ما اقتضاه الحساب خمسة عشر درهماً (٢) وكان يحاسب العمال ولو كان بقدر الدانق والحبة (٣) ، واما مظاهر بخله فهي كما يلي :

أ ـ حرمانه لنفسه :

وقد حمله بخله ولؤمه على حرمان نفسه من التمتع بلذائذ الحياة فكان يتحاشى النعم ، ويلبس ما خشن من الثياب وربما رقع قميصه بيده ، وقد قال الامام الصادق (ع) فيه :

« الحمد لله الذي ابتلاه بفقر نفسه في ملكه » (٤) .

ورأته احدى جواريه وعليه قميص مرقع فقالت ساخرة منه :

« أخليفة وثوب مرقوع ؟ »

فضحك وقال لها : ويحك أما سمعت قول الشاعر بن هرمة :

قد يدرك الشرف الفتى وقميصه خلق وجيب قميصه مرقوع (٥)

إنه لم يدرك الشرف ، وانما انتهى الى قرار سحيق من الخسة واللؤم وضعة النفس .

---

(١) الكامل .
(٢) الفخري : (ص ١١٨) .
(٣) عنوان المجد : (ص ١٦١) .
(٤) الفخري : (ص ١١٥) .
(٥) تأريخ بغداد ٥٧/١

ب ـ الشح على الأصدقاء :

وكان المنصور ضنيناً بالمال على نفسه واصدقائه فلم يجد بشيء عليهم ولم يفكر في صلتهم ، فقد كان له زميل أيام فقره وفاقته وهو الوضين بن عطاء ، فاستدعاه حينما استولى على دست الحكم فلما مثل عنده أخذ يسأله عن حاله وشؤونه قائلا له :

« يا أبا عبد الله ما مالك » ؟

ـ الخير الذي يعرفه أمير المؤمنين .

ـ ما عيالك ؟

ـ ثلاث بنات وامرأة وخادم لهن .

ـ اربع في بيتك ؟

ـ نعم .

وأخذ يردد ذلك عليه ويستفهم عن كمية عياله حتى اعتقد الوضين انه سيصله ويمنحه العطاء ، ثم انه رفع رأسه اليه بعد تفكير طويل قائلا :

« أنت أيسر العرب ، أربع مغازل يدرن في بيتك !! (١) .

بهذه الكيفية المخجلة كانت نفسه الوضيعة التي تسربلت بالبخل واللؤم فليس فيها بصيص من نور الرأفة والرحمة .

ج ـ حرمان الادباء :

كانت الدولة الأموية تغدق بالأموال الطائلة على الشعراء والادباء حتى ازدهر الأدب وراج سوقه وكانت الأوساط الاجتماعية تنظر الى هذه الطبقة ببالغ الاهتمام نظراً لاعتناء الدولة واحتفائها بها ، ولما انتهى الدور الى المنصور بالغ في اذلالهم وتحطيمهم وحرمانهم من الصلة والدخول عليه ، فكان لا يؤذن لهم إلا بعـــد جهد كثير ، وقد وفد عليه أبو نخيلة ، فوقف بباب

(١) عصر المأمون : (ج ١ ص ٢٩٤) .

بلاطه مستأذناً فلم يأذن له بالدخول والخراسانيون وغيرهم يدخلون ويخرجون بلا عناية وهم يستهزئون به ويسخرون منه ، ورآه بعض اصدقائه وهو بتلك الحالة من الذل والهوان فقال له :

ـ كيف ترى ما أنت فيه من هذه الدولة ؟

فانبرى مجيباً بهذه الأبيات التي ارتجلها وهو يصور ماهو فيه :

أكثر خلق الله بي لا يدري ... من أي خلق الله حين يلقى

وحلـــة تنشر ثم تطوى ... وطيلسان يشترى فيغلى

لعبد عبد او لمولى مولى ... ياويح بيت المال ماذا يلقى (١)

إن الذي دعا المنصور الى الاستهانة بهذه الطبقة المثقفة هو البخـــل والشح .

وروى المؤرخون من شحه وقطيعته للشعراء : أن المؤمل بن أميـل قدم على المهدي ولي عهد المنصور فمدحه بقصيدة رائعة ملكت مشاعره فأعطاه عشرين الف درهم ، ورفع صاحب البريد رسالة الى المنصور يحيطه علما بالامر ، فلما انتهت اليه وعلم بالحال تميز غيظاً ورفع من فوره رسالة الى ولده يندد فيهـــا بفعله وقد جاء فيها « انما كان ينبغي لك أن تعطي الشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم » .

وكتب الى كاتب المهدي ان يبعث اليه الشاعر فوراً فطلبه الكاتب فلم يظفر به ، فأخبره أنه توجه الى مدينة السلام ، فبعث احد ضباط جيشه مع دورية من الشرطة وأمرهم بالقاء القبض عليه فأقاموا بجسر النهروان فلا يجتاز عليهم احد الا سألوه عن اسمه ، فاجتاز عليهم المؤمل فسألوه عن اسمه فأخبرهم به ، فألقوا عليه القبض فكادت روحه أن تزهق من الخوف والذعر وجاءوا به الى الربيـــع حاجب المنصور فانبرى الى المنصور فأخبره

(١) الأغاني : (ج ١٨ ص ١٤٨) .

بالعثور عليه ، فأمر بادخاله فلما مثل بين يديه التفت اليــه وهو مغيظ محنق قائلا :

- أنت المؤمل بن أميل ؟

- نعم اصلح الله أمير المؤمنين .

- هيه ، أتيت غلاماً غراً فخدعته ! ! .

- نعم أصلح الله أمير المؤمنين ، أتيت غلاماً كريماً فخدعته فانخدع

فهدأت ثورة المنصور وسكن غضبه ، ثم امره بأن يتلو عليــه قصيدته فانبرى منشداً :

هو المهدي إلا أن فيه   مشابه صورة القمر المنير

تشابه ذا وذا فهما إذا ما   أنارا مشكلان على البصير

فهذا في الظلام سراج ليل   وهذا في النهار سراج نور

ولكن فضل الرحمن هذا   على ذا بالمنابر والسرير

وبالملك العزيز فذا أمير   وما ذا بالأمير ولا الوزير

ونقص الشهر يخمد ذا وهذا   منير عند نقصان الشهور

فيابن خليفة الله المصفى   به تعلو مفاخرة الفخور

لئن فُتَّ الملوك وقد توافوا   اليك من السهولة والوعور

لقد سبق الملوك أبوك حتى   بقوا من بين كاب أو حسير

وجئت وراءه تجري حثيثاً   ومابك حين تجري من فتور

فقال الناس ماهذان إلا   بمنزلة الخليق من الجدير

لئن سبق الكبير فأهل سبق   له فضل الكبير على الصغير

وإن بلغ الصغير مدى كبير   لقد خُلق الصغير من الكبير

فلم يملك المنصور اعجابه بهذه المقطوعة الرائعة التي احتوت على أجمل آيات المدح والثناء فقال له :

« والله لقد احسنت ! ! ولكن هذا لا يساوي عشرين الف درهم أين المال ؟

فأجابه بالحضور ، وهو يرعد من الخوف والذعر ، فأمر حاجبه بقبضها واعطائه اربعة آلاف درهم ، فامتثل الحاجب ذلك .

ودلت هذه البادرة على ضعة نفسه وحرصه الذي ينم عن نفس لاعهد لها بالاريحية والنبل .

وروى المؤرخون من بخله انه كان في طريقه الى مكة فطلب أن يؤتى له بحاد يحدو به ، فجيء لـه بسلم الحادي فحدا به ، فطرب حتى كاد ان يسقط من الراحلة ، فاجازه بنصف درهم ، فأنكر عليه ذلك وقال له :

ـ يا أمير المؤمنين لقد حدوت بهشام بن عبد الملك فأجازني عشرة آلاف درهم ! !

فنظر اليه المنصور بحنق وقال له :

ـ ما كان له ان يعطيك من بيت المال .

وأمر حاجبه الربيع بأن يقبضها منه ، فاخذ سلم يتوسل اليه ويحلف له أنه لم يبق من تلك الاموال شيء ، وما زال يتوسل بالمنصور حتى تركه وشرط عليه ان يحدو به ذهابا وإيابا بغير ثمن (١) ، ويقول بشر المنجم دعاني أبو جعفر يوما عند المغرب فبعثني في بعض الأمر ، فلما رجعت رفع ناحية مصلاه فاذا دينار فقال : خذ هذا واحتفظ به فاخذته فهو عندي الى الساعة مخافة أن يطالبني به لأنه لم يقل خذه لك (٢) .

ولما اصدر المرسوم الملكي الذي يقضي بأن تلبس الرعية القلانس الطوال

---

(١) الاغاني ١٣/١١٠ ، تأريخ الخلفاء (ص ٢٦٧) .

(٢) الطبري : احداث سنة ١٥٨ .

المفرطة اندفع الشاعر الفكهي أبو دلامة يعرض ببخل المنصور قائلا :

وكنــا نرجي من إمام زيادة   فزاد الامام المصطفى في القلانس
نراها على هام الرجال كأنهـا   دنان يهود جللت بالبرانس (١)

لقد جهد المنصور في احتكار أموال الأمة وكنزها ، وعدم انفاق أي شيء منها على المصلحة العامة مما أشاع الفقر والبؤس في جميـع أنحاء البلاد .

د - مع المهدي :

كان المهدي آثر الناس عند المنصور وأقربهم اليـه حتى جعله ولي عهده ، وقد قابله بالجفـاء على ابسط قضية مادية ، فقد حدّث واضح مولاه قال اني لواقف يوماً على رأس أبي جعفر اذ دخل عليــه المهدي وعايه قباء أسود جديد فسلم وجلس ، ثم قام منصرفاً فاتبعه ابو جعفر ببصره لحبه له واعجابه به ، فلما توسط الرواق عثر بسيفه فتخرق سواده ، فقام ومضى لوجهه غير مكترث به ، فلما نظر المنصور الى ذلك فقـد صوابه ، فأمر برده فاندفع اليه بشراسة وقد استولى عليه الغضب فهاجمه قائلا له :

« يا أبا عبد الله : استقلالا للمواهب ! ! أم بطراً بالنعمة ، أم قلة علم بالمصيبة ؟ كأنك جاهل بما لك وما عليك . . » (٢) .

لقد ساق لولده هذا اللون من العتب المر من اجل أمر زهيد لا يعني به اغلب الناس .

وروى واضح انه دخل على المنصور فقال له : انظر ما عندك من الثياب الخلقان ، فاجمعها فاذا علمت بمجيء المهدي فجئني بها قبل أن يدخل وليكن معها رقاع ، ففعلت ، فدخل المهدي فوجد اباه يقدر الرقاع على

---

(١) تأريخ الخلفاء : (ص ٢٦٢) .
(٢) عصر المأمون : (ج ١ ص ٩٣) .

خروق الثياب فضحك وقال له :

يا امير المؤمنين من ها هنا يقول الناس : نظروا في الدينار والدرهم ولم يقل الدانق لئلا يثير عواطفه ، فقال له المنصور : انه لا جديد لمن لا يصلح خلَقه ، وهذا الشتاء قد حضر ، ونحتاج الى كسوة للعيال والولد ، فقال المهدي : علي كسوة امير المؤمنين وعياله وولده ، فقال له دونك فافعل (١) .

وروت جاريته خالصة قالت : دخلت على المنصور فاذا هو يتشكى وجع ضرسه ، فلما سمع حسي قال : ادخلي فدخلت ، واذا هو واضع يده على صدغيه ، فسكت ساعة ، ثم قال لي :

ـ يا خالصة كم عندك من المال ؟

ـ الف درهم .

ـ ضعي يدك على رأسي واحلفي .

فخافت منه ، وقالت : عندي عشرة آلاف دينار ، فقال : احمليها إلي ، فدخلت على المهدي والخيزران فأخبرتهما بما حدث فركلها المهدي برجله ، وقال لها ما ذهب بك اليه؟ مابه من وجع ، ولكني سألته بالأمس مالا فتمارض ، احملي اليه ما قلت له ، ولما جاءه المهدي قال له : يا أبا عبدالله تشكو الحاجة ، وهذا المال عند خالصة (٢) .

لقد قابل ولده المهدي بكثير من الجفاء ، وهو آثر الناس عنده وسبب ذلك حرصه ، وخساسة طبعه .

هـ ـ مع الفقيه ابن السمان :

وكان الفقيه ازهر السمان صديقاً للمنصور قبل أن يلي الخلافة ، فلما

---

(١) تأريخ الطبري .

(٢) الطبري : أحداث سنة ١٥٨ هـ

صارت اليه قصده ، فقال له المنصور :

ـ ما حاجتك ؟

ـ علي دين أربعة آلاف درهم ، وداري مستهدمة ، وابني يريد البناء بأهله .

فأمر له بمبلغ من المال ، ونهاه عن المجيء اليه فقال له :

ـ لا تأتنا طالب حاجة بعد هذا .

ـ افعل .

ومضت اشهر معدودة فعاد ابن السماك اليه فنظر اليه المنصور بنظرات تقطر غيظاً وقال له :

ـ ما جاء بك ؟

ـ لم اجيء طالب حاجة ، ولكن مسلما .

ـ أظنك أتيتنا لما أتيتنا له في المرة الاولى . . لا تأتنا طالب حاجة ، ولا مسلما وأمر له بصلة .

وخرج ابن السماك ، ولكنه لم يلبث ان عاد اليه ثالثة ، فقال له المنصور :

ـ ما جاء بك ؟

ـ لم آت طالب حاجة ، ولا مسلما ، ولكن دعاءً سمعته منك قبلا أحببت ان آخذه عنك .

ـ لا تأخذه فانه غير مستجاب ، لأني قد دعوت الله ان يريحني من خلقتك فلم يفعل ، وصرفه ولم يعطه شيئاً (١) .

و ـ مع عماله :

وقابل المنصور عماله بمزيد من الحرمان والضيق ، وقد ذكر المؤرخون

(١) الطبري : احداث سنة ١٥٨ ﻫ

بوادر كثيرة من عسفه معهم ، فقد رووا انه ولى رجلا عملا في ناحية فأتمه ، ودخل عليه فقدم له الحساب ، وقام لينصرف فقال له المنصور :

ـ أشركتك في أمانتي ، ووليتك فيئاً من فيء المسلين فخنته .

ـ أعيذك بالله يا امير المؤمنين ما صحبني من ذلك شيء الا درهم في كمي ، صررته لكي اكتري به بغلا يوصلني عيالي ، فادخل بيتي ، وليس معي شيء من مال الله ، ولا مالك .

فقال له المنصور : ما أظنك الا صادقاً ، هلّم درهمنا فأخذه منه ووضعه تحت لبده (١) .

ورفع اليه عامله زياد بن عبد الله الحارثي رسالة يسأله فيها الزيادة في عطائه ، وكانت الرسالة في منتهى البلاغة والفصاحة فأعجب بها المنصور ، ووقع عليها :

« ان الغنى والبلاغة إذا اجتمعا في رجل ابطراه ، وامير المؤمنين يشفق عليك من ذلك فاكتف بالبلاغة » (٢) .

لقد انتهى المنصور في بخله الى حضيض من الشح واللؤم ماله من قرار فكان به من سيئات الدنيا ومساوىء الملوك .

أسباب حرصه :

إن هذا البخل البالغ حد الافراط في نفس المنصور ناشيء عن خبث ذاته وخسة طبعه ، وعدم ايمانه بالله .

وتحدث المنصور أمام حاشيته وخواصه عن الاسباب التي دعته ان

(١) الطبري

(٢) تأريخ الخلفاء : (ص ٢٦٧)

يمعن في افقار الرعية ، والضيق عليها قائلا :

صدق ابن الاعرابي حيث يقول : « اجع كلبك يتبعك » .

فانبرى اليه أبو العباس الطوسي فرد عليه قائلا :

« يا أميرالمؤمنين أخشى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك » (١)

حفنة من التراب على المنصور وعلى كل حاكم يستهين بحقوق الشعب لقد جعل الطاغية الجبار اخضاع الشعب منحصراً في جوعه وفاقته لا بنشر العدل والرفاهية بين ابنائه .

وتحدث المنصور عن الاسباب التي دعته الى احتكار الاموال الضخمة في خزائنه من دون ان ينفق منها شيئاً على المصالح العامة فقال :

« من قلّ ماله قل رجاله ، ومن قل رجاله قوي عليه عدوه ، ومن قوي عليه عدوه اتضع ملكه ؛ ومن اتضع ملكه استبيح حماه . . » (٢)

وهكذا كانت فكرته الخاطئة مبنية على ادخار الأموال ، وعدم انفاقها على المسلمين . . انه من دون شك من ابرز من عناهم الله تعالى بقوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (٣) .

---

(١) عصر المأمون ٩٣/١

(٢) تأريخ اليعقوبي ١٢١/٣

(٣) سورة التوبة آية : ٣٤ و ٣٥

استبداده :

كان المنصور في جميع ما يتعلق بمملكته مستبداً لا يستشير احــداً فيما يتصرف فيه ، واذا أدلى عليه احد برأي خالفه ، فقد روى المؤرخون انه احضر ابن أخيه عيسى بن موسى وأمره بقتـال محمد بن عبد الله فقـال له عيسى :

« يا أمير المؤمنين : شاور عمومتك » .

فزجره قائلا له : اين قول ابراهيم بن هرمة .

تزور امرىء لا يمخض القوم سره — ولا ينتجي الأذنين فيما يحاول

اذا ما أتى شيئاً مضى كالذي أتى — وإن قال إني فاعل فهو فاعل

ثم قال : « امض أيها الرجل فوالله ما يراد غيري وغيرك : وما هو إلا أن تشخص او أشخص أنا » .

بمثـــل هذا الاعتزاز بالنفس كان يتحكم في رقاب المسلمين وفي جميـــع امكانياتهم ، وكان يتمثل دائماً بقول الهيثم بن عدي لينوه عن طغيانه واستبداده :

إن قناتي لنبع لا يؤيسها — غمز الثقاف ولا دهن ولا نار

متى أجر خائناً تأمن مسارحه — وإن أخف آمنـاً تقلق به الدار

سيروا إلي وغضوا بعض أعينكم — إني لكل امرىء من جاره جار(١)

ودل ذلك على مدى ما يحماـــه من طيش وغرور واستبداد بشؤون المسلمين ، وقد ادت هذه السياسة الملتوية الي نشر الرعب واذاعة الفزع بين جميع الناس .

---

(١) الطبري : (ج ٩ ص ٣١٦) .

فتكه :

كان الفتك والاغتيال من عوامل الاستمتاع النفسي عند المنصور فكان ألذ شيء عنده سفك الدماء ، وقد تمادى في ذلك بقسوة وجفاء لم يعرف لها نظير في تأريخ المجازر البشرية :

إنه لم يلج في دخائل نفسه بصيص من نور الرأفة والرحمة فكان يطربه عويل اليتامى ، ونوح الأيامى ، وأنين الجرحى .

لقـــد عمد هذا الطاغية السفاك الى اغتيال جماعة من رؤوس دولته ، وبناة سلطانه ممن كان يحذر منهم ، ويخشى بأسهم ، ونعرض فيما يلي لبعضهم

١ ـ ابو مسلم :

ولم تقم الدولة العباسية إلا على أكتاف أبي مسلم فهو باعثها ومؤسسها وغارس بذرتهـا ، ولولا جهوده لم يرفع لبني العباس علم ، ولم يذكر لهم اسم ، وقد تنكر له المنصور فجازاه جزاء سنمار ، فاستدعاه وآمنه وقابله بمزيد من الحفـاوة والتكريم وانزله قصراً من قصوره ودعا رئيس حرسه عثمان بن نهيك ، وشبيب بن واج ، وابو حنيفة حرب بن قيس وقال لهم : تكونوا خلف الرواق إذا دخل علي أبو مسلم فاذا صفقت بيدي ، دخلتم فقتلتموه ، واقبل ابو مسلم على عادته فأجلس في الحجرة المجاورة ، وأخبر بأن المنصور في شغل فجلس ملياً ثم اذن له بالدخول فدخل وسلم عليه ، فنظر اليـــه نظرة انتقام وغيظ ، وقال له : اخبرني عن تقدمك إياى بطريق مكة ؟

- كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس .

وأخذ يعدد عليه اعماله المنكرة ، ويعاتبه وأبو مسلم يعتذر عن ذلك ، ولما طال عتابه له قال أبو مسلم :

- لا يقال هذا لي بعد بلائي وما كان مني !!

فصاح به المنصور يا ابن الخبيثة ، والله لو كانت أمة مكانك لاجزأت إنما عملت في دولتنا ، وبريحنا ، فلو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلا ، وابو مسلم يعتذر منه ، ولم يجد معه الاعتذار ، وصفق عالياً بيده فدخل القوم عليه وبأيديهم السيوف ، وشعر أبو مسلم بالموت يدنو منــه فقال متوسلا بالمنصور :

- استبقني لعدوك

- وأي عدو اعدى لي منك

فأخذته السيوف ، وهو يصيح العفو :

وأجهز عليه القوم فقتلوه ، وأخذ المنصور يرتجل :

زعمت أن الدين لا يقتضى   فاستوف بالكيل أبا مسلم

سقيت كأساً كنت تسقي بها   أمر في الحلق من العلقم (١)

وأمر أن ترمى جثته في نهر دجلة فالقيت فيه (٢) وطويت بذلك حياة أبي مسلم غدراً على يد المنصور ، وقــد خسر أبو مسلم بذلك أمر آخرته ودنياه وذلك هو الخسران المبين .

---

(١) ابن الاثير : ٣٥٥/٤

(٢) اليعقوبي : ٣٩٩/٢

٢ ـ عبد الله بن علي :

واعطى المنصور عمه عبد الله بن علي أمانا بأن لا يفتات به بعد ما ثار عليه ، ولكنه خاس بعهده ، فقد دعا ولي عهده عيسى بن موسى ، وقال له : خذ اليك عبد الله بن علي ريثما أعود من مكة ، ولا تثقل عليه ، فانه عمي وأخو الحاضرين من شيوخ آل بيتك ، ثم دعاه سراً وقال له : يا عيسى إن هذا أراد أن يزيل الخلافة عني وعنك ، وانت ولي عهدي ، والخلافة صائرة اليك ، فخـــذه واضرب عنقه واياك ان تخور وتضعف ، فتنقض علي أمري الذي دبرت ثم مضى الى الحج (١) .

وشاور عيسى بن موسى كاتبه يونس بن أبي فروة وأخبره بالأمر ، فقال له يونس :

« إن هذا الرجل قد دفع اليك عمه علانا أمام ذويه ، وأوصاك سراً بقتله ، فهو يريد ان يقتله على يدك ، ثم يقيدك به فيقتلك ، والرأي أن تستره في منزلك فلا تطلع على أمره أحداً ، وترسل الى المنصور انك قد قتلته ، فان طالبك به علانية دفعته علانية ، واياك أن تأتي به سراً » (٢)

وفعل عيسى ذلك ، وشاع بين العباسيين أنه قد قتله ، ولما عاد المنصور من مكة ، توافد عليه بنو العباس ، وكلموه في شأن عمه ، فقال لهم : اني اعطيته أمامكم الى ولي عهدي ، وأوصيته به وقد سألته فقال قـــد مات :

ودعا بعيسى فلما مثل عنده صاح به :

ـ لمَ قتلت عمي ؟

---

(١) الطبري : ٦/٢٦٦

(٢) الطبري :

ـ أنت أمرتني بقتله

ـ لم آمرك بذلك

ـ هذا كتابك إلي فيه

ـ لم اكتبه

ولما رأى الجد من المنصور خاف على نفسه ، فقال له : هو عندي فقال : ادفعه الى أبي الأزهر المهلب بن أبي عيسى ، فلم يزل عنده محبوساً ثم أمره بقتله ، فدخل عليه ، ومعه جارية فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات ثم مده على الفراش ، وانعطف على الجارية ليقتلها ، فقالت له :

« يا عبد الله قتلة غير هذه القتلة ؟ »

فأشاح بوجهه عنها ، ثم أمر بها فخنقت ، ووضعها معه على الفراش وأدخلت يدها تحت جنبه ، ويده تحت جنبها كالمعتنقين ، ثم أمر بالبيت فهدم عليهما وأحضر القاضي ابن علام مع جماعة للاطلاع على الأمر ، وأخرجت الجثتان فدفنتا في مقرهما الاخير (١) .

٣ ـ محمد بن أبي العباس :

واتخذ المنصور طبيباً نصرانياً استعان به على قتل من لا يحب أن يتجاهر بقتله ، وكان الطبيب فظاً غليظ القلب ، قد اغتال جملة من الابرياء في وصفاته الطبية حسب أمر المنصور له ، وممن اغتالهم محمد بن أبي العباس فقد أوعز اليه المنصور بذلك فصنع له سماً قاتلا ، وانتظر علة تحدث فيه فعرضت له حرارة في بدنه ، فراجعه ، فأعطاه ذلك السم فلما تناوله تقطعت أمعاؤه ، وهلك من فوره ، فرفعت أمه شكواها الى المنصور ، فأمر بضربه

(١) مروج الذهب : ٣/٢٣٠

ثلاثين سوطا ، وسجنه أياما ، ثم اطلق سراحه ، ووهبه ثلاثمائة دينار .

هذه بعض اغتيالات المنصور وهي تدل على نفس شريرة لا عهد لها بالعفو والرحمة ، فقد كان بامكانه ان يقابلهم بالاحسان ، ويجعلهم تحت الرقابة إن خاف منهم الخروج على سلطانه ، ولكن ذلك بعيد عن نزعاته المترعة بالحقد والقسوة .

موبقاته :

وحفل تأريخ هذا الطاغية السفاك بسجل من الجرائم والموبقات ، فقد تفجرت سياسته بكل ما خالف كتاب الله وسنة نبيه ، فروع المسلمين ، واشاع الرعب والفزع والخوف في جميع انحاء البلاد ، وقضى على الحياة الفكرية والاجتماعية في الاسلام ، ونعرض فيما يلي الى بعض موبقاته :

١ - ترويع المدنيين :

وقابل المنصور أهالي يثرب بمزيد من الاضطهاد والعنف والجور ، وسلبهم جميع مقوماتهم الاقتصادية فقطع عنهم الميرة في البر والبحر (١) وأراد بهذه الحرب الاقتصادية أن يشغلهم بالبؤس والمجاعة عن مناهضته والانكار على سياسته ، وقد ولى عليهم رباح بن عثمان المري وكان فظاً غليظ القلب تنفر منه النفوس لشراسة طبعه ، وحينما ولاه المنصور جمع الناس ، ونزا على المنبر فأعلن لهم سياسته الارهابية الحاملة لشارات الموت والعذاب قائلا :

---

(١) ابن الأثير : ٢٦١/٥

يا أهل المدينة أنا الافعى ابن الافعى ، ابن عثمان بن حيان : ابن عم مسلم بن عقبة ، المبيد خضراءكم ، والمفني رجالكم ، والله لأدعها بلقعاً لا ينبح فيها كلب . . . » .

انه الطغيان الفاجر ، والاستهتار بحياة الناس ، وكراماتهم ، فالابادة الشاملة واخلاء الوطن من أهله هو الشعار الذي يسوس به البلاد ، وساعد الله المسلمين على هذه المحن والخطوب التي تذيب لفائف القلوب ، وتذوب النفوس لهولها أسى وحسرات .

ولم ينه هذا الوحش الكاسر هذه الكلمات القاسية حتى اندفع جمع من الأحرار الذين غامروا بحياتهم فردوا عليه بأعنف القول قائلين بلسان واحد :

« والله يا ابن المجلود حدين لتكفن أو لنكفنك عن أنفسنا »

ورفع هذا الوغد الأثيم بالفور رسالة الى العاهل العباسي يعرفه فيها بخروج أهل المدينة عن الطاعة واصرارهم على التمرد والعصيان ، ولما انتهى اليه الكتاب كتب لأهل المدينة رسالة ملأها بالانذار والوعيد ، وأمر عامله أن يتلوها عليهم ، فلما وصلت اليه ، جمعهم وقرأها عليهم وقد جاء فيها :

« يا أهل المدينة ، إن واليكم كتب إلي يذكر غشكم ، وخلافكم وسوء رأيكم ، واستمالتكم على بيعة أمير المؤمنين ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا ليبدلنكم بعد أمنكم خوفاً ، وليقطعن البر والبحر عنكم ، وليبعثن عليكم رجالا غلاظ الأكباد ، وبعاد الأرحام بنو (١) قعر بيوتكم يفعلون مايؤمرون والسلام » .

واندفع جمع من الغيارى والأحرار الى معارضته قائلين :

« كذبت ياابن المجلود حدين »

---

(١) كذا في الأصل ، وفي الهامش « ينوون » ولعل الصحيح « يثورون » في قعر بيوتكم .

ثم انهم رموه بالحصا من كل جانب فولى خائفاً الى مقصورته فأغلقها عليه ، واعتصم بها فدخل عليه أيوب بن سلمة المخزومي أحد أذناب السلطة وهو يدعوه الى التنكيل بالثائرين قائلا :

« أصلح الله الأمير ، انما يصنع هذا رعاع الناس ، فاقطع أيديهم واجلد ظهورهم . . » .

وأشار عليه بعض من حضر من الهاشميين بعدم الاعتناء بمقالة هذا العبد الذي تنكر لوطنه وأبناء بلاده ، وأشاروا عليه أن يرسل خلف الوجوه والأشراف فيقرأ عليهم رسالة المنصور ليرى رأيهم فيها ، فاستجاب لذلك فأرسل خلفهم وقرأ عليهم كتاب المنصور ، فانبرى اليه حفص بن عمر بن عبد الله ابن عوف الزهري ، وأبو عبيدة بن عبد الرحمن الأزهر فقالا له :

« كذبت والله ما أمرتنا فعصيناك ، ولا دعوتنا فخالفناك . . »

ثم التفتا الى ممثل المنصور ورسوله :

« أتبلغ أمير المؤمنين عنا ؟ »

ـ ما جئت إلا لذاك .

ـ قل له : أما قولك : إنك تبدل المدينة وأهلها بالأمن خوفاً ، فان الله عز وجل وعدنا غير هذا ، قال الله عز وجل : « وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنـــاً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » فنحن نعبده لانشرك به شيئاً . . » (١) .

وهكذا عامل المنصور أهالي المدينـــة بهذه القسوة والجفاء فلم يحترم جوارهم لرسول الله (ص) ولم يراع ما لآبائهم من الفضل في إقامة هذا الدين وتدعيم أسسه .

---

(١) اليعقوبي : (ج ٣ ص ١١٠ ـ ١١١) .

٢ ـ الاستهانة بالكعبة :

وكفر المنصور بالاسلام ، وتنكر لجميع مبادئه وأهدافه ، فقد حاول نقل الكعبة المقدسة من محلها الى دار السلام ، كما بنى بناية ضخمة في عاصمته بغداد سماها بالقبة الخضراء استهانة بالكعبة الشريفة (١) وبذلك فقد كشف عن كفره ومروقه من الدين .

٣ ـ اختلاس الأموال :

وجهد المنصور في انهاك الرعية واضطهادها فقد عمد الى نهب الأموال واختلاسها ، فقد روى المؤرخون انه أخذ أموال الناس حتى ما ترك عند احد فضلا ، وكان مبلغ ما أخذه منهم ثمانمائة الف الف درهم(٢) وهو يعادل في يومنا هذا اربعة آلاف مليون دينار حسب قيمة العملة (٣) وجاء في وصيته الأخيرة الى ولده المهدي « وقد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلي » (٤) .

لقد كانت سياسته المالية مبنية على النهب والسلب ، واصطفاء الأموال وأخذها بغير حق ، وقد ترك البؤس والفقر مخيمين على جميع المناطق الاسلامية

(١) الطبري : (ج ٣ ص ١٩٧) .
(٢) اليعقوبي : ١٢١/٢
(٣) أبو جعفر المنصور (ص ٤١٦)
(٤) تأريخ اليعقوبي : ٣٤٩/٢

٤ ـ التنكيل بالعلويين :

ومحنة العلويين في عهد الطاغية المنصور من أقسى المحن وافجعها فقد صب عليهم جميع أنواع العذاب ، وقابلهم بمزيد من العنف والجور فأباد شيوخهم وشبابهم ، ولم يرحم أحداً منهم ، وكان ماحل بهم من التنكيل اضعاف ما واجهوه أيام الحكم الأموي ، حتى قيل في ذلك :

تا لله ما فعلت أمية فيهم   معشار ما فعلت بنو العباس

وصور مدى ما حل بهم من الرزايا والخطوب شاعر العقيدة دعبل الخزاعي بقوله :

وليس حي من الاحياء نعلمه   من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
الا وهم شركاء في دمائهم   كما تشارك إيسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة   فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا   ولا أرى لبني العباس من عذر

لقد واجهوا أعنف المشاكل ، وأقسى الرزايا والخطوب في سبيل تحرير المجتمع الاسلامي ، وانقاذه من الجور والاستبداد .

واندفعوا بكل اعتزاز وفخر الى ساحات الجهاد والنضال فماتوا كراماً أحراراً فأضاؤا الطريق للاحرار والمناضلين ، وفتحوا لهم ابواب الكفاح والجهاد ، ورسموا لهم طريق الخلاص من حكم الذل والعبودية .

وقبل أن نتحدث عما جرى عليهم في عهد المنصور نستعرض اسباب ثوراتهم ونضالهم .

بواعث الثورة :

أما الاسباب التي حفزتهم الى الثورات العارمة سواء في حكم بني أمية او في حكم بني العباس فهي :

١ ـ الشعور بالمسؤولية :

والعلويون بحكم نسبهم الوضاح يرون أنهم مسؤولون عن صيانة المجتمع ودفع الويلات والخطوب عنه ، وقد كشف الامام امير المؤمنين (ع) في بعض كلماته عن السر في احجامه عن مبايعة أبي بكر بقوله :

« اللهم : انك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك » (١) .

لقد امتنع الامام من بيعة أبي بكر من أجل هذه الاهداف النبيلة ، فكان يرى نفسه مسؤولا عن رعاية الأمة واقامة الاصلاح الشامل في رحابها فاذا انطلق يعلن سخطه على من سبقة من الخلفاء .

وقد رأى العلويون ان الشعوب الاسلامية في تلك العهود المظلمة ترزح تحت كابوس ثقيل من الظلم والجور والفقر فانطلقوا الى ساحات الجهاد والكفاح في سبيل تحريرها ، وقد وافى محمد بن ابراهيم العلوي الكوفة يسأل عن أخبار الناس ، ويتحسسها ، ويتأهب لأمره ، وبينما هو يسير في بعض

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده : ١٨/٢

شوارع الكوفة إذ وقع بصره على عجوز تتبع أحمال الرطب فتلقط ما يسقط منها ، وتجمعه في كساء رث كان عليهـــا ، فلم يستطع أن يسير ، وبادر يسألها عن صنعها فقالت له :

« إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي ، ولي بنات لا يعدن على أنفسهن بشيء ، فأنا أتبع هذا الطريق ، وأتقوته أنا وولدي » .

فجمد دمه ، وانفجر بالبكاء ، وقال لها : « أنت والله وأشباهك تخرجوني غداً حتى يسفك دمي » (١) .

لقد دفعهم هذا الشعور الفياض بالرحمة والعطف على الفقير والمحروم الى مناجزة الظالمين ، ومناهضة الطغاة الحاكمين الذين استأثروا بأموال الامة وقوتها فانبروا الى ميادين الجهاد لمكافحة ذلك الطغيان والاستبداد .

٢ ـ الشمم والاباء :

وفطرت نفوس العلويين على العزة والكرامة ، وجبلت على النبل والشهامة وقد جهدت السلطات الجائرة في عصورهم على اذلالهم فلم يطيقوا صبراً ، وتسابقوا الى الشهادة لينعموا بالكرامة ، ولما حاول يزيد بن معاوية ارغام سبط النبي (ص) وريحانته الامام الحسين (ع) على البيعة له ، والدخول في طاعته . فانبرى (ع) الى ساحات الجهاد ، واعلن يوم الطف كلمته الخالدة التي رسم فيها الاباء بما له من معنى مشرق قال (ع) :

«الا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ، ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت ، وبطون

(١) مقاتل الطالبيين : (ص ٥٢١)

طهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام » (١) .

ودارت هذه الكلمات النيرة مع الفلك وارتسمت فيه فكانت درساً رائعاً للمجاهدين من أبنائه ، يقول زيد بن علي لما جهد الطاغية هشام في اذلاله :

« ما كره قوم حر السيوف الا ذلوا »

ولما عذله جماعة عن الثورة وخوفوه القتل أجابهم :

بكرت تخوفني المنون كأنني اصبحت عن عرض الحياة بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل لابد ان أسقى بكأس المنهل (٢)

ولما أمعن الأمويون على ارغام يحيى بن زيد على الهوان والذل ، اندفع الى الثورة ، واخذ يخاطب نفسه الكبيرة قائلا :

يا ابن زيد أليس قد قال زيد من أحب الحياة عاش ذليلا
كن كزيد فأنت مهجة زيد واتخذ في الجنان ظلا ظليلا (٣)

أنت - والله - يا يحيى مهجة زيد ، وأنت قطعة من كبد جدك الرسول (ص) قد حملت في أعماق نفسك الكبيرة الشمم والاباء ، فأبيت ان تعيش ذليلا مضاماً فترجلت الى ساحة الحرب برغبة وشوق لتموت حراً كريماً .

لقد ملأ العلويون بثوراتهم المقدسة تأريخ الاسلام بالفخر والشرف والمجد ، ورسموا للشعوب الاسلامية في جميع مراحل حياتها طريق الكفاح والنضال في سبيل الحرية والكرامة .

(١) قريب من ذلك جاء في تأريخ ابن عساكر : ٣٣٣/٤

(٢) الروض النضير : ٧٥/١

(٣) عقائد الزيدية

٣ - حرمانهم من حقوقهم :

وأمعنت السلطات الحاكمة في ظلم العلويين ، وحرمانهم من جميع حقوقهم الطبيعية فأشاعت فيهم الحاجة والفقر ، وقد قوبلوا بالاضطهاد والحرمان منذ وفاة النبي (ص) فقد حرموا من الخمس الذي فرضه الله لهم وصودرت منهم فدكا لئلا تقوى شوكتهم ، واستبد القوم بشؤون الخلافة والحكم ، وأعرضوا عن عترة النبي (ص) وبالغوا في الحط من شأنهم ، وقد ابدى الامام امير المؤمنين حزنه العميق في خطبته « الشقشقية » على ضياع حقه ، وفي « نهج البلاغة » قطع كثيرة من كلامه تهز اعماق النفوس قد اعلن فيها سخطه على نهب تراثه وسلطانه .

وقد تشبعت بهذه الفكرة نفوس ابنائه ، فجاهدوا طويلا في ارجاع هذا الحق لهم ، ولما تلا دعبل الخزاعي قصيدته على الامام الرضا (ع) وبلغ الى هذا البيت .

أرى فيئهم في غيرهم متقسما   وأيديهم من فيئهم صفرات

أثار ذلك احزان الامام ، وجعل يقلب يده الشريفة ويقول بنبرات تقطر أسى وحزناً :

« نعم والله انها لصفرات »

وهكذا نجد هذا الشعور المرهف بالأسى عند أئمة اهل البيت (ع) وعند شيعتهم ، فراحوا يناضلون في سبيله ، وقد قدم العلويون مع شيعتهم المزيد من التضحيات حتى ملئت بهم السجون والقبور ، وواجهوا اعنف المشاكل وأقساها .

هذه بعض العوامل التي حفزت العلويين على الانتفاضة والثورة على

الحكام الظالمين من بني أمية أو بني العباس .

كلمة الامام ابن الساعي :

وتحدث الامام الفقيه ابن الساعي عن اسباب ثورات العلويين ، وقد حفل حديثه بالاستدلال الوثيق على ماذهب اليه وهذا نصه :

« إن من يمعن النظر كل الامعان بتأريخ الاسلام يعلم علما يقيناً أن كل من خرج من آل بيت النبي (ص) ما كان ذلك منه إلا عن مصيبة نابته ، وضنك مسه ، وفاقة لحقته ، وذل أهانه ، فان الأمويين كانوا يمنون على الموالي وصعاليك العرب بمئات ألوف من الدنانير ، ويعطونهم الاقطاع والضيعات ، ويستعملونهم على الممالك ، ويستوزرونهم ، ويقترون على الفاطميين حتى يصير الفاطمي في ضيق ومحنة شديدة بحيث لا يجد ثمن جارية زنجية يصون بها عفته ، ولا ثمن كسوة يستر بها بدنه ، ويرى أن المخازي الذين يفرطون لبني أمية ، ويتمسخرون لهم في مجالسهم ، ويشاركونهم في شرابهم وفسقهم وفجورهم في النعم والعز ، يتقلبون في انواع الرفاهة ، فهنالك يهز الجماعة الفاطمية شرفهم ونخوتهم فيخرجون لا خروجاً عن الطاعة ، ولا نقضاً للبيعة ، ولكن يقولون ان أرض الله واسعة فيهاجر احدهم الى ناحية من الارض فيها قوم من أمة جده (ص) فاذا وصلهم حركتهم نخوة الدين فاحترموه وأكرموه وآلفته قلوبهم واجتمعوا عليه فمتى بلغ خبره ، الأمويين قالوا خرج ورب الكعبة ، وساقوا عليه القواد والجنود ، ولا يزالون حتى يتركوه شهيداً ، وكذلك بنو العباس ، وما ذاك إلا لأن الله تعالى اختار لآل نبيه المحنة في هذه الدار الفانية ، والنعيم في الآخرة الباقية ، وقد جعلهم الله في كل زمان مرآة حال أهل ذلك الزمان مع الله تعالى ، فالزمان الذي

يكرم به أهل البيت (ع) ويحمي به لائذهم ، ويؤمن خائفهم ويعطى سائلهم ويقضي به حوائجهم فحال أهله مع الله تعالى حسن والعكس بالعكس ؛ ولهم رضي الله عنهم عند الله تعالى المكانة الرفيعة ، والمنزلة العظيمة وبهم هدى الله الامة ، وأزال عنهـــا الظلمة وجدهم (ص) للناس كافة هو الرحمة .

محبتهم دين وودهم هدى وبغضهم كفر ونصرهم تقوى (١)

ورأى الامام ابن الساعي رأي وثيق للغاية ، فان حرمان العلويين من حقوقهم الطبيعية ، والمبالغة في التضييق عليهم ماديا بحيث لا يجد الفرد منهم سد رمقه ، وستر بدنه كان ممـــا حفزهم الى الثورة ، والموت تحت ظلال الأسنة أحراراً كراما .

ونعود بعد هذا العرض الموجز لاسباب ثورة العلويين الى ما عانوه من جور المنصور وارهاقه .

التجسس على العلويين :

كان المنصور يعلم باجماع المسلمين على حب العلويين وذلك لما اتصفوا به من سجاحة الخلق ، وطيب الأعراق ، وبسط الكف ، والغزارة في العلم الى غير ذلك من مكارم الاخلاق التي تؤهلهم الى مركز الخلافة الاسلامية وقيادة الأمة . . . كما كان يعلم ببغض الناس له وكراهيتهم لملكه نظراً لما اتصف به من الشح والبخل والقسوة والجفاء والمكر وغيرهـــا من رذائله ومساوئه مضافا الى مساوىء أسرته التي عرفت بالخيانة للامة .

لقد انفق المنصور لياليه ساهراً يفكر في البغي على العلويين والكيد

(١) مختصر اخبار الخلفاء : (ص ٢٦) .

لهم ، فأجمع رأيه على أن يبعث عينا له ليقف على أمورهم وشؤونهم ويتعرف على محمد وأخيه ابراهيم ، فاختار رجلا ، وكتب معه كتاباً على السنة الشيعة الى محمد يذكرون طاعتهم ، ومسارعتهم وبعث بمال والطاف ، وقدم الرجل الى المدينة ، فدخل على عبد الله بن الحسن ، فسأله عن ابنه محمد فكتم خبره وأخذ الرجل يتردد ، ويلح عليه في المسألة ، فانخدع عبد الله به ، وقال له : انه في جبـــل جهينة ، وأمره بأن يمر بعلي الذي يدعى بالأغر فهو يرشده الى مكانه ، وكان للمنصور كاتب يتشيع فكتب الى عبد الله بن الحسن يخبره بذلك العين ، ولما قدم كتابه ارتاعوا منه فبعثوا أبا هبار الى محمد وعلي بن الحسن يحذرهما الرجل ، فخرج أبو هبار حتى وافى محمداً في موضعه فاذا هو جالس في كهف ومعـه جماعة من اصحابه وذلك العين معهم وهو أعلاهم صوتا ، وأشدهم انبساطا ، فلما رأى أبا هبار خافه ، وعرف أن أمره قد انكشف للقوم ، وقال ابو هبار لمحمد : لي اليك حاجة فقـام معه فأخبره بأمر الرجل ، وأشار عليه بقتله الا ان محمداً لم يستجب لذلك ، وأشار عليه ثانيا بأن يوثقه ويودعه عند بعض أرحامه فاستجاب لذلك ، ولما شعر الرجل بما دبر له انهزم ، وتوارى عنهم ففتشوا عنه فلم يظفروا به ، وانطلق متواريا حتى وافى المنصور وأخبره بالامر :

واستدعى المنصور عقبة بن سلم الأزدي ، وقال له : إني اريدك لأمر أنا معني به لم ازل أرتاد له رجلا عسى أن تكونه ، وان كفيتنيه رفعتك . . . فقال عقبة : أرجو أن أصدق ظن امير المؤمنين في ، فأمره المنصور بأن يخفي شخصه ، ويستر أمره ، ويلتقي به في وقت عينه له ، ولما حان ذلك الوقت خف اليه ، فقال له المنصور ان بني عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيداً لملكنا ، واغتيالا له ، ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ، ويرسلون اليهـم بصدقات أموالهم ، والطاف من الطاف بلادهم ، فاخرج

بكسي وألطاف وعين حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثم تسير ناحيتهم فان كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحبب والله بهم وأقرب ، وإن كانوا على رأيهم عامت ذلك وكنت على حذر فأشخص حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعا ومتقشفا فان جبهك - وهو فاعل - فاصبر وعاوده حتى يأنس بك ، ويابن لك ناحيته فاذا أظهر لك ما قبله فاعجل علي .

وشخص عقبة الى يثرب فقدم على عبد الله فناوله الكتاب فأنكره ونهره ، ولم يزل يتردد عليه حتى قبل كتابه وألطافه وأنس به فسأله عقبة الجواب ، فقال : اما الكتاب فاني لا اكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فاقرأهم السلام ، واعلمهم انني خارج (١) وعين له وقت الخروج ، ورجع عقبة الى المنصور فأخبره بالأمر (٢) فاضطرب اشد الاضطراب ، وأخذ يمعن في التفكير فلم ير وسيلة انجع من سفره الى يثرب ليتولى بذاته قمع الحركة والقضاء على خصومه العلويين (٣) .

القبض على العلويين :

وانتظر المنصور موسم الحج فلما حل سافر هو وحاشيته الى بيت الله الحرام ، وبعد انتهائه من مراسيمه قفل راجعاً الى يثرب ، وقد صحب معه عقبة بن سلم الذي كان عيناً له على العاوين ، وقد اوصاه قبل سفره بقوله :

---

(١) في الطبري « واخبرهم ان ابني خارجان »

(٢) الكامل ٤/٣٧٠ - ٣٧١

(٣) الطبري ٩/١٨١

اذا لقيني بنو الحسن وفيهم عبـــد الله فأنا مكرمه ورافع محلته (١) وداع بالغداء فاذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثل بين يديه قائما فانه سيصرف عنك بصره فاستدر حتى ترمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينه منك ، ثم حسبك وإياك أن يراك ما دام يأكل ولما انتهى المنصور الى يثرب استقبله الحسنيون وفيهم عبد الله بن الحسن فقابله بالعناية والتكريم ، واجلسه الى جانبه ، ودعا بالغداء فأصابوا منه ثم رفع بصره فقام عقبة ، وقام بما عهد اليـه المنصور ، ثم وثب وجلس أمام المنصور ففزع عبد الله وارتاع منه ، وقال للمنصور :

« أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله »

فصاح به الخبيث الدنس

« لا اقالني الله ان أقلتك » (٢)

وأمر بأن يكبل بالحديد ، ويزج في السجن ، فكبل مـــع جماعة من العلويين وحبس في بيت مروان ، والقيت تحتـــه ثلاث من حقائب الأبل محشوة بالتبن ، ودخل عليه جماعة بعثهم والي المدينـة اليه فأخذوا يحذرونه من بطش المنصور ، ونقمته ، وطلبوا منه أن يخبرهم بمكان ولديه لينجو من السجن فالتفت عبد الله إلى الحسن بن زيد (٣) قائلا له :

(١) في الطبري « ورافع مجلسه »

(٢) الكامل ٣٧١/٤

(٣) الحسن بن زيد بن الحسن بن أمير المؤمنين (ع) روى عن أبيه وابن عمه عبد الله بن الحسن وروى عنه جماعة ، وذكره ابن حبان في الثقات ولاه المنصور المدينة خمس سنين ثم غضب عليه وحبسه الى أن أخرجه المهدي ولم يزل معه ، وقال الزبير : كان الحسن فاضلا شريفاً وقد مدحه علي بن هرمة بعدة قصائد ، وهو والد السيدة الجليلة نفيسة توفي سنة ١٦٨ هـ =

يا ابن أخي ، والله لبليتي أعظم من بلية إبراهيم (ع) إن الله عزوجل أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وهو لله طاعة ؛ فقال ابراهيم : « إن هذا لهو البلاء المبين » (١) وإنكم جئتموني في أن آتي بابني هذا الرجل فيقتلها ، وهو لله جل وعز معصية ، فوالله يا ابن أخي لقد كنت على فراشي فما يأتيني النوم وإني على ما ترى أطيب نوماً . . » (٢) .

لقد كانت محنة عبد الله في ولديه من اشق المحن وأقساها فقد وقع بين مصيبتين لا منجاة له من احدهما اما ان يبقى في ظلمات السجون يعاني الآلام ، واما أن يخبر بولديه فيعرضهما للموت ، ولكنه اختار أن يضحي بنفسه ليقوما باداء رسالتها فينقذا الأمة من حكم المنصور وطغيانه .

حملهم الى العراق :

وأقام العلويون في سجن الطاغية السفاك ـ في يثرب ـ ثلاث سنين ، وهم يعانون أهوال الخطوب ، وأشدها محنـة وقسوة ، وقد أثار سجنهم سخط الاخيار والمتحرجين في دينهم ، واخذت الاندية تتحدث عن محنتهم وما سيجري عليهم في عهد هذا الطاغية الجبار ، وقد نقلت اليه الاستخبارات تذمر العـــامة ونيلهم منه ، فقرر أن يمضي الى الحج ، ويبحث عن أمر العلويين ليتخذ معهم التدابير اللازمة .

وفي سنة (١٤٢ هـ) سافر الى الحج ، وبعد ما قضى مناسكه رجع

= بطريق مكة بالحاجز ـ كما ذكره الخطيب ـ وهو ابن خمس وثمانين سنة وصلى عليه علي بن المهدي جاء ذلك في تهذيب التهذيب (ج ٢ ص ٢٧٩)

(١) سورة الصافات : آية ١٠٦

(٢) مقاتل الطالبيين : (ص ٢١٦)

وجعل طريقه على الربذة فأقام فيها ، واستقبله رباح واليه على يثرب فرده اليها وأمره باشخاص العلويين اليه فقفل رباح راجعاً الى يثرب ، ومضى الى السجن فأخرج العلويين ، وقد وضع في أيديهم الحديد ، وجيء بهم الى مسجد النبي (ص) وقد ازدحم عليهم الناس ، وهم ما بين باك وواجم قد اذهلهم الخطب ، وجعـــل رياح يوسعهم شتما وقذفاً ، وطاب من الناس شتمهم الا انهم أخذوا بسبونه ، ويشتمون المنصور .

لوعة الامام الصادق :

وفجع الامام الصادق بما حل بأهل بيته من الرزء القاصم فقد بلغ به الحزن الى واد ما له من قرار . . . لقد أطل عليهم حينما حملوا فأرسل ما في عينيه من دموع ، والتفت الى الحسن بن زيد قائلا له :

« يا أبا عبد الله والله لا تحفظ لله حرمة بعد هذا (١) والله ما وفت الانصار ولا ابناء الانصار لرسول الله (ص) بما اعطوه من البيعة على العقبة »

وأخذ (ع) يذكر له قصة العقبة قائلا : « إن النبي (ص) قال لعلي : خذ عليهم البيعة بالعقبة ، فقال : كيف آخذ عليهم ؟ فقال (ص) : على ان يمنعوا رسول الله وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم » .

وسكت هنيئة ونفسه الشريفة قد ذابت حزنا ، ثم قال بنبرات ملؤها الأسى :

« اللهم فاشدد وطأتك على الانصار . . » (١)

وروى عبد الله بن ابراهيم الجعفري عن خديجة بنت عمر بن علي

---

(١) في الطبري « بعد هؤلاء »

(٢) مقاتل الطالبيين (ص ٢١٩ ـ ٢٢٠)

بهم ثم أوقفوا عند باب المسجد ـ الباب الذي يقال له باب جبرئيل ـ اطلع عليهم الامام ابو عبد الله ، وعامة ردائه مطروح بالأرض ، ثم اطلع من باب المسجد ، فقال : لعنكم الله يا معشر الانصار ـ ثلاثاً ـ ما على هذا عاهدتم رسول الله ، ولا بايعتموه ، أما والله إن كنت حريصاً ، ولكني غلبت وليس للقضاء مدفع ، ثم قام وأخذ إحدى نعليه فأدخلها ، رجله ، والأخرى في يده ، وعامة ردائه يجره في الأرض ثم دخل بيته فحم عشرين ليلة لم يزل يبكي فيها الليل والنهار (١) .

لقد ذاب قلب الامام من الحزن ، وهامت نفسه في تيار من الهواجس والآلام ، فخلد الى البكاء يخفف به لوعة المصاب والحزن .

رسالته الى عبد الله :

وأرسل الامام الصادق (ع) رسالة الى عبد الله بن الحسن يعزيه فيها على ما حل به من المصاب الأليم وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه

أما بعد : فلئن كنت قد تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ، ما انفردت بالحزن والغيظ والكآبة وأليم وجع القلب دوني ، ولقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحر المصيبة مثل ما نالك ، ولكن رجعت الى ما أمر الله جل وعز به المتقين من الصبر وحسن العزاء حين قال لنبيه صلى الله عليه وآله الطيبين : « واصبر لحكم ربك فانك باعيننا » (٢) وحين يقول

(١) بحار الأنوار : ٤٧/٢٨٣

(٢) سورة الطور : آية ٤٨

لنبيه : « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت » (١) وحين يقول لنبيه (ص) حين مُثل بحمزة « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (٢) فصبر رسول الله ولم يعاقب .

وحين يقول : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » (٣) . وحين يقول : « الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » (٤) . وحين يقول : « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (٥) . وحين يقول لقمان لابنه : « واصبر على ما اصابك إن ذلك من عزم الامور » (٦) وحين يقول عن موسى «وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » (٧) . وحين يقول : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (٨) . وحين يقول : « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة (٩) وحين يقول : « ولنبلونكم بشيء

---

(١) سورة القلم : آية ٤٨

(٢) سورة النحل : آية ١٢٦

(٣) سورة طه : آية ١٣٢

(٤) سورة البقرة : آية ١٥٦ - ١٥٧

(٥) سورة الزمر : آية ١٠

(٦) سورة لقمان : آية ١٧

(٧) سورة الأعراف : آية ١٢٨

(٨) سورة العصر : آية ٣

(٩) سورة البلد : آية ١٧

من الخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » (١) وحين يقول : « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » (٢) وحين يقول: « والصابرين والصابرات » (٣) وحين يقول: « واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » (٤) وأمثال ذلك من القرآن كثير .

واعلم أي عم وابن عم أن الله جل وعز لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط ولا شيء أحب اليه من الضر والجهد والبلاء مع الصبر ، وانه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط ، ولولا ذلك ما كان اعداؤه يقتلون اولياءه ويخوفونهم ، ويمنعونهم ، واعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون ولولا ذلك لما قُتل زكريا ويحيى بن زكريا ظلما وعدوانا في بغي من البغايا ولولا ذلك ما قُتل جدك علي بن أبي طالب (ع) لما قام بأمر الله جل وعز ظلما ، وعمك الحسين بن فاطمة صلى الله عليهم اضطهاداً وعدواناً .

ولولا ذلك ما قال الله جل وعز في كتابه : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون » (٥) ولولا ذلك لما قال في كتابه : « أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون » (٦) .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث : (لولا أن يحزن المؤمن لجعلت

---

(١) سورة البقرة : آية ١٥٥

(٢) سورة آل عمران : آية ١٤٦

(٣) سورة الأحزاب : آية ٣٥

(٤) سورة يونس : آية ١٠٩

(٥) سورة الزخرف : آية ٣٣

(٦) سورة المؤمنون : آية ٥٥ ـ ٥٦

للكافر عصابة من حديد فلا يصدع رأسه أبداً » ولولا ذلك لمـا جاء في الحديث : « إن الدنيا لا تساوي عند الله جل وعز جناح بعوضة » ولولا ذلك ما سقى كافراً منها شربة من ماء ، ولولا ذلك لما جاء في الحديث : « لو أن مؤمناً على قُلة جبل لابتعث الله له كافراً أو منافقاً يؤذيه » ولولا ذلك لماجاء في الحديث:« انه اذا أحب الله قوما او أحب عبداً صب عليه البلاء صباً فلا يخرج من غم إلا وقع في غم » .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث : « ما من جرعتين أحب الى الله عز وجل أن يجرعها عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها ، وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب » ولولا ذلك لما كان أصحاب رسول الله (ص) يدعون على من ظلمهم بطول العمر وصحة البدن ، وكثرة المال والولد ، ولولا ذلك ما بلغنا أن رسول الله (ص) كان اذا خص رجلا بالترحم عليه والاستغفار استشهد ، فعليكم يا عم وابن عم وبني عمومتي واخوتي بالصبر والرضا والتسليم والتفويض الى الله عز وجل والرضا بالصبر على قضائه ، والتمسك بطاعته ، والنزول عند أمره ، أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وختم لنا ولكم بالأجر والسعادة ، وانقذنا وإياكم من كل هلكة بحوله وقوته انه سميع قريب ، وصلى الله على صفوته من خلقه محمد النبي وأهل بيته . . » (١) .

وكانت هذه الرسالة سلوى لهم فيما عانوه من شدة المحن والخطوب ، كما انها احتوت على مدحهم والثناء عليهم ، ولو كانوا في خروجهم على المنصور بغير وجه مشروع لما توجع عليهم الامام ، وأثنى عليهم فان شأن الامامة كشأن النبوة بعيد عن المحاباة والاندفاع بأي عاطفة من عواطف الحب

---

(١) بحار الانوار : (٤٧ / ٢٩٩ ـ ٣٠١) ، الاقبال (ص ٤٩ ـ ٥١) .

ومما يدل على انهم كانوا على حق أنه (ع) كان يتطلع بلهفة الى التعرف على اخبارهم فقد روى خلاد بن عمير الكندي مولى آل حجر بن عدي قال دخلت على أبي عبد الله (ع) فقال :

« هل لكم علم بآل الحسن ؟ »

يقول خلاد : وكان قد اتصل بنا عنهم خبر ، فلم نحب أن نبدأه به فقلنا له : نرجوا أن يعافيهم الله ، فقال (ع) :

« واين هم من العافية ؟ »

ثم بكى حتى علا صوته ، وبكينا معه (١) ويضاف الى ذلك ما ورد في حقهم من المدح فقد روى خلاد عن أبيه عن فاطمة بنت الحسين (ع) قالت : سمعت أبي (ع) يقول : يقتل منكِ أو يصاب منك نفر بشط الفرات ما سبقهم الأولون ، ولا يدركهم الآخرون ، وانه لم يبق من ولدها غيرهم (٢) .

وعلى أي حال فانهم لم يخرجوا على حكومة المنصور إلا بوعي من روح الاسلام وهديه الذي ألزم بمناهضة الظلم ، ومقاومة الجور والطغيان .

في الربذة :

وسارت قافلة العلويين من يثرب ، فلما بعدت عنها بثلاثة أميال أنزلوا عن رواحلهم ، وجيء لهم بحدادين فألقوا كل رجل منهم في كبل وغل وقد ضاقت حلقتا القيد الذي كُبل به عبد الله بن الحسن فتأوه من الألم فأقسم عليه أخوه البار علي بن الحسن ان يحولها اليه فحولت له ، وبذلك

(١) بحار الأنوار ٤٧/٣٠٢

(٢) بحار الأنوار ٤٧/٣٠٢

ضرب المثل الأعلى للاخاء الصادق .

ولما انتهت القافلة الى الربذة أنزل العاويون عن رواحلهم وهم مكبلون بالحديد تصهرهم الشمس ، وأمر المنصور بادخال محمد بن عبد الله عليه (١) فلما مثل عنده قابله المنصور بالسب والشتم والقذف ، واتهمه بامور أمسكنا عن ذكرها لفحشها ، فان هـذا الخبيث الدنس الذي حفل تأريخه بالعار والخزي لم يتحرج من الاتهام والكذب وقول الأفك .

وأمر الباغي الأثيم بتجريد محمد من ثيابه فجرد منها حتى بدت عورته وأمر جلاوزته بضربه ، فعلته الجلاوزة بالسياط فضرب خمسين ومائة سوط وقـد بلغ به الالم كل مبلغ ، والمنصور جذل مسرور ، وأصاب احدى السياط وجهه ، فقـال للجلاد : « اكفف عن وجهي فان له حرمة من رسول الله (ص) » :

فانبرى المنصور الى الجلاد قائلا :

« الرأس . . الرأس »

فضربه ثلاثين سوطاً على رأسه ، ثم دعا بساجور (٢) من خشب شبيه به في طوله فشد في عنقه ، وشدت به يداه ، وأخرج ملبباً فدخل على اصحابه كأنه زنجي قد غيرت السياط لونه ، وأسالت دمه ، وأصاب سوط منها احدى عينيه فسالت ، ووثب اليه مولى لابي جعفر فقال له : الا الوثك بردائي ؟ فقال له بلى جزيت خيراً ، فوالله لشفوف أزاري أشد علي من الضرب الذي نالني ، فألقى عليه المولى الثوب (٣) .

واستدعى محمد وهو بتلك الحالة ماءاً فلم يسقه أحد سوى رجل من

(١) البداية والنهاية ١٠/٨١

(٢) الساجور : خشبة تعلق بعنق الكلاب

(٣) الطبري ٦/١٧٩

أهالي خراسان فانبرى اليه وسقاه الماء ، ولم يلبثوا قليلا حتى اجتاز عليهم المنصور وهو في محله ، فانطلق اليه عبد الله بن الحسن يذكره بما أسداه جده الرسول (ص) من الفضل والاحسان على العباس جد المنصور حينما جيء به أسيراً قائلا له :

« ما هكذا فعلنا بأسراكم يوم بدر ؟ »

فأشاح المنصور بوجهه عنه ؛ وقد لذعه قوله ، وأمر بحمل العلويين الى العراق .

في الهاشمية :

وأخذت قافلة العلويين تطوي البيـــداء ، وتسرع بهم الى القبور والسجون حتى انتهت الى « الهاشمية » فأمر المنصور بزجهم في سجن لا يعرف فيه الليل من النهار فأودعوا فيه ، وكانوا لا يعرفون فيه وقت الصلاة لظلمته ، فجزؤا القرآن الكريم خمسة أجزاء فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم لحزبه (١) .

وأمر المنصور باحضار محمد بن ابراهيم ، وكان آية في جماله وبهاء وجهه ، وكان الناس يذهبون الى النظر لحسنه ، ولما حضر عند المنصور التفت اليه بسخرية قائلا :

ـ أنت المسمى بالديباج الأصفر ؟

ـ نعم

ـ أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك .

---

(١) مروج الذهب ٣/٢٢٥

ثم أمر باسطوانة مبنية ففرغت ، وأدخل فيها ، فبنيت عليه وهوحي (١)
لقد تفجرت سياسة هذا الباغي الأثيم تجاه العلويين بجميع ألوان المنكرات والموبقات ، فلم يرع حرمة رسول الله (ص) في ابنائه ، وعمد لى ابادتهم بصورة لم يعهد لها نظير في تأريخ المجازر البشرية .

وبلغ من قساوة جلاوزته ان عبد الله بن الحسن شيخ العلويين استدعى بماء فطلب بعضهم الاذن من المنصور في ذلك فسمح له فجاء اليه بماء بارد فبينما هو يشرب اذ وثب اليه أبو الأزهر فضرب الاناء برجله بشدة فألقى عبد الله ثناياه في الاناء (٢) .

وبقى العلويون في سجن المنصور وهم يعانون أهوال الخطوب وأقسى المصائب ، فكانوا يتوضؤن في مواضعهم حتى اشتدت عليهم الرائحة واحتال بعض مواليهم فادخل لهم شيئاً من الغالية فكانوا يدفعون بشمها الروائح الكريهة ، ولكنها لم تكن تجدي شيئاً ، فقد ورمت أقدامهم ، وسرى الورم الى قلوبهم فمات اكثرهم ، وأمر الطاغية بهدم السجن على من بقي فهدم عليهم ، فمات اكثرهم وفيهم عبد الله بن الحسن (٣) .

وحفلت هذه المأساة الخالدة في دنيا الاحزان بأنواع الرزايا والخطوب فقد انتهكت فيها حرمة الرسول الاعظم (ص) في ذريته وابنائه ، فلم يرع لهم المنصور أي حرمة ، ولم يراقب الله فيهم .

ففي سبيل الله تلك النفوس الزكية التي وهبت أرواحها لله لتنقذ عباده من شر تلك الطغمة الحاكمة التي كفرت بجميع القيم الانسانية .

وقد أثارت هذه المأساة الكبرى موجات من السخط على بني العباس

---

(١) الطبري ٣٩٨/٩

(٢) مقاتل الطالبيين (ص ٢٤٣)

(٣) مروج الذهب ٢٢٥/٣

وقد اندفع .بو فراس الحمداني بعد احقاب من السنين يهجو العباسيين على هذه الجريمة النكراء التي اقترفها جدهم المنصور ، قال :

بئس الجزاء جزيتم في بني حسن ... أباهم العلم الهادي وأمهم
لا بيعة ردعتكم عن دمائهم ... ولا يمين ولا قربى ولا ذمم
هلا صفحتم عن الأسرى بلا سبب ... للصافحين ببدر عن أسيركم
هلا كففتم عن الديباج سوطكم ... وعن بنات رسول الله شتمكم
ما نزهت لرسول الله مهجته ... عن السياط فهلا نزه الحرم
ما نال منهم بنوحرب وان عظمت ... تلك الجرائم الا دون نيلكم
كم غدرة لكم في الدين واضحة ... وكم دم لرسول الله عندكم
أنتم له شيعة فيما ترون وفي ... اظفاركم من بنيه الطاهرين دم
هيهات لا قربت قربى ولا رحم ... يوماً إذا أقصت الاخلاق والشيم
كانت مودة سلمان له رحما ... ولم يكن بين نوح وابنه رحم(١)

وفي هذا الشعر أعمق الحزن على ما أصاب العلويين من الرزايا والنكبات في عهد المنصور وسائر ملوك بني العباس الذين قطعوا أواصر الرحم والقربى وتنكروا للاحسان الذي أسداه الرسول الاعظم على جدهم العباس فقد قابلوا ذلك بانزال أمر العقاب وأقساه بذرية النبي وعترته .

مصادرة أموال العلويين :

ولما اعتقل المنصور العلويين ، وأودعهم في ظلمات السجون عهد الى عامله بمصادرة جميع اموالهم ، وبيع رقيقهم(٢) وصادر أموال الامام الصادق(ع)

---

(١) الغدير ٣/٢٣٨

(٢) البداية والنهاية ١٠/٨١

ولما هلك المنصور ارجعها المهدي الى الامام موسى (ع) .

ثورة الزكي محمد :

وكان محمد بن عبد الله بن الحسن من أعلام العلويين في علمه وفقهه وشجاعته وجوده ، وقد جمع في برديه كل فضل موروث ومكسوب ، وقد سمي بذي النفس الزكية وصريح قريش لأنه لم يجيء من أم ولد في جميع آبائه وامهاته بل جاء خالصاً نقياً من قريش ، وسماه الناس بالمهدي الذي بشر به النبي (ص) (١) وفي ذلك يقول الشاعر :

إنا لنرجو أن يكون محمد   إماما به يحيا الكتاب المنزل
به يصلح الاسلام بعد فساده   ويحيا يتيم بائس ومعول
ويملأ عدلا أرضنا بعد ملئها   ضلالا ويأتينا الذي كنت آمل (٢)

وكان يشبه جده الرسول (ص) في خلقه وأخلاقه ، وأعتقد أهل المدينة أنه لو جاز أن يبعث الله نبياً بعد محمد (ص) لكان هو (٣) .

وقد رشح للخلافة باجماع الهاشميين ، وكان المنصور الدوانيقي يسير بخدمته ، ويسوي عليه ثيابه ، ويمسك له دابته تقربا اليه كما بايعه مع أخيه السفاح مرتين ، وبعد اختلاس العباسيين للحكم تألم محمد أشد الألم واقساه وأخذ يدعو الناس لنفسه فاستجابوا له ، وظل مختفيــاً مع أخيه ابراهيم ودعاتهم تجوب في الاقطار للدعوة إليهم ، وكان أبوهما عبد الله يمجد فيهما روح الثورة ويحفزهما على النضال فقد قال لهما :

(١) غاية الاختصار (ص ١٢)
(٢) مقاتل الطالبيين (ص ٢٤٣)
(٣) شذرات الذهب ٢١٣/١

« إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين » (١) .

ولما بلغ محمد وفاة أبيه عبدالله مع ابناء عمومته من العلويين في سجن المنصور ، وما حل فيهم من صنوف التنكيل والتعذيب ، تواعد هو وأخوه ابراهيم على اعلان الثورة في يوم مخصوص ، فأعلن محمد الأمر في يثرب في الوقت المقرر له ـ على ما قيل ـ وانبرى الناس الى مبايعته ، واستبشروا ببيعتهم له ، وقام جيشه باحتلال الدوائر الرسمية ، وبالاستيلاء على بيت المال وهرعت أهالي اليمن ومكة الى بيعتـــه وقد اجتمعت الجموع الحاشدة في يثرب تظهر له الطاعة والانقياد ، وقد قام فيهم خطيباً فقال بعد حمدالله والثناء عليه :

« أما بعد : أيها الناس فانه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه تصغيراً للكعبة الحرام ، وإنما أخذ فرعون حين قال : أنا ربكم الأعلى ، وان أحق الناس بالقيام بهذا الدين ابناء المهاجرين والانصار المواسين . اللهم : انهم قد احلوا حرماتك ، وحرموا حلالك ، فآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت اللهم فاحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغـــادر منهم أحداً .

أيها الناس : اني والله ماخرجت من بين أظهركم ، وانتم عندي لا أهل قوة ، ولا شدة ، ولكن اخترتكم لنفسي ، والله ما جئت هذه وفي الارض مصر يعبد فيه الله إلا وقد أخذ لي البيعة فيه » (٢) .

---

(١) مقاتل الطالبيين (ص ٢٤٣)

(٢) الطبري ٢١٩/٩

ودل هذا الخطاب على أخذ البيعة له من جميع الاقاليم الاسلاميـة إلا ان بعض المعلقين على خطابه ذهب الى أن ذلك كان مكيدة من المنصور فهو الذي أوعز الى ولاته بمراسلة محمد والاستجابة الى دعوته حتى يبـادر الى اعلان الثورة قبل أن تستكمل مخططاتها ليمكن القضاء عليها في بدايتها .

وعلى أي حال فان الانباء حينما وافت المنصور وجه جيشاً لقتاله يقدر عدده بأربعة آلاف فارس ، وجعل قيادته العامة الى ولي عهده عيسى بن موسى ، وسارت الجيوش ، تطوي البيداء حتى انتهت الى يثرب ، وحينما علم محمد بقدوم جيوش المنصور بث جيوشه في الشوارع والأزقة ، وقبل أن تندلع نيران الحرب خطب في جيشه فقال :

« أيها الناس ، إنا قد جمعناكم للقتال وأخذنا عليكم المناقب ، وان هذا العدو منكم قريب ، وهو في عدد كثير ، والنصر من الله ، والأمر بيده ، وانه قد بدا لي أن آذن لكم ، وأفرج عنكم المناقب ، فمن أحب أن يقيم أقام ، ومن أحب أن يضعن ضعن . . »

وكان هذا الخطاب خطاب مخذول لا وثوق له بالنصر ، ولا أمل له في التغلب على الأحداث نظراً لضخامة جيش العدو ، وقلة من معه ، ولم يرغم اصحابه على الخوض في الحرب ، كما لم يعتمد على وسائل الخداع والتضليل وهو موقف تمثلت فيه الشهامة والنبل .

ولمـا سمع خطابه الانتهازيون وذوو الاطماع تفرقوا عنه ، وبقي في خلص اصحابه (١) ولم تكن لهم قدرة على الدفاع عنه ، وقد خف اليـه عبد الله بن جعفر (٢) فقال له :

---

(١) الطبري

(٢) عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن الامام =

« بأبي أنت وأمي ، إنه والله مالك بما رأيت طاقة ، وما معك أحد يصدق القتال ، فاخرج الساعة حتى تلحق بالحسن بن معاوية بمكة فان معه جلة اصحابك . . . »

فانطلق محمد يجيبه بما انطوت عليه نفسه الكبيرة من الشرف والنبل قائلا :

« يا أبا جعفر ، والله لو خرجت لقتل اهل المدينة ، والله لا أرجع حتى أقتل أو أُقتل ، وانت مني في سعة فاذهب حيث شئت » (١) .

ان محمداً إذا ترك يثرب فان جيش المنصور سيحتلها ، ويقابل المدنيين بمنتهى القسوة والانتقام ، وينتهك جميع الحرمات ، فرأى محمد أن يقيم فيها ويضحي بنفسه في سبيل أمن الناس وسلامتهم .

واندلعت نار الحرب بين الفريقين ، وبعد صراع رهيب بين قوى الحق وقوى البغي أصيب القائد العظيم محمد ذو النفس الزكية بجراح خطير فسقط على الارض ، وبرك على ركبتيه ، فبادر اليه الاثيم حميد بن قحطبة وهو يصيح بالجند لا تقتلوه فكفوا عنه فقام الوغد بنفسه ليبوأ بالإثم والجحيم فاحتز رأسه الشريف (٢) .

= امير المؤمنين المعروف بالافطح ، قال الشيخ المفيد : كان اكبر اخوته بعد اسماعيل ، ولم تكن له منزلة عند أبيه ، وكان متهما في الخلاف على أبيه فقد قيل : انه كان يخالط الحشوية ، ويميل الى مذهب المرجئة ، وادعى بعد وفاة أبيه الامامة محتجاً بأنه اكبر اخوته فتبعه جماعة من البسطاء ، ثم رجع اكثرهم الى القول بامامة الامام موسى(ع) - كما سنوضحه - جاء ذلك في تنقيح المقال ١٧٤/٢

(١) الطبري ٢٢٤/٩

(٢) مقاتل الطالبيين

وانتهت بذلك صفحة من أروع صفحات الجهاد المقدس ، وانطوت أعظم حركة اصلاحية في العالم الاسلامي كانت تهدف الى نشر العدل ، وسيادة الامن والدعة بين الناس .

وانهارت القوى الخيرة ، وتحطمت آمال الاحرار فقد فقدوا قائدهم الاعلى الذي كان مناراً لهم في طريق النضال والجهاد .

ثورة الزكي ابراهيم :

كان ابراهيم بن عبد الله من قادة الفكر ، ومن أعلام عصره في علمه وأدبه وأخلاقه وحسن تدبيره ، وقد اترعت نفسه الزكية بالايمان بحق الأمة فانطلق في ميادين الجهاد لينقذها من حكم العبودية والذل ، ويحقق في رحابها عدل الاسلام واحكام القرآن .

والشيء الذي عرف به ابراهيم انه كان حديدي الارادة ، وكان يقظاً حساسا ، فقد طلبه المنصور أشد الطلب ، وبث عليه العيون ، وقد استطاع أن يجلس على موائد المنصور من دون أن يشعر به ، وقد حدث عن ذلك بقوله :

« اضطرني الطلب بالموصل حتى جلست على موائد المنصور ، وقد قدم اليها يطلبني فالفظتني الأرض فجعلت لا أجد مساغا . ووضع الطلب والمراصد ودعا الناس الى غدائه فدخلت فيمن دخل ، واكلت فيمن أكل ثم خرجت ، وقد كف الطلب » .

وفي هذا الاقدام دليل على ما يحمله من القابليات الفذة التي تجعله في مصاف العظماء الذين لا يفكرون بالهزيمة ، ولا تغير من عزيمتهم الاحداث الجسام ، وقد اتته الأنباء المريعة بمقتل أخيه ، وهو يخطب على المنبر فجعل

يتمثل بهذه الأبيات :

أبا المنازل يا خير الفوارس من	يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا
الله يعلم أني لو خشيتهم	وأوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخي لهم(١)	حتى نموت جميعا أو نعيش معا

ثم تباورت دموعه على وجهه الشريف ، وأخذ يؤبن أخاه ويصوغ من حزنه كلمات قائلا :

اللهم : إنك تعلم أن محمداً انما خرج غضبا لك ونفيا لهذه المسودة وايثاراً لحقك ، فارحمه ، واغفر له ، واجعل الآخرة خير مرد له ومنقلب في الدنيا . . » (٢)

ورثى أخاه بهذه الابيات :

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا	فان بها ما يدرك الطالب الوترا
وإنا أناس لا تفيض دموعنـا	على هالك منا ولو قصم الظهرا
ولست كمن يبكي أخاه بعـبرة	يعصرهـا من ماء مقلته عصرا
ولكني أشفي فؤادي بغـارة	ألهب في قطري كتائبها جمرا

لقد تمثلت البطولة بما لها من معنى مشرق بهذا الموقف الرائع الذي وقفه ابراهيم ، فلم يوهن عزيمته مقتل أخيه العظيم ، وانما زاده ايمانا وتصميما على المضي في طريق الكفاح والنضال .

وأعلن ابراهيم في البصرة ثورته الكبرى على حكومة المنصور فاستجاب له المسلمون ، وانضموا الى دعوته ، وكان سفيان بن معاوية والي البصرة من المؤيدين له ، وكان على اتصـال دائم معه ، يطلعه على كل ما جـدّ للمنصور من رأي في أمر البصرة وساعده في كثير من شؤون الثورة .

---

(١) في رواية « ولم يسلم أخي »

(٢) مقاتل الطالبيين (ص ٣٤٢)

واحتل ابراهيم البصرة ، ووجه دعاته الى الاهواز وفارس وواسط والمدائن فاستجابت هذه الاقطار وبايعته ، وخفق علم الدولة العلوية عليها ، وتوالت أنباء الثورة العارمة على المنصور فهاله ذلك وجزع جزعا شديدا ، وخيم عليه الذعر ، وقد دخل عليه الحجاج بن قتيبة فرآه ينكث الارض بمخصرته وينشد :

ونصبت نفسي للرماح دريئة إن الرئيس لمثل ذاك فعول

فقال له الحجاج : ادام الله عزك ، ونصرك الله على عدوك أنت كما قال الأعشى :

وإن حربهم أوقدت بينهم فحرت لهم بعد ابرادها
وجدت صبوراً على حرها وكر الحروب وتردادها

فقال المنصور : يا حجاج إن ابراهيم قدعرف وعورة جانبي وصعوبة ناحيتي وخشونة قرني ، وإنما جرأه على المسير إلي من البصرة هذه الكور المطلة على عسكر امير المؤمنين ، وأهل السوادمعه على الخلاف والمعصية ، وقد رميت كل كورة بحجرها ، وكل ناحية بسهمها ، ووجهت اليه الشهم النجد الميمون المظفر عيسى بن موسى في كثير من العدد والعدة ، واستعنت بالله عليه ، واستكفيته إياه فانه لا حول ولا قوة لامير المؤمنين الا به .

ولما توفرت لابراهيم الجيوش المزودة بالعدة والعدد عزم على المسير الى حرب المنصور فأشار عليه اصحابه البصريون أن يقيم في البصرة ، ويرسل الجنود فاذا انهزموا امدهم بغيرهم ، وقال قوم من أهل الكوفة : إن بالكوفة أقواما لو رأوك ماتوا دونك ، وإن لم يروك قعدت بهم أسباب شتى ، واستجاب ابراهيم لرأي الكوفيين ، فتوجه بنفسه الى حرب المنصور ، ولو انه أقام بالبصرة لتغلب على الاحداث وتم له النصر .

ووجه المنصور الى حرب ابراهيم جيشاً بلغ عدده خمسة عشر الفا ،

وجعل قيادته العامة الى ولي عهده عيسى بن موسى ، وجعل على مقدمته حميد بن قحطبة ، وقال له لما ودعه : ان هؤلاء الخبثاء - يعني المنجمين - يزعمون انك إذا لقيت ابراهيم تجول اصحابك جولة حتى تلقاه ، ثم يرجعون اليك وتكون العاقبة لك .

وسار ابراهيم بجيشه يطوي البيداء ، وسمع وهو ينشد في طريقه أبيات القطامي :

أمور لو يدبرها حكيم	إذن أنهى وهيب ما استطاعا
ومعصية الشفيق عليك مما	يزيدك مرة منه استماعا
وخير الأمر ما استقبلت منه	وليس بأن تتبعه التباعا
ولكن الأديم اذا تفرى	بلى وتعيبا غلب الصناعا (١)

ودل ذلك على ندمه على مسيره ، فقد استبان له انه لو بقي بالبصرة لكان خيراً له ، وتوجه بجيشه الى « باخمرى » ولم يتجه الى الكوفة مخافة ان تستباح الأعرض ، وتقتل الاطفال ، وأشار عليه قوم بالمسير الى الكوفة فانه اضمن الى نجاحه إلا انه لم يستجب لهم مخافة ما ذكرناه .

واندلعت نار الحرب بين الفريقين فانهزم جيش المنصور شر هزيمة حتى انتهت طلائعها الى الكوفة فوجل المنصور ورام الهزيمة ، وجعل يقول للربيع متعرضا بما أخبر به الامام الصادق (ع) من فوز العباسيين بالحكم : « أين قول صادقهم ، وكيف لم ينلها ابناؤنا فاين امارة الصبيان ؟!! »

وبعدما حوصر وضيق عليه أمر بجعل الابل والدواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها .

وكرت جيوش المنصور راجعة بعد هزيمتها بسبب نهر لقيها فلم تقدر على اجتيازه ، فعادوا بأجمعهم ، وكان أصحاب ابراهيم قد مخروا الماء ليكون

(١) الكامل ٥/١٨

قتالهم من وجه واحد ، فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار ، وثبت ابراهيم في نفر من أصحابه فقاتلهم حميد بن قحطبة ، وجعل يرسل بالرؤوس الى عيسى، وجاء سهم غادر فوقع في حلق ابراهيم فنحره فتنحى عن موقفه ، وقال لاصحابه : انزلوني فانزلوه عن مركبه وهو يقول : « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » أردنا أمراً وأراد الله غيره .

واجتمع عليه اصحابه وخاصته يحمونه ، ويقاتلون دونه فقال حميد بن قحطبة شدوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم ، وتعلموا ما اجتمعوا عليه ، فشدوا عليهم يقاتلونهم حتى أفرجوهم عن ابراهيم فاحتزوا رأسه الشريف فأتوا به عيسى فسجد وبعث برأسه الى المنصور (١) .

وبذلك انتهت اروع صفحة من صفحات الجهاد المقدس ، وطويت أعظم شخصية في العالم الاسلامي كانت تروم القضاء على الظلم والجور واعادة الحياة الكريمة في الاسلام .

ولما انتهى مقتل الشهيد العظيم الى المنصور الخبيث اللئيم كاد ان يطير فرحاً فقد تحققت جميع آماله وأمانيه ، وكان بين يديه طعام قد استطابه فقال لمن حوله :

« أراد ابراهيم أن يحرمني هذا وأشباهه » (٢) .

ان ثورة الزكي ابراهيم رائد الحق والعدالة لم تكن من أجل متع الحياة وللذائذها ، وانما كانت لتحطيم المنكر وابادة الظلم ، وانقاذ الناس من الحكم الارهابي الذي ساد عليهم أيام المنصور .

ان تلك الثورة الخالدة كانت من أجل تحقيق المثل العليا وتطبيق احكام القرآن على واقع الحياة العامة بين الناس :

---

(١) الكامل ٥/١٩

(٢) مروج الذهب ٣/٢٢٤

والتفت المنصور وهو جذلان مسرور الى حضار مجلسه قائلا لهم :

« تالله ما رأيت أنصح من الحجاج لبنى مروان ؟!! » .

فانبرى اليـه المسيب بن زهرة الضبي يظهر له أنهم أطاعوه اكثر من اطاعة الحجاج لاسياده الأمويين قائلا :

« يا أمير المؤمنين ، ما سبقنا الحجاج لأمر فتخلفنا عنه ، والله ماخلق الله على جديد الارض خلقا أعز علينا من نبينا (ص) وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك وفعلنا فهل نصحناك ؟ » .

فلذع قوله المنصور فصـاح به :

« اجلس لا جلست » (١) .

وصفا الملك للنمصور بعد ثورة العلويين ، وراح الطاغية الجبار بعـد ذلك يمعن في ظلم الرعية وارهاقها ، فقـد تفللت القوى الخيرة التي كان يحذرها ويخشى بأسهـا ، وأخذ يجد في التنكيل ببقية العلويين ، واستئصال شأفتهم ، ونعرض فيما يلي الى بعض ما لاقوه من صنوف الارهاق الذي لا يوصف لفضاعته وقسوته .

وضعهم في الاسطوانات :

ولما خمدت ثورة العلويين جعل يطلب من بقي منهم طلباً حثيثاً فمن ظفر به جعله في الاسطوانات المجوفة المبنية من الجص والآجر ، وظفر بغلام من ولد الحسن وكان حسن الوجه فسلمه الى البناء وأمره أن يجعله في جوف اسطوانة ويبني عليه ، ووكل به من ثقاته من يراعي ذلك فجعله البنـاء في جوف اسطوانة وقد دخلته رقة عليه فترك له في الاسطوانة منفذاً يدخل

(١) مروج الذهب ٣/٢٢٤

منها الروح ، وقال للغلام : لا بأس عليك فاصبر فاني سأخرجك من جوف هذه الاسطوانة اذا جن الليل .

ولما جن الليل جاء البناء فأخرج العلوي ، وقال له : اتق الله في دمي ودم العماة الذين معي ، وغيب شخصاك ، فاني انما اخرجتك في ظلمة هذه الليلة لأني خفت أن يكون جدك رسول الله (ص) يوم القيامة خصمي بين يدي الله ، واكد عليه بأن يواري نفسه فطلب منه الغلام أن يعرف أمه بذلك لتطيب نفسها ، ويقل جزعها ، وهرب الغلام ولا يعلم في أي ارض اقام فيها ، وانتهى البناء الى الدار الذي عينه العلوي فسمع دوياً كدوي النحل من البكاء فعرف أنها أمه فأسرها بخبر ولدها ، وانصرف عنها (١) .

خزانة رؤوس العلويين :

وحديث الخزانة مليء بالأسى والشجون فقد ملأها برؤوس العلويين شيوخاً وشبابا وأطفالا ، وأوصى ريطة زوج المهدي أن لا يفتحها المهدي ولا يطلع عليها الا بعد هلاكه ، وقد دونها الطبري في تأريخه وهذا نصها :

« لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر فأوصاها بما أراد ، وعهد اليها ودفع اليها مفاتيح الخزائن ، وتقدم اليها وأحلفها ووكد الايمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن ؛ ولا تُطلع عليها أحداً إلا المهدي ، ولا هي الا ان يصح عندها موته ، فاذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما احد حتى يفتحا الخزانة ، فلما قدم المهدي من الري الى مدينة السلام دفعت اليه المفاتيح وأخبرته أنه تقدم اليها ألا يفتحه ، ولا يطلع عليه أحد حتى يصح

(١) بحار الانوار ٤٧/٣٠٦-٣٠٧ ، عيون اخبار الرضا ١/١١١

عندها موته ، فلما انتهى الى المهدي موت المنصور ، وولي الخلافة فتح الباب ومعه ريطة ، فاذا ازج كبير فيـــه جماعة من قتلى الطالبيين ، وفي آذانهم رقاع فيهـــا انسابهم ، واذا فيهم أطفال ، ورجال شباب ، ومشايخ عدة كثيرة ، فلما رأى ذلك المهدي إرتاع لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها ، وعمل فوقها دكاناً (١) .

لقد احتفظ المنصور بتلك الخزانة ، وادخرها (ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون) ادخرها « ليوم الفصل » يوم يعض الظالم على يديه .

استرحام العلويين :

وأخذ العلويون يسترحمون هذا الطاغيـــة ، ويطلبون منه العفو إلا انه لم تحركه العواطف الانسانية ، ولا الرحم الماسة للصفح عنهم فقد توجه الى بيت الله الحرام وبينما هو يسير في موكبه اذ انطلقت اليه ابنة عبد الله ابن الحسن فتلت عليه هذه الأبيات الرقيقة :

إرحم صغار بني يزيد انهم ... يتموا لفقدك لا لفقد يزيد
وارحم كبيراً سنه متهدما ... في السجن بين سلاسل وقيود
ولئن أخذت بجرمنا وجزيتنا ... لنقتلن به بـــكل صعيد
ان جدت بالرحم القريبة بيننا ... ما جدكم من جدنا ببعيـــد

فلم يحرك ضميره القاسي هذا الاستعطاف الرقيق فكان جوابه لها :

« اذكرتنيه يا بنت عبد الله »

ثم أمر به فأهدر في المطبق ، ولفظ فيه انفاسه الأخيرة (٢)

(١) الطبري ٦/٣٢٠ الطبعـة الأولى

(٢) جاء في تذكرة الخواص (ص ٢٣٠) ان قول فاطمة بنت =

لقد انتهى المنصور الى حضيض من اللؤم والقسوة ما له من قرار :

الإمام الصادق في ذمة الخلود :

وقاسى الامام الصادق في عهد المنصور جميع أنواع الخطوب والآلام فرأى ماقاساه المسلمون من الجهد والبلاء ، وماعاناه العلويون من صنوف التنكيل والتعذيب ، وقد كانت سلامته من المنصور اعجوبة بالرغم من تحرزه وتوقيه من الاشتراك في أي ميدان من الميادين السياسية ، ويدل على ذلك حديثه المشهور :

« عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها فان تكن في شيء فيوشك ان تكون في الخمول ، فان طلبت في الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت ، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها » .

لقد حاول المنصور ان يفتك به مراراً ، ولكن الله رد عنه كيده ، وقد احضره غير مرة وهو يتميز غيظاً ، ويحاول قتله ، وقد دفع الله عنه شره ، وقد ارسل اليه مرة الربيع فأنفذ اليه ولده محمد وأمره أن يأتي به على الحالة التي هو عليها ، وقال له : امض الى جعفر بن محمد فتسلق على حائطه ولا تفتح عليه باباً فيغير بعض ما هو عليه ، ولكن انزل عليه نزولا ، فقام محمد بما أمر به ، فوجد الامام قائما يصلي فلما فرغ من صلاته قال له :

ـ اجب امير المؤمنين

= عبدالله « وارحم صغار بني يزيد » انما وقع من فلتات لسانها اذ لم يكن لعبد الله بن الحسين ابن اسمه يزيد ولا يعرف في آل أبي طالب من اسمه يزيد الا يزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وقد انكر عليه بنو هاشم هذا وهجروه لاجل ما سمي به .

- دعني ألبس ثيابي

- ليس الى ذلك من سبيل

فجاء بالامام على حالته ، وادخله عليه ، فقــال له المنصور بنبرات تقطر غضباً :

« يا جعفر ماتدع حسدك وبغيك وافسادك على أهل هذا البيت من بني العباس ، وما يزيدك الله بذلك إلا شدة حسد . ونكد ما تبلــغ به ما تقـدره » .

فقال له الامام :

« والله يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئاً من هذا ولقد كنت في ولاية بني أمية وأنت تعلم أنهم أعدى الخلق لنا ولـكم ، وانهم لا حق لهم في هذا الأمر ، فوالله ما بغيت عليهم ، ولا بلغهم عني سوء ، مــع جفاهم الذي كان بي ، وكيف يا أمير المؤمنين اصنع الآن هذا ؟ وأنت ابن عمي وأمس الخلق بي رحماً ، واكثرهم عطاءاً وبراً ، فكيف افعل هذا ؟ »

فأطرق المنصور برأسه ساعة الى الارض ورفع رأسه وقال له :

« أبطلت وأثمت »

وأخرج إضبارة كتب ، فرمى بها اليه ، وقال له : هذه كتبك الى اهل خراسان تدعوهم الى نقض بيعتي وان يبـايعوك دوني .

فقال له الامام :

« والله يا امير المؤمنين ما فعلت ، ولا أستحل ذلك ، ولا هو من مذهبي ، واني لمن يعتقد طاعتك على كل حال ، وقـد بلغت من السن ما قد اضعفني عن ذلك ، لو اردته فصيرني الى بعض حبوساك حتى يأتيني الموت فهو مني قريب » .

فصاح به الخبيث اللئيم : لا ولا كرامة ، ثم اطرق برأسه ، وضرب

يده الى السيف ، فسل منه مقدار شبر ، وأخذ بمقبضه ثم رده ، وقال للامام بكلمات قاسية :

« يا جعفر أما تستحي مع هذه الشيبة ، ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل وتشق عصا المسلمين ؟ تريد أن تريق الدماء ، وتطرح الفتنة بين الرعية والأولياء » .

فقال له الامام : « لا والله يا أمير المؤمنين ما فعلت ، ولا هذه كتبي ولا خطي ، ولا خاتمي » ثم انتضى من السيف ذراعا ، وعمد فأرجعه .

وأقبل يعاتبه والامام يعتذر منه ، ثم انتضى السيف الا شيئاً يسيراً منه ثم اغمده ، واطرق برأسه الى الارض ثم رفع رأسه ، وقال : أظنك صادقاً وأمر الربيع أن يأتيه بالغالية فأخذ منها ووضعه على كريمة الامام وكانت بيضاء فاسودت ، وبالغ في اكرام الامام وتبجيله ، وكان سبب ذلك انه رأى برهانا من ربه فعفا عنه (١) .

لقد كان المنصور يحقد على الامام أشد الحقد بسبب اجماع المسلمين على تعظيمه ، وقد خبا أمام جذوة اسمه الوهاج اسم المنصور فالعالم الأسلامي كان يتحدث بذكره ، ويتناقل فضائله وعلومه ، وقد حاول الطاغية الجبار أن يستدرجه في موكبه فكتب اليه :

« لمَ لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس ؟ »

وقد ظن ان الامام (ع) سيبادر الى اجابته شأن الكثيرين ممن أغرتهم الدنيا ، ولم يعلم أن الامام (ع) يتحرج من الاتصال به ، فقد وضع نصب عينيه قوله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » ، وبعد ما قرأ (ع) رسالة المنصور أجابه :

« ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك

---

(١) بحار الأنوار ٤٧/١٩٥-١٩٩ ، مهج الدعوات (ص ١٩٢)

له ، ولا انت في نعمة فنهنيك عليها ، ولا تعدها نقمة فنعزيك عليها فلمَ نغشاك ؟ » .

ولكن المنصور لم يع كلام الامام فقد اغرته الدنيا ، واعمى قلبه حب الملك والسلطان ، فلما قرأ كتاب الامام أجابه :

« إنك تصحبنا لتنصحنا »

فرد عليه الامام (ع) : « من أراد الدنيا فلا ينصحك ، ومن أراد الآخرة فلا يصحبك » .

وباء المنصور بالفشل فلم تتحقق منيته ، وقد اجتمع (ع) به فوقع على وجه المنصور بعض الذباب فدفعه بيده فعاد اليه حتى ضجر منه فالتفت الى الامام قائلا :

« يا ابا عبد الله ، لم خلق الله الذباب ؟ »

فلم يعن (ع) به واجابه غير مكترث به قائلا : « ليذل به الجبابرة » وقد ساء المنصور ذلك ، وثقل عليه عدم اعتناء الامام به فراح يطيل التفكير في اغتياله .

وصمم الطاغية على ان يقدم على أخطر موبقة وأعظم جريمة في الاسلام غير حافل بالعار والنار ، فدس الى الامام سما فاتكا على يد عامله على يثرب ولما تناوله الامام تقطعت أمعاؤه وأخذ يعاني الآلام القاسية . والأوجاع المؤلمة ، ولما شعر بدنو الأجل المحتوم منه أمر باحضار آله ، ومن يمت اليه وبعد اجتماعهم عنده زودهم بهذه الوصية القيمة قائلا :

« إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة »

ثم انه عهد بأمره سراً الى ولده الامام موسى (ع) وأوصاه بوصاياه الخاصة ، وعهد بأمره امام الناس الى خمسة أشخاص ، وهم أبو جعفر المنصور ، ومحمد بن سليمان ، وعبد الله ، وموسى ، وحميدة ، وانما فعل

ذلك خوفاً على ولده من السلطة الكافرة كما تبين ذلك بوضوح بعد وفاته فقد كتب المنصور الى عامله يأمره بقتل وصي الامام ان كان معيناً ، فرد عليه عامله أنهم خمسة وهو أحدهم ، فقال المنصور ليس الى قتل هؤلاء من سبيل .

واشتد الألم بالامام فأخذ يعاني الأوجاع القاسية ، ولما دنا منه الأجل المحتوم اخذ يتلو آيات من الذكر الحكيم ويناجي ربه ويبتهل اليه حتى فاضت نفسه الزكية الى جنة المأوى ، وسمت الى الرفيق الاعلى تلك النفس العظيمة التي لم يخلق لها نظير فيما مضى من سالف الزمن ـ عدا آبائه ـ وما هو آت حلما وعلما وبرا وعطفاً على جميع الناس .

لقد مات عميد الاسلام والموجه الأول للقافلة الاسلامية الذي بذل بدوره جميع جهوده في اشعاع الفكر الانساني وبث روح العلم والفضيلة بين الناس وكان موته من الأحداث الخطيرة التي مني بها العالم الاسلامي فلقد اهتزت جميع ارجائه لهوله .

وارتفعت الصيحة من بيوت الهاشميين وعلا الصراخ والعويل من بيوت يثرب ، وهرعت الناس كعرف الضبع وهم ما بين واجم وصائح ومشدوه ونائح على فقد الراحل العظيم الذي كان ملاذاً لهم ومفزعاً في جميع الامور

وقام الامام موسى (ع) وهو مكلوم القلب قد ذابت نفسه أسى وحسرات فأخذ في تجهيز أبيه ، وهو يذرف من الدموع مهما ساعدته الجفون فغسل الجسد الطاهر وكفنه بثوبين شطويين (١) كان يحرم فيهما ، وفي قميص وعمامة كانت للامام زين العابدين (ع) ولفه ببرد اشتراه الامام موسى (ع) باربعين ديناراً ، وبعد الفراغ من تجهيزه صلى عليه الامام موسى (ع) ، ثم حمل الجثمان المقدس على أطراف الأنامل وقد احتفت به الجماهير الحاشدة ،

(١) شطويين : مفرده شطا احدى قرى مصر .

وجيء به الى البقيع المقدس فدفن في مقره الأخير بجوار أبيه الباقر وجده زين العابدين (ع) ، ووقف على حافة القبر الشاعر الشهير أبو هريرة فأخذ يؤبن الامام بهذه الأبيات :

أقول وقد راحوا به يحماونه — على كاهل من حامليه وعاتق
أتدرون ماذا تحملون الى الثرى — ثبيرا ثوى من رأس علياء شاهق
غداة حثا الحاثون فوق ضريحه — ترابا وقبلا كان فوق المفارق(١)

وبعد الفراغ من دفن الامام (ع) وتأبينه أقبل المسلمون يرفعون الى الامام موسى التعازي ويبدون له المواساة بمصابه الأليم وهو واقف يشكرهم على مواساتهم وتعازيهم ، ثم قفل راجعاً الى ثويه ، وقد احتف به أهل بيته وخلص أصحابه ، وأمر (ع) بالوقت ان يوضع ضياء في المحل الذي قبض فيه أبوه جرياً على السنة ، وبقي ذلك الضياء يوقد في كل يوم حتى اعتقل (ع) في العراق (٢) .

وتقلد الامام منصب الزعامة الكبرى بعد وفاة أبيه ، وكان عمره الشريف آنذاك عشرين سنة (٣) والمنصور في السنة العاشرة من سلطانه ،

رجوع الشيعة للامام موسى :

ولما فجع العالم الشيعي بوفاة زعيمه الروحي العظيم الامام الصادق (ع) رجع من بعده الى ولده الامام موسى ، فقد بعثت جميع الاقطار التي تدين بالامامة وفودها لتعيين الامام بعد ابي عبد الله (ع) وجاءت تلك الوفود

(١) اصول الكافي
(٢) الجواهر : كتاب الطهارة
(٣) صفة الصفوة

الى يثرب فالتقت بالامام موسى وآمنت بامامته وعقدت له الولاء والطاعة فقد وجدت فيه كل ما هو ماثل في أبيه من العــلم والايمان والتقوى والصلاح وما ماثل ذلك من الصفات الرفيعـة التي لا توجد إلا عند من عصمه الله من الزلل ، وطهره من الرجس ، واختاره لارشاد عباده الى سواء السبيل .

وحدث هشام بن سالم أحد عيون الشيعة ووجوهها عن كيفية رجوعه ورجوع اخوانه الى الامام بعد وفاة أبيه يقول : كنت بالمدينة مع محمد بن النعمان صاحب الطاق حين وفاة الامام أبي عبد الله ، وقد اجتمع الناس على عبد الله بن جعفر ظانين أنه صاحب الأمر والقائم بعد أبيه فدخلت عليه مع أصحابي ولما استقر بنا المجلس وجهنا له السؤال الآتي :

ـ كم تجب الزكاة في المائتين من الدراهم ؟

ـ خمسة دراهم .

ـ ففي المائة ؟

ـ درهمـان ونصف .

وتعجبوا من هذه الفتوى التي لا تمت الى الشريعة الاسلامية بصلة ، فان النصاب الأول في نصاب الدراهم مائتان ومانقص عنها فليس عليه شيء وطفق هشام يقول مستهزءاً بهذه الفتوى التي لا مدرك لها :

ـ والله ما تقول المرجئة هذا !!

ـ والله ما ادري ماتقول المرجئة ؟

وخرج هشام ومحمد من عنده وهما لا يبصران الطريق من الألم والحزن لعدم ظفرهما بالامام القائم بعد أبي عبد الله وجعل هشام يقول :

« الى المرجئه ، الى القدرية ، الى المعتزلة ، الى الزيدية ، الى الخوارج ؟ !! » .

وبينما كان هشام ومحمد هائمين في تيار من الهواجس والأفكار لا يعلمان

أي مبدأ يعتنقانه اذ اطل عليهما شيخ فأومأ الى هشام يشير اليه باتباعه ، فتوهم هشام أنه من عيون المنصور وجواسيسه قد فهم حديثهما فالتفت الى صاحبه وقد استولى عليه الذعر والارتباك وأمره بالبعد عنه ليكون وحده الذي ينال العقوبة والجزاء ، فتبع الشيخ حتى أورده على الامام موسى بن جعفر عليه السلام ، فلما دخل سكن روعه وحينما استقر به المجلس التفت اليه الامام قائلا بنبرات تفيض لطفاً وحناناً :

« إلي لا الى المرجئة ، ولا الى القدرية ، ولا الى المعتزلة ، ولا الى الزيدية ..»

ففرح هشام لأنه ظفر ببغيته حيث أخبره الامام بما انطوت عليه نفسه وتلك من امارة الامامة وعلائمها ، ووجه له هشام السؤال الآتي :

- جعلت فداك مضى أبوك ؟

- نعم .

- مضى موتاً ؟

- نعم .

- من لنا بعده ؟

- إن شاء الله أن يهديك هداك

- جعلت فداك إن عبد الله أخاك يزعم أنه الامام بعد أبيه .

- عبد الله يريد أن لا يعبد الله

- من لنا بعده ؟

فأجابه مثل جوابه الأول ، وطفق هشام يقول :

- أفأنت هو :

لا اقول ذلك

وأخطأ هشام في حديثه والتفت الى خطله فقال :

- عايك إمام ؟

ـ لا

فداخله من الاكبار والاجلال ما لا يعلم به إلا الله ، ثم قال له :

ـ جعلت فداك ، أسألك عما كنت اسأل به أباك ؟

ـ سل ولا تذع ، فان أذعت فهو الذبح

ثم وجه اليه أسألة كثيرة فاذا به بحر لا ينزف لكثرة علمه ، وفضله وانبرى بعد معرفته ووثوقه بامامته قائلا :

ـ جعلت فداك ، شيعة ابيك في ضلال فالقى اليهم هذا الأمر ، وادعوهم اليك ، فقد اخذت علي الكتمان ؟

ـ من أنست به رشداً فالق اليه ، وخذ عليه الكتمان ، فان اذاع فهو الذبح ـ واشار بيده الى حلقه ـ

ثم خرج وهو ناعم الفكر مسرور القلب بما ظفر به ، فبادر اليـه صاحبه قائلا :

ـ ما وراءك ؟

ـ الهدى

ثم حدثه بالأمر ، وقصدا زرارة وأبا بصير وبعد الاجتماع بهما نقـل لها الحديث ، فبادر زرارة وأبو بصير الى الامام وسألاه عن بعض المسائل فأجاب عنها فقطعا بامامته ، وأقبلت جماهير الشيعة تترى أفواجا نحو الامام وهي تعقـد له الولاء والطـاعة ، وتعترف بامامته ، وقد دانت الأغلبية الساحقة من الشيعة بامامته سوى أصحاب عمار الساباطي فانهم بقوا على فكرتهم مصرين (١) .

وتولى الامام (ع) بعد وفاة ابيه القيام بشؤون الشيعة وبنشر المبادىء الاسلامية العليا وتزويد العلماء والطلبة بشتى انواع العلوم والمعارف ، وقـد

(١) المجالس : (ج ٥ ص ٣٢٨)

وضعت عليه الحكومة بعد ذلك الرقابة الشديدة فلم يتمكن على الاتصال بالشيعة علناً كما لم تتمكن الشيعة على التصريح بعقيدتها ومبدأها :

الانكار على سياسة المنصور :

وأخذت سياسة المنصور تتفجر بكل ما خالف كتاب الله وسنة نبيه فقد عمد الى قتـل الابرياء ، وهتك الأعراض ، وسلب الأموال ، وزج الأحرار في السجون ، ومطاردة رجال الفكر ، واستئصال ذرية النبي (ص) وقد أثار ذلك موجات من السخط عليه ، فقد اندفع بعض اعلام الاسلام الى الانكار عليه ، وفيما يلي عرض لبعضهم :

١ ـ عبد الله بن طاووس :

ودخل عبد الله بن طاووس اليماني (١) على المنصور ومعه مالك بن أنس ، فالتفت اليه المنصور قائلا :

ـ حدثني عن أبيك

ـ حدثني أبي ، ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في سلطانه فادخل عليه الجور في حكمه ،

فالتاع المنصور وبدا عليه الغضب الهائل ، وتيقن مالك بهلاك صاحبه فضم اليه ثيابه لئلا يصيبها دم عبد الله ، والتفت المنصور الى عبـد الله قائلا له :

---

(١) عبد الله بن طاووس بن كيسان اليماني ، كان فقيهاً عالماً بالعلوم العربية وكان شديد البغض لآل البيت (ع) توفي في زمان المنصور ، جاء ذلك في تهذيب التهذيب (ج ٥ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨)

« ناولني الدواة »

فلم يناولها له ، فصاح به المنصور :

ـ لمَ لا تناولني الدواة ؟

ـ أخاف أن تكتب بها معصية

ولم يجد المنصور جواباً له فأمر باخراجه ، فانصرف عبد الله ، وترك المنصور يتميز غيظا وغضبا (١) .

٢ ـ سفيان الثوري :

ودخل سفيان الثوري (٢) على المنصور ، فلما استقر به المجلس التفت الى المنصور بكل جرأة قائلا له :

« إتق الله ، فانك انما نزلت هذه المنزلة ، وصرت الى هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار ، وأبناؤهم يموتون جوعاً ، حج عمر بن الخطاب فما انفق إلا خمسة عشر ديناراً ، وكان ينزل تحت الشجر » .

فقال له المنصور مستهزءاً به :

ـ إنما تريد أن أكون مثلك

---

(١) شذرات الذهب (ج ٢ ص ١٨٨)

(٢) هو شيخ الاسلام وسيد الحفاظ ، قال ابو أسامة من أخبرك أنه رأى مثل سفيان فلا تصدقه ، وقال ابن ذئب : ما رأيت بالعراق أحـداً يشبه ثوريكم ، ولد سنة ٩٧ هـ وطلب العلم وهو حدث ، وكان ابوه من علماء الكوفة ، توفي في البصرة متخفياً من المهدي لأنه كان قوالا بالحـق شديد الانكار ، كانت وفاته في شهر شعبان سنة ١٦١ هـ ، جاء ذلك في تذكرة الحفاظ (ج ١ ص ١٩٠ ـ ١٩٢) ، وقد اقتبس الكثير من علومه من الامام الصادق (ع) لأنه كان من تلامذته .

ـ لا تكن مثلي ، ولكن كن دون ما أنت فيه ، وفوق ما أنا فيه

فصاح به المنصور « اخرج » فانبرى اليه الثوري وهو يسدد له سهما من منطقه الفياض قائلا :

ـ إني لأعلم مكان رجل واحد ، لو صلح صلحت الأمة كلها .

ـ من هو ؟

ـ أنت يا أمير المؤمنين

ثم تركه وانصرف عنه ، وقد كوى قلبه بكلامه (١) .

٣ ـ ابن أبي ذئب :

ودخل جماعة من كبار الفقهاء في الاسلام على المنصور عندما ولي الخلافة ، وكان مجلسه مهيباً مفزعاً ، فقد جلس على فراش قد نظم بالدر والأحجار الكريمة ، وأحاط به جمع من حراسه قد شهروا السيوف يترقبون صدور الأمر منه باعدام أي شخص كان ، ولما استقر المجلس بالفقهاء رمقهم المنصور بطرفه وهو يقطر غضباً وحنقاً عليهم ، قائلا لهم :

« أما بعد يا معشر الفقهاء ، فقد بلغ أمير المؤمنين عنكم ما أخشن صدره ، وضاق به ذرعه ، وكنتم أحق الناس بلزوم الطاعة والنصيحة في السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم » .

فانطلق اليه الزعيم الديني مالك بن أنس يظهر له الطاعة وكذب الوشاة عليهم قائلا :

« يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »

فهدأت ثورة المنصور وسكن غضبه والتفت اليهم قائلا :

---

(١) المسامرات (ج ١ ص ٩٨)

« أي الرجال أنا عندكم ؟ آمن أئمة العدل أم من أئمة الجور ؟ »

وتوسل اليه مالك بالله ، وتشفع اليه بالنبي (ص) أن يعفيه عن الجواب فعفاه عنه وانبرى اليـــه ابن سمعان الذي كان من « وعاظ السلاطين » مبينـــاً له أنه ظل الله في ارضه وانه رمز العدالة ومحقق السلام بين الناس قائلا له :

« أنت والله خير الرجال ، يا أمير المؤمنين ، تحج بيت الله الحرام ، وتجاهد العدو ، وتؤمن السبل ، ويأمن الضعيف بك أن يأكله القوي ، وبك قوام الدين ، فأنت خير الرجال وأعدل الأئمة » .

وقد تزلف الى المنصور بهذا المنطق الرخيص الذي هو منطق العملاء والعبيد فانه ينم عن نفس طبع عليها الخنوع والنفاق ، والتفت المنصور الى ابن أبي ذئب (١) قائلا له :

« ناشدتك الله ، أي الرجال أنا عندك ؟ »

فانطلق مجيباً له كالاسد الهادر لم يخفه ذلك المنظر الرهيب ولم يخش بأس تلك السلطة الجائرة ، فقد كان يملك ضميرا حياً ، ورصيداً قوياً من الايمان والعقيدة قائلا له :

« أنت والله عندي شر الرجال ، استأثرت بمال الله ورسوله ، وسهم

---

(١) ابن ابي ذئب هو محمد بن عبدالرحمن القرشي العامري المدني الفقيه قال احمد بن حنبل : كان ابن أبي ذئب افضل من مالك إلا أن مالكاً أشد تنقية للرجال منه ، وقال الواقدي : إنه من أورع الناس وأفضلهم ، ولد سنة ثمانين ، وكان قوالا بالحق لا يهاب السلطة ، فقد دخل المهدي مسجد النبي (ص) فلم يبق أحد من الناس إلا قام له إجلالا وتكريما سوى ابن أبي ذئب ، فقيل له : قم فهذا امير المؤمنين ، قال إنمـــا يقوم الناس لرب العالمين ، توفي سنة ١٥٩ هـ جاء ذلك في تذكرة الحفاظ (ج ١ ص ١٧٩ ـ ١٨١)

ذوي القربى واليتامى والمساكين ، وأهلكت الضعيف ، وأتعبت القوي ، وأمسكت أموالهم ، فما حجتك غداً بين يدي الله :

وما وسع المنصور أمام لسع الحق إلا أن يغضب ويصيح :

« ويحك ! ! ما تقول ؟ : أتعقل ؟ أنظر ما أمامك ؟ - وأشار الى الجلادين » .

فانبرى اليه مبيناً له عدم اعتنائه بهم قائلا :

« نعم ، قد رأيت أسيافاً ، وإنما هو الموت ، ولابد منه عاجله خير من آجله . . » .

وقام عنه ، وقد حطم كيانه بهذه الصراحة التي انبعثت عن ضمير حي (١) .

٤ - عبد الرحمن بن زياد :

ووفد عبد الرحمن بن زياد الافريقي على المنصور فأقام بباب بلاطه شهراً لا يمكنه من الدخول عليه ، ثم أذن له فلما استقر به المجلس قال له :

- ما أقدمك ؟

- ظهر الجور ببلادنا فجئت لأعلمك ، فاذا الجور يخرج من دارك ، ورأيت أعمالا سيئة ، وظلما فاشياً ظننته لبعد البلاد منك ، فجعلت كلما دنوت منك كان الأمر أعظم . . »

فالتاع المنصور من كلامه وأمر باخراجه (٢) ووفد عليه مرة اخرى فقال له :

- كيف سلطاني من سلطان بني أمية ؟

---

(١) الامامة والسياسة (ج ٢ ص ١٨٥ - ١٨٧)

(٢) تأريخ بغداد (ج ١٠ ص ٢١٥)

ـ ما رأيت في سلطانهم من الجور شيئاً الا رأيته في سلطانك

ـ إنا لا نجد الأعوان

ـ إن عمر بن عبد العزيز قال : إن السلطان بمنزلة السوق يجلب اليها ما ينفق فيهـا ، فان كان براً أتوه ببرهم وان كان فاجراً أتوه بفجورهم ، فأطرق المنصور ولم يفه بشيء (١) .

٥ ـ مصلح كبير :

وأعظم ناقد للمنصور قام بدوره بنقد سياسته ، التي لا تتفق مع الحق والعدالة ، هو مصلح كبير ضن التأريخ بالتصريح باسمه ، فقد أوقف المنصور على جرائمه ، وحاسبه على اعماله ، وهذا نص حديثه ، بينما كان المنصور يطوف بالبيت إذ انطلق اليه ذلك الرجل وهو يقول :

« اللهم : إني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع . . . »

فوقعت هذه الكلمات كصاعقة على رأس المنصور الطاغية الجبار فلما فرغ من طوافه أمر باحضاره ، فلما مثل بين يديه سأله عن قوله فطلب منه الأمن وعدم التعرض له إن كشف الحقيقة وأدلى بالحق فآمنه المنصور؟ فقال له :

« إن من دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله هو أنت يا أمير المؤمنين

ـ ويحك !! وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء عندي والحلو والحامض في قبضتي ؟!!

ـ إن الله استرعاك للمسلمين وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر ، وأبواباً من الحديد ، وحجاباً معهم الأسلحة ، وأمرتهم

(١) تأريخ الخلفاء : (ص ٢٦٨)

أن لا يدخل عليك الا فلان وفلان ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الضعيف ولا الفقير ولا الجائع ولا العاري وما منهم إلا وله في هـذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك يجبى لك الأموال فلا تعطيها ، وتجمعها فلا تقسمها قالوا : هذا قد خان الله تعالى ، فما لنا لا نخونه ، وقد سخر لنا نفسه ، فاتفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا أقصوه ونفوه حتى تسقط منزلته ، ويتضع قدره ، فلما اشتهر هذا عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا ليقووا بهم على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا بهم ظلم من دونهم فامتلأت بلاد الله بالطمع ظلما وفسادا ، وصار هؤلاء شركاؤك في سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك ، فان أراد رفع قصته اليك وجدك قد منعت من ذلك ، وجعلت رجلا ينظر في المظالم فلا يزال المظلوم يختلف اليه وهو يدافعه خوفاً من بطانتك واذا صرخ بين يديك ضرب ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر ولا تفكر فما بقاء الاسلام على هذا ، فان كنت يا أمير المؤمنين إنمـا تجمع الاموال لولدك فقد اراك الله في الطفل يسقط من بطن أمه وما له في الارض مال وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحتويه فلا يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى يكثر ماله ، وتعظم رغبة النـاس اليـه ، ولست الذي تعطي وانمـا الله الذي يعطي من يشاء بغير حساب ، وإن كنت إنمـا تجمع المال لتشييد الملك وتقويته فقد أراك الله في بني امية ما أغنى عنهم ماجمعوه من الذهب والفضة ، ولا ما أعدوه من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله تعالى بهم ماأراد ، وان كنت انما تجمع المال لطاب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه منزلة إلا منزلة لاتنال بخلاف

ما أنت عليه . . » (١) .

وقد كشف هـذا الناقد العظيم بهذا التصريح عن جميع ما يعانيه المسلمون من الظلم والجور الذي صبه عليهم المنصور وعملاؤه الخونة الذين نهبوا ثروات الأمة ، وحجبوا عن المنصور أخبار الرعية وما تعانيـه من الضغط والجور ، فاذا فزع اليـه مظلوم حالوا بينه وبين الدخول عليه ، وإذا رفع عقيرته بالشكاية والاستغاثة نكلوا به ليكون عبرة للغير ، والمنصور قد حجب نفسه عن الرعية لا يهتم بصالحها ولا يفكر في رفع مستواها قد عكف على كنز الاموال وادخارها فلم ينفق منها شيئاً على المسلمين .

٦ ـ عمرو بن عبيد

واجتمع بالمنصور عمرو بن عبيد (٢) فقال له : بكل جرأة وإقدام

ـ إنه ما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه

ـ فما أصنع ؟ قد قلت لك : خاتمي بيدك ، فتعال أنت واصحابك فا كفني .

---

(١) مختصر أخبار الخلفاء : (ص ١٧ ـ ١٨)

(٢) عمرو بن عبيد البصري شيخ المعتزلة في عصره ، وأحد الزهاد المشهورين ، كان جده من سبي فارس ، وأبوه نساجا ، ثم شرطيا للحجاج في البصرة ، واشتهر عمرو بعلمه ، وزهده ، وفيه قال المنصور :

كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد

له رسائل وخطب وكتب منها (التفسير) والرد على القدرية ، توفي بالقرب من مكة ، ورثاه المنصور ، ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه ، جاء ذ لك في الاعلام : (ج ٢ ص ٧٣٦) .

ـ ادعنا بعدلك تسخ أنفسنا بعونك ، إن ببابك الف مظلمة اردد منهـا شيئاً نعلم أنك صادق . . » (١)

ولم يجد الوعظ والارشاد مع المنصور . فقد ظل متمادياً في جوره وطغيانه لم يحذر من عقـاب الله ، ولم يخف من اليوم الآخر .

الامام موسى مع المنصور :

وشاهد الامام موسى (ع) جميع الرزايا والنكبات التي حلت باهل بيته وأسرته فانطوت نفسه على الحزن العميق ، والأسى المرير ، وقد صبر محتسباً كاظما للغيظ .

ولم يشترك الامام في الميادين السياسية ، ولم ينضم الى الثوار من العلويين لعلمه بفشل حركتهم ، وعـدم نجاحها ، فلذا كف عنه المنصور الاذى والمكروه ، وقد طلب منه أن يمثله في يوم النوروز وينوب عنه في قبض الهدايا والتحف التي اعتاد الوجوه والاشراف وزعماء الجيش تقديمها الى الخليفة فقد سن ذلك معاوية بن أبي سفيان في الاسلام وسار على منواله وخطتـه الملوك من بعده ، وقد امتنع (ع) من اجابته قائلا :

« اني قد فتشت الاخبار عن جدي رسول الله (ص) فلم أجد لهذا العيد خبراً ، وانه سنة للفرس قد محاها الاسلام ، ومعاذ الله ان نحي ما محاه الاسلام . . » .

فلم يعتن المنصور بعدم مشروعيته ، وأصر على الامام أن ينوب عنه لان في ذلك مجاراة لجنوده الفرس الذين اعتادوا على الاحتفال بهذا اليوم ، ولم يجد الامام بدأ من اجابته فجلس في مكانه ودخل عليه الوجوه ، الزعماء

(١) عيون الأخبار ٣٣٧/٢

يهنؤنه ويحملون له الهدايا والتحف ، وعلى رأسه شخص من قبل المنصور يسجل ما يصل اليه ، وفي الوقت دخل على الامام شيخ طاعن في السن رث الهيئة وهو يحمل له هدية أثمن من الجوهر وأغلى من جميع ما قدم له فوقف قبال الامام وهو يقول .

« يا سيدي اني رجل صعلوك لا مال لي لاتحفك به ، ولكني اتحفك بأبيات ثلاث قالها جدي في جدك الحسين . . » .

- مرحباً بك وبهديتك ، اتلُ ما قال .

فانطلق يقول :

عجبت لمصقول علاك فرنده يوم الهياج وقد علاك غبار
ولإسهم نفذتك دون حرائر يدعون جدك والدموع غزار
ألا تضعضعت السهام وعاقها عن جسمك الاجلال والاكبار

فانقلبت مسرات ذلك اليوم الى مأتم حافل بالاسى والحزن على سيد الشهداء (ع) والتفت اليه الامام وقد استولى عليه الشجى والحزن قائلا له :

« قبلت هديتك ، اجلس بارك الله فيك . . »

ثم انه رفع رأسه الى الخادم فقال له : إمض الى المنصور وعرفه بهذا المال وما يصنع به ، فمضى الى المنصور وأخبره بمقالة الامام ، فقال له جميع ما وصل فهو هدية له ، فقفل راجعاً الى الامام واخبره بالامر ، فوهب (ع) جميع تلك الاموال الضخمة الى الشيخ كرامة لجده الذي رثى سيد الشهداء بهذه الابيات الرقيقة (١) .

ولم تصرح هذه الرواية انه (ع) في أي بلد أقام ممثلا عن المنصور ، هل في يثرب أم في بغداد ؟ فقد أهملت هذه الجهة مضافاً الى ماعرف به المنصور من البخل والشح ، وهذا مما يوجب الريبة في الرواية .

(١) المناقب : (ج ٢ ص ٣٨٠) ، البحار (ج ١١ ص ٢٦٤)

هلاك المنصور :

وقرر المنصور السفر الى مكة ، واعتقد أنه سيهلك في سفره ، وقد هام في تيار من الهواجس والافكار فكان يقول : « إني ولدت في شهر ذي الحجة وتوليت الخلافة في ذي الحجة ، وأمجس في نفسي اني أموت في ذي الحجة هذه السنة » (١) وقد عهد بأمره الى ولده المهدي ، ونصبه ملكا من بعده وقد اوصاه بهذه الوصية التي كشفت جانبا كبيراً من سياسته الارهابية التي اشاعت الفقر والخوف والسجون بين المسلمين فقد جاء فيها :

« اني تركت بعض المسيئين من الناس ثلاثة أصناف فقيرا لا يرجو الا غناك ، وخائفا لا يرجو الا أمنك ، ومسجونا لا يوجو الفرج الا منك فاذا وليت فأذقهم طعم الرفاهية ، لا تمدد لهم كل المد . . وقد جمعت لك من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبلي وجمعت لك من الموالي ما لم يجمعه خليفة قبلي وبنيت لك مدينة لم يكن في الاسلام مثلها . . » . (٢)

انه لم يترك بعض المسيئين من الناس على ثلاثة اصناف ، وانما ترك الناس جميعا كذلك فقد روعهم بخوفه ، وسلبهم الامن والدعة ، ونشر الفقر والمجاعة بينهم ، وملء السجون بالاحرار والمصلحين .

وسار موكبه من بغداد يطوي البيداء فلما بعد عن الكوفة عرض له وجعه على اشد ما يكون ، وأخذت الهواجس تنتابه في الطريق فجعل يقول للربيع : « بادر بي الى حرم ربي وأمنه هاربا من ذنوبي » .

---

(١) ابن الاثير ٥/٤٣

(٢) تأريخ اليعقوبي ٣/٣٤٩

وبلغ المرحلة الاخيرة من طريقه فقال له الربيع : قد وصلنا (بئر ميمون) وقد دخلنا الحرم فقال له المنصور : « الحمد لله فهـل لك أن توصلني الى الكعبة ؟ » وثقل حاله فلم يتمكن الربيع على أن يواصل السير فاقام هناك ، ومنـع الناس من الدخول عليـه ، وفي فجر يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة (١٥٨) هلك الطاغية الجبار الذي اذاق الناس جميع صنوف الظلم والخوف .

لقد انطوت تلك الصفحة الحافلة بالجور والاثم والموبقات ، فلم يعهد المسلمون في جميع مراحل تأريخهم حاكما أظلم ولا اعنف ولا اقسى من المنصور

وكان عمر الامام موسى (ع) آنذاك ثلاثين سنة ، وقد قضى زهرة حياته في عهد هذا الطاغية وهو مكلوم القلب حزين النفس قد طافت به الآلام حزنا على المسلمين وجزعا على ما لاقاه العلويون من التنكيل والعذاب الاليم ، وهنا نودعه لنلتقي به في عهد المهدي .

في عهد المهدي



استقبل العالم الاسلامي حكومة المهدي بمزيد من الأفراح والمسرات وذلك لما لاقاه في عهد المنصور من الشدة والصرامة والجور في الحكم فقد انتهت بموته فالمهدي ألين جانبا من أبيه فقد عرف بالسخاء وبسط الكف وعدم القسوة والغلظة .

وحينما استقل المهدي على دست الحكم أصدر مرسوماً ملكياً بالعفو عن جميع المعتقلين والمساجين السياسيين سوى من كان في عنقه دم أو كان ذا فساد في الأرض ، كما رد جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة التي صادرها أبوه ظلما وعدوانا الى أهلهـــا ، فرد على الإمام موسى ما صادره أبوه من أموال الإمام الصادق (ع) ، ويعود السبب في جميع ذلك الى انه قد تلقى الملك على جانب عظيم من الاستقرار والطمأنينة بالاضافة الى ذلك فانه ظفر بثراء عريض جهد في جمعه أبوه المنصور فقتر على نفسه وعلى الأمة فلم ينعم هو ولا المجتمع بخيرات ذلك المال الكثير ، ومن المؤسف أن المهدي قد انفق جميـــع الثروات الضخمة على اللهو والمجون والهبات للعملاء والماجنين ، ولم تستفد الطبقة الضعيفة منها شيئا .فانه لم يرفه عليها بشيء فلم يكن له هم إلا اشباع شهواته والاسراف في البذخ والترف والمجون .

وعلى اي حال فان المهدي لا يقاس بأبيه فقـد خالفه بأغلب صفاته واعماله إلا انه ورث منه العداء العارم للعلويين وشيعتهم ، فقد كان يبغضهم بغضا شديدا ، لقد ورث ذلك من أبيه المنصور الذي كان يعتقد ان لا بقاء له في الحكم والسلطان إلا بالقضاء على العلويين وشيعتهم . . . ونعرض فيما يلي الى بعض نزعاته واعماله ، وما لاقاه الامام موسى (ع) في عهده .

خلاعته ومجونه :

والخلافة الاسلامية ظل الله في الارض فلابد ان تمثل اهداف الاسلام وواقعه وهديه ، ولابد أن تصان من العبث والمغريات ، وتنزه عن اللهو والمجون ، ولكن حكام الأمويين والعباسيين لم يوثر عن الكثيرين منهم انهم قد ابتعدوا عما حرمه الله من المنكر واللهو فقد حولوا الخلافة الاسلامية الى مسارح للرقص واللذة والفساد ، ولو انهم خلعوا عن نفوسهم ثوب الخلافة لصانوا الاسلام ، وحافظوا على مثاليته .

وشاع اللهو في عهد المهدي ، وانتشر المجون ، وسادت الميوعة والتحلل بين الناس ، فقد ذاع شعر بشار ، وحفظ الناس تغزله بالنساء ، وقد ضج الاشراف والغيارى من ذلك ، ودخل على المهدي يزيد بن منصور فطلب منه أن يوقف بشاراً عند حده ويمنعه من الغزل المكشوف فاستدعاه المهدي ونهاه عن ذلك ، واليه يشير بشار بقوله :

قد عشت بين الريحان والراح والـ ـزهر في ظل مجلس حسن
وقد ملأت البلاد ما بين فغـ ـفور الى القيروان فاليمن (١)
بشعر تصلي له العوائق والثيـ ب صلاة الغواة للوثن
ثم نهاني المهدي فانصرفت نفسي صنيع الموفق اللقن
فالحمد لله لا شريك له ليس بباق شيء على الزمن

ومع ذلك فقد ظل بشار يتغزل ويمجن من طريق خفي ، وفي ذلك يقول :

يا منظراً حسناً رأيته من وجه جارية فديته

---

(١) فغفور : من ملوك الصين

بعثت إلي تسومني ... ثوب الشباب وقد طويته

والله رب محمد ... ما إن غدرت ولا نويته

أمسكت عنه وربمـا ... عرض البلاء وما ابتغيته

إن الخليفة قـد أبى ... وإذا أبى شيئاً أبيته

ونهاني الملك الهما ... م عن النساء فاعصيته

بل قد وفيت ولم أضع ... عهداً ولا وَيا وأيته (١)

وأنا المطل على العدى ... وإذا غلا الحمد اشتريته

وأميل في أنس النديـ ... ـم من الحياء وما اشتهيته

ويشوقني بيت الحبيـ ... ـب اذا غدوت وأين بيته

حال الخليفـة دونه ... فصبرت عنه وما قليته

ويقول أيضا :

دفنت الهوى فلست بزائر ... سليمى ولا صفراء ما قرقر القمري

تركت لمهدي الأنام وصالهـا ... وراعيت عهداً بيننا ليس بالختر(٢)

ولولا أمـير المؤمنين محمد ... لقلبت فاها او لكان بها فطري

لعمري لقد أوقرت نفسي خطيئة ... فما أنا بالمزداد وقراً على وقر (٣)

لقد ضيق عليه في بادىء الامر ثم أطلق سراحه ، ولكنه انجرف هو بتيار من المجون والدعارة ، ويعتبر المؤسس الاول للهو في دولة بني العباس يقول الجاحظ :

« إنه احتجب بادىء ذي بدء عن المغنين ثم قال : انمـا اللذة في

---

(١) الوأي : الوعد

(٢) الختر : الغدر والخديعة

(٣) ضحى الاسلام : (ج ١ ص ١١٢ - ١١٤)

مشاهدة السرور في الدنو ممن سرني فأما من وراء وراء فما خيرها ولذتها ؟ » (١)
وبلغه حسن صوت ابراهيم الموصلي وجودة غنائه فقربه اليه واعلى من شأنه (٢)
ولما أقبل على المجون واللهو ظن الناس به الظنون واتهموه بشتى التهم والى
ذلك يشير بشار بن برد العقيلي في هجائه له :

خليفة يزني بعماته يلعب بالدف وبالصولجان
أبدلنا الله به غيره ودس موسى في حر الخيزران (٣)

وذكر الجاحظ أنه كان يحب القيان وسماع الغناء ، وكان معجباً بجارية
يقال لها : « جوهر » كان قد اشتراها وله فيها شعر (٤) وكان مولعاً بشرب
الخمر حتى نهاه عن ذلك وزيره يعقوب بن داود قائلا له :

« أبعد الصلاة في المسجد تفعل هذا ؟ » .

فلم يلتفت لنصحه وقد سمع بذلك بعض الشعراء الماجنين فحبــذ له
الاستمرار في شربها وعدم الاعتناء بقول وزيره قائلا :

فدع عنك يعقوب بن داود جانبا واقبل على صهباء طيبة النشر (٥)

لقد اطلق المهدي العنان لشهواته وملذاته ومجونه حتى نشأ ولده ابراهيم
وبنته علية على ذلك ، فكان ابراهيم شيــخ المغنين وعلية في طليعة
المغنيات والعازفات في بغداد .

---

(١) التاج : (ص ٣٥) .
(٢) الاغاني (ج ٥ ص ٥)
(٣) شذرات الذهب (ج ١ ص ٢٦٥)
(٤) اخلاق الملوك : (ص ٣٤)
(٥) الفخري : (ص ١٦٧)

بذخه واسرافه :

وأسرف المهدي على شهواته جميع ماتركه المنصور من الاموال الطائلة التي نهبها من المسلمين فقد صرفها المهدي على الملذات والمجون وترك المجتمع يئن من الآم الفقر والبؤس ، وقد بذخ المهدي بذخا كثيرا بهر الناس به وأهم صورة لبذخه واسرافه كانت في تزويجه لولده هارون بالسيدة زبيدة فقد احتفل احتفالا كبيرا ، وانفق عليه من أموال المسلمين خمسين الف الف درهم ، وقد أقام الدعوة في قصر الخلد على ضفاف دجلة ، ووجه الدعوة الى الناس قبل شهور فدعا جميع الآفاق فأقبلوا مبادرين وقد منوا انفسهم بالاموال الطائلة ، فنزلوا ضيوفاً عند المهدي وقد أتى بالآلات المختلفة فكان منها أوان صُنعت بالذهب والفضة وكانت الفرش والبسط ارمنية فاخرة قد ظفر بها العباسيون حينما استولوا على مقدرات الدولة الاموية ، وكانت تلك البسط من تراث الوليد بن يزيد وكان مغرماً بها فكان يزين بها ارض مجلسه وحيطان قصوره . وكانت أفخر ما اهدي للخلفاء وقد قال عنها (ماركو بولوا) الرحالة : لم تر عين أجمل ولا أجود منها ، وأتى ايضا بالثياب المطرزات بالذهب ، وبالطيب المختلف الالوان والضروب ، وبالجوهر الذي ملأ به الصناديق الكبار ، وبالحلي المرتفعات الاثمان ، وملأ القصر بأجمل الوصائف والخدم والغلمان .

فلما كانت ليلة الزفاف ، ألبست زبيدة قميصاً كله من الدر الكبار ، ما لم ير مثله ، ولم يقف أحد من المقومين له على قيمة لنفاسته ، والبسها بدنة امرأة هشام بن عبد الملك ، والبدنة ثوب كله من الذهب . لا يدخل فيه من الغزل سوى اوقيتين ، وينسج سائره بالذهب ، وزينها بالحلي حتى

لم تقدر على المشي لكثرة ما عليها من الجوهر . ويقول متز : « إن هذا شيء لم يسبق اليه أكاسرة الفرس ، ولا قياصرة الروم ولا ملوك الغرب » .

وجاءت نساء بني هاشم فكان يدفع لكل واحدة منهن ثوب وشي ، وكيس فيــه دنانير وآنية ملآى بالفضة وكان الخدم يملؤن أواني الذهب بالدراهم وأواني الفضة بالدنانير ثم يدفعون ذلك الى وجوه الناس ، ويردفونه بنوافح المسك وقطع العنبر (١) وذكر الشابشتي في كتابه « الديارات » ان المهدي لما زوج ابنه الرشيد بأم جعفر ابنة أخيه استعد لها ما لم يستعد لامرأة قبلها من الآلة وصناديق الجوهر والحلي والتيجان والاكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب وأعطاها بدنة عبدة امرأة هشام قال : ولم ير في الاسلام مثلها ، ومثل الحب الذي كان فيها ، وكان في ظهرها وصدرها خطان من ياقوت أحمر وباقيها من الدر الكبار الذي لا يوجد مثله (٢) ويقــال أن المقومين لم يقفوا على قيمة هذا الدر لنفاسته (٣) .

هذه صورة من صور البذخ والاستهتار بأموال المسلمين التي احتاط بها الاسلام أشد الاحتياط والزم بانفاقهــا على المصالح العامة ، وحرم على ولاة الامور أن يصطفوا لانفسهم منها أي شيء .

ومن بذخه واستهانته بأموال الدولة أنه اشترى فصاً من ياقوت أحمر كان في غاية النفاسة بثلاثمائة الف دينار ، وكانت الاموال أكياسا فلما نضد بعضها على بعض صارت كالجبل ، ولمــا استلمه وهبه لولده الهادي (٤)

---

(١) بين الخلفاء والخلعاء (ص ٢٥ ـ ٢٦) نقلا عن الديارات « دير السوسي » .

(٢) الديارات (ص ١٠٠)

(٣) تحفة العروس : (ص ٣٦)

(٤) الجماهر : (ص ٦١)

وبهذا نقف على مدى اسرافه وتبذيره ، ومن يستطيع يا ترى في ذلك العصر أن يجابه الخليفة بالنقـد ويقول له ان تلك الأموال ملك للامة وليس له فيها أي نصيب ، ولا حق له في التصرف بها ،

نفوذ المرأة :

والمرأة بطبيعتها تدفعها تيارات العواطف الى تحقيق رغباتها ، فكيف يصح لها ان تتصرف في امور المجتمع ، وقد شعر بذلك المنصور والسفاح فانهما لم يدعا أي مجال للمرأة بالدخول في الشؤون السياسية ، ولكن لما ولي الخلافة المهدي بدا سلطان المرأة ينفذ فان زوجه الخيزران كان لها سلطان ونفوذ قوي على القصر ، والندماء ، والحجاب والأطباء وغيرهم فكانت تقرب من تشاء ، وتبعد من تشاء ، وقد اخذت في مناكدة بختشيوع بن جورجيس الطبيب الشهير فأرغمت المهدي على اعادته الى جند يسابور (١) ومنذ ذلك اليوم أخذ نفوذ المرأة يزداد ويقوى حتى بلغ أوجه في أواسط الدولة العباسية وآخرها الأمر الذي ادى الى شيوع الاضطراب وعدم الاستقرار بين الناس .

الرشوة والظلم :

وانشغل المهدي بلهوه وملذاته عن رعيته فأهمل شؤونها فأخذ ذئاب عماله ينهبون الاموال ويسلبون الثروات ، وانتشرت الرشوة انتشاراً هائـلا عند جميع الموظفين خصوصاً في اقليم مصر فقد كان الوالي عليه موسى بن

(١) اخبار الحكماء للقفطي : (ص ١٠١)

مصعب ، فشدد في أخذ الخراج ، وزاد على كل فدان ضعف ما تقبل به وجعل الخراج على اهل الاسواق والدواب ، وعمد الى الرشوة في الأحكام والى ذلك يشير الشاعر بقوله :

لو يعلم المهدي ماذا الذي يفعله موسى وأيوب
بأرض مصر حين حلا بها لم يتهم في النصح يعقوب(١)

وقد عمد المهدي نفسه الى ظلم الناس والاجحاف بحقوقهم ، فقد أمر بجباية اسواق بغداد ، وجعل الاجرة عليها (٢) وقد اشتد الضغط على المواطنين ، ونال اهل الخراج من الشدة والعذاب الى حد لا سبيل الى تصويره (٣) وان رفع أحد عقيرته شاكياً أو مستغيثاً فمصيره الى القبور او الى السجون .

العناية بالوضاعين :

وقرب المهدي طائفة من علماء السوء الذين لم تتهذب ضمائرهم بتعاليم الدين ، فراحوا يؤيدون الظالمين ويسبغون عليهم الالقاب الحسنة ، والنعوت الشريفة تقربا اليهم وطمعا في دنياهم ، وقد نسوا المثل العليا التي جاء بها الاسلام فانساقوا وراء الطمع والجشع ، وتهالكوا على المادة ، وصعروا جباههم أمام الملوك والسلاطين ، فأحاطوهم بهالة من التقديس والتعظيم ، وأبرزوهم الى المجتمع انهم يمثلون ارادة الله وان الخطأ لا يتطرق اليهم ، هؤلاء هم الذين فتكوا بالاسلام وشوهوا معالمه ، وقد قرب المهدي جماعة

(١) الولاة والقضاة : (ص ١٢٥)
(٢) تأريخ اليعقوبي : (ج ٣ ص ١٣٤)
(٣) الجهشياري : (ص ١٠٣)

من هؤلاء العبيد فأخذوا ينمقون الأباطيل ويلفقون الأكاذيب في مدح المهدي والثناء عليه ، وهم أمثال أبي معشر السندي الذي هو اكذب انسان تحت السماء (١) وكغياث بن ابراهيم الذي عرف هوى المهدي في الحمام وعشقه لها فحدثه عن أبي هريرة أنه قال :

« لا سبق إلا في حافر او نصل ، وزاد فيه أو جناح . . »

فأمر له المهدي عوض افتعاله للحديث بعشرة آلاف درهم ، ولما ولى عنه قال لجلسائه :

« أشهد أنه كذب على رسول الله (ص) ما قال رسول الله ذلك ، ولكنه أراد ان يتقرب إلي . . » (٢)

ومع علمه بكذبه على رسول الله (ص) فقد أوصله وأعطاه ، وبذلك فقد شجع حركة وضع الحديث ، وعمل على تنميتها ، وهي من أعظم الكوارث التي مني بها الاسلام فقد اوجبت الحط من شأنه ، وادخال كثير من الخرافات فيه ، وسنذكر ذلك بمزيد من البيان عند عرض « مشكلات عصر الامام »

عداؤه للعلويين :

وورث المهدي من أبيه المنصور العداء الشديد للعلويين وشيعتهم فقد أترعت نفسه بالبغضاء والكراهية لهم ، ويعود السبب في ذلك الى أن العباسيين لم يكن لهم أي حق في الحكم ، فان الثورة على الحكم الاموي انما قامت من اجل العلويين حماة العدل والحق في الاسلام .

لقد كانت الثورة تحمل طابع التشيع وواقعه فقد اتخذه الثوار شعاراً

(١) تأريخ بغداد : (ج ٦ ص ٣٤٦)

(٢) تأريخ بغداد ١٩٣/٢

لهم فناضلوا من أجله ، وقد انضم العباسيون الى الدعوة على هذا الاساس وآية ذلك ان المهدي دخل على أبي عون وهو من اعز اصحابه وآثرهم عنده عائداً له ، وطلب منه المهدي ان يعرض عليه حوائجه ليقوم بقضائها فقال له ابو عون :

ـ حاجتي ان ترضى عن ولدي عبد الله فقد طالت موجدتك عليه

ـ يا أبا عبد الله انه على غير الطريق وعلى خلاف رأينا ورأيك ، انه يقع في الشيخين ويسيء القول فيهما

ـ هو والله يا أمير المؤمنين على الأمر الذي خرجنا عليه ، ودعونا اليه فان كان قد بدا لكم فمرونا بما احببتم حتى نطيعكم . . » (١) .

وهذه البادرة تدل بوضوح على أن الثورة على الحكم الاموي انما كانت شيعية بجميع أبعاد هذه الكلمة ، وهناك بادرة أخرى تدل على ذلك فقد بعث القاسم بن مجاشع بوصيته الى المهدي ليشهد فيها ، وقد جاء فيها :

« شهد الله أن لا إله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام يشهد بذلك ، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وان علي بن أبي طالب وصي رسول الله (ص) ووارث الامامة من بعده » .

فلما قرأ المهدي الفقرات الأخيرة من الوصية رماها من يده ولم ينظر في باقيها (٢) .

لقد آمن بذلك خواص بني العباس ، واعتقدوا جازمين ان الثورة انما قامت من أجل التشيع الا ان العباسيين الذين اختلسوا الحكم قد انحرفوا عنها من اجل اطماعهم ، وبقائهم على دست الحكم .

---

(١) تأريخ الطبري احداث سنة ١٦٩

(٢) الطبري ٣٩٧/٦

وعلى أي حال فان المهدي كان يكن في اعماق نفسه البغض الشديد للعلويين ، اما مظاهر ذلك العداء فهي :

اغداق الاموال على انتقاص العلويين :

وسرف المهدي الاموال الضخمة على انتقاص أهل البيت والحط من شأنهم ، وقد عرف فريق من الشعراء المرتزقين ان الوسيلة في ثرائهم انتقاصهم لأهل البيت والمبالغة في ذمهم فراحوا يلفقون الأكاذيب في هجائهم ، ومن جملة هؤلاء العبيد بشار بن برد المعروف بالزندقة والالحاد فقد دخل على المهدي وأنشده قصيدته التي يقول فيها :

يا ابن الذي ورث النبي محمداً ... دون الاقارب من ذوي الأرحام
الوحي بين بني البنات وبينكم ... قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة ... نزلت بذلك سورة الانعام (١)
أنى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البنات وراثة الأعمام

فأجازه المهدي على ذلك بسبعين الف درهم تشجيعا له ولغيره من باعة الضمير على انتقاص اهل البيت ، ولما سمع الامام موسى (ع) بقصيدة بشار تأثر أشد التأثر ونام ليلته قلقاً متألما ، وقد سمع هاتفاً يتلو عليه أبياتاً تعارض ابيات بشار وهي :

أنى يكون ولا يكون ولم يكن ... للمشركين دعائم الاسلام
لبني البنات نصيبهم من جدهم ... والعم متروك بغير سهام
ما للطليق وللتراث وإنما ... سجد الطليق مخافة الصمصام

(١) ليس في سورة الانعام ما يشير الى هذا المعنى بل ليس فيها اي حكم من أحكام الميراث .

وبقى ابن شاة واقفاً متلدداً   فيــه ويمنعه ذوو الأرحام
ان ابن فاطمة المنوه باسمه   حاز التراث سوى بني الأعمام (١)

ولما شاع ذلك عن المهدي أخذ الشعراء يتقربون اليه في هجاء أهل البيت فنهم مروان بن ابي حفص فقد انشد بين يديه هذه القصيدة التي يقول فيها :

هل تطمسون من السماء نجومها   بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تدفعون مقالة عن ربكم   جبريل بلغهـا النبي فقالها
شهدت من الأنفال آخر آية   بتراثهـم فأردتم ابطالهـا

فلما سمع ذلك المهدي زحف عن مصلاه حتى صار على البساط وهو لا يملك نفسه قائلا له :

ـ كم بيت هي ؟

ـ مائة بيت

فأمر له بمائة الف درهم ، وقال له : « إنها لأول مرة أعطيها شاعر في خلافة بني العباس » (٢)

لقد وهب هذه الاموال الخطيرة للحط من شأن اهل البيت والتقليل من اهميتهم ، وهو لم ينل مع باقي أسرته مركز الخلافة الاسلامية الا باسم العلويين وجهادهم وتضحياتهم .

---

(١) احتجاج الطبرسي : (ص ٢١٤) ، وقيل ان الابيات لمحمد بن يحي التغلبي جاء ذلك في (الشعر في بغداد ص ١١٠)

(٢) تأريخ بغداد : (ج ٣ ص ١٤٤)

نكبته لوزيره يعقوب :

كان يعقوب بن داود قد احرز عند المهدي نفوذا كثيرا حتى أخلص له في الحب وشاركه في جميع اموره ، وقد اعلن ذلك في ديوانه الرسمي وفي ذلك يقول مسلم الخاسر :

قل للامام الذي جاءت خلافته   تهدي اليه بحق غير مردود
نعم القرين على التقوى أعنت به   أخوك في الله يعقوب بن داود

وغلب يعقوب على امر المهدي فكانت جميع أموره بيده يتصرف فيها حيثما شاء ، وقد حقد عليه جماعة من أعدائه وحسدوه على هذا النفوذ العظيم فأهابوا بالمهدي على إبعاده عن منصبه فلم يقبل ذلك منهم وامتنع من إجابتهم ، وجعل حساده يعماون شتى الوسائل لابعاده عن منصبه ، فقد اجتاز المهدي على جدار فرأى قد كتب عليه هذا البيت :

لله درك يا مهدي من رجل   اولا اتخاذك يعقوب بن داود

فلم يعتن به وأمر أن يكتب تحته هذه العبارة « على رغم الكاتب وأنفه ، وتعساً لجده » ، ولما يئس منه أعداؤه جعلوا يستنجدون بني أمية ويطلبون يقظتهم وفي ذلك يقول بشار بن برد :

بني أمية هبوا طال نومكم   إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا   خليفة الله بين الناي والعود(١)

ولما سدت على مناوئيه جميع الطرق سلكوا طريقاً آخر تمكنوا به من زوال نعمته وانزال الكارثة به ، فقد قالوا للمهدي انه يميل للعلويين وانه من أنصارهم ودعاتهم ، وانه كان معهم عند قيامهم على أبيه ، وكان كاتباً

(١) ابو الفداء : (ج ٢ ص ١٠)

عند ابراهيم بن عبد الله ، وقد خرج مع محمد في ثورته على المنصور في يثرب ولما سمع المهدي بهذه النقاط تغير حاله وانقلب رأساً على عقب وهام في تيار من الهواجس والهموم فأراد اختباره والوقوف على حقيقة حاله فدعاه الى بلاطه وقد فرشه بفرش موردة كما لبس ثياباً موردة ، وعلى رأسه جارية جميلة ، وأظهر المهدي السرور والارتياح ، وأهدى له جميع ما في ذلك المجلس من الأفرشة الثمينة مع الجارية ، وطلب منه مهمة أن يقوم بهـا وهي أن يعدم علوياً أراد التخلص منه ، فأجابه يعقوب الى ذلك بعـد ان اقسم له بالايمان المؤكدة ان يقوم بذلك ، وانصرف يعقوب ومعه العلوي فلما استقر في ثويه تكلم مع العلوي فرآه أديباً كاملا ناضجا ، وتوسل اليه العلوي بشتى الوسائل ان يعفو عنه ويخلي سبيله فأجابه الى ذلك وأعطاه اموالا يستعين بها على دهره ومحنته ، وكانت الجارية التي أهداها له المهدي عيناً عليه فمضت الى المهدي فنقلت له الحديث بكامله ، فأرسل المهدي الشرطة والعيون خلف العلوي حتى قبضوا عليه ولما جاءوا به أخفاه ثم امر باحضار يعقوب فلـما مثل عنده سأله عن العلوي فأخبره بانه قد نفذ فيه حكم الاعدام ، فقال له المهدي : انه قد مات ، فقال يعقوب : نعم ، وطلب منه المهدي ان يضع يده على رأسه ، ويقسم على ذلك ، ففعل ، فقال المهدي لغلام له : اخرج الينا من في هذا البيت ، فاخرج العلوي ، فلما رآه يعقوب تحير ، وامتنع عليه الكلام فقال له المهدي : قد حل لي دمك ولو آثرت اراقته لأرقته ثم امر بسجنه مؤبدا في المطبق (١) وصادر جميع امواله ، وبقي في سجنه

(١) المطبق حبس مظلم كبير بناه المنصور بين طريق البصرة وطريق باب الكوفة ، وباسمه سمي الشارع الذي يقع فيه هذا السجن ، وكان متين البناء قوي الاساس وكان من اهم سجون بغداد واستمر الى عهد المتوكل ، جاء ذلك في (بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ٣٤) وجاء في الفخري =

حتى آل الامر الى الرشيد فتوسط في اطلاق سراحه يحيى بن خالد البرمكي فعفـا عنه ، فخرج هزيل الجسم مكفوف البصر قد لبس ثوبا من الذل والهوان (١) ودلت هذه البادرة على مدى بغض المهدي للعلويين وشيعتهم .

مع الامام موسى :

ولم يتعرض المهدي في بداية حكمه الى الامام بمكروه ولم ينله بسوء وقد اكتفى عن التنكيل به بوضع الرقابة الشديدة عليه ، ولما شاع ذكره في الاوسـاط وذاع صيته لم يملك المهدي غضبه فعمد الى اعتقاله ولكنه سرعان ما اطلق سراحه لانه قد رأى برهانا من ربه كما سنذكره ، ونعرض بعض البوادر التي جرت للامام معه مع بيان اعتقاله .

استدلاله على حرمة الخمر :

حج المهدي بيت الله الحرام ، وبعد أدائه للمناسك قفل الى زيارة قبر النبي (ص) وقد بذل أموالا طائلة الى المدنيين ، واجتمع به الامام فلما استقر به المجلس وجه له المهدي السؤال الآتي :

ـ هل الخمر محرمة في كتاب الله ؟ فان الناس انما يعرفونها ، ولا يعرفون التحريم .

= (ص ٢٢١) ان المطبق كانت فيه غرف واسعة وضيقة وآبار يسجن فيها وان يعقوب بن داود قد دلي بحبل في بئر مظلمة لا يرى فيها ضوء .

(١) الوزراء والكتاب (ص ١١٩ ـ ١٢١) ، الفخري (ص ١٦١ ـ ١٦٣) ، وجاء في الفرج بعد الشدة : (ج ١ ص ١٤١) ان يعقوب ابن داود قال : قد بنيت علي قبة في المطبق فمكثت فيها خمسة عشر سنة .

ـ بل هي محرمة في كتاب الله

ـ في أي موضع هي محرمة ؟

ـ قول الله عز وجل : « انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق » وأخذ (ع) يدلي عليه المراد من الآية الكريمة قائلا :

أما قوله : « ما ظهر منها » يعني الزنا المعلن ، ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية ، وأما قوله : « وما بطن » يعني ما نكح الآباء ، لان الناس قبل ان يبعث النبي (ص) إذا كان للرجل زوجة ومات عنها زوجها تزوجها من بعده ابنه اذا لم تكن امه ، فحرم الله ذلك ، واما « الاثم » فانها الخمرة بعينها وقد قال الله تبارك وتعالى : في موضع آخر « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » فاما الاثم في كتاب الله ، فهو الخمر والميسر واثمهما كبير »

ولم يملك المهدي اعجابه بالامام فالتفت الى علي بن يقطين قائلا له :

ـ هذه والله فتوى هاشمية

ـ صدقت ، والله يا امير المؤمنين ، الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم اهل البيت »

فلذعه هـذا الكلام ، فلم يملك صوابه فاندفع قائلا : « صدقت يا رافضي » (١) .

تحديد فدك :

ولما اعلن المهدي رد المظالم الى اهلها دخل عليه الامام موسى (ع) فرآه مشغولا بذلك فالتفت اليه قائلا :

---

(١) البحار : (ج ٤ ص ٤٨)

ـ ما بال مظلمتنا لا ترد :

ـ وما ذاك يا أبا الحسن ؟

ـ فدك

ـ حدها لي

ـ حد منها جبل أحد ، وحد منها عريش مصر ، وحد منها سيف البحر ، وحد منها دومة الجندل .

ـ كل هذه حدود فدك ؟

ـ نعم

فتغير المهدي وبدا الغضب على سحنات وجهه فقد اعلن له الامام ان جميع اقاليم المملكة الاسلامية قد اخذت منهم .

فانطلق المهدي قائلا :

« هذا كثير انظر فيه » (١)

توسعة المسجد الحرام :

وأمر المهدي بتوسعة المسجد الحرام مع الجامع النبوي وذلك في سنة (١٦١ هـ) (٢) وقد امتنع ارباب الدور المجاورة للجامعين من بيعها على الحكومة ، فسأل المهدي فقهاء العصر عن جواز اجبارهم على ذلك فقالوا له : لا ينبغي أن تدخل شيئـا في المسجد غصباً ، وكان بمجلسه علي بن يقطين فاشار عليه ان يرفع استفتاءاً في المسألة الى الامام موسى (ع) فاستصوب رأيه وكتب الى عامله على يثرب يأمره بأن يسأل الامام عن ذلك ، فلما انتهى الكتاب اليـه مضى الى الامام ، وعرض عليه السؤال فكتب (ع)

(١) عمدة الاخبار في مدينة المختار : (ص ٣١٦)

(٢) تأريخ اليعقوبي : (ج ٣ ص ٣٩٣)

الجواب وهذا نصه بعد البسملة :

(إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس ، فالناس أولى ببنائها ، وان كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها » .

ولما انتهى الجواب الى المهدي امر بهدم الدور واضافتها الى ساحة المسجدين وفزع اربابهـــا الى الامام والتمسوا منه ان يكتب لهم رسالة الى المهـــدي ليعوضهم عن ثمن دورهم ، فأجابهم وكتب الى المهدي رسالة في ذلك فلما وصلت اليه أوصلهم وارضاهم (١) وليس هذا نوعا من الاستملاك الذي يعبر عنه في الوقت الحاضر بالاستملاك للمصلحة العامة كما فهمه بعض المعاصرين بل ان هذا حكم شرعي يتبع أدلته الخاصة التي نصت على ان للجامع فناءاً وان من نزل به لا حرمة لما يقيمه فيـــه من بناء ، ونسب المحدث الحافظ أبو الخطاب ، القصة للامام الصادق (ع) مع المنصور(٢) وهو بعيد فان التأريخ لم يحدث عن قيام المنصور بحركة عمرانية للجامعين .

اعتقال الامام :

ولمـــا شاع ذكر الامام وانتشر اسمه في جميع الآفاق لم يملك المهدي غيظه وحقده فخاف على كرسيه ، واعتقد ان ملكه لا يستقر الا باعتقال الامام ، فكتب الى عامله على المدينة يأمره بارسال الامام اليه فوراً ، ولما وصلت الرسالة اليه توجه الى الامام وأخبره بذلك فتجهز (ع) للسفر من وقته فسار (ع) حتى انتهى الى زبالة فاستقبله أبو خالد بكآبة وحزن فنظر اليه الامام نظرة رأفة ورحمة وقال له :

ـ ما لي أراك منقبضا ؟ ! !

ـ كيف لا انقبض ! ! وانت سائر الى هذا الطاغية ولا آمن عليك

(١) البحار : (ج ٤ ص ٢٤٨)

(٢) النبراس : (ص ٢٤)

فهدأ (ع) روعه وأخبره انه لا ضير عليه في سفره هذا ، وضرب له موعدا يجتاز فيه عليه ، ثم انصرف الامام متوجها الى بغداد ، فلما وصل اليها أمر المهدي باعتقاله وايداعه في السجن ، ونام المهدي تلك الليلة فرأى في منامه الامام امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وهو متأثر حزين فخاطبه :

« يا محمد ، فهـل عسيتم أن توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم » .

فقـام المهدي من نومه فزعاً مرعوباً فاستدعى حاجبه الربيع فلما مثل بين يديه كان المهدي يردد الآية الكريمة ، وأمره باحضار الامام موسى ، فلما أقبل اليه قام فعانقه وأجلسه الى جانبه ثم قال له بعطف ولين :

« يا أبا الحسن ، إني رأيت امير المؤمنين علي بن أبي طالب يقرأ علي كذا - واشار الى الآية - أفتؤمنني ان لا تخرج علي او على احد من ولدي ؟

- والله ما فعلت ذلك ، ولا هو من شأني

- صدقت ، يا ربيع ، اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى اهله الى المدينة ، فقام الربيع فشايعه وأحكم امره وسرحه في الليل فما اصبح عليه الصبح إلا وهو في الطريق (١) وسارت قافلة الامام تطوي البيداء حتى

(١) تأريخ بغداد (ج ١٣ ص ٣٠ - ٣١) ، وفيات الاعيان (ج ٤ ص ٤٩٣) وذكر ابن شهراشوب في المناقب : (ج ٢ ص ٢٦٤) ان المهدي استدعى حميد بن قحطبة في منتصف الليل وقال له : ان اخلاص ابيك واخيك فينا أظهر من الشمس وحالك عندي موقوف ، فقال له حميد : افديك بالمال والنفس والأهل والولد والدين فقال له لله درك ، وعاهده على ذلك وأمره بقتل الامام الكاظم في السحر بغتة ، فنام المهدي فرآى في منامه علياً يشير اليه ويقرأ « فهل عسيتم » الآية ، فانتبه مذعوراً ونهى حميدا عما أمره ، واكرم الامام الكاظم واعطاه .

انتهت الى « زبالة » في اليوم الذي عينه لأبي خالد وكان يترقب قدوم الامام في ذلك الوقت بفارغ الصبر فلما قدم (ع) عليه بادر اليه وهو يلثم يديه واطرافه والفرح باد عليه فادرك الامام سروره البالغ فقال له :

« إن لهم إلي عودة لا اتخلص منها » (١)

واشار (ع) بذلك الى ما يصنعه به هارون من اعتقاله في سجونه حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة بها ، ولم يجلب المهدي الامام الى بغداد سوى هذه المرة وقد قطع (ع) من سني حياته في دوره عشر سنين وقد قام خلال هذه المدة بنشر العلم وتغذية الناشئة العلمية بأنواع العلوم والآداب وهذه المدة من أهم ادوار حياته التي شيد بها صروح العلم والفضيلة والاخلاق .

وفاة المهدي :

واختلف المؤرخون في سبب وفاة المهدي ، فقيل انه خرج الى الصيد واخذ في مطاردة ضبي حتى دخل الى خربة فتبعه وكان باب تلك الخربة ضيقـــاً فاصاب ظهره حتى تقطع عموده الفقري فمات في يومه ، وقيل ان بعض جواريه كانت تغار من جارية كان يهواها ويخلص لها فدست لها سماً في بعض المآكل فأكل المهدي منه وهو لا يعلم به ، وعلى اي حال فانه لما توفي جزع عليه اهله وساد عليهم الحزن ، وقد خرجت بعـــد موته بعض جواريه وقد لبسن المسوح حزنا وحدادا عليه ، واليهن يشير ابو العتاهية بقوله :

رحن في الوشي واقبلن عليهن المسوح

كل نطـاح من الدهر له يوم نطوح

لست بالباقي ولو عمرت ما عمر نوح

فعلى نفسك نح ان كنت لابد تنوح (٢)

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن عصر المهدي وما لاقاه الامام (ع) في دوره

---

(١) نور الابصار : (ص ١٣٦) ، البحار : (ج ١١ ص ٢٥٢)

(٢) الفخري : (ص ١٥٧)

في عهد الهادي



استقبل موسى الهادي الدولة الاسلامية في ايام شبابها الغض، ونضارة غصنها الرطب، وفي إبان قوتها الكاملة، وثروتها الموفورة، وقد بويع له، وهو في غضارة العمر فقد كان عمره ـ حسب ما يقول الرواة ـ خمساً وعشرين سنة (١) وكان سادراً في الطيش والغرور، ومتمادياً في الاثم والفجور، وقد اراح الله منه العباد في بداية ملكه فلم تطل أيامه، ولو امتد به العمر لواجه المسلمون في عهده أعنف المشاكل وأقساها، فقد كان طاغية جباراً لا يتحرج من سفك الدماء واراقتها بغير حق، وقد أسرف في سفك دماء العلويين، فأنزل بهم العقاب الصارم، وقد اجمع رأيه على التنكيل بالامام موسى (ع) الا ان الله قصم ظهره قبل ان يقوم بذلك، ولابد لنا من وقفة قصيرة للتحدث عنه.

نزعاته:

واتصف موسى الهادي بنزعات شريرة ظهرت في سلوكه وأعماله حتى نقم عليه القريب والبعيد، وبغضه الناس جميعاً وقد حقدت عليه أمه الخيزران فقد بلغ بها الغيظ والكراهية له انها هي التي قتلته . . . أما نزعاته فهي كما يلي

أ ـ غروره وطيشه:

لقد تولى الهادي الخلافة وهو في ريعان الشباب فدفعه ذلك الى التمادي في الغرور والطيش، ومن مظاهر ذلك أنه كان اذا مشى مشت الشرطة بين يديه بالسيوف المشهورة والاعمدة والقسي الموتورة (٢) ليظهر بذلك أبهة الملك والسلطان، والعلو على الناس.

---

(١) خلاصة الذهب المسبوك (ص ٧٥)

(٢) حضارة الاسلام في دار السلام (ص ٨٤)

ب ـ لهوه ومجونه :

وكان موسى الهادي خليعاً ماجنا ، قد اقبل على الدعارة واللهو، فبذل الاموال الضخمة بسخاء على شهواته وطربه ، فقد اعطى ابراهيم الموصلي خمسين الف دينار لأنه غناه بثلاثة أبيات اطربته (١) وغناه بصوت فاطربه فوهب اليه ثلاثين الف دينار (٢) وقد كلف بالغناء كلفاً شديداً فصرف الكثير من خزينة الدولة على المغنين ، وقال اسحاق الموصلي : لو عاش لنا الهادي لبنينا حيطان دورنا بالذهب (٣) .

وتهالك على شرب الخمر فكان اول خليفة عباسي أغري بالخمر(٤) وتبعه على ذلك الرشيد (٥) وسائر ملوك بني العباس من بعده .

ج ـ شراسته :

كان سيء الخلق شرساً ، يقول الجاحظ عنه : كان الهادي شكس الاخلاق صعب المرام ، قليل الاغضاء ، سيء الظن ، قلّ من توقاه ، وعرف أخلاقه ـ إلا أغناه ، وما كان شيء أبغض اليه من ابتدائه بسؤال (٦) .

---

(١) العصر العباسي (ص ١٢٨)

(٢) الاغاني ٢٤١/٥

(٣) الاغاني ٦/٥

(٤) الجهشياري (ص ١٤٤)

(٥) الطبري ٤٨٩/٦ ، الاغاني ٢١٦/٥

(٦) التاج في اخلاق الملوك (ص ٣٥)

د ـ عداؤه للعلويين :

وبالغ هذا الطاغية المغرور في تنكيـل العلويين وارهاقهم فاذاع فيهم الخوف والرعب ، وقطع ما أجراه لهم المهدي من الارزاق والاعطية ، وكتب الى جميع الآفاق في طلبهم ، وحملهم الى بغداد (١) .

لقد قاسى العلويون في الفترة القصيرة من هذا الحكم الارهابي جميع الوان الاضطهاد والجور ، فقد امعنت السلطة في ظلمهم ، واذلالهم ، وارغامهم على ما يكرهون ، وهذا مما ادى الى انطلاقتهم في ميادين الجهاد ، واعلانهم للثورة الكبرى الهادفة الى انقـاذ الامة من الجور والطغيان ، وهذا مـا سنتحدث عنه .

كارثة فخ :

وافظع كارثة واجهها العالم الاسلامي هي مأساة (فخ) فقد ضارعت حادثة كربلاء في آلامها وشجونها ، وقد تحدث الإمام الجواد عليه السلام عن مدى أثرهـا البالغ على اهل البيت (ع) بقوله :

« لم يكن لنا بعد الطف مصرع اعظم من فخ »

لقـــد انتهكت في هذه الكارثة الكبرى حرمة النبي (ص) في عترته وذريته ، فقد اقترف العباسيون فيها عين ما اقترفه الامويون من الجرائم والموبقـات في مأساة كربلاء ، فرفعوا رؤوس العلويين على اطراف الرماح ومعها الاسرى يطاف بها في الاقطار والامصار ، وتركوا الجثث الزواكي ملقاة على أديم الارض من دون ان يخفوا الى مواراتها مبالغة منهم في التشفي

---

(١) اليعقوبي ١٣٦/٣

والانتقام من آل البيت ، وبذلك فقد حاكت رزية كربلاء بجميع فصولها المؤلمـــة .

وفيما يلي عرض موجز لبعض فصول تلك الكارثة ، وبيـــان موقف الإمام موسى (ع) منها ، وما جرى عليه :

الحسين الثائر العظيم :

والذي فجر الثورة على الحكم العباسي هو الحسين بن علي ، وقبـــل البحث عن ثورته نتحدث عن نسبه ونزعاته وصفاته :

أ ـ نسبه الوضاء :

أما نسبه الكريم فهو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأمه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) وكان يقال لزينب وزوجها علي بن الحسن « الزوج الصالح » لعبادتها .

ولما قتل ابو جعفر المنصور اباها واخاها ، وعمومتها وبنيهم ، وزوجها كانت تلبس المسوح ، ولا تجعل بين جسدها ، وبينها شعاراً حتى لحقت بالله عز وجل ، وكانت تندب اهلها أفجع ندبة حتى يخشى عليها ، ولا تذكر المنصور بسوء تحرجاً من ذلك ، وكراهة ان تشفي نفسها بما يؤثمها ، ولا تزيد على القول : « يا فاطر السماوات والارض ، يا عالم الغيب والشهادة الحاكم بين عباده احكم بيننا وبين قومنا بالحق ، وانت خير الحاكمين » .

وكانت ترقص ولدها الحسين في صغره وهي تتنبأ فيه ان يرفع علم الثورة على العباسيين فكانت تقول له :

تعلم يا بن زيد وهند (١) كم لك بالبطحاء من معد

من خال صدق ماجد وجد (٢)

ب ـ نشأته :

نشأ الحسين في بيت قد غمرته الآلام والأحزان ، وعمه الثكل والحداد على شهداء أسرته الذين أبادهم المنصور ، فهو لم يشاهد في بيته سوى البكاء والجزع ، فانطوت نفسه على حزن عميق وأسى مرير ، فتحفز منذ نعومة اظفاره الى الأخذ بثأرهم ، ومناجزة خصومهم .

---

(١) هند : أم زينب ، وهي بنت ابي عبيدة بن عبد الله بن زمعة ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصير ، وكانت قبل عبد الله بن الحسن زوجاً الى عبد الملك بن مروان ، فلما مات رجعت بميراثها منه ، فقال عبد الله لامه فاطمة : اخطبي لي على هند فعذلته ، وقالت له : أتطمع فيها ، وانت ترب لا مال لك ، فتركها ومضى الى ابيها فخطبها منه فرحب به ، وأجابه الى ذلك ، وقال له : زوجتك ، ولا تبرح ، ودخل على بنته فقال لها : يا بنية هذا عبد الله بن الحسن أتاك خاطباً فقالت له : ما قلت له ؟ فقال : قد زوجته ، فأقرته على ذلك ، ودخل بها ، وامه لا تشعر بذلك ، فأقام سبعاً ، وجاء الى أمه ، وعليه درع الطيب وهو في غير ثيابه فقالت له أمه : يا بني من أين لك هذا ؟ فقال : من التي زعمت انها لا تريدني . الأغاني ١٨/٢٠٩

(٢) مقاتل الطالبيين (ص ٤٣١ ـ ٤٣٢)

ج - نزعاته الفذة :

والتقت بشخصية الحسين جميع الصفات الكريمة من العلم والتقوى والورع والصلاح ، والزهد في الدنيا ، وكان من اسخياء عصره، وقد روى المؤرخون بوادر كثيرة من كرمه ، وقد روى أبو الفرج عن الحسن بن هذيل ، قال :

كنت اصحب الحسين بن علي صاحب فخ فقدم الى بغداد فباع ضيعة له بتسعة آلاف دينار فخرجنا فنزلنا (سوق اسد) فبسط لنا على باب الخان ، فأتى رجل معه سلة فقال له : مر الغلام يأخذ مني هذه السلة ، فقال له : وما أنت ؟ قال : أنا اصنع الطعام الطيب ، فاذا نزل هذه القرية رجل من اهل المروءة اهديته اليه ، قال : يا غلام خذ السلة منه ، وعد الينا لتأخذ سلتك ، قال : ثم اقبل علينا رجل عليه ثياب رثة ، فقال : اعطوني مما رزقكم الله ، فقال لي الحسين : ادفع اليه السلة ، وقال له : خذ ما فيها ورد الاناء ، ثم اقبل ، وقال : إذا رد السلة فادفع اليه خمسين ديناراً ، وإذا جاء صاحب السلة فادفع اليه مائة دينار ، فقلت له : ابقاءاً مني عليه - جعلت فداك ، بعت عيناً لك ، لتقضي ديناً عليك فسألك سائل فاعطيته طعاماً هو مقنع له ، فلم ترض حتى أمرت له بخمسين ديناراً ، وجاءك رجل بطعام لعله يقدر فيه دينارا او دينارين ، فأمرت له بمائة دينار ، فقال :

يا حسن ان لنا رباً يعرف الحسنات ، اذا جاء السائل فادفع اليه مائة دينار ، واذا جاء صاحب السلة فادفع اليه مائتي دينار ، والذي نفسي بيده إني لأخاف أن لا يقبل مني ، لأن الذهب والفضة والتراب عندي بمنزلة

واحدة (١) .

انهـــا نفوس كريمة تحمل نفحات من روح جدهم الرسول (ص) الذي جاء لاسعاد الناس ، ورفع الشقاء عنهم .

وروى الحسن بن هذيل قال : بعث لحسين بن علي حائطاً باربعين الف دينار فنثرها على بابه ، فما دخل الى اهله منها حبة ، كان يعطيني كفاً كفاً فاذهب به الى فقراء اهل المدينة (٢) .

انه معدن من معادن المعروف والاحسان ، فلم ير للمال قيمة سوى ما يرد به جوع جائع او يكسو به عاريا ، شأنه شأن آبائه الذين أفاضوا البر والخير على جميع الناس .

ما أثر عن النبي فيه :

وأثر عن النبي (ص) انه اجتاز بفخ فصلى باصحابه صلاة الجنازة ثم قال : يقتل ها هنا رجل من اهل بيتي في عصابة من المؤمنين ، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة ، تسبق ارواحهم أجسادهم الى الجنة (٣) .

وروى محمد بن اسحاق عن ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال :

مر النبي (ص) بفخ فنزل فصلى ركعة ، فلما صلى الثانية بكى ، وهو في الصلاة فلما رأى الناس النبي (ص) يبكي بكوا ، فلما انصرف قال : ما يبكيكم ؟ قالو : لمـــا رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله ، قال : نزل علي جبرئيل لما صليت الركعة الأولى ، فقال : يا محمد ان رجلا من ولدك يقتل في هذا المكان ، وأجر الشهيد معه اجر شهيدين (٤) .

ما اثر عن الامام الصادق فيه :

وروى النضر قال : اكريت جعفر بن محمد من المدينة الى مكة ، فلما ارتحلنـــا من بطن مر ، قال لي : يا نضر اذا انتهيت الى فخ فاعلمني

(١) و (٢) و (٣) و (٤) مقاتل الطالبيين (ص ٤٣٦ ـ ٤٤١)

قالت له :

ـ ألست تعرفه ؟

ـ بلى ولكن اخشى ان تغلبني عيني

قال نصر : فلما انتهينا الى فخ دنوت من المحمل فاذا هو نائم فتنحنحت فلم يتنبه ، فحركت المحمل فجلس ، فقلت له : قد بلغت ، فقال : حل محملي فحللته ، ثم قال : صل القطار فوصلته ، ثم تنحيت به عن الجادة فانخت بعيره فقال : ناولني الأداوة ، والركوة ، فتوضأ وصلى ثم ركب فقلت : جعلت فداك ، رأيتك قد صنعت شيئا أهو من مناسك الحج ؟

قال : لا ولكن يقتل ها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق ارواحهم اجسادهم الى الجنة (١)

السبب في ثورته :

واجمع المؤرخون على أن السبب في ثورة الحسين العظيم يعود الى ما عاناه من الضغط الهائل والجور الشديد . فقد استعمل موسى الهادي والياً على يثرب عمر بن عبد العزيز حفيد عمر بن الخطاب (٢) ، وكان فظاً غليظ القلب شرس الاخلاق قد عرف بالنصب والعداء للامام اميرالمؤمنين (ع) وقد بالغ الاثيم في اذلال العلويين وظلمهم ، فألزمهم بالمثول عنده في كل يوم ، وفرض عليهم الرقابة الشخصية فجعل كل واحد منهم يكفل

(١) مقاتل الطالبيين (ص ٤٣٧)

(٢) الكامل ٧٤/٥ ، وفي مقاتل الطالبيين (ص ٢٤٣) ان موسى الهادي ولى المدينة اسحاق بن عيسى بن علي فاستخلف عليها رجلا من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبد الله .

صاحبه بالحضور عنـــده ، وقبضت شرطته على كل من الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ، ومسلم بن جندب ، وعمر بن سلام ، وادعت الشرطة انها وجدتهم على شراب فامر بضربهم فضرب الحسن ثمانين سوطاً ، وابن جندب خمسة عشر سوطا ، وابن سلام سبعة اسواط ، وجعل في اعناقهم حبالا ، وأمر ان يطاف بهم في شوارع يثرب ليفضحهم ، فبعثت اليـــه الهاشمية صاحبة الراية السوداء في ايام محمد بن عبـــد الله فقالت له : لا ولا كرامة لا تشهر احداً من بني هاشم ، وتشنع عليهم وأنت ظالم ، فكف عن ذلك ، وخلي سبيلهم .

وولى العمري على الطالبيين رجلا يعرف بأبي بكر بن عيسى الحائك مولى الانصار فعرضهم يوم الجمعة ، ولم يأذن لهم بالانصراف الى منازلهم حتى حضر وقت الصلاة فالحوا عليه في اداء الفريضة فاذن لهم بعد جهد ، وبعد ادائها حبسهم في المقصورة الى العصر لا لشيء سوى أن يتقرب الى العمري بذلك .

ثم انه عرضهم ودعا بالحسن بن محمد فلم يحضر ، فقال ليحيى والحسين ابن علي :

« لتأتياني به أو لأحبسنكما ، فقد تغيب عن العرض ثلاثة أيام ؟ .. »

فرداه رداً حفياً الا انه لم يجد مع هذا الوغد حتى اضطر يحيى الى مقابلته بالمثل ، فخرج مغضباً الى العمري فاخبره بالامر فأمر باحضارهما فلما مثلا عنده اخذ يتهدد ويتوعد ، فضحك الحسين من منطقه الهزيـــل وقال له باستهزاء وسخرية :

« انت مغضب يا ابا حفص ؟ !! »

فثار العمري واستاء منه لأنه كناه ولم يلقبه بالولاية والامرة قائلا :

« أتهزأ بي وتخاطبني بكنيتي ؟ »

فانبرى اليه الحسين فسدد له سهما من بليغ منطقه قائلا :

« قد كان أبو بكر وعمر وهما خير منك يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك ، وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية !! »

فثار العمري ولم يملك صوابه قائلا :

« آخر قولك شر من أوله »

ـ معاذ الله ، يأبى الله لي ذلك وما أنا منه !!

ـ أفانما ادخلتك علي لتفاخرني وتؤذيني ؟

وغضب يحيى من اعتدائه الصارخ على الحسين فقال له :

ـ ما تريد منا ؟

ـ اريد ان تأتياني بالحسن بن محمد

ـ لا نقدر عليه هو في بعض ما يكون فيه الناس فابعث الى آل عمر ابن الخطاب فاجمعهم كما جمعتنا ، ثم اعرضهم رجلا رجلا فاذا لم تجد فيهم من قد غاب اكثر من غيبة الحسن عنك فقد انصفتنا . .

ففقد العمري صوابه وراح يحلف بطلاق زرجته وحرية مماليكه أن لا يخلي عن الحسين حتى يأتيه بالحسن في باقي يومه وليلته فان فعل فذاك وإلا فيركب الى « سويقة » (١) فيخربها ويحرقها ، ويضربه الف سوط ، وان ظفر بالحسن ليهريق دمه ، فوثب اليه يحيى وهو لا يبصر طريقه من الاستياء وقد عزم على الثورة ومناجزة تلك الحكومة قائلا :

« أنا اعطي الله عهداً ، وكل مملوك لي حر إن ذقت الليلة نوماً حتى آتيك بالحسن بن محمد ، أو لا اجده فأضرب عليك بابك حتى تعلم اني قد جئتك » .

---

(١) سويقة : منزل لبني الحسن يقع بالقرب من المدينة ، وهو من جملة صدقات الامام امير المؤمنين (ع) معجم البلدان ٥/١٨

وخرجا منه وهما مغيظان قد لذعهما جفاؤه والتفت الحسين الى يحيى منددا بما اعطاه من العهد للعمري باحضار الحسن قائلا :

« بئس لعمر الله ما صنعت حين تحلف لتأتينه به ، وأين تجد حسناً »

فاخبره انه قد وارى في كلامه وانه يقصد القيام بوجهه قائلا :

« لم أرد ان آتيه بالحسن والله ، وإلا فانا نفي من رسول الله (ص) ومن علي (ع) ، بل اردت ان دخل عيني نوم حتى اضرب عليه بابه ومعي السيف إن قدرت عليه قتلته . . »

والتقى الحسين بالحسن فقال له :

« يا بن عمي ، قد بلغك ما كان بيني وبين هذا الفاسق ، فامض حيث احببت » .

ـ لا ، والله ، يا بن عمي ، بل أجيء معك الساعة حتى اضع يدي في يده ما كان الله ليطالع علي وأنا جاء الى محمد (ص) وهو خصمي وحجيجي في دمك ، ولكن أقيك بنفسي لعل الله يقيني من النار . . »

وتمثل الشرف والنبل بهذه الكلمات التي تنم عن نفس لم تعرف الخيانة والغدر ، ولم يدنسها حب الحياة .

واجتمع العلويون ومن يمت اليهم من المؤمنين والصالحين فتذاكروا ما قابلهم العمري من الصلافة فصمموا على أن يهجموا عليه داره ، فاقتحموا عليه الدار فولى الجبان هاربا بصورة مخزية ثم قال يحيى :

« هذا الحسن قد جئت به فهاتوا العمري ، وإلا والله خرجت من يميني » .

وهذه البادرة هي السبب في ثورة الحسين وانتفاضته فقد الجأته السلطة الحمقاء الى القيام بوجهها فانه رأى أما أن يرضخ الى الذل والخنوع الأمر الذي يأباه العلويون الذين رسموا الاباء والعز في دنيا العرب والاسلام ، وأما

الموت في سبيل الكرامة ، التي هي شعار العلويين حتى قالوا : « ما كره قوم حر الجلاد إلا ذلوا » .

واختار الحسين طريق الكفاح والنضال فصمم مع الصفوة من اهل بيته على الموت تحت ظلال الأسنة أحراراً كراما .

شهادته :

ورفع الحسين راية الثورة واعلن الجهاد المقدس فالتحق به الطالبيون ولم يتخلف عنـــه إلا نفر يسير ، وأقبل بموكبه الجهير الى الامام موسى يستشيره في ثورته فلما استقر به المجلس عرض فكرته على الامام فالتفت (ع) اليه قائلا :

« انك مقتول فأحدّ الضراب ، فان القوم فساق يظهرون إيمانا ، ويضمرون نفاقاً وشركاً ، فانا لله وإنا اليه راجعون ، وعند الله احتسبكم من عصبة » .

لقــد رأى الامام (ع) ان الحركة لابد ان تفشل ويذهب العلويون ضحية العدوان الغادر ، ولكن الحسين لم يجد بداً من الثورة لما ناله من الضيم والهوان ، فقام من عند الامام وجمع الناس فصلى بهم وبعد الفراغ من الصلاة قام خطيبا بين النّاس فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

« أنا ابن رسول الله ، وفي حرم رسول الله أدعوكم الى ســـنة رسول الله (ص) (١) أيها الناس أتطلبون آثار رسول الله (ص) في الحجر

(١) ذكر الطبري في تأريخه ان الحسين قال في آخر خطابه « أدعوكم الى كتاب الله ، وسنة نبيه . فان لم أف لـكم بذلك فلا بيعة لي في اعناقكم »

والعود ، وتضيعون بضعة منه » (١) .

ولما انتهى خطابه الرائع اقبلت اليه الجماهير تبايعه على كتاب الله وسنة نبيه ، والدعوة للرضا من آل محمد (ص) (٢)

وقيل أنه قال لمن بايعه :

« أبايعكم على كتاب الله ، وسنة رسول الله وعلى ان يطاع الله ولا يعصى ، وأدعوكم الى الرضا من آل محمد ، وعلى ان نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه (ص) والعدل في الرعية ، والقسم بالسوية ، وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا ، فان نحن وفينا لكم وفيتم لنا ، وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم » (٣) .

ودل هـذا الخطاب على ما ينشده في ثورته الاصلاحية من تحقيق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى الحياة ، وتطبيق احكـام القرآن ، وإقامة عدل الاسلام .

وبعد ما بايعه الناس خرج قاصداً الى مكة قد احتف به أهـل بيته واصحابه البالغ عددهم زهاء ثلثمائة رجل ، واستخلف على يثرب واليا من قبله دينار الخزاعي ، واخذ يجد في مسيره حتى انتهى الى « فخ » فعسكر فيه ، ولحقته الجيوش العباسية بقيادة العباس بن محمد ، وموسى بن عيسى فالتقى الجيشان يوم التروية وقت صلاة الصبح فحملت جيوش البغي والضلال على تلك القلة المؤمنة التي لا هدف لها إلا انقاذ المجتمع من ايدي الطغمة الحاكمة التي عاثت في الارض فساداً .

وبعد صراع رهيب بين قوى الحق والبغي قتل الحسين بسهم غادر رماه

(١) المقاتل : (ص ٤٨٤)

(٢) الطبري (ج ١٠ ص ٢٥)

(٣) المقاتل : (ص ٤٩٠)

به حماد التركي الوغـد الأثيم ، واستشهد اكثر اصحاب الحسين ، وحزت رؤوسهم (١) وحملت الى الخليفة العباسي وعمدت الجيوش العباسية التي لم تعرف الشرف والانسانية ، الى دفن اصحابهم الفجرة وتركوا الحسين واصحابه الأحرار مجزرين كالاضاحي لا مغسلين ولا مكفنين ، وأبردت برؤوسهم الى موسى ابن عيسى وكان في مجلسه جماعة من العلويين في طليعتهم الامام موسى (ع) فلما رآها الامام هاله منظرها المؤلم الحزين فاندفع (ع) يؤبن الحسين ويصوغ من حزنه ولوعته كلمات قائلا :

« إنا لله ، وانا اليه راجعون ، مضى والله مسلما صالحاً ، صواما ، قواماً ، آمراً بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، ما كان في اهل بيته مثله .. » (٢)

لقد كان قتل الحسين من الأحداث الكبار في ذلك العصر فقد احدث صدعا في الاسلام أي صدع فانتهكت في قتاه حرمة النبي (ص) التي هي احق الحرمات بالرعاية ؛ وقد اندفع شعراء الشيعة يبكون على مصرعه أمر البكاء ، ويندبونه باشجى ندبة فمن رثاه عيسى بن عبد الله بقوله :

فلأبكين على الحسين ... بعولة وعلى الحسن (٣)
وعلى ابن عاتكة الذى ... أثووه ليس له كفن (٤)
تركوا بفـخ غـدوة ... في غير منزلة الوطن

---

(١) ذكر الطبري في تأريخه (ج ١٠ ص ٢٨) ان عدد الرؤوس التي احتزت كانت مائة ونيفاً .

(٢) المقاتل : (ص ٤٥٣)

(٣) هو الحسن بن محمد بن الحسن السبط (ع) وقد أسر في الواقعة وضربت عنقه صبراً .

(٤) ابن عاتكـة : هو عبد الله بن اسحاق بن الحسن المثنى كما في الاستقصاء (ج ١ ص ٦٧)

كانوا كراما قتلوا   لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم   غسل الثياب من الدرن
هُدي العباد بجدهم   فلهم على الناس المنن (١)

ورثاه شاعر آخر بقصيدة جاء فيها :

يا عين ابكي بدمع منك منهتن (٢)   فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن
صرعى بفخ تجر الريح فوقهم   أذيالهـا وغوادي الدلج المزن
حتى عفت أعظم لو كان شاهدها   محمد ذب عنها ثم لم تهن (٣)
ماذا يقولون والماضون قبلهم   على العداوة والبغضاء والاحن
ماذا يقولون : ان قال النبي لهم   ماذا صنعتم بنـا في سالف الزمن
لا الناس من مضر حاموا ولا غضبوا   ولا ربيعـة والاحياء من يمن
يا ويحهم كيف لم يرعوا لهم حرما   وقد رعى الفيل حق البيت ذي الركن (٣)

لقد كان مصرع الحسين الشهيد من الاحداث الجسام في الاسلام ، فقد ترك ألما ممضا في نفوس المسلمين يذكرونه بكثير من الأسى والشجون .

وصول الأسرى الى الهادي :

وأرسلت رؤوس الأبرار الطاهرين الى الطاغية الهادي ، ومعها الأسرى وقد قيدوا بالحبال والسلاسل ، ووضعوا في أيديهم وأرجلهم الحديد قد خيم عليهم الذل والهوان ، وأمر الطاغية الأثيم بقتلهم ، فقتلوا صبراً ، وصلبوا على

(١) مروج الذهب : (ج ٣ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩)
(٢) في معجم البلدان (منك منهمر) .
(٣) في المعجم (ثم لم يهن)
(٤) مقاتل الطالبيين (ص ٤٦٠)

باب الحبس (١) وكان من الأسرى رجل انهكته العلة ، فقـال للهادي يستعطفه :

« أنا مولاك يا أمير المؤمنين »

فصاح به الهـادي ، وقال : مولاي يخرج علي ؟ وكان مع موسى سكين فقال : والله لأقطعنك بهذه السكين مفصلا مفصلا ومكث الرجل ساعة فغلبت عليه العلة فمات حتف أنفه (٢) .

ووضعت رؤوس العلويين بين يدي الطاغية فجعل يترنم بهذه الابيات :

بني عمنا لا تنطقوا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغميم القوافيا

فلسنا كمن كنتم تصيبون نيله فيقبل ضيما أو يحكم قاضيـا

ولكن حكم السيف فيكم مسلط فنرضى اذا ما اصبح السيف راضيا

فان قلتم إنا ظلمنا فـلم نكن ظلمنا ولكنا أسأنا التقاضيا (٣)

ودل هذا الشعر على غروره وطيشه ، وروحه الانتقامية التي لم تألف الرحمة والرأفة .

تهديده للامام موسى :

ولما استأصل موسى الهادي شأفة العلويين ، أخذ يتوعد الاحياء منهم بالقتل والدمار ، وقد ذكر عميدهم وسيدهم الامام موسى (ع) فقال :

« والله ما خرج حسين الا عن امره ، ولا اتبع الا محبته لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله ان أبقيت عليه »

(١) تأريخ الطبري ٢٩/١٠

(٢) مقاتل الطالبيين (ص ٤٥٣)

(٣) معجم البلدان ٣٠٨/٦

وأضاف يقول في تهديده : « ولولا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور ما كان به جعفر ـ يعني الامام الصادق (ع) ـ من الفضل المبرز عن أهله في دينه ، وعمله وفضله ، وما بلغني من السفاح فيه من تعريضه وتفضيله ، لنبشت قبره وأحرقته بالنار احراقا » .

وكان في مجلسه القاضي أبو يوسف ، فانبرى اليه قائلا :

« نساؤه طوالق ، وعتق جميع مايملك من الرقيق ، وتصدق جميع مايملك من المال ، وحبس دوابه ، وعليه المشي الى بيت الله إن كان مذهب موسى ابن جعفر الخروج ، ولا يذهب اليه ، ولا مذهب أحد من ولده ولا ينبغي أن يكون هذا منهم » .

ولم يزل يلطف به ، حتى سكن غضبه (١) ودل هذا الموقف الكريم على نبل أبي يوسف وشرفه .

استهزاء الامام به :

وانتهى تهديد الهادي الى الامام (ع) فخف اليه أهل بيته وأصحابه مسرعين فزعين قد استولى عليهم الرعب ، فأشاروا مجمعين على الامام ان يختفي ليسلم من شر هذا الطاغية ، فتبسم (ع) لأنه قد استشف من وراء الغيب هلاك هذا الباغي وتمثل (ع) بقول كعب بن مالك (٢) :

---

(١) بحار الأنوار ٢٧٨/١١

(٢) كعب بن مالك بن أبي كعب الخزرجي شاعر رسول الله (ص) وأحد السبعين الذين بايعوه بالعقبة ، وشهد المشاهد كلها سوى واقعة بدر وهو القائل :

وببئر بدر إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد =

زعمت سخينة (١) أن ستغلب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب

وأنشد بيتا آخر :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ... ابشر بطول سلامة يا مربع

ودل ذلك على سخريته البالغة بتهديد الهادي له ، فقد علم (ع) ان الله سيقصم ظهره قبل أن يناله بسوء ومكروه .

دعاؤه عليه :

وأقبل الامام موسى (ع) نحو القبلة ، وأخذ يتضرع الى الله ، ويتوسل اليه لينجيه من شر هذا الطاغية ، وقد دعا بهذا الدعاء الجليل :

« إلهي : كم من عدو انتضى علي سيف عداوته ، وشحذ لي ظبة مديته وأرهف لي شبا حده ، وداف لي قواتل سمومه ، وسدد نحوي صوائب سهامه ، ولم تنم عني عين حراسته ، وأضمر أن يسومني المكروه ، ويجرعني ذعاف مرارته ، فنظرت الى ضعفي عن احتمال الفوادح ، وعجزي عن الانتصار ممن قصدني بمحاربته ، ووحدتي في كثير من ناواني ، وارصادهم

= وقال في مدح بني هاشم :

يا هاشما ان الآله حباكم ... ما ليس يبلغه اللسان المفصل

قوم لأصلهم السيادة كلها ... قدما وفرعهم النبي المرسل

بيض الوجوه ترى بطون اكفهم ... تندى اذا غبر الزمان الممحل

توفي في خلافة الامام امير المؤمنين (ع) بعد أن كف بصره ، معجم الشعراء (ص ٣٤٢)

(١) سخينة : طعام يتخذ من الدقيق كانت قريش تُعير به حتى صار لقباً لها .

لي فيما لم أعمل فيه فكري في الارصاد لهم بمثاله ، فأيدتني بقوتك ، وشددت أزري بنصرك ، وفللت لي شبا حده ، وخذلته بعد جمع عديده وحشده ، وأعليت كعبي عليه ، ووجهت ما سدد إلي من مكائده اليه ، ورددته ، ولم يشف غليله ، ولم تبرد حرارات غيظه ، وقد عض علي أنامله ، وأدبر موليا قد أخفقت سراياه فلك الحمد يارب من مقتدر لايغلب ، وذي أناة لايعجل صل على محمد وآل محمد ، واجعلني لأنعمك من الشاكرين ، ولآلائك من الذاكرين .

إلهي : وكم من باغ بغاني بمكائده ، ونصب لي أشراك مصائده ، ووكل بي تفقد رعايته ، وأضبأ إلي اضباء السبع لطريدته انتظاراً لانتهاز فرصته ، وهو يظهر لي بشاشة الملق ، ويبسط لي وجهاً غير طلق فلما رأيت دغل سريرته ، وقبح ما انطوى عليه بشريكه في صلبه ، واصبح مجلبا إلى في بغيه اركسته لأم رأسه وأتيت بنيانه من أساسه فصرعته في زبيته وأرديته في مهوى حفرته ، ورميته بحجره وخنقته بوتره وذكيته بمشاقصه وكببته بمنجره ورددت كيده في نحره ، وربقته بندامته ، وفتنته بحسرته فاستخدم واستخذأ وتضاءل بعد نخوته ، وانقمع بعد استطالته ذليلا مأسوراً في ربق حبائله التي كان يؤمل أن يراني فيها يوم سطوته وقد كدت لولا رحمتك تحل بي ماحل بساحته فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب وذي أناة لا يعجل صل محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين .

إلهي : وكم من حاسد شرق بحسده وشجا بغيظه ، وسلقني بحد لسانه ووخزني بمؤق عينه ، وجعل عرضي غرضا لمراميه ، وقلدني خلالا لم يزل فيه ، فناديتك يارب مستجيراً بك ، واثقاً بسرعة اجابتك متوكلا على ما لم ازل اعرفه من حسن دفاعك عالماً أنه لم يضطهد من آوى الى ظل كنفك وأن لا تفزع الفوادح من لجأ الى معقل الانتصار بك ، وحصنتني من باسه

بقدرتك فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب ، وذي أناة لا يعجل ، صل على محمد وآل محمد ، واجعلني لانعمك من الشاكرين ، ولآلائك من الذاكرين .

إلهي وكم من سحائب مكروه قد جليتها ، وسماء نعمة أمطرتها وجداول كرامة أجريتها ، وأعين أحداث طمستها ، وناشئة رحمة نشرتها وجنة عافية ألبستها ، وغوامر كربات كشفتها ، وأمور جارية قدرتها إذ لم يعجزك إذ طلبتها ، ولم تمتنع عليك اذ أردتها فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب ، وذي أناة لا يعجل ، صل على محمد وآل محمد ، واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين .

إلهي وكم من ظن حسن حققت ومن عدم املاق جبرت ، ومن مسكنة فادحة حولت ، ومن صرعة مهلكة انعشت ، ومن مشقة ازحت لا تسأل يا سيدي عما تفعل ، وهم يسألون ، ولا ينقصك ما انفقت ولقد سألت فأعطيت ولم تسأل فابتدأت واستميح باب فضلك فما أكديت ، أبيت إلا انعاما وامتنانا والا تطولا يارب واحساناً وأبيت يارب إلا انتها كا لحرماتك واجتراءاً على معاصيك وتعديا لحدودك وغفلة عن وعيدك وطاعة لعدوي وعدوك لم يمنعك يا إلهي وناصري اخلالي بالشكر عن اتمام احسانك ، ولا حجزني ذلك عن ارتكاب مساخطك ، اللهم : فهذا مقام عبد ذليل اعترف لك بالتوحيد وأقر على نفسه بالتقصير في اداء حقك وشهد لك بسبوغ نعمتك عليه ، وجميل عاداتك عنده واحسانك اليه ، فهب لي يا إلهي وسيدي من فضلك ما أريده سببا الى رحمتك واتخذه سلما اعرج فيه الى مرضاتك وآمن به من سخطك بعزتك وطولك وبحق محمد نبيك والأئمة صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، فلك الحمد يارب من مقتدر لا يغلب ، وذي أناة لايعجل صل على محمد وآل محمد ، واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك

من الذاكرين .

إلهي وكم من عبد أمسى وأصبح في كرب الموت وحشرجة الصدر والنظر الى ما تقشعر منه الجلود وتفزع اليه القلوب وانا في عافية من ذلك كله فلك الحمد يارب من مقتدر لايغلب وذي اناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لانعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين .

إلهي وكم من عبد أمسى سقيما موجعا مدنفاً من انين وعويل يتقلب في غمه ولا يجد محيصا ولا يسيغ طعاما ولا يستعذب شرابا ولا يستطيع ضرا ولا نفعا وهو في حسرة وندامة وأنا في صحة من البدن وسلامة من العيش كل ذلك منك ، صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ، ولآلائك من الذاكرين .

إلهي وكم من عبد امسى واصبح خائفا مرعوبا مسهدا مشفقا وحيــدا وجاهلا هاربا طريدا او منحجزا في مضيق او مخبأة من المخابيء قد ضاقت عليه الأرض برحبها فلا يجد حيلة ولا منجا ولا مأوى ولا مهربا وأنا في أمن وامان وطمأنينة وعافية من ذلك كله فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب وذي اناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين .

آلهي وسيدي كم من عبد امسى وأصبح مغلولا مكبلا بالحديد بأيدي العداة لا يرحمونه فقيــداً من بلده وولده واهله منقطعا عن اخوانه يتوقع كل ساعه بأية قتلة يقتل او بأي مثلة يمثل وأنا في عافية من ذلك كله فلك الحمد من مقتدر لايغلب وذي أناة لايعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين .

إلهي وسيدي وكم من عبد امسى واصبح يقاسي الحرب ومباشرة القتال بنفسه قــد غشيته الاعداء من كل جانب والسيوف والرماح وآلة الحرب

يتقعقع في الحديد مبلغ مجهوده ولا يعرف حياة ولا يهتدي سبيلا ولا يجد مهربا وقد ادنف بالجراحات او متشحطا بدمه تحت السنابك والأرجل يتمنى شربة من ماء او نظرة الى أهله وولده لا يقدر عليها وأنا في عافية من ذلك كله فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب وذي اناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لانعماك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين .

إلهي وكم من عبد امسى واصبح في ظلمات البحر وعواصف الرياح والأهوال والأمواج يتوقع الغرق والهلاك لا يقدر على حياة او مبتلى بصاعقة أو هدم او حرق او شرق او خسف او مسخ او قذف وانا في عافية من ذلك كله فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعماك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين

إلهي وكم من عبد امسى واصبح مسافراً شاحطا عن اهله ووطنه وولده متحيرا في المفاوز تائهاً مع الوحوش والبهائم والهوام وحيدا فريدا لايعرف حيلة ولا يهتدي سبيلا أو متأذيا ببرد أو حر او جوع او عرى أو غيره من الشدائد مما أنا منه خلو وانا في عافية من ذلك كله فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب وذي اناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين .

إلهي وكم من عبد امسى واصبح فقيرا عائلا عاريا مملقا مخفقا مهجورا جائعا خائفاً ضمآنا ينتظر من يعود عليه بفضل ، او عبد وجيه هو أوجه مني عندك او اشد عبادة لك مغلولا مقهوراً قد حمل ثقلا من تعب العناء وشدة العبودية وكلفة الرق وثقل الضريبة او مبتلى ببلاء شديد لا قبل له به إلا بمنك عليه وانا المخدوم المنعم المعافى المكرم في عافية مما هو فيه فلك الحمد يارب من مقتدر لا يغلب وذي اناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين .

إلهي وسيدي ومولاي وكم من عبد امسى واصبح شريدا طريدا متحيرا جائعا خائفاً خاسرا في الصحاري والبراري احرقه الحر والبرد وهو في ضر من العيش وظنك من الحياة وذل من المقام ينظر الى نفسه حسرة لا يقدر على ضر ولا نفع وانا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله الا انت سبحانك من مقتدر لايغلب وذي اناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا ارحم الراحمين يامالك الراحمين مولاي وسيدي وكم من عبد امسى واصبح عليلا مريضا سقيما مدنفا على فرش العلة وفي لباسها يتقلب يمينا وشمالا لا يعرف شيئاً من لذة الطعام ولا من لذة الشراب ينظر الى نفسه حسرة لايستطيع لها ضرا ولا نفعا وانا خاو من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله إلا انت سبحانك من مقتدر لا يغلب وذي اناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لك من العابدين ولانعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا مالك الراحمين .

مولاي وسيدي وكم من عبد امسى واصبح قد دنا من حتفه وقد احدق به ملك الموت في اعوانه يعالج سكرات الموت وحياضه ، تدور عيناه يمينا وشمالا لا ينظر الى احبائه واودائه واخلائه قد منع عن الكلام وحجب عن الخطاب ينظر الى نفسه حسرة فلا يستطيع لها نفعا ولا ضرا وانا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله إلا انت سبحانك من مقتدر لايغلب وذي اناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لك من العابدين ولنعمائك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يامالك الراحمين

مولاي وسيدي وكم من عبد امسى واصبح في مضايق الحبوس والسجون وكربها وذلها وحديدها يتداوله اعوانها وزبانيتها فلا يدري اي حال يفعل به واي مثلة يمثل به فهو في ضر من العيش وضنك من الحياة ينظر الى

نفسه حسرة لا يستطيع لها ضرا ولا نفعا وأنا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله إلا أنت سبحانك من مقتدر لايغلب وذي اناة لايعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لك من العابدين ولنعمائك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا ارحم الراحمين .

مولاي وسيدي وكم من عبد امسى واصبح قد استمر عليه القضاء واحدق به البلاء وفارق أوداءه واحباءه واخلاءه وامسى حقيرا اسيرا ذليلا في ايدي الكفار والأعداء يتداولونه يمينا وشمالا قد حصر في المطامير وثقل بالحديد لا يرى شيئا من ضياء الدنيا ولا من روحها ينظر الى نفسه حسرة لا يستطيع لها ضرا ولا نفعا وانا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله إلا انت سبحانك من مقتدر لا يغلب وذي اناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لك من العابدين ولنعمائك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا مالك الراحمين .

مولاي وسيدي وكم من عبد امسى واصبح قد اشتاق الى الدنيا للرغبة فيها الى ان خاطر بنفسه وماله حرصا منه عليها قد ركب الفلك وكسرت به وهو في آفاق البحار وظلمها ينظر الى نفسه حسرة لا يقدر لها على ضر ولا نفع وأنا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله الا انت سبحانك من مقتدر لا يغلب وذي اناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لك من العابدين ولنعمائك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا مالك الراحمين .

مولاي وسيدي وكم من عبد امسى واصبح قد استمر عليه القضاء واحدق به البلاء والكفار والأعداء واخذته الرماح والسيوف والسهام وجندل صريعا قد شربت الأرض من دمه واكلت السباع والطيور من لحمه وانا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك لا باستحقاق مني يا لا إله الا انت

سبحانك من مقتدر لا يغلب وذي اناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لنعمائك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا مالك الراحمين .

وعزتك يا كريم لاطلبن مما لديك ولألحن عليك ولألجأن اليك ولأمدن يدي نحوك مع جرمها اليك فبمن اعوذ يا رب وبمن ألوذ ، لا احد لي إلا انت أفتردني وانت معولي وعليك معتمدي وأسألك باسمك الذي وضعته على السماء فاستقلت وعلى الجبـال فرست وعلى الأرض فاستقرت وعلى الليل فاظلم وعلى النهار فاستنار ان تصلي على محمد وآل محمد وان تقضي لي جميع حوائجي وتغفر لي ذنوبي كلها صغيرها وكبيرها وتوسع علي من الرزق ما تبلغني به شرف الدنيا والآخرة يا ارحم الراحمين .

مولاي بك استغثت فصل على محمد وآل محمد واغثني وبك استجرت واغنني بطاعتك عن طاعة عبادك وبمسألتك عن مسألة خلقك وانقلني من ذل الفقر الى عز الغنى ومن ذل المعاصي الى عز الطاعة فقد فضلتني على كثير من خلقك جودا وكرما لا باستحقاق مني .

إلهي فلك الحمد على ذلك كله صل على محمد وآل محمد واجعلني لنعمائك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا ارحـم الراحمين » (١) .

وبعد فراغ الامام (ع) من دعائه الشريف التفت الى اصحابه يهـدأ

---

(١) يعرف هـذا الدعاء بدعاء الجوشن الصغير ، وقد ذكره السيد ابن طاووس في مهج الدعوات (ص ٢٢٠ ـ ٤٢٧) والشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان نقلا عن الكفعمي في هامش كتاب البلد الأمين ، وذكره ابن شهراشوب في المناقب ، وقد اختلفت نسخ الدعاء في هذه المصادر

روعهم ، ويفيض عليهم قبسا من علمه المستمد من علم جده الرسول (ص) قائلا :

« ليفرج روعكم فانه لا يأتي أول كتاب من العراق إلا بموت موسى الهادي » .

فانبروا يطابون منه ان يكشف لهم الحجاب قائلين :

« وما ذاك اصلحك الله ؟ »

«وحرمة صاحب هذاالقبر- وأشار الى قبر النبي (ص) - قد مات موسى الهادي من يومه هذا ، والله إنه لحق مثل ما انكم تنطقون . . »

فتفرق القوم وهم ينتظرون بفارغ الصبر ورود البريد من العراق فما كان باسرع من أن وافاهم وهو يحمل لهم البشرى بهلاك الطاغية ، وقد نظم بعض اهل البيت هذه الكرامة التي جرت على يد الامام بقوله :

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي	محلا ولم يقطع بها البعد قاطع (١)
سرت حيث لم تحد الركاب ولم تنخ	محلا ولم يقصر لهـا البعد مانع
تمر وراء الليـل والليـل ضارب	بجثمانه فيـه سمير وهاجـع
تفتح أبواب السماء ودونهـا	اذا قرع الأبواب منهن قارع
اذا وردت لم يردد الله وفدها	على أهلها والله راء وسامع
وإني لأرجو الله حتى كأنما	أرى بجميل الظن ماهو صانع (٢)

(١) وسارية : اي رب سارية اخذت من السري وهو السير بالليل والمراد رب دعوة لم تجر في الأرض بل صعدت الى السماء فلم يقطعها قاطع لبعد المسافة فصعدت الى الله فاستجاب الدعاء وانتقم من الظالمين .

(٢) المناقب : (ج ٢ ص ٣٧٨)

هلاك موسى الهادي :

واستجاب الله دعاء وليه العبد الصالح فأهلك عدوه الطاغية الجبـــار فاراح العباد والبـــلاد من شره ، وجوره ، أما سبب وفاته فتعزوه بعض المصادر الى قرحة كانت في جوفه فهلك منها (١) وصرحت اكثر المصادر أن أمه الخيزران غضبت عليه لأنه قطع نفوذها لقصة مشهورة وانها خافت منه على ولدها هارون الذي كان أحب اليها من الدنيا ومن فيهـــا (٢) فأوعزت الى جواريها بخنقه ، فعمدت الجواري الى قتله وهو نائم (٣)

ومهما يكن من أمر فقد انطوت صفحة هذا الطاغية ، ولم تطل أيامه فقد كانت خلافته سنة وبضعة اشهر ، ولكنهـــا كانت مجهدة وثقيلة على المسلمين فقد واجهوا فيها اعنف المشاكل واكثرها محنة وصعوبة ، فقد رؤا رؤوس ابناء النبي على الرماح يطاف بها في الأقطار والأمصار ، واسراهم يقتلون ويصلبون ، لم ترع فيهم حرمة الرسول الأعظم (ص) ولا حرمة الاسلام الذي فرض ودهم على جميع المسلمين .

ومما زاد في محنة المسلمين وعنائهم ان موسى الهادي اقبل على اللهو والعبث والمجون واخذ يصرف الخزينة المركزية على شهواته ، ويهب أضخم الأموال للمغنين غير حافل بمـــا الزم به الاسلام من الاحتياط الشديد في اموال المسلمين ، وحرمة صرفها في غير صالحهم وتطورهم الاقتصادي .

لقد رأى الامام موسى (ع) تلك الأحداث الجسام ، ورافق كثيرا

---

(١) الطبري : (ج ١٠ ص ٣٣)

(٢) الطبري : ٣٦/١٠

(٣) الجهشياري (ص ١٧٥) ، اليعقوبي ١٣٨/٣

من مآسيها فزادته عناءاً وجهدا ، فقد رأى الحق مضاعا ، والعدل مجافى ولم يكن هناك أي ظل للحياة الاسلامية ، فقـــد خالفت السلطات الحاكمة آنذاك جميع ما أثر عن الاسلام في عالم السياسة والاقتصاد والادارة

الى هنا ينتهي بنا الحديث في هذه « الحلقة الأولى » من هذا الكتاب ونلتقي مع القراء في « الحلقة الثانية » فنقدم لهم عرضا شاملا لبعض شؤون الامام واحواله .

مُحتويات الكتاب



محتويات الكتاب

الموضوع	محتويات الكتاب	الصفحة

الموضوع	محتويات الكتاب	الصفحة

الموضوع	محتويات الكتاب	الصفحة

الموضوع	محتويات الكتاب	الصفحة

الموضوع	محتويات الكتاب	الصفحة

الموضوع	محتويات الكتاب	الصفحة

محتويات الكتاب







